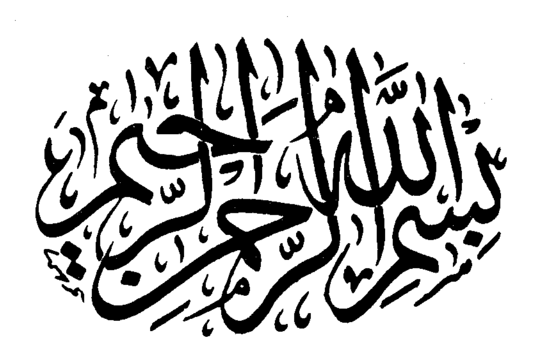
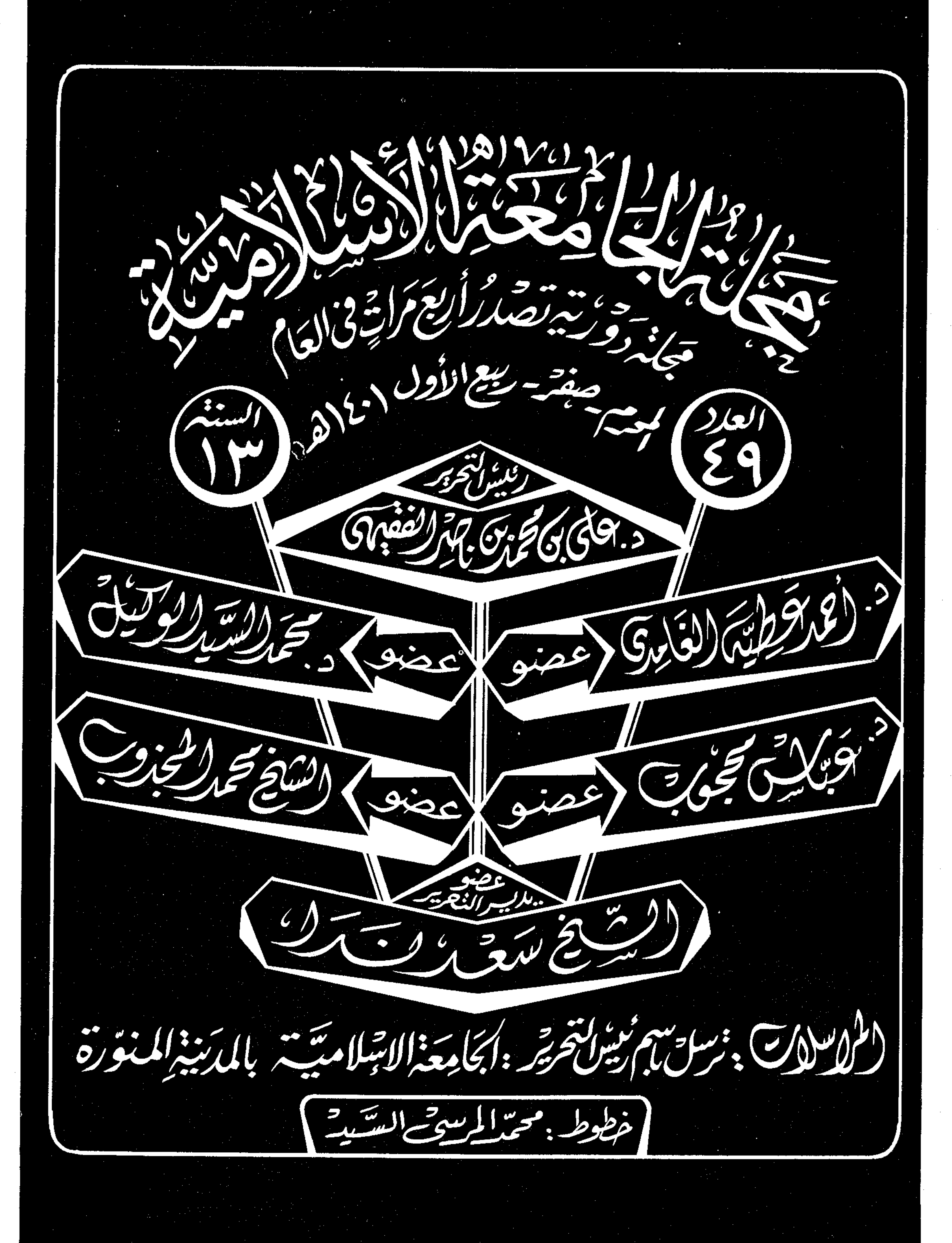
مجلة الجامعة الإسلامية

العدد
٤٩

المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠١ هـ
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام





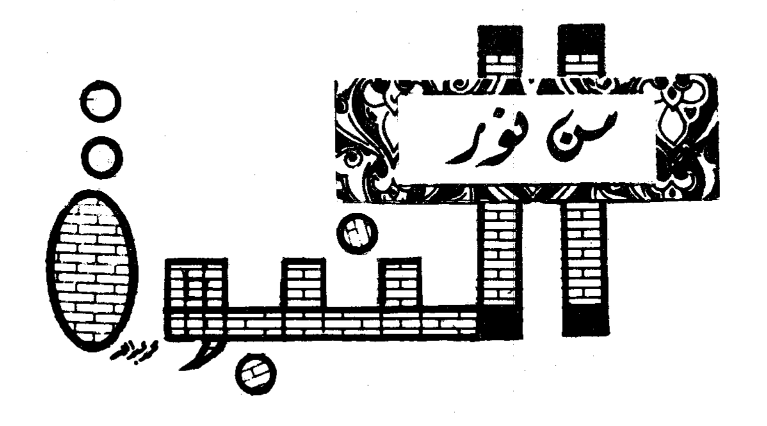
مجلة الجامعة الإسلامية
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام
محرم - صفر - ربيع الأول ١٤٠١هـ
العدد ٤٩
السنة ١٣
رئيس التحرير
د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
د. أحمد عطية الغامدي
عضو
د. محمد السيد الوكيل
عضو
د. عباس محجوب
عضو
الشيخ محمد المجذوب
عضو
عضو
مدير التحرير
الشيخ سعد ندا
المراسلات: ترسل باسم رئيس التحرير: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
خطوط: محمد المرسي السيد



قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

«وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ
ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا
وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ
وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩»

الآيات من سورة الحج



عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

سُئِلَ ٱلنَّبِىُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أَىُّ ٱلْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : "إِيمَانٌ

بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ" ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ ، قَالَ :

"جِهَادٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ" ، قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟

قَالَ : "حَجٌّ مَبْرُورٌ".

« أَخْرَجَهُ ٱلْبُخَارِى »

حكمة العدد

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:
«مَنْ سَرَّهُ ٱلْغِنَى بِلَا مَالٍ، وَٱلْعِزُّ بِلَا سُلْطَانٍ، وَٱلْكَثْرَةُ بِلَا عَشِيرٍ!! فَلْيَخْرُجْ مِنْ ذُلِّ مَعْصِيَةِ ٱللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ وَاجِدٌ ذَلِكَ كُلَّهُ.

كلمة التحرير

المؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية بالسودان

لفضيلة الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
رئيس تحرير مجلة الجامعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، المنزل عليه قوله تبارك وتعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف / آيـــة ١١٠ .

وبعـــــــــد

فإن فترة الركود التى خيمت على العالم الإسلامي منذ زمن بعيد ، والمتجلية في جهل أبناء الأمة الإسلامية بحقائق دينها وسمو رسالتها وعظيم مسؤليتها . تلك المسؤولية المتمثلة في قوله تبارك وتعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...) آل عمران / آيـــة ١١٠ . بدأت تتضح أسبابها ومسبباتها لقادة الفكر الإسلامي ، والمهتمين بشؤون الدعوة الإسلامية .

ولإيمان هؤلاء القادة بأن ما أصاب العالم الإسلامي من نكبات ، وما حل بهم من محن ، هو من عند أنفسهم ، ولعلمهم أيضاً بأن سنة الله تعالى في خلقه أن لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فقد بدأت الدعوات توجه على جميع المستويات لعقد لقاءات بين قادة الفكر الإسلامي وعلماء الأمة الإسلامية ، لدراسة أوضاع المسلمين ، وكيف وصلت بهم الحال إلى ما هم عليه الآن من ضعف ، وتفكك وتمزق ، وما أسباب ذلك وما علاجه ؟

وإن هذه الصحوة في حد ذاتها تبشر بخير لمستقبل هذا الدين .

ونحن نقول : إذا كان الطبيب لا يستطيع وصف الدواء للمريض إلا بعد تشخيص

---

(١) عقد المؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية بالخرطوم فى السودان فى الفترة ما بين ٢٢ إلى ٢٥ جمادى الأولى عام ١٤٠١ هـ .

مرضه بفحص جسمه ليعرف علته . ومن ثم يقدم له الدواء النافع ؛ فإن على قادة الفكر الإسلامي تحسس الأسباب التى أدت الى ارتكاس الأمة الإسلامية حتى وصلت إلى حالتها الراهنة التي لا تحسد عليها ·

ودراسة حالة المجتمعات الإسلامية اليوم . في حاجة إلى مقارنتها بالماضي في فجر انبثاق الرسالة الإسلامية لمعرفة ماضيها المجيد . وكيف انحدرت بعد ذلك ؟ · وهذا الأمر يستدعي نظرة سريعة لحالة المجتمع البشري قبل البعثة ·

إن نظرة عابرة لحالة البشرية كلها قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم تعطينا صورة قاتمة لحالة ذلك المجتمع البائس في جميع شؤون حياته ؛ ذلك المجتمع الذى كان يسوده الاضطراب ، عداوة وبغضاء ، وانحطاط أخلاق وسلوك . ولا حق فيه للضعيف وإنما الحق فيه للقوي الغالب ، أما الضعيف المغلوب فهو مستعبد ممتهن ، وعلى رأس تلك الانحرافات الأخلاقية والسلوكية : الشرك بالله الواحد الأحد ·

وقد أنعم الله تعالى على تلك الأمة المتناحرة ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم فأخرجها برسالته من الظلمات إلى النور ، فأصبح أفرادها بنعمة الله إخوانا ، وذلك حين أذن الله لهذا النور أن يبدد تلك الظلمات المتراكمة ، وأن يسير هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالبشرية كلها إلى شاطئ السلامة . (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سبأ / ٢٨ · ·

فدعا البشرية كلها إلى هذا الخير ، وبيَّن لها سبيله ، وأوضح لها معالمه ، كما بين لها طرق الشر ، وحذرها من سلوك سبله ، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، وسلك طريقه خلفاؤه الراشدون من بعده ، وقد حثَّ صلى الله عليه وسلم أمته على التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين من بعده ، وبسلوك المسلمين لذلك المنهج في العبادات والمعاملات سادوا البشرية جمعاء ، لنشرهم العدل بينهم وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، فعم الاسلام شرق الأرض وغربها في فترة لم يحدث في تاريخ البشرية كلها مثل ذلك لدعوة من الدعوات ، وما ذلك إلا لسهولة ويسر تعاليم الإسلام لتمشيها مع الفطرة البشرية ، ولإخلاص حملة هذه الرسالة وحبهم إيصال هذا الخير إلى الناس جميعا ، دون أن يكون هدفهم التكالب على رئاسة ، أو طلب جاه في الدنيا ، وإنما كان همهم أن تكون كلمة الله هي العليا · ولذا نجد أنه إذا صدر أمر من الخليفة لقائد الجيش في أثناء المعركة بأن يسلم القيادة لجندي في جيشه ليكون قائداً بَدَلاً منه ، سلمه إياها ، وأخذ سيفه وانطلق جنديا يقاتل في سبيل الله تحت قيادته لأنه يعمل لله لا لمنصب ولا جاه ·

وحين تخلى المسلمون عن هذه الروح الإسلامية وسلكوا مسلكا يخالف النهج الذى رسمه لهم سلفهم الصالح فى العبادات والمعاملات وجميع شؤون الحياة ، بدأت الحال تتغير ، فدب الوهن في جسم الأمة الإسلامية ، فتفرقت كلمتها ، وتشتت شملُها ، وتمزقت وحدتها ، وأصبحت شيعا وأحزابا ، يقتل بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، وليس هذا من الإسلام في شيء ·

ونجاح هذه الأمة مرهون بعودتها إلى ما كان عليه سلفها الصالح ، إذ لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ·

وإن عقد مؤتمر للدعوة الإسلامية في هذه الآونة ، والذى جاء بعد مؤتمر القمة الإسلامي الذى عقد في مكة المكرمة والذى يعتبر من أهم اللقاءات التى تمت بين ملوك ورؤساء دول العالم الإسلامي للعودة بشعوبهم إلى الحكم بشرع الله ، وتطبيق منهجه الذى ارتضاه لعباده ، بعد أن جربوا مناهج البشر وقوانينها ، لَخيرُ دليل على أن قادة الأمة الإسلامية ومفكريها بدؤوا يحاولون رسم الطريق لهذه العودة إلى الله خالقهم (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) · ومؤتمر الدعوة الاسلامية الذى عقد في السودان هو من السبل التى ترشد الأمة إلى الطريق لتطبيق شرع الله على عباده ، فإن من أهدافه :

١ ـ إتاحة الفرصة للقاء عدد كبير من علماء الأمة الإسلامية ، يمثل وقفة تأمل وإعمال فكر في الواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية اليوم ، مقارنا بالماضي في فجر انبثاق الرسالة الإسلامية ، لتتضح فترة الركود وتتبين أسبابها ومسبباتها ، لبحثها وتحليلها ، ثم معالجتها تمهيداً لمطلع فجر جديد للأمة الإسلامية ·

٢ ـ الوصول إلى هدف مشترك بأسلوب موحد لمواجهة التحديات المعاصرة ·

٣ ـ إيجاد مناخ مناسب لتبادل الخبرات والتعرف على التجارب والمشكلات ، والإطلاع على الظروف المختلفة ، وطرق مواجهة المعضلات ، ووضع الخطط والبرامج للتلازم والتكامل بين العقيدة والعلم ·

٤ ـ بحث إمكانية وضع استراتيجية موحدة للدعوة الإسلامية ، تمكن من زيادة فاعليتها وعمق تأثيرها وشمول نشرها على مستوى العالم الإسلامي ، وما جاور أرض الإسلام ·

٥ ـ إتاحة الفرصة للتنسيق بين الحكومات والهيئات والمؤسسات والأفراد العاملين في مجال الدعوة الإسلامية بغرض تحقيق الاستغلال الأمثل للإمكانيات المتاحة ·

٦ ـ النظر في إمكانية توظيف ما حدث من تطور في وسائل الاتصالات على مختلف أنواعها في خدمة أغراض الدعوة الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي ·

٧ ـ وضع تصور واضح ومحدد للداعية من حيث التأهيل العلمي والاستعداد الفطري والتدريب النظري والعملي ٠

إن هذه الأهداف الجيدة في مجال الدعوة ، وغيرها من الأهداف الأخرى التى طرحت في هذا اللقاء قد ناقشها المؤتمرون ، وأبدوا حيالها التوصيات المناسبة ، ومن أبرز تلك التوصيات :

أ ـ تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتقديم الإسلام بديلا شاملا للثقافة الغربية المادية ٠

ب ـ دعم المركز الإسلامي الإفريقى بالخرطوم ٠

جـ ـ دعم مركز الترجمة المزمع إنشاؤه بالخرطوم ٠

د ـ نشر وتنشيط الدعوة الإسلامية في فلسطين ، ودعم الجامعة الإسلامية بالقدس ٠

هـ ـ التأكيد على أهمية دور الإعلام في نشر الدعوة الإسلامية ، ومحاربة الأفكار الهدامة ، وتدعيم دور الإعلام بإعداد الإعلاميين المسلمين ، ومؤسسات إنتاج إعلامية إسلامية تهتم بالنشر المرئي والمسموع ، وإمداد أجهزة الإعلام غير الإسلامية بمعلومات دقيقة وصحيحة عن الإسلام ٠

و ـ وفي مجال الشباب ، طالب المؤتمر بضرورة العناية بترشيد الشباب بدعم المنظمات الإسلامية الشبابيـة وتشجيع اللقاءات العالمية بينهم ٠

ز ـ كما أشار المؤتمر إلى أن الدعاة المسلمين يتعرضون للمضايقات في بعض الدول الإسلامية ، وناشد كل الدول الإسلامية بتوفير الحرية لهم وعدم حظر الدعوة إلى قيام **نظم حكم إسلامية ،** وبكل أسف فقد عارض أحد أعضاء المؤتمر ـ وهو مسئول ديني ـ هذه التوصية في القاعة ولم يستجب له أحد من الأعضاء في تلك المعارضة ، بل جعل نفسه موضع استياء ونقد من المؤتمرين ٠

حـ ـ وفي مجال التعليم ، أوصى المؤتمر بتقرير مادة الثقافة الإسلامية في جميع الجامعات ، ودعا الدول للاعتراف بالجامعات الإسلامية ، ورفع الحظر عن حملة هذه الشهادات في التعيين الحكومي ، ومساواة شهاداتهم بشهادات الجامعات الأخرى ٠

ودعا المؤتمر إلى مناهضة الدعوة الهدامة الرامية لاستخدام العامِيّة ، والاهتمام بمعاهد الثقافة الإسلامية التاريخية مثل الجامع الأزهر ٠ وجامعة الزيتونة ، والقرويين ، والمعهد العلمي بأم درمان ٠

ط ـ كما دعا المؤتمر الدول الإسلامية إلى إنشاء دور متخصصة في الحديث ، تضم خيرة العلماء لنشر السنة وحفظها ، والعناية بمقررات التربية الإسلامية في المدارس ٠

هذه بإيجاز أهم توصيات المؤتمر عدا توصيات أخرى أقرها المؤتمرون ، وقد كلف المؤتمر اللجنة السودانية بترجمة هذه القرارات إلى مشاريع عملية ، ومتابعة تنفيذها مع الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي ٠

وإن هذه النتائج التى توصل إليها المؤتمرون ، وصدرت حولها التوصيات المنوه عنها لهي نتائج جيدة ومفيدة ، لو أنها انتقلت من عالم الورق الذى كتبت عليه إلى الواقع العملى ، ذلك أن توصيات مماثلة سبقتها بقي الكثير منها حبراً على ورق ٠

وإننا لمن المتفائلين ببوادر وعي إسلامي نحس بشائره في كثير من أنحاء العالم الإسلامي ، وذلك بعد التجارب المريرة التي ذاقها أبناء الأمة الإسلامية نتيجة ابتعادهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ومنهج سلفهم الصالح في تطبيق الكتاب والسنة عمليا حتى يكون واقعاً حيّاً تعيشه الأمة الإسلامية ، وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : (كنّا لا نتجاوز عشر آيات حتى نعلم ما فيها من العلم والعمل) ٠

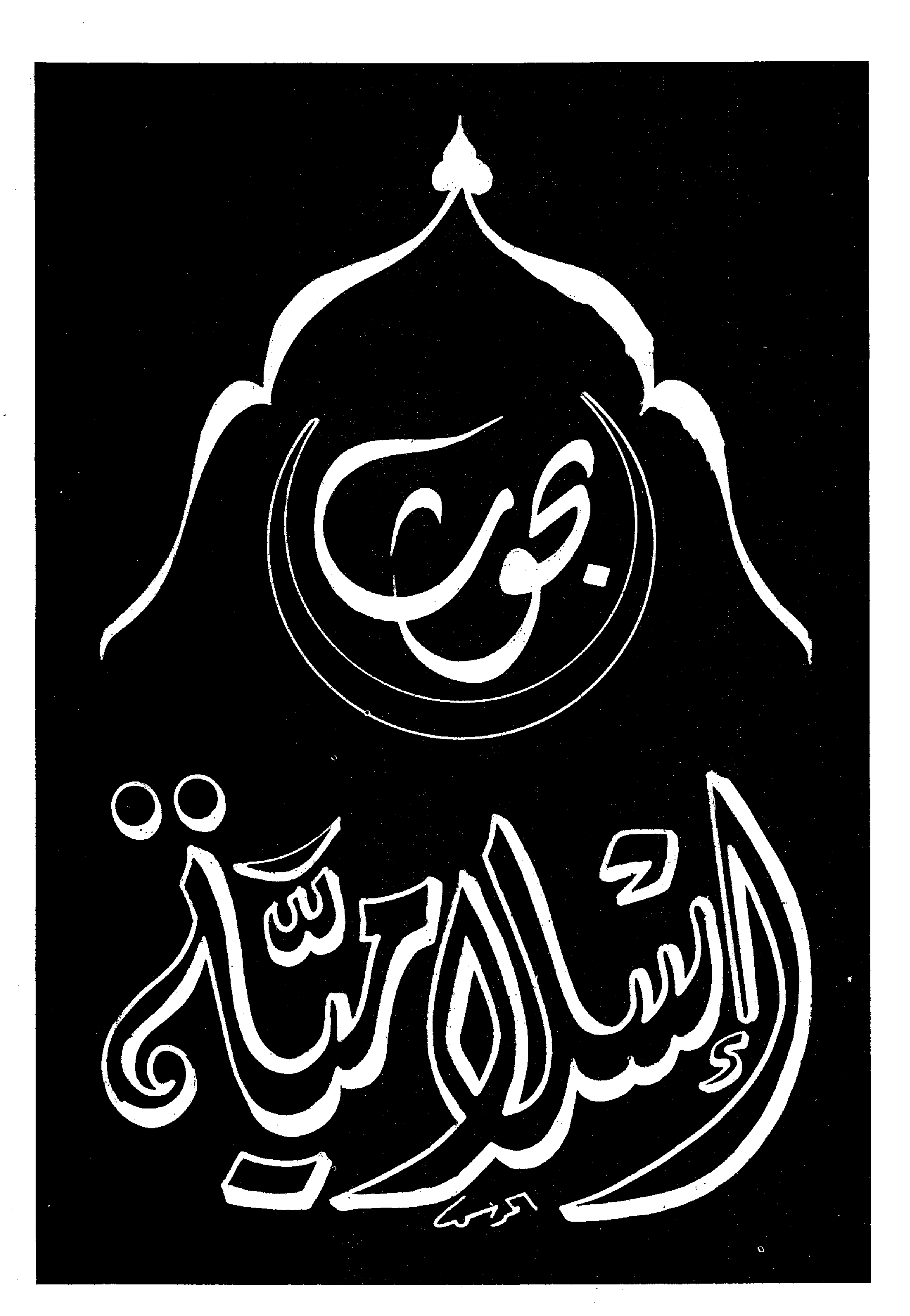
وإن مطالبة الشعوب الإسلامية بالعودة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، في جميع شئون حياتها وما لُمِس من بوادر استجابة لتحقيق هذه الرغبة من رؤساء هذه الشعوب المسلمة ، كما جاء في مقررات مؤتمر القمة الإسلامى الذى عقد في مكة المكرمة ، يحتم على رجال الدعوة الإسلامية أن يضعوا منهجا موحداً يضمن للأمة سلامة طريقها في عودتها إلى تطبيق شريعة الله التى ارتضاها لعباده ، وإن على رؤساء الجمعيات وأصحاب النشاط البارز في مجال توجيه الشباب ، والذين يدعون جميعا إلى تحكيم شريعة الله أن يوحدوا طريقهم ، ويجمعوا كلمتهم ، ويبتعدوا عن النزاع الذى يعقبه الفشل المحتوم كما قال تبارك وتعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال / ٤٦ ٠ ٠

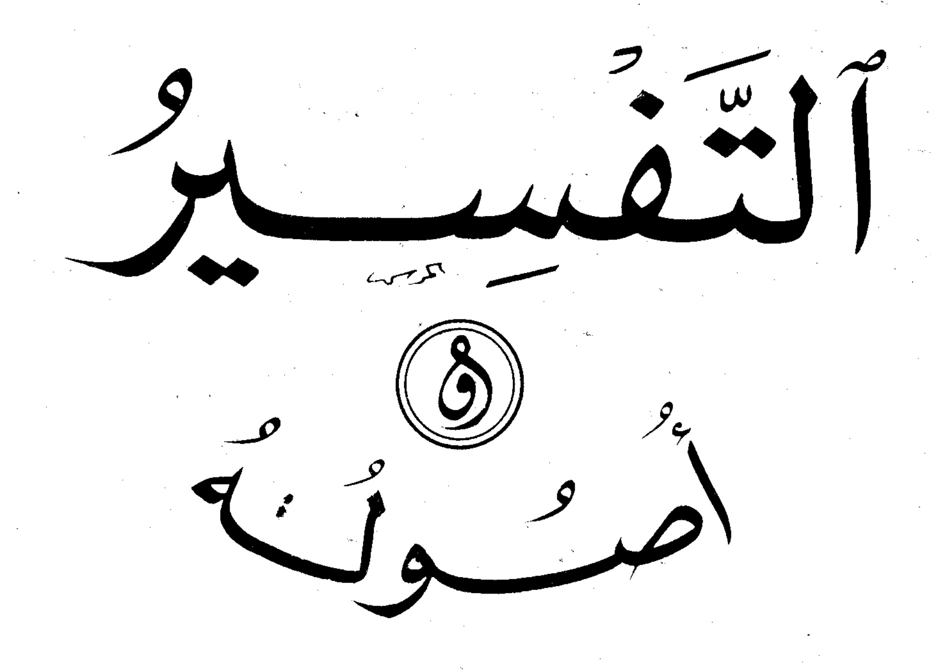
فيكفي الأمة الإسلامية ما عانته من فشل « والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين » وقد لدغ المسلمون مرات ٠ ولا يمكن أن توحد الكلمة إلا أن يكون هناك مرجع تحتكم الفئات المختلفة في وجهات نظرها إليه ، ولا مرجع لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر - وكلهم بحمد الله يدعون إلى الكتاب والسنة - إلا برجوعهم إلى منهج خلفائه الراشدين الذين حثنا رسول الهدى على التمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده حيث قال : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ » ٠

فيجب على فقهاء الدعوة المهتمين بجمع كلمة الأمة ، وتطبيق أحكام الله في الأرض أن يتأملوا قوله صلى الله عليه وسلم : « وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي » لأن سنتهم والله

أعلم أطيب قدوة للأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ كانوا خير مثال لفهم تطبيق كتاب الله وسنة رسوله عمليا ، وكذلك من سلك مسلكهم في هذا المجال من بعدهم ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم حين ذكر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وأن واحدة من هذه الفرق سوف تستمر ظاهرة على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى ، فقيل من هم يارسول الله قال : من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي . وهذه المثلية شاملة لجميع شؤون الحياة ، في العقيدة وفي العبادات والمعاملات ونظم الحكم ، والسلوك والأخلاق وفي كل ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية لتحقيق استخلافها في الأرض ، فخلفاؤه والذين أتبعوهم بإحسان هم الذين على ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم . (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) ، (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) .




بحوث
إسلامية


ٱلتَّفْسِيرُ
وَ
أُصُولُهُ

التَّمَتُّعُ في الحَج

لفضيلة الشيخ أبوبكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعـــالى :

فإذا أمنتم فمن تمتّعَ بالعمرةِ إلى الحج فما استيسَر من الهدْيِ ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج ، وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله شديد العقاب .

بسم الله ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد فقد يحسن أن يقدم بين يدى شرح هذه الآية القرآنية المباركة شرحُ مفرداتها أولا ، ثم شرح جملها وتراكيبها ، ليكون ذلك عوناً للقارئ على فهم مراد الله تعالى من هذه الآية الكريمة .

شرح المفردات :

١ ـ أمنتم : حصل لكم الأمن وهو عدم الخوف من عَدُوٍّ أو مرض .

٢ ـ تَمتّعَ بالعمرة إلى الحج : أحرم بالعمرة في أشهر الحج فلما أداها تحلل من إحرامه فتمتع بما كان محظوراً عليه بسبب الإحرام من لبس الثياب ، وتغطية الرأس ، ومس الطيب ومباشرة النساء .

٣ ـ العمرة : زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعى بين الصفا والمروة .

٤ ـ الحج : زيارة بيت الله تعالى لأداء أنواع من العبادات تسمى مناسك ، وهى الطواف ، والسعى ، والوقوف بعرفة ، والمبيت بمزدلفة ، ورمى الجمرات ، والنحر ، والحلق ، والمبيت بمنى ثلاث ليال ، وطواف الوداع .

٥ ـ استيسر : تهيأ وسهل بدون كلفة ولا مشقة .

٦ ـ الهدى : ما يهدى إلى البيت من الأنعام ، وهى الإبل والبقر والغنم .

٧ ـ حاضرى المسجد الحرام : مقيمين ساكنين بالمسجد الحرام ، وهو الحرم كلّه بحدوده المعروفة غربا وشرقا وشمالا وجنوبا .

معنى الآيـــــة :

لمَاّ ذكر تعالى حكم الإحصار وهو أن يُمنعَ الحاجُ من دخول الحرم بسبب عدوٍّ حال بينه وبين دخول مكة لأداء المناسك ، أو بسبب مرض كذلك ، قياساً على المنع بالعدو ، فيذبح أو ينحر ما يتسر له نحره أو ذبحه ، ويتحلل من إحرامه ويعود إلى أهله ، ولاشيء عليه بعد ذلك ٠

وكذلك ذكر حكم من مرض وهو محرم فاضطرَّ الى تغطية رأسه ، أو لبس ثيابه ، أو حلق شعره لأذى في رأسه ، وهو أنه يفعل ما اضطر إليه ، ويفدي ، والفدية واحدة من ثلاث : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين ، أو ذبح شاه ٠

لما ذكرتعالى هذين الحكمين : حكم الإحصار ، وحكم المرض عقَّب على ذلك بحكم التمتع ، فقال عز وجل : فمن تمتع بالعمرة الى الحج الآية ٠

يريد تعالى أن على المسلم إذا أحرم بالعمرة في أشهر الحج : شوال أو القعدة أو العشر الليالى الأول من شهر الحجة ، فأدّاها بأن طاف وسعى وحلق أو قصر ، ثم تحلّل فلبس الثياب ومسّ الطيب وتمتع بكل ما كان محظوراً عليه وبقى في مكة ينتظر الحج ، فإذا جاء يوم التروية أحرم بالحج وحج ، ٠

إن على هذا المتمتع بالعمرة إلى الحج ما تيسر له من الهدى ، شاة أو بقرة أو بدَنة (بعير) ، فإن لم يجد ما يهديه ، إما لعدم وجود نقود زائدة على نفقته في سفره ، أو لعدم وجود الهدى نفسه ، فإن الواجب عليه عندئذ أن يصوم ثلاثة أيام في الحج أي ما بين تحلله من العمرة ويوم عرفة ٠ وإن صام السابع والثامن والتاسع من شهر الحجة ، أجزأ ، وإن صام السادس والسابع والثامن ، كان خيراً وأفضل ٠٠

ثم إذا عاد إلى أهله صام سبعة أيام ، وبها يكون قد أتم صيام عشرة أيام كاملة ، وذلك المطلوب في حق من تمتع بالعمرة إلى الحج مفرداً للعمرة عن الحج ، أو قارناً لها معه ٠

ثم استثنى الله تبارك وتعالى ساكنى المسجد الحرام ، وهو الحرم كله كما قدمنا ، فإنه ليس لهم أن يتمتعوا بالعمرة إلى الحج ، وذلك لعدم وجود مشقة تحصل لهم بالإحرام ، فإن أحدهم يحرم من منزله يوم التروية ويخرج إلى منىً ، بخلاف بعيد الدار فإنه يحرم من المواقيت فيبقى في سفره أياما وليالِي محرماً ، يعانى من الشعثة والغبرة والتعب ؛ فرخص الله تبارك وتعالى في أن يحرم بعمرة ، فإذا قضاها تحلل منها ، وتمتع بلبس الثياب ومس الطيب ومباشرة النساء إن كانت امرأته معـه ٠

ومقابل هذا التيسير الإلهي وجب عليه هديٌ شكراً لله تعالى على نعمة التيسير ورفع الحرج والمشقة ، ولله الحمد والمنّة .

ولما بين تعالى حكم التمتع بالعمرة إلى الحج ، أمر بتقواه وهى طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فقال : (واتقوا الله) ، وحذر من معصيته بترك ما أوجب أو بفعل ما حرم ، بقوله (واعلموا أن الله شديد العقاب) ، فإن من كان شديد العقاب ينبغى أن يُتقى فلا يُعصى .

وكان هذا منه سبحانه وتعالى رحمة بعباده ورأفة بهم ، حتى لا يتعرضوا لنقمه وأليم عذابه : فله الحمد وله الشكر ، لا إله غيره ولارب سواه . هذا معنى هذه الآية المباركة الكريمة .

نعقب عليه بمسائل مهمة تتعلق بما تضمنته الآية من أحكام التمتع :

الأولى : هذه الآية نص صريح في جواز التمتع بالعمرة إلى الحج وهى عامة في كل حاج يريد أن يتحلل بعمرة انتظاراً للحج ، غير أن السنة خصصتها بمن لم يسق الهدى ، فإن من ساق معه هدياً من الحل لا يجوز له أن يتحلل من إحرامه حتى يقف بعرفة ، ويرمى جمرة العقبة ، وينحر هديه أو يذبحه ، لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه في حجة الوداع أن يتحللوا بعد الطواف والسعى إلا من كان معه هدى ، فقد أمره بالبقاء على إحرامه ، نظراً لقوله تعالى : (ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله) .

الثانية : في الآية دليل قطعى على جواز الإفراد فان مفهوم قوله تعالى فمن تمتع الخ أن من لم يتمتع بأن يحج مفرداً فلا هدي عليه . وهذه المسألة أجمع المسلمون عليها أي على جواز الإفراد والتمتع والقران، الصحابة فمن دونهم إلى هذا اليوم . وخالف فيها الروافض والظاهرية ، فقالوا بوجوب التمتع ، ولازمه أنه لاإفراد وهو خطأ بيّن ، وخروج عن إجماع المسلمين وغرهم أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتحلل إلا من ساق الهدى ، وهو أمر أراد به ـ فداه أبى وأمىّ ـ التوسعة على هذه الأمة ، ورفع الحرج عنها ، إذ كانوا يرون عدم جواز التمتع بل كانوا يعدونه من أفجر الفجور . حتى قالوا : إذا بـرأ الدَبر حلت العمـرة لمن اعتمر . مع ما فيه من الحرج . فإن المرء محرم من المدينة المنورة ويقضى عشرة أيام مسافراً أو أكثر وقد ينتظر الحج أياما أخرى فتحصل له المشقة ويتعب من ملازمته الإحرام هذه المدة الطويلة ، فرأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فأمرهم بالتحلل تخفيفاً عليهم ورحمة بهم ، وبين بهذه مراد الله تعالى وحققه عملياً ، وهو قوله (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) الآية . ويؤكد هذا ويقرره فهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتقريرهم له ، اذ حج أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين مفردين بالحج ، بل كان عمر ينهى عن العمرة رغبة منه في أن لا يخلو البيت من زائر وطائف ، ولذا أجمع الأئمة الأربعة ومعهم السواد الأعظم على جواز أيّ من الأنساك الثلاثة ، وهى الإفراد والتمتع والقران . كما أجمعوا على أن من كان يعتمر في غير أشهر الحج ويحج من عامه ذاك أن الإفراد أفضل له ، كما أن من ساق الهدي معه من الحل أن القران أفضل له ، ومن لم يعتمر في غير أشهر الحج . ولا ساق الهدي أجمعوا أن التمتع أفضل له ، ذكر هذا وحققه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن هذا هذه الأمة الإسلامية خير الجزاء آمين .

الثالثة: اختلف فيمن أحرم بالعمرة متمتعا بها إلى الحج ، ثم لما أداها خرج من الحرم ثم عاد محرما بالحج ، هل يعتبر متمتعا يجب عليه الهدي ، أو خروجه من الحرم أسقط عنه التمتع ولا هدي عليه في هذه الحال ؟

وأوسط أقوال العلماء في هذه وأعدلها أن من سافر حتى تجاوز المواقيت وحصلت له بذلك مشقة السفر ذهاباً وإياباً فإنه يسقط عنه هدي التمتع ، ولم يعتبر متمتعاً بما حصل له من السفر والمشقة . أما من كان دون المواقيت فهو متمتع ولم يسقط عنه الهدي بل يجب عليه .

أما من عاد إلى بلاده وأهله فإن الإجماع على أنه غير متمتع ولا هدي عليه . وهذه مفهوم قوله تعالى : (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) ...

الرابعة : من لم يصم قبل العيد جاز له أن يصوم أيام التشريق الثلاثة رخص في ذلك غير واحد من الصحابة والأئمة ، إذا كان تأخيره للصوم لعذر مرض ونحوه ..

هذا والله أسأل أن يعلمنا وينفعنا بما يعلمنا ويزيدنا من العلم والعمل الذى يرضيه عنـــا آمين


الحديث
أصوله

إزالة الشبهة عن حديث التربة

الحلقة الأولى

فضيلة الشيخ عبد القادر السندي

المحاضر بكلية الحديث الشريف بالجامعة

الحمد لله وحده ، والصلاة السلام على من لا نبي بعده أما بعـــد :

فمما يؤسف له حقا بما أورده الشيخ محمود أبو ريه في كتابه الذى أسماه « أضواء على السنة المحمدية » من شبهات هزيلة ، وآراء فاسدة ، وأفكار هدامة نحو السنة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، وقد رد على كتابه هذا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي ، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزه رحمهما الله تعالى ، ولقد أجادا وأفادا في رديهما البارعين المفيدين ، وكلاهما مطبوع في سنة ١٣٧٧ هـ . ولقد استفدت من كتابيهما كثيرا في هذا الباب ، فلله درهما ، رحمهما الله تعالى ، فما كنت أتجاسر على كتابة الرد على الشيخ أبي رية بعد وجود هذين الكتابين العظيمين وهما : « الأنوار الكاشفة لما في كتـاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة » للعلامة الشيخ المعلمي « وظلمات أبى رية » للعلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة ، فقد قام بنشر الكتابين المذكورين نصير السنة المحمدية الشيخ محمد نصيف رحمه الله تعالى ، وتغمده برحمته ورضوانه آمين .

وما كنت بحال من الأحوال ـ قد بلغت مبلغ هذين العلمين من العلم والفضل ومن سواهما إلا أني قد أردت ـ مع ضعف حيلتي وقلة بصيرتي وادراكي ـ أن أرضى الله جل وعلا وذلك بالدفاع عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والذب عن كرامة أصحابه البررة الكرام رضى الله تعالى عنهم أجمعين وعلى رأسهم الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله تعالى عنه الذى طعن فيه أبو رية وذلك باتهامه إياه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بريء منه، وسائر أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، إذ قال أبو رية: (روى مسلم عن أبى هريرة أنه قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي، فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الأثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، وقد قال البخارى وابن كثير وغيرهما: إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الاحبار، لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم قال أبو رية: ومن العجيب أن أبا هريرة قد صرح في هذا الحديث بسماعه عن النبى صلى الله عليه وسلم، وأنه أخذ بيده حين حدثه به، وإنى لأتحدى الذين يزعمون في بلادنا أنهم على شيء من علم الحديث، وجميع من هم على شاكلتهم في غير بلادنا، أن يحلوا لنا هذا المشكل، وأن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم من الهوة التى سقط فيها).

قلت: هذا نص كلام أبى رية في كتابه آنف الذكر، والشبهة التى لعبت في رأسه أن هذا الحديث لا يمكن الجمع بينه وبين نص القرآن الكريم الوارد في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى وهو أولا: في سورة الأعراف إذ قال جل وعلا: (إن ربكم الله الذى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) (١) ونحو هذا القول المبارك في سورة يونس (٢) وفي سورة هود (٣) وفي سورة الفرقان (٤) وفي سورة السجدة (٥) وفي سورة ق (٦) وفي سورة الحديد (٧). وليس هناك تعارض حقيقي بين معنى

---

(١) الآية: ٥٤.
(٢) رقم الآية: ٣.
(٣) رقم الآية: ٧.
(٤) رقم الآية: ٥٩.
(٥) رقم الآية: ٤.
(٦) رقم الآية: ٣٨.
(٧) رقم الآية: ٤.

هذا الحديث الشريف ، وما ورد في كتاب الله من خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، كما سوف يأتى ذلك مفصلا وموضحا إن شاء الله تعالى ، لأن هذه التحديات لم تكن قد وقعت من الشيخ محمود أبى رية إلا لبعده عما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من علوم صافية نقية ، وقواعد راسخة متينة ، وأصول ثابتة محكمة لا يشذ عنها إلا من ابتلى بمرض الجهل أو النفاق ، أعاذنا الله تعالى منهما ، وإنى سوف أتكلم على هذا الحديث الصحيح من جوانبه الأربعة المهمة ٠

١ ـ تخريجـــــه ٠
٢ ـ إسنــــــاده ٠
٣ ـ معنـــــــاه ٠
٤ ـ شواهـــــده ٠

تخريج الحـــــديث

أما تخريجه فقد أخرجه مسلم في صحيحه (١) والإمام أحمد في مسنده (٢) وابن جرير الطبري في تاريخه (٣) والإمام الحافظ أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني المتوفى سنة ٤١٠ هـ في تفسيره (٤) والإمام البيهقى في الأسماء والصفات (٥) و النسائي في السنن الكبرى (٦) ٠ وقد عقد الامام النووى رحمه الله تعالى في شرحه على مسلم بابا على هذا الحديث بقوله : باب ابتداء الخلق ، وخلق آدم عليه السلام ، ثم ساق الإمام مسلم إسناده بقوله : حدثنى سريج بن يونس ، وهارون بن عبد الله ، قالا : حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ثم ذكر الحديث كما نقله أبو رية في كتابه ، وزاد مسلم في نهاية الحديث (في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل) وهذه الزيادة لم ينقلها أبو رية في كتابه آنف الذكر ثم قال مسلم رحمه الله تعالى في نهاية الحديث : قال إبراهيم : حدثنا البسطامي وهو الحسين بن عيسى ، وسهل بن عمار ، وإبراهيم بن بنت حفص وغيرهم عن حجاج بهذا الحديث اهـ ٠

قلت : هكذا أثبت إسناد الحديث بهذا السياق عن حجاج بن محمد الأعور المصيصي الترمذي الأصل وهو من شيوخ الكتب الستة ، والإمام أحمد في مسنده ، وقد تغير أخيرا عند

إسنـــــــــاد الحــديث

وأما إسناد هذا الحديث فهو إسناد من أسانيد مسلم في الصحيح كما ترى وهو على شرطه الذى اشترطه على نفسه في مقدمة صحيحه إذ قال رحمه الله تعالى (١) في مقدمته العلمية على صحيح مسلم ، ومقسما الأخبار التى يخرجها في صحيحه وهى ثلاثة أنواع (فأما القسم الأول فإنا نتوخى أن نقدم الأخبار التي هى أسلم من العيوب من غيرها ، وأنقى ما يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث ، واتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ، وتخليط فاحش ، كما عثر فيه على كثير من المحدثين وبأن ذلك في حديثه ، فإذا نحن تقصينا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخبارا يقع في أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان ، كالصنف المقدم قبلهم ، على أنهم ، وإن كانوا فيما وضعنا دونهم فإن اسم الستر والصدق وتعاطي العلم يحملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبى الزياد وليث بن أبى سليم ، وأضرابهم من حمال الآثار ، ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين ، فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الإتقان ، والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبه ، لأن هذا عند أهل العلم درجه رفيعة ، وخصلة سنية ، ألا ترى أنك إذا وازنت هؤلاء الثلاثة الذين سمينا هم عطاءً ، ويزيد ، وليثا بمنصور بن المعتمر ، وسليمان الأعمش ، وإسماعيل بن أبى خالد في إتقان الحديث والاستقامة فيه ، وجدتهم مباينين لهم لا يدانونهم ، لاشك عند أهل العلم بالحديث في ذلك ، للذى استفاض عندهم من صحة منصور ، والأعمش ، وإسماعيل وإتقانهم لحديثهم وإنهم لم يعرفوا مثل ذلك من عطاء ، ويزيد ، وليث ، وفي مثل مجرى هؤلاء إذا وازنت بين الأقران كابن عون ، وأيوب السختياني ، مع عوف بن أبى جميلة ، وأشعث الحمرانى وهما صاحبا الحسن ، وابن سيرين ، كما أن ابن عون وأيوب صاحبهما إلا أن البون بينهما وبين هذين بعيد في كمال الفضل ، وصحة النقل ، وإن كان عوف ، وأشعث غير مدفوعين عن صدق وأمانة عند أهل العلم ، ولكن الحال ما وصفنا من المنزلة عند أهل العلم ، وانما مثلنا هؤلاء في التسمية ليكون تمثيلهم سمة يصدر عن فهمها من غبى عليه طريق أهل العلم في ترتيب أهله فيه فلا يقصّر بالرجل العالى القدر عن درجته ، ولا يرافع متضع القدر في العلم فوق منزلته ، ويعطى كل ذى حق فيه حقه ، وينزل منزلته وقد ذكر عن عائشة رضى الله عنها ، أنها قالت : أمرنا رسول الله صلى

---

(١) مقدمة صحيح مسلم : ٥٠ ـ ٦٠ .

الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم مع ما نطق به القرآن من قول الله تعالى (وفوق كل ذى علم عليم) فعلى نحو ما ذكرنا من الوجوه نؤلف ما سألت من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما ما كان منها عن قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشاغل تخريج حديثهم كعبد الله بن مسور وأبى جعفر المدائنى ، وعمرو بن خالد وعبد القدوس الشامى ، ومحمد بن سعيد المصلوب ، وغياث بن إبراهيم ، وسليمان بن عمرو ابى داود النخعى وأشباههم ممن اتهم بوضع الأحاديث وتوليد الأخبار ، وكذلك من الغالب على حديثه المنكر ، أو الغلط امسكنا أيضا عن حديثهم اهـ .

قلت : هذا هو النقل عن الإمام أبى الحجاج مسلم رحمه الله تعالى في مقدمة صحيحه وأنه لم يخالف في إخراج حديث أبى هريرة رضى الله عنه بحال من الأحوال وأنه على شرطه تماما كما نص في هذا النقل بأنه لا يخرج جديث من كان متهما بالكذب أو من كان منكرا كثير الغلط ، وأما ما سواهما فإنه يخرج حديثهم للاستشهاد ، والمتابعات وهكذا نقل السيوطي في تدريبه (١) عن مسلم فرواه وبهذا الإسناد الذى أنا بصدد الكلام حوله فإنهم كلهم ثقات ، إلا أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس بن جابر الأنصارى المدني الذى يروى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة وروى عنه إسماعيل بن أمية فقد قال الحافظ في تقريبه (٢) : فيه لين من الرابعة ورمز له بأنه من رجال مسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وقال في التهذيب (٣) وذكره ابن حبان في الثقات ، ورجحه الخطيب .

قلت : صالح للمتابعات والشواهد ، ويكتب حديثه ، ولم يخرج له مسلم سوى هذا الحديث الواحد فقط في صحيحه ، ولم يكن حديثه مخالفا للثقات ، كما سوف يأتي في معنى الحديث مفصلا إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام البخاري في تاريخه الكبير (٤) في ترجمة أيوب بن خالد هذا رقم الترجمة ١٣١٧ وروى إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد الأنصاري ، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله التربة يوم السبت ، وقال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح اهـ .

وقال الإمام ابن القيم في المنار المنيف (٥) ويشبه هذا ما وقع فيه الغلط من حديث أبي هريرة : خلق الله التربة يوم السبت ، وهو في صحيح مسلم ولكن الغلط في رفعه ، وإنما

---

(١) تدريب الراوي : ص٤٥ .

(٢) تقريب التهذيب : ١/٨٩ .

(٣) تهذيب التهذيب : ١/٤٠١ .

(٤) التاريخ الكبير : ١/٨/٤١٣ .

(٥) المنار المنيف : ص ٨٤ ، فصل١٩ .

هو قول كعب الأحبار ، ثم نقل عن الإمام البخاري قوله من تاريخه الكبير الذى نقل آنفاً ثم قال : وقال غيره من علماء المسلمين أيضا وهو كما قالوا ، لأن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام ، والله تعالى أعلم ·

قلت : هكذا ضعف هذا الإسناد استنادا على قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، المنقول من تاريخه الكبير ، وإلى هذا التضعيف جنح الشيخ عبد القادر القرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١) اذ قال : وقد روى مسلم أيضا خلق الله التربة ثم ذكر الحديث ، ثم قال : واتفقت الناس على أن يوم السبت لم يقع فيه خلق ، وأن ابتداء الخلق كان يوم الأحد اهـ ·

قلت : سوف يأتى الرد على هذا عند الكلام على معنى الحديث ، وقال العلامة المناوي في فيض القدير على شرحه على الجامع الصغير للسيوطي (٢) · أخرجه مسلم وهو من غرائبه ، وقد تكلم فيه ابن المدينى والبخاري وغيرهما من الحفاظ ، وجعلوه من كلام كعب الاحبار ، وأن أبا هريرة إنما سمعه منه لكن اشتبه على بعض الرواة فجعلوه مرفوعا ، وقد حرر ذلك البيهقي ، وذكره ابن كثير في تفسيره ، وقال بعضهم : هذا الحديث في متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السماوات في يومين اهـ

قلت : ليست هناك غرابة في معنى الحديث ولا تعارض مع نص القرآن الكريم ، كما يفصل ذلك ويوضح عند الكلام على معنى الحديث ، والإسناد قد تكلم عليه الإمام البيهقي في الأسماء والصفات ، وصححه كما سوف يأتي قريبا وقد صحح هذا الإسناد أيضا الإمام يحي بن معين ، وابن منده ، والدولابى ، والثقفي كما نقله الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى في صحيح الجامع الصغير (٣) · وقد تكلم عليه في الأحاديث الصحيحة برقم ١٨٣٣ ·

وقال الإمام البيهقي في الأسماء والصفات (٤) : وزعم بعض أهل العلم بالحديث أنه غير محفوظ لمخالفته ما عليه أهل التفسير ، وأهل التواريخ ، وزعم بعضهم : أن إسماعيل بن

---

(١) جواهر المضية في طبقات الحنفية : ٢/٤٢٩ ·
(٢) فيض القدير : ج٣ ص٤٤٧ ـ ٤٤٨ ·
(٣) صحيح الجامع الصغير : ٣/٣٢٣٠ ·
(٤) الأسماء والصفات : ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ·

أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبى يحي عن أيوب بن خالد ، وإبراهيم غير محتج به ، ثم ساق إسناده بقوله : أخبرنا أبو عبد الله ، أخبرني أبو يحي أحمد بن السمرقندى ببخارى ، ثنا أبو عبد الله محمد بن نصر ، حدثنى محمد بن يحي ، قال : سألت على بن المديني عن حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، خلق الله التربة يوم السبت ، فقال على : هذا حديث مدني رواه همام بن يوسف عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن أبي رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ، قال عليّ : وشبك إبراهيم بن أبى يحي ، وقال لى : شبك بيدي أيوب بن خالد ، وقال لى شبك بيدي عبد الله بن رافع ، وقال لى ، شبك بيدى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وقال لى : شبك بيدى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم وقال لى : خلق الله الأرض يوم السبت فذكر الحديث ، قال على بن المديني : وما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا من إبراهيم بن أبي يحيى ٠

قلت : هكذا علل ابن المديني رحمه الله تعالى ، إسناد هذا الحديث ، بقوله إنه مروي عن طريق إبراهيم بن أبى يحي ، وإبراهيم غير محتج به كما قال البخاري في التاريخ الكبير (١) ، والصغير (٢) ، والضعفاء له (٣) والجرح والتعديل (٤) والضعفاء للنسائي (٥) والمجروحين لابن حبان (٦) والضعفاء للعقيلى (٧) وتهذيب الكمال (٨) ، والذهبي في الميزان (٩) ، وتذكرة الحافظ للذهبي (١٠) ، وتهذيب التهذيب (١١) ولم يثبت هؤلاء كلهم سماع أو رواية إسماعيل بن أمية عن إبراهيم بن أبي يحي هذا ، وهو متروك متهم بالكذب ، وهو من رواة ابن ماجه وقد انفرد به ولم يعلل البخاري رحمه الله تعالى هذا التعليل في تاريخه الكبير ، ولم يضعف على بن عبد الله المديني رحمه الله تعالى أيوب بن خالد الأنصاري الذي روى هذا الحديث ، ولقد قال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى بعد نقل ابن المديني حول هذا الإسناد في الأسماء والصفات ٠

---

(١) التاريخ الكبير : ٢٢٣/٨ ٠
(٢) التاريخ الصغير : ٢١٣ ٠
(٣) الضعفاء : ص٣ ٠
(٤) الجرح والتعديل : ١٢٥/٨ ٠
(٥) الضعفاء : ص٣ ٠
(٦) المجروحين : ٩٢/١ ٠
(٧) الضعفاء ورقة ١٣ ٠
(٨) تهذيب الكمال : ٦٥/٨ ٠
(٩) ميزان الاعتدال : ٥٧/١ ٠
(١٠) تذكرة الحفاظ : ٢٤٦/١ ٠
(١١) تهذيب التهذيب : ١٥٨/١ ٠

قلت : أى قال الامام البيهقي رادا على ابن المديني حين قال إن إسماعيل بن أمية روى هذا عن إبراهيم بن أبي يحي - وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذى عن أيوب ابن خالد ، إلا أن موسى بن عبيدة ضعيف ، وروى عن بكر بن الشرود ، عن إبراهيم بن أبي يحي عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد وإسناده ضعيف ، والله أعلم اهـ ٠

قلت : لم يرتض البخاري رحمه الله تعالى قول شيخه ابن المديني لأن إسماعيل بن أمية ثقة ثبت عند المحدثين ، وليس بمدلس وهو معاصر لشيخه أيوب بن خالد الأنصاري كما لا يخفى هذا الأمر على من مارس من التحقيق في علوم الحديث ، وكأن البخاري رحمه الله تعالى قد أعل هذا الإسناد بأمر آخر في تاريخه ، كما قال الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي في الأنوار الكاشفة (١) ٠ إذ قال رحمه الله تعالى : ومؤدى صنيعه أنه يحس أن أيوب أخطأ ، وهذا الحس مبنى على ثلاثة أمور : الأول : استنكار الخبر لما مر ، الثانى : أن أيوب ليس بالقوى ، وهو مقل ، ولم يخرج مسلم إلا هذا الحديث كما يعلم من الجمع بين رجال الصحيحين ، وتكلم فيه الأزدي ، ولم ينقل توثيقه عن أحد الأئمة إلا أن ابن حبان ، ذكره في ثقاته ، وشرط ابن حبان في التوثيق فيه تسامح معروف ٠

الثالث : الرواية التى أشار إليها بقوله « وقال بعضهم : وليته ذكر سندها ومتنها فقد تكون ضعيفة في نفسها وإنما قويت عنده للأمرين الآخرين ٠ ويدل على ضعفها أن المحفوظ عن كعب ٠ وعبد الله بن سلام ، ووهب بن منبّه ومن يأخذ عنهم ، أن ابتداء الخلق كان يوم الأحد وهو قول أهل الكتاب المذكور في كتبهم وعليه بنوا قولهم في السبت اهـ

قلت : هذا الوجه الثالث الذى ذكره رحمه الله تعالى كان ينبغي أن يحتفظ به على رده على الإمام البخاري رحمه الله تعالى في تضعيفه لأيوب بن خالد الأنصاري وسوف يأتى ذلك مفصلا عند ذكر معنى الحديث وخلاصة القول أن على بن المديني والبخاري رحمهما الله تعالى لم يتفقا في تعليلهما على تضعيف هذا الإسناد بل لكل واحد منهما رأى متغاير في التضعيف ولو اتفقا على علة واحدة لكان لرأيهما وزن كبير وثقل عظيم ، وقد رد عليهما الإمام البيهقي ، والشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمى رحمهما الله تعالى ، وسوف يأتي كلام المعلمي مفصلا عند معنى الحديث بعد ما يثبت إسناد الحديث بالحجة القاطعة ، والبرهان الواضح ، فلله دره رحمه الله تعالى ٠

---

(١) الأنوار الكاشفة : ص١٨٩ ٠

وأزيد على ما ذكره المعلمي حول إسناد هذا الحديث والإمام البيهقي في ذكره الزيادات الإسنادية ثم تضعيفه إياها وسكوته عليها فأقول : إن هذا الإسناد الذى تكلم عليه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في تاريخه الكبير بقوله : « وقال بعضهم عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح » إن حكمه على هذا الإسناد بالأصحية يدل على أن رواية مسلم التى صرح فيها أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم شاذة في نظر البخاري رحمه الله تعالى ، ولكن أين هذه الرواية التى أشار اليها بالأصحية ومن أخرجها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، والبخاري رحمه الله تعالى لم يخرجها في الجامع الصحيح ولا في غيره من الكتب ، ولقد فتشت عنها كثيرا في كتب الحديث المطبوعة التى بين يديّ والمخطوطة فلم أقف عليها ، وكذا في كتب التراجم والسير والتاريخ والتفسير ولم يشر إليها أحد من المحدثين ، ما عدا الإمام البخاري رحمه الله تعالى ، ولم يعلل الإمام على بن عبد الله المديني هذا الاسناد بما علل به تلميذه الرشيد رحمهما الله تعالى ، والبخاري يقول في حق شيخه هذا كما نقل هذا المزي في تهذيب الكمال والحافظ في التهذيب وغيرهما من أئمة الحديث « ما استغرت نفسي إلا عند ابن المديني فإنه خلقه الله تعالى للحديث » والإسناد قد صححه جملة كبيرة من المتحدثين كما مضى ، وأما قول الإمام البيهقي في الأسماء والصفات عند رده على ابن المديني ، وزعم بعضهم أن إسماعيل بن أمية إنما أخذه عن إبراهيم بن أبي يحي الخ : فاستعماله كلمة « زعم » رد واضح وإنكار ظاهر ، وكيف لا ، وقد كان إسماعيل ابن أمية معاصراً لأيوب بن خالد الأنصاري ، ولم يكن متهما بالتدليس ، ولا بالإرسال الخفي وليس هناك انقطاع ، فيما علمت ، ولو كان هناك شيء لأشار إليه البخاري في تاريخه الكبير ، ولهذا صحح الإسناد جملة كبيرة من أهل الفن كما نقل عنهم ، وأما الزيادات التى أشار إليها الإمام البيهقي في هذا الإسناد فإنها زيادة في متصل الأسانيد كما لا يخفى مع ضعفها كما أشار اليها الإمام البيهقي رحمه الله تعالى ، والضعف محتمل في نظره رحمه الله تعالى ، وفي نظر أهل الفن خصوصا متابعة موسى بن عبيدة الربذى لإسماعيل بن أمية عن شيخه أيوب بن خالد الأنصاري ، واكتفى بهذا القدر بما يتعلق بإسناد خبر أبى هريرة رضى الله عنه ، وهو إسناد صحيح كما اشترطه مسلم في صحيحه كما ظهر لك من هذه الدراسة المتواضعة التى تتعلق بقولى الإمام على بن عبد الله المديني والإمام البخاري رحمهما الله تعالى وعدم اتفاقهما على علة واحدة في تضعيف الإسناد فهناك دليل قوى على تفوق جانب المصححين قوة ورجحانا وهم أكثر والله تعالى أعلم بالصواب .

(يتبع)

****

ليهلك من هلك عن بينة

ويحيى من حي عن بينة

موفق القصاب
الجامعة الاسلامية

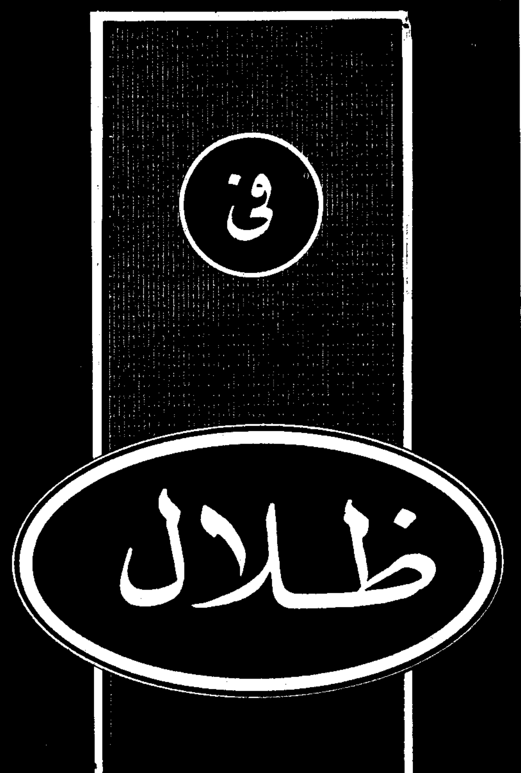
(ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) طه ١٢٣ ـ ١٢٦ ٠

أيها المسلم ... مالي أرى الخطيب ينصحك في كل جمعة ولا تسمع ... مالي أرى عينك أسفاً على فساد الأحوال لا تدمع ... مالي أرى قلبك حزناً على ضعف الدين لا يتقطع ... مالي أراك لا تتوب وقد نزل بك ما نزل ... أيسرك الصلوات الخمس وقد تركت ... أيسرك أعراض المسلمات وقد هتكت ... أيسرك آداب الإسلام وقد هجرت ... أيسرك مجد الإسلام وقد رحل ... هل يليق بك أن ترى أختك في الدين تخرج عن الصراط السوي ... هل يليق بك أن ترى المسلمة فى هذا السفور الفاضح الذى يتعارض مع أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم ... أترضى أن يكون بيت اللهو معموراً وبيت الله في خراب ... أترضى أن تكون الظواهر في انتظام والبواطن في انقلاب ... أترضى أن تتأدب في مجلس فلان وفي مجلس القرآن تغتاب ... أترضى أن تكون في الدنيا على غير هدى وفي الأخرى على غير أمل ... أهكذا تفعل أمة رسولها سيد الأكوان ... أهكذا تفعل أمة يتلى بينها القرآن ... أهكذا تفعل أمة يحاسبها الملك الديان ... أهكذا الشرع ... أهكذا الدين ... أهكذا العمل ... ؟

قم سلسل الدموع حزناً على هذا الفساد الشائع ... قم مزق الضلوع حزناً على هذا الشرع الضائع ... قم ذكر نفسك بخطاياك فليس السكوت بنافع ... قم دبر أمرك قبل حلول الأجل ...

اتق الله واعلم أن الدنيا ليست دار خلود ... اتق الله وقد نصحتك والله والملائكة شهود ... اتق الله فقد طال هجرك للملك المعبود ... اتق الله تفلح وتربح وتنجح

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافراً ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » رواه مسلم رياض الصالحين ص ٧٢ ٠


في
ظلال


العقيدة



فضيلة الشيخ / سعد ندا المدرس بالجامعة الإسلامية

في حلقات ثلاثٍ مَضَيْن ، ذكرت تسعا وثلاثين اسما من أسماء الله الحسنى ، وألقيتُ أضواء على بعض معانيها بحسب ما يسَّر الله عز وجل لى من فهم ، وأشرتُ إلى أن تلك الأسماء وردت في القرآن الكريم مرات بلغ مجموعها (٢٧٥٨) ثمانى وخمسين وسبعمائة وألفى مرة في مواضع مختلفة .

والذى يهمنى أن أؤكده في كل حلقة من هذه الحلقات : أن تكرار أسماء الله الحسنى في القرآن الكريم ـ فضلا عن السنة المشرفة ـ بهذه الأعداد الضخمة ، لم يأت عبثاً ، ولم يكن أمراً عشوائياً ، وإنما هو لَفتٌ إلى عِظَمِ أهمية هذه الأسماء ، وضرورة تعرف المسلم عليها ، لأن كل اسم منها يتضمن صفة كمال لله تبارك وتعالى ، وصفات كماله ـ جلَّ وعلا ـ يتحتم على كل مسلم أن يعرفها ، إذ لا يمكن أن يعبد إلهاً يجهله . وسبيل معرفته ـ سبحانه ـ لاتكون إلا بمعرفة أسمائه الحسنى ، وصفات كماله العُلى . ومن ثمَّ تتضح الضرورة الملحَّة للمسلم التى تلزمه بمعرفة أسماء الله تعالى وصفاته ، إذ هى سبيله إلى توحيده سبحانه ، وتوحيده هو الوسيلة الوحيدة لتصحيح عمله وقبوله .

وإتماما لما بدأت في الحلقات الثلاث السابقة ، أعرض ـ بحول الله وقوته ـ بعضا آخر من الأسماء الحسنى ، محاولاً إلقاء بعض الأضواء ـ حسبما ييسِّر الله تعالى لى ـ على شىء من معانيها فيما يلى : ـ

المولى ـ الولّ :

المـــــولى :

هو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى · ويطلق لفظ المولى في اللغة على : المعتِق ، وعلى المعتَق ، وعلى الناصر ، وعلى الجار ، وعلى ابن العم ، وعلى الحليف ، وعلى القيّم بالأمر · والقدر المشترك في هذه الاطلاقات هو القرب ·

وحين يطلق (المولى) على الله عز وجل ، فإن معناه : القريب من عباده (١) ·

* وقد ورد اسم (المولى) سبحانه في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة (٢) ثلاث مرات (٣) بلفظ (المولى) ، في قوله تعالى : « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم **المولى** ونعم النصير » (الأنفال آية ٤٠) (وإن تولوا) أى أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا · (فاعلموا أن الله مولاكم) أى ناصركم ومعينكم ، فثقوا بولايته ونصرته ·

(نعم المولى) فلا يضيع من تولاه ، (ونعم النصير) فلا يغلب من نصره (٤) ·

ومعنى المولى هنا : سيدكم وناصركم على أعدائكم فمن والاه فاز ، ومن نصره غلب (٥) ·

وفي قوله تعالى : « فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم **المولى** ونعم النصير » (الحج آية ٧٨) أى وإذ خصكم بهذه الكرامة والأثرة ، فاعبدوه وانفقوا مما آتاكم بالإحسان الى الفقراء والمساكين ، وثقوا به ، ولا تطلبوا النصرة ولا الولاية إلا منه ، فهو خير مولى وناصر (٦) ·

ومعنى المولى هنا : أى حافظكم وناصركم على أعدائكم والمتولى أموركم دقيقها وجليلها ، وهو سبحانه لا مماثل له في الولاية لأموركم والنصرة على أعدائكم (٧) ·

---

(١) شرح أسماء الله الحسنى للرازى ص ٢٩٨ ·

(٢) المعجم المفهرس ·

(٣) المرجع السابق ·

(٤) محاسن التأويل للقاسمى الجزء الثامن ص ٢٢٩٧ ·

(٥) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ١٨٦ ، وفتح القدير الجزء الثانى ص ٣٠٨ ·

(٦) المرجع السابق الجزء الثانى عشر ص ٤٢٨٢ ·

(٧) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ١٠٣ ، وفتح القدير الجزء الثالث ص ٤٧١ ·

أقــول : لهذا أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يعتصموا به جل وعلا فقال : (واعتصموا بالله) أى تمسكوا بدين الله وثقوا به تعالى ، فلا رجاء ناجح إلا أن يكون رجاءه وحده سبحانه . وقد جاءت هذه الآية الكريمة عقب قوله تعالى : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدينُ كله لله، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (الأنفال آية ٣٩) .

والمعنى : أى يامعشر المؤمنين قاتلوا أعداءكم المشركين حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده .

قال ابن عباس : الفتنة : الشرك، أى حتى لا يبقى مشرك على وجه الأرض . وقال ابن جريج : حتى لا يفتن مؤمن عن دينه (١) ومعنى (ويكون الدين كله لله) أى تضمحل الأديان الباطلة ولا يبقى إلا دين الإسلام . واضمحلالها : يكون إما بهلاك أهلها جميعا، أو برجوعهم عنها خشية القتل (٢) .

أقــول : ولهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » (٣) .

ومعنى قوله تعالى (فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) أى فإن انتهوا عن الكفر وأسلموا فإن الله مطلع على قلوبهم ، يثيبهم على توبتهم وإسلامهم، (وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم) أى وإن لم ينتهوا عن كفرهم وأعرضوا عن الإيمان فاعلموا يامعشر المؤمنين أن الله ناصركم ومعينكم عليهم، فثقوا بنصرته وولايته ولا تبالوا بمعاداتهم لكم . (نعم المولى ونعم النصير) أى نعم الله أن يكون مولاكم، فإنه لا يضيع من تولاه، ونعم النصير لكم ، فإنه لا يغلب من نصره الله (٤) .

وفي قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم) (محمد آية ١١) .

ومعنى المولى هنا : أى ناصر المؤمنين (٥) .

---

(١) الطبرى جزء ١٣ ص ٥٣٨ .

(٢) روح المعانى للألوسى جزء ٩ ص ٢٠٧ .

(٣)صحيح مسلم الجزء الأول ص .

(٤) صفوة التفاسير الجزء الأول ص ٥٠٤ .

(٥) المرجع السابق ـ الجزء الخامس ص ٣٢ .

أقــول : فبينت هذه الآية الكريمة أن المؤمنين مولاهم الله تبارك وتعالى يدافع عنهم وينصرهم على أعدائهم ، وأما الكافرون فليس لهم من يدافع عنهم ولا من ينصرهم لأنهم على باطل ، وأهل الباطل لا يستأهلون نصرا ، ولا يظهرهم الله عز وجل على أهل الحق ٠

* ومنها أربع مرات بلفظ (مولاكم) : وذلك في قوله تعالى (بل الله **مولاكم** وهو خير الناصرين) (آل عمران آية ١٥٠) ٠ وذلك بعد قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) (آل عمران آية ١٤٩) ٠

والمعنى : أن الله تعالى يحذر عباده المؤمنين طاعة الكافرين والمنافقين ، فإن طاعتهم تورث الردى في الدنيا والآخرة ، وأمرهم سبحانه بطاعته وموالاته والاستعانة به والتوكل عليه لأنه هو معينهم وناصرهم ومتولي أمورهم ٠ ومن ثم فهو خير من يحقق لهم النصر المبين (١) ٠

وكذلك في مثل قوله : (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ، والله **مولاكم** وهو العليم الحكيم) (التحريم آية ٢) ٠ ومعنى مولاكم هنا : أى وليكم وناصركم ، والمتولى لأموركم (٢) ٠

وقد ذكر القاسمى في تفسيّره أن المقصود بقوله : (بل الله مولاكم) أى فأطيعوه (وهو خير الناصرين) أى فينصركم خيرا ممن نصروكم لو نصروكم ، وكيف لا يكون خير الناصرين ، وهو ينصركم بغير قتال كما وعد بقوله (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ، ومأواهم النار ، وبئس مثوى الظالمين) أى الذى يمنعهم من الهجوم عليكم والإقدام على حربكم (بما أشركوا بالله مالم ينزل به) أى بكونه إلها متصفا بصفاته ومستحقا للعبادة (سلطاناً) أى حجة قاطعة تنبنى عليها الاعتقادات (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) هى المثوى والمقر ، والمأوى والمقام (٣) - والعياذ بالله ٠

وقد أفادت الآية أن ذلك الرعب بسبب مافي قلوبهم من الشرك بالله ، وعلى قدر الشرك يكون الرعب ٠ وقد قال القاشانىّ : جعل إلقاء الرعب في قلوب الكفار مسببا عن شركهم ، لأن الشجاعة وسائر الفضائل اعتدالات في قوى النفس لتنورها بنور التوحيد ، فلا تكون تامة إلا للموحد الموقن في توحيده ، وأما المشرك فلأنه محجوب عن منبع القدرة بما أشرك بالله من الموجود المشوب بالعدم الذى لم يكن له بحسب نفسه قوة ، ولم ينزل الله بوجوده حجة ، فليس إلا العجز والجبن ، وجميع الرذائل ٠

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٣١٨ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٥٠ ٠

(٣) محاسن التأويل الجزء الرابع ص ٩٩٣ ٠

وقال القفال : كأنه قيل : أنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد ، إلا أن الله تعالى سيلقى الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار ، ويظهر دينكم على سائر الأديان ، وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل ٠٠ وفي حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيتُ خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلى : نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهر ، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاةُ فليصلّ ، وأحِلَّتْ لي الغنائم ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناس كافةً ، وأعطيتُ الشفاعة) (١) ٠

ثم أخبر أنه صدقهم وعده في النصر على عدوه ، وهو الصادق الوعد ، وأنهم لو استمروا على الطاعة ، ولزموا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، لاستمرت نصرتهم ، ولكن انخلعوا عن الطاعة ، وفارقوا مركزهم ، ففارقهم النصر على عدوهم عقوبةً وابتلاءً ، وتعريفا لهم بسوء عواقب المعصية ، وحسن عاقبة الطاعة ، بقوله (ولقد صدقكم الله وعده) (٢) ٠

وفي قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) (محمد آية ١١) ٠

ومعنى مولاهم : أن هو سبحانه الذى يتولاهم فيدافع عنهم وينصرهم على أعدائهم ٠

وقد جاءت الآية المذكورة بعد قوله تعالى : (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ؟ دمر الله عليهم ، وللكافرين أمثالها) (محمدآية ١٠) ٠

والآيتان مرتبطتان ، ومعناهما : أفلم يَسِرْ المشركون بالله المكذبون لرسوله فينظروا كيف عاقب الله الذين من قبلهم بتكذيبهم وكفرهم ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين يوم فرغوا من وقفة أحد أن يجيبوا أبا سفيان لما قال لهم : لنا العزى ولا عزى لكم فيقولون : (الله مولانا ولا مولى لكم) ٠ (٣) وقال الإمام الشوكانى في معنى الآيتين : أى ألم يسيروا في أرض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ليعتبروا ، فينظروا كيف كان آخر أمر الكافرين قبلهم ، فإن آثار العذاب في ديارهم باقية ، إذ أهلكهم الله واستأصلهم ، ثم توعد سبحانه مشركى مكة بأن لهؤلاء الكافرين أمثال عاقبة من قبلهم من الأمم الكافرين ، وذلك سببه أنه تعالى ناصر المومنين ٠ وأن الكافرين لا ناصر يدفع عنهم ٠

---

(١) صحيح البخارى الجزء الثامن كتاب الصلاة ص ٥٦ ٠

(٢) المرجع السابق ص ٩٩٤ ٠

(٣) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٥٨ ، ٥٩ ٠

ثم بين سبحانه وتعالى مظهر ولا يته للمؤمنين يوم القيامة في قوله تعالى : (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) (محمد آية ١٢/) وبين في مقابلة ذلك عدم ولا يته للكافرين ومظهر ذلك في الدنيا والآخرة في قوله تعالى : (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) (محمد آية ١٢) أى أن الكفار ليس لهم همٌ في دنياهم إلا الانكباب على الأكل والتمتع في الدنيا ، لا هم لهم إلا ذلك ، ولهذا ثبت في الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن يأكل في معًى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء) أى كأن له سبعة أمعاء كنايةٌ عن كثرة أكله . ويوم القيامة النار تكون جزاء لهم (١) .

وذكر الإمام الشوكانى في معنى الجزء الأول من الآية الخاصة بالمؤمنين أنه مسوق لبيان ولاية الله تعالى لهم ، وذلك بإدخالهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وفي بيان معنى الجزء الخاص بالكافرين أنهم يتمتعون بمتاع الدنيا وينتفعون به كأنهم أنعام ليس لهم همٌ إلا بطونهم وفروجهم ، ساهون عن العاقبة ، لاهون بما هم فيه ، والنار مقام لهم يقيمون به ، ومنزل ينزلونه ويستقرون فيه (٢) .

أقـــول : لا شك أن ولاية الله تعالى لعباده المومنين تسعدهم بالحياة الطيبة في الدنيا، وبدار الكرامة جنات عدن في الآخرة.فهنيئا لمن بلغ هذه الدرجة الرفيعة فكان الله مولاه .

* ومنها مرتان بلفظ **(مولانا)**، وذلك في قوله تعالى: (أنت **مولانا** فانصرنا على القوم الكافرين) (البقرة آية٢٨٦). أى أنت وليُنا وناصرنا، وعليك توكلنا وأنت المستعان وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك، فانصرنا على القوم الكافرين الذين جحدوا دينك، وأنكروا وحدانيتك، ورسالة نبيك، وعبدوا غيرك، فانصرنا عليهم، واجعل لنا العاقبة عليهم في الدنيا والآخرة. قال الله: (نعم). وفي الحديث الذى رواه مسلم عن ابن عباس: قال الله: (قد فعلت)(٣). وقال الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى: (أنت مولانا)، أى ولينا وناصرنا ، وخرج هذا مخرج التعليم كيف يدعون. وقيل معناه: أنت سيدنا ونحن عبيدك. وذكر في معنى قوله: (فانصرنا على القوم الكافرين)، أى من حق المولى أن ينصر عبيده، وأن المراد عامة الكفرة، وأن في هذا إشارة إلى إعلاء كلمة الله في الجهاد في سبيله(٤).

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٥٩ .
(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٣٢.
(٣) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٤٩ .
(٤) فتح القدير الجزء الأول ص ٣٠٨ .

أقـول: وبمناسبة ذكر آخر آية في سورة البقرة، أود أن أذكر بأن هناك عددا من الأحاديث نصت على فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، منها ما أخرجه الإمامان مسلم، والنسائي واللفظ له عن ابن عباس قال: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده جبريل، إذ سمع نقيضا، فرفع جبريل بصره فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك. فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته».

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى في الشعب عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه تحت العرش. فتعلموهما، وعلموهما نساءكم وأبناءكم، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء». وروى الشيخان وأهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)(١).

وكذلك في قوله تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، هو **مولانا** وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (التوبة آية٥١). وذلك بعد قوله تعالى: (إن تصبك حسنةٌ تسؤهم، وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ، ويتولوا وهم فرحون) (التوبة٥٠).

ومعنى الآيتين : أن الله تعالى يُعْلمُ رسوله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بعداوة هؤلاء له لأن أىَّ حسنة تصيبه هو وأصحابه تسوؤهم ، وأن أىَّ مصيبة تصيبه يقولون لقد احترزنا من متابعته من قبل هذا ، ويتولون وهم فرحون بما أصابه . فأرشد الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم بأن يقول لهم : إننا تحت مشيئة الله تعالى وقدره ، فما يصيبنا كله مقدر علينا ، فهو سبحانه مولانا أى سيدنا وملجؤنا ، ونحن متوكلون عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل (٢) .

* ومنها مرة بلفظ (مولاه) وذلك في قوله تعالى : (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو **مولاه** وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) (التحريم آية ٤) والخطاب في هذه الآية الكريمة موجه الى أمىّ المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، أى إن تتوبا إلى الله تعالى مما تظاهرتما به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد مالت قلوبكما إلى الحق . وقد روى الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « لما اعتزل نبى الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلتُ المسجدَ فإذا الناس

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

ينكتون بالحصى ، ويقولون : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب ، فقلت : لأعلمنَّ ذلك اليوم ٠ فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال : فدخلتُ فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة ، فناديت ، فقلت : يارباح استأذنْ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أن قال : فقلت : يارسول الله ما يشق عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك ، وملائكته ، وجبريل ، وميكال ، وأنا ، وأبو بكر ، والمؤمنون معك ٠ وقلما تكلمت ـ وأحمدُ الله ـ بكلام إلا رجوتُ أن يكون الله يُصدّقُ قولى ، فنزلت هذه الآية : (عسى ربه ان طلقكنَّ أن يبدله أزواجا خيرا منكن » (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت : أطلقتهن ؟ قال : (لا) ، فقمتُ على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى : لم يطلق نساءه ، ونزلت هذه الآية : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) النساء / ١٤ (١) ، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ٠

وقال الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى : (إن تتوبا إلى الله ... الآية) : أى إن تتوبا إلى الله فقد وجد منكما ما يوجب التوبة ، ومعنى « صَغَتْ » عدلت ومالت عن الحق أو زاغت وأثمت ، وهو أنهما أحبتا ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إفشاء الحديث ، وقيل المعنى : إن تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما إلى التوبة ، ومعنى (وإن تظاهرا عليه) وإن تظاهرا بمعنى تتعاضدا وتتعاونا ، والمعنى : وإن تعاضدا وتعاونا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره ، فإن الله يتولى نصره ، وكذلك جبريل ، ومن صلح من عباده المؤمنين والمقصود أبو بكر وعمر ، فلن يعدم ناصرا ينصره ، إذ بعد نصر الله له ، وجبريل ، وصالح المؤمنين ، فإن الملائكة أعوان يظاهرونه (٢) ٠

* ومنها مرتان بلفظ (مولاهم) : ذلك في قوله تعالى : (ثم رُدُّوا إلى الله **مولاهم** الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) (الأنعام آية ٦٢) ٠

وقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى : (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حَفَظَةً حتى إذا جاء أحدَكم الموتُ توفته رُسلنا وهم لا يفرِّطون) (الأنعام آية ٦١) ٠

ومعنى الآيتين الكريمتين : أن الله تعالى فوق عرشه الذى قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء يرسل ملائكته يحفظون عباده ، حتى إذا حان أجل

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الرابع ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ ٠

(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ٠

أحدهم توفته الملائكة الموكلون بذلك ، ولا يجاوزون الحد فيما أمروا به من الإكرام والإهانة ، فإن كان من الأبرار ففى عليين ، وإن كان من الفجار ففى سجين · ثم بعد الحشر ترد الخلائق إلى الله مولاهم الحق أى مالكهم الذى يلى أمورهم فيحكم فيهم بعدله ، وهو أسرع الحاسبين لكونه لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والروية والتدبر (١) ·

وفي قوله تعالى : (هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورُدُّوا إلى الله **مولاهم** الحقِ · وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون) (يونس آية ٣٠) ·

ومعنى هذه الآية الكريمة : أنه في موقف الحساب يوم القيامة تخبر كل نفس وتعلم ما سلف من عملها خيرا كان أو شرا ، ورجعوا في جميع أمورهم إلى الله مولاهم الحكم العدل ففصلها ، وأدخل أهل الجنةِ الجنةَ ، وأهل النارِ النارَ ، وتخلى عن المشركينِ ما كانوا يعبدون من دون الله افتراء عليه ، سبحانه عما يشركون (٢) ·

وقال الإمام الشوكانى في معنى هذه الآية الكريمة : أنه في ذلك المكان وفي ذلك الموقف تبلو أى تذوق وتختبر كل نفس جزاء ما أسلفت من العمل - وعلى قراءة (نبلو) بالنون ، أن الله تعالى يبتلى كل نفس ويختبرها ، بمعنى أنه يعاملها معاملة من يختبرها ويتفقد أحوالها · ورد المشركون بعد ذلك إلى الله مولاهم الحق أى إلى ربهم الصادق الربوبية دون ما اتخذوه من المعبودات الباطلة ، وضاع وبطل ما كانوا يفترون من أن الآلهة التى لهم حقيقة بالعبادة لتشفع لهم إلى الله وتقربهم إليه ·

ثم قال الإمام الشوكانى : وأخرج أبو الشيخ عن السدّى في قوله : (ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق) قال : نسخها قوله : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) محمد / ١١ (٣) ·

أقـــول : وقد اعتز رسول الله صلى الله عليه وسلم بمولاه سبحانه وتعالى في أعصب المواقف ، وعلم ذلك أصحابه رضى الله عنهم ، ليكون لنا في ذلك أعظم قدوة · وبيانا لذلك أسوق من الحديث الذى رواه الإمام البخارى في صحيحه : بسنده · عن البراء رضى الله عنه قوله في شأن غزوة أحد : « فأصيب سبعون قتيلا ، وأشرف أبو سفيان ، فقال أفى القوم محمد ؟ فقال : « لاتجيبوه » فقال : أفى القوم ابن أبى قحافة ؟ قال : « لاتجيبوه » ، فقال : أفى القوم

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٠ ، ٢١ ، وفتح القدير الجزء الثانى ص ١٢٤ ، ١٢٥ ·

(٢) تيسير العلى القدير المجلد الثانى ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ ·

(٣) فتح القدير الجزء الثانى ص ٤٤٠ ·

ابن الخطاب ، فقال إن هؤلاء قُتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا · فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، أبْقى الله عليك ما يخزيك · قال أبو سفيان : أُعْلُ هُبَلْ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أجيبوه » قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجل » ، قال أبو سفيان : لنا العزى ولا عُزَّى لكم · فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أجيبوه » قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : **الله مولانا ولا مولى لكم** » · وهذه إجابة تحمل عظيم الاعتزاز بالله تعالى مولى المؤمنين الذى يتولى أمرهم ، ويدبر شئونهم ، ويظهرهم بالنصر على أعدائهم ، في مقابلة أن أولئك الأعداء لا مولى لهم يدبر أمرهم ، وينصرهم إلا ما يعبدون من العزى الساقطة التى لا تملك لهم ـ فضلا عن نفسها ـ نفعا ولا ضرا ·

الولى :

هو اسم من أسمــاء الله تعالى الحسنى ·

ومعنى الولى الناصر ، وهو على وزن فعيل على صيغة المبالغة بمعنى فاعل ، أى إنه عظيم النصر لعباده المؤمنين ·

* وقد ورد هذا الاسم الكريم في القرآن الكريم أربع عشرة مرة (١) ·

* منها خمس مرات بلفظ (ولىٌّ) بالرفع ، وذلك في قوله تعالى : (الله **ولىٌّ** الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة آية ٢٥٧) ·

والولىّ هنا هو الناصر لمن وليهم وهم المؤمنون ومعنى الآية الكريمة أنه سبحانه يهدى المؤمنين الذين اتبعوا رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلى السهل ، وأما الكافرون فوليهم الشيطان يزين لهم ماهم فيه من الجهالات والضلالات ، ويخرجهم ويحيد بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك ، فكانوا من أصحاب النار هم فيها خالدون · ولهذا وحَّدَ الله تعالى لفظ (النور) لأن الحق واحد ، وجمع (الظلمات) لأن الكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة (٢) ·

وقال الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) أن الولىّ فعيل بمعنى فاعل وهو الناصر ، وأن قوله (يخرجهم) تفسير للولاية ·

---

(١) المعجم المفهرس ·
(٢) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٣٢ ·

أقــول : أى أنه سبحانه لما ولى أمر المؤمنين كان من مظاهر ولا يته لهم أنه يتولى إخراجهم من الظلمات إلى النور .

ويقول الإمام الشوكانى : أن المراد بقوله (الذين آمنوا) أى أرادوا الإيمان ، لأن من وقع منه الإيمان قد خرج من الظلمات إلى النور ، إلا أن يراد بإخراج المؤمنين من الظلمات إخراجهم من الشُبه التى تعرض لهم ، فلا يحتاج إلى تقدير الإرادة .

ثم قال الإمام الشوكانى أن المراد بالنور في قوله (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) ما جاء به أنبياء الله من الدعوة إلى الدين ، فإن ذلك نور للكفار أخرجهم أولياؤهم عنه إلى ظلمة الكفر : أى قررهم أولياؤهم على ما هم عليه من الكفر بسبب صرفهم عن إجابة الداعى إلى الله من الأنبياء . ثم قال : وقيل : المراد بالذين كفروا هنا : الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم يخرجهم أولياؤهم من الشياطين ورؤوسِ الضلال من النور الذى هو فطرة الله التى فطر الناسَ عليها إلى ظلمات الكفر التى وقعوا فيها بسبب ذلك الإخراج (١) .

ومثل قوله تعالى : (إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المومنين) (آل عمران آية ٦٨) .

ومعنى أن الله ولى المؤمنين ، أى أنه يتولى أمر المؤمنين جميعا بما فيهم أنبياؤه ورسله (٢) .

أقــول : ومن ثم فكل مؤمن لا ولى له إلا الله جل جلاله ، يفوض له كل أمره ، ليصرفه سبحانه بما يصلح لعبده المؤمن .

ومعنى هذه الآية الكريمة : أن أحق الناس بإبراهيم عليه السلام أولئك الذين اتبعوه على دينه في حينه . وكذلك النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وصحابته الذين تبعوهم بإحسان . وقد روى سعيد بن منصور ـ بسنده ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لكل نبى ولاة من النبيين ، وإن ولي منهم أبى وخليل ربى عز وجل إبراهيم عليه السلام » . ثم قرأ : (إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه ...) . **(٣)**

ومثل قوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه أولياء ، فالله هو الولىّ ، وهو يحيى الموتى ، وهو على كل شىء قدير) (الشورى آية ٩) .

والولىّ هنا معناه : أنه متولى شئون خلقه ، فهو وحده القادر على إحياء الموتى ، وهو

---

(١) فتح القدير الجزء الأول ص ٢٧٦ .
(٢) تيسير العلى القدير المجلد الأول ص ٢٨١ .
(٣) المرجع السابق المجلد الثالث ص ٥٧٣ .

كذلك القادر على كل شيء ، فإذا أراد شيئا كان قوله له : كن ، فيكون ، ولا يملك ذلك إلا هو وحده سبحانه وتعالى ٠

ومعنى هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى ينكر على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله ، ويخبر أنه هو الولىّ الحق الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده ، فإنه القادر على إحياء الموتى ، وهو على كل شيء قدير (١) ٠

ويقول الإمام الشوكانى في معنى قوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه أولياء) أى بل أتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها ؟ وذلك تقرير لا نتفاء كون للظالمين ولياً ونصيراً ٠ وفي قوله تعالى : (فالله هو الولىّ) أى هو الحقيق بأن يتخذوه ولياً ، فإنه الخالق ، الرّازق ، الضار ، النافع ٠ وقال : وقيل : الفاء جواب شرط محذوف : أى إن أرادوا أن يتخذوا وليا في الحقيقة فالله هو الولىّ ، وفي قوله تعالى : (وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير) أى ومن شأنه تعالى أنه يحيى الموتى ، ويقدر على كل مقدور ، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية ، وإفراده بالعبادة (٢) ٠

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدى في معنى الآية ذاتها : أن الظالمين لأنهم لا يصلحون لصالح ، فقد حرموا من الرحمة ، فما لهم من دون الله من ولى يتولاهم فيحصل لهم المحبوب ، ولا نصير يدفع عنهم المكروه ٠ وأن الذين اتخذوا من دونه أولياء يتولونهم بعبادتهم إياهم فقد غلطوا أقبح غلط ، فالله هو الولىّ الذى يتولاه عبده بعبادته وطاعته والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات ، ويتولى عباده عموما بتدبيره ونفوذ القدر فيهم ، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا بإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وتربيتهم بلطفه ، وإعانتهم في جميع أمورهم (٣) ٠

ومثل قوله تعالى : (وهو الذى ينزل الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ، وهو **الولىُّ** الحميد) (الشورى آية ٢٨) ٠ ومعنى الولى الحميد هنا : المتصرف وحده بخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدر ويفعله ٠

---

(١) تيسير العلى القدير المجلد الثالث ص ٥٦٥ ٠

(٢) فتح القدير ـ الجزء الرابع ص ٥٢٧ ٠

(٣) تيسير الكريم الرحمن الجزء السابع ص ٩٤ ٠

ومعنى هذه الآية الكريمة : أن الله تعالى ينزل المطر من بعد يأس الناس من نزوله ، وينزله عليهم وقت حاجتهم كقوله عز وجل : (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) (الروم / ٤٩) وإنزاله سبحانه المطر رحمة يعم بها من ينزل عليهم ، ذلك بأنه جل وعلا هو وحده المتصرف بخلقه بكل ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وهو المستحق الحمد في كل أقداره وأفعاله (١) .

(يتبـــــع)

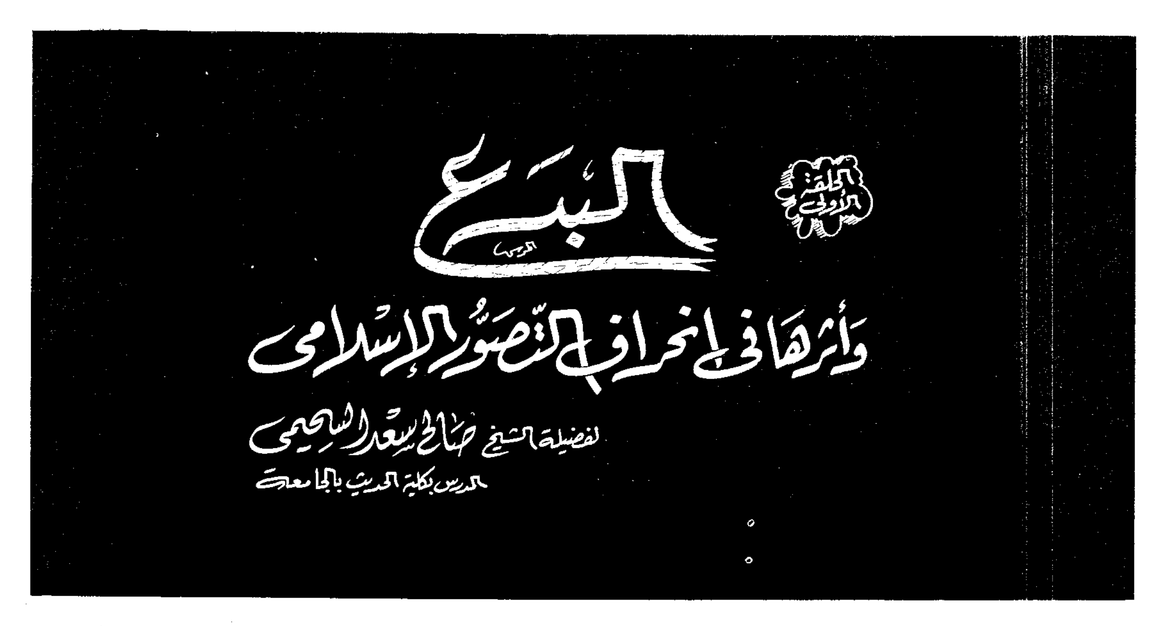
قال الله تعالى :

« وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

« من سورة الأعراف »

---

(١) المرجع السابق المجلد الثالث ص ٥٧٣ .



ان الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين ٠

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) ٠

أما بعـــد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار (١) ٠

إن الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ، ذلكم هو الدين القيم الخالد الصالح لكل زمان ومكان ، والمشتمل على كل ما

---

(١) هذه الإفتتاحية المشتملة على كثير من الفوائد والتى كان يسميها السلف خطبة الحاجة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح بها كلامه في أغلب أحيانه ، ويعلمها أصحابه كما يعلمهم القرآن ، لذا فإنه من الخطـأ الشائع توهم كثير من الناس أن هذه الخطبة خاصة بعقد النكاح بل الصحيح أن هذه المقـدمة مشروعة في أى موضوع خيرى يريد أن يتكلم به متكلم ٠

من شأنه إسعاد البشرية في دنياها وأخراها ، وهو الدين الخالص الذي جمعنا الله به بعد الفرقة ، وأعزنا به بعد الذلة ، وألف بين قلوبنا بعد التمزق ، فمن تمسك به وحافظ عليه وقام به خير قيام بفعل المأمور وترك المحظور دون زيادة أو نقصان ، فقد سعد وفاز برضى الله تبارك وتعالى وعونه وتوفيقه ، وأما من طلب الهدى من غيره واتخذ سبيلا غير سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، فذلك هو الخسران المبين الذى لا يعدله خسران ، وأصبح من حزب الشيطان ، (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) .

طريق الخـــلاص :

وإن طريق الخلاص وعنوان السعادة وسبب النجاة من عذاب الله هو التمسك بكتاب الله تعالى ذلك الكتاب العزيز الذى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، وكذلك التمسك بالسنة المطهرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ، فإنهما أعني الكتاب والسنة المصدران الأساسيان للتشريع الاسلامى .

كمـــال هذا الـــدين :

فإن من أمعن النظر فيما شرعه الله لنا مما تضمنه الكتاب العزيز ودلت عليه السنة ، علم أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة على أكمل وجه ، وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يحيد عنها إلا هالك قد مرض قلبه ، وخاسر قد طاش في مهاوى الضلال لبه ، فإن الله تعالى قد بين للناس قواعد الدين وأكملها قال تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .

فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أكمل لنا هذا الدين بما أنزله في كتابه العربى المبين وعلى لسان نبيه الصادق الأمين . مما بلغ من الأحكام وبين لنا من حلال وحرام ، فلم يكن هناك من خير إلا دلنا عليه وسهل لنا الطريق الموصلة إليه ، ولم يكن هناك من شر إلا حذرنا منه كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله بن عمرو « ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم » .

سبيـــل المؤمنين : ـ

إذا كان الأمر بهذه المثابة ، فان من طلب الهدى من غير الكتاب والسنة أو أتى بأمر زائد على ما شرعه الله فهذا بلا شك ضلال مبين وميل عن الصراط المستقيم واتباع لغير سبيل

المؤمنين وإن من كان هذا شأنه لحقيق بأن يكون واقعا تحت هذا الوعيد الشديد الذى تضمنته هذه الآية الكريمة قال تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ، فقد أمر الله تعالى باتباع سبيله وما شرع من الدين القويم ، ونهى عن اتباع غير سبيل المؤمنين ·

وقال تعالى : (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) · فقد حث سبحانه على اتباع سبيله الذى هو الكتاب والسنة حثا مقرونا بالنهي عن اتباع السبل ، مبينا أن ذلك سبب للتفرق ، ولذا ترى المسلمين العاملين قد لزموا سبيلا واحدا وهو سبيل الله الذى أمرهم بسلوكه ، وأما أهل البدع والأهواء · فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة ، وآرائهم الكاسدة ، (كل حزب بما لديهم فرحون) وقد روي النسائي وأحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال « خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ، وقال هذه السبل المتفرقة ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ هذه الآية حتى بلغ (تتقون) ·

الكتاب والسنة مصدر كل سعادة : -

وقال تعالى في معرض بيانه لشمول هذا الدين : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فقوله : (تبيانا لكل شيء) أفاد شمول هذا القرآن لكافة أحكام الدين بما أودع الله فيه من تعاليم عامة صالحة للتطبيق على مر العصور والأزمان ، وفيها السعادة كل السعادة للبشرية جمعاء ، متى تمسكت بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ·

وكذلك سنة نبيه صلى الله عليه وسلم القويمة التى تبين القرآن وتوضحه وتفصل مجمله وتقيد مطلقه وتخصص عمومه إلى غير ذلك من أنواع البيان ، قال تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) ، وقال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ، وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إنى أوتيت القرآن ومثله معه) · والآيات والأحاديث الدالة على شمول هذا الدين وكماله وعدم حاجته إلى زيادة أو نقصان أجل من أن تحصر أو تعد في مثل هذا المقام ، وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى كمل الدين وتم بما أودع الله فيه من تشريع شمل كافة نواحى الحياة من عبادات ومعاملات وآداب وأخلاقيات وحدود وغير ذلك ، مما يكفل للبشرية كل أمن ورخاء وطمأنينة متى تمسكت بها وسارت على نهجها القويم ·

ذم التفرق وبيـــان أسبابه : ـ

إذا علم ذلك فان الطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بالبعد عن البدع والخرافات التى ابتدعها المبتدعون ، وأحدثها المحدثون ، وروجها المبطلون وأكلت أموال الناس بالباطل من دعاة النحل المختلفة ، والطرق المتشعبة التى ليست من الاسلام في شيء ، وقد ذم الله تلك الطرق المنحرفة الكثيرة التى جعلت المسلمين شيعا وأحزابا وشتت شملهم ، وجعلتهم لقمة سائغة لأعدائهم ، لا لقلة عددهم وعدتهم ، وإنما نتيجة لتمزق شملهم وتفرق كلمتهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » ، ومما لا شك فيه أنه لا شيء أعظم فسادا للدين وأشد تقويضا لبنيانه وأكثر تفريقا لشمل الأمة من البدع فهي تفتك به فتك الذئب بالغنم وتنخر فيه نخر السوس في الحب وتسرى في كيانه سريان السرطان في الدم أو النار في الهشيم .

ولهذا جاءت النصوص الكثيرة تبالغ في التحذير منها ، وتكشف عن سوء عواقبها من التفرق والاختلاف في الدنيا ، والعذاب والخزى وسواد الوجوه في الآخرة ، قال تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم ، أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون) .

قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة .

وقال تعالى (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) . وقد نص المفسرون رحمهم الله على أن الآية تعني أهل البدع والأهواء نقلا عن كثير من السلف ، ولا ريب أن من أعظم أسباب التفرق تلك البدع والمحدثات التي هى شرع لم يأذن به الله . وقد أخبر رسول الهدى صلى الله عليه وسلم عن افتراق هذه الأمة بسبب انحرافها عن سنته القويمة وما عليه صحبه الكرام من بعده كما روى أبو داود وابن ماجه والترمذي وغيرهم بأسانيد صحيحة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقه » ، وفي رواية أن أمته « تفترق على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلا واحدة وهى الجماعة » ؛ والجماعة هي من كانت على الحق الذي كان عليه صلى الله عليه وأصحابه ، رضوان الله عليهم .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن هم الغرباء ؟ فقال الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي » ۰

ولقد أحدث المسلمون في دينهم من البدع والدخيل ما انحرف بكثير عن سواء السبيل ، وشوه عليهم حقيقة الدين ، ولبس عليهم حتى أصبح الكثير منهم لا يفرق بين الحق والباطل ، ولا يعرف البدعة من السنة ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون وأغرقوا في ذلك حتى رأوا الحسن قبيحا والقبيح حسنا على حد قول القائل :

يقضى على المرء في أيـام محنتـه حتى يرى حسنـا ماليس بالحسن

وهذا ما نصت عليه الآية الكريمة وهى قوله تعالى : (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ۰

فما يفتح لهم الشيطان بابا من الضلال إلا ولجوه ، ولا يزين لهم طريقا من طرق البدع ، إلا سلكوه ، وما زال الخطر يستفحل والشر يتفاقم ، حتى بلغ شأوا بعيدا في تفريق الأمة وتمزيق شملها ، وقد ساعد على ذلك سكوت كثير من العلماء ، وتهاونهم وجبنهم عن مواجهة العامة خوفا من غضبهم ومجاراة لهم ، وحرصا على اجتلاب رضاهم ولو بسخط الله ۰

حفظ هذا الدين وبقـاؤه : ـ

ولكن الله عز وجل لم يكن ليترك دينه لعبث هؤلاء المبتدعين ، بل قيض له من أرباب الألسنة والأقلام قديما وحديثا من يهب للدفاع عنه ، ومحاربة كل دخيل عليه حيث تكفل سبحانه بحفظ هذا الدين وصيانته ، وإن تكالب عليه أهل الأرض جميعا وقد حصل ولله الحمد والمنة ، قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، وقال تعالى : (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) ۰

وجـوب الاعتصام بالكتـاب والسنة : ـ

وقد تضافرت النصوص الكثيرة على الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة واتباع السلف الصالح الذين قام بهم الكتاب ، وبه قاموا ونطق بهم وبه نطقوا ، وطبقوه بكل صدق وإخلاص وأمانة ، ووقفوا عند حدوده ، وحكموه في كل شئون حياتهم ، ولم يدخروا وسعا في فهم معانيه ومعرفة أسراره ، وقد نوه الكتاب العزيز بفضلهم ونص على أن لهم اليد الطولى في الفضل والعلم والعمل الجاد الخالص ، قال تعالى : مشيدا بفضلهم وآمرا باتباعهم (والسابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) ، التوبة /١٠٠ ٠

فهم خير من يقتدى به من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين نقلوا لنا هذا الدين وأولئك الأفذاذ الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى ، وإن القدوة أولا وأخيرا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الأحزاب /٢١ ٠ فقد أمر الله بالتأسي به والاهتداء بهداه والاستنان بسنته ، وحذرنا من مخالفة أمره ، ورتب على ذلك ألوانا من الوعيد الشديد ، قال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور /٦٣ ٠ بل قد نبه الله تعالى بأنه ليس للمؤمن خيار اذا أمر الله أو أمر رسوله بأى أمر ٠ قال تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الأحزاب /٣٦ ٠ بل أخبر سبحانه أن طاعته صلى الله عليه وسلم من طاعة الله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) النساء /٨٠ ٠

وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) ، محمد /٣٣ ٠ أى بمخالفتكم لسنته التى سنها لكم وبارتكابكم المنكرات والبدع والمخالفات ٠٠

المرجع عند التنازع :-

وأمرنا تبارك وتعالى بأن ترجع في كل أمر نختلف فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال تعالى : (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله) ٠ وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيروأحسن تأويلا) النساء / ٥٩ ٠

فقد أمرنا بطاعة الله ورسوله وطاعة ولاة الأمور في حدود طاعة الله تعالى ، ثم أرشدنا الى رد ما تنازعنا فيه الى الله ورسوله ، أى الى كتاب الله وسنة رسوله ، بل علق صحة الإيمان بذلك بقوله : (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وقد بشر النبى صلى الله عليه وسلم المتمسكين بسنته من أمته بأعظم بشارة ، وأشرف مقصد يطلبه كل مؤمن ويسعى الى تحقيقه ، ٠

من كان في قلبه أدنى مسكة من إيمان ألا وهو الفوز بدخول الجنة ، جاءت هذه البشرى في حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل أمتى

يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا : ومن يأبى يارسول الله قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » . وأى إباء ورفض للسنة أعظم من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم ، وذلك بالإحداث والإبتداع في الدين .

حكم الإحداث في الدين : -

وبذا نعلم أن هذه النصوص دليل على أن كل من يقول باستحسان بدعة في الدين يكون له نصيب وافر ، وجزاء كبير من الوعيد المذكور فيها ، فإن من استحسن بدعة بعقله القاصر المحدود ، وحث الناس على التعبد بها كان مشاقاً ومصادماً لهذه النصوص ، وعليه تبعة ذلك الى يوم القيامة ، إذ أن من عمل خيرا وتبعه الناس عليه ضوعف له الأجر بقدر أجر من يتبعه في هذا الخير ، وعلى النقيض من ذلك فإن من عمل سوءا كالابتداع مثلا والإحداث في الدين فإنه لا يعاقب بوزر ارتكابه تلك البدعة فحسب بل يضاعف له العقاب حيث يتحمل وزر من تبعه في هذا الأمر ، يدل لذلك ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » .

وعلى هذا فإن أى إحداث في الدين مردود على من أحدثه وغير مقبول لما روى الشيخان وغيرهما من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » ، وفي رواية « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

وإنما كانت البدع مردودة على من عملها لأن إحداث مثل هذه البدع يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به ، حتى جاء هؤلاء المتأخرون المبتدعون فأحدثوا في شرع الله مالم يأذن به ، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله ، وهذا ولاشك فيه خطر عظيم ، واعتراض على رب العالمين ، واستدراك على رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتهام له بالخيانة والكتمان ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك . كيف يكون هذا وهو القائل : « من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » فهذا محال بالنسبة لسائر المؤمنين ، فكيف بقدوتهم وأسوتهم صلوات الله عليه وسلامه .

ومعلوم أن الله سبحانه قد أكمل لعباده الدين ، وأتم عليهم النعمة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين ، ولم يترك طريقا يوصل الى الجنة ويباعد من النار إلا بينه

للأمة ، كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله من نبى الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم) ٠

ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم ، وأكملهم بلاغا ونصحا ، فلو كانت هذه البدع التى أحدثها المخالفون من الدين الذى يرضاه الله سبحانه لبيّنه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة ، أو فعله في حياته ، أو فعله أصحا به رضى الله عنهم ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء ، بل هى من المحدثات التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته ، كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة ، منها ما رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، بسند صحيح ، عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل يارسول الله ، كأن هذه موعظة مودع فأوصنا ، فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن كان عبدا حبشيا ، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) ٠

وروى مسلم في صحيحه كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس على المنبر ويقول : « أما بعد ـ فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) ٠ زاد النسائي (وكل ضلالة في النار) ٠

وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ فقال أحدهم ـ أما أنا فأصلي الليل أبدا ٠ وقال الآخر : أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى أخشاكم لله ، وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » ٠

ولا ريب أن من أحدث عبادة من عند نفسه لم يشرعها الله قد رغب عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أعظم ما جاء من الوعيد في ذلك أن صاحب البدعة يحال بينه

وبين التوبة لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » ٠

ويخشى أن يكون أهل البدع والأهواء ممن يحال بينهم وبين الشرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ، فقد جاء في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا فرطكم على الحوض وليختلجن رجال دوني فأقول ، يارب أصحابي فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، إنهم غيروا وبدلوا فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : سحقا سحقاً لمن غير وبدل) ، أى بعداً له فهذه براءة من النبي صلى الله عليه وسلم ممن أحدث في الدين ، وغَيَّر وبدَّل ، ومما لا شك فيه أن هؤلاء الذين يذادون عن الحوض من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أى من أمة الاجابة ، يدل ذلك أنه قد جاء في بعض روايات هذا الحديث ، بأن عليهم آثار الوضوء ، وإنما حيل بينهم وبين الحوض ، لما أحدثوه في الدين من عند أنفسهم ، ولم ينزل الله به من سلطان ، من تلك البدع والمنكرات والخرافات التى لا تعدو أن تكون من نسج خيالهم ، وبنيات أفكارهم الضالة التى ظنوها حسنة وهى في الواقع من أقبح القبيح ، وأى قبح أعظم من أن ينصب المرء نفسه مستدركا على الله ورسوله ومشرعا في دين الله بعد القرون المفضلة الأولى الذين هم خير الناس بعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

كما قال صلى الله عليه وسلم : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » ٠ وقد مضت تلك القرون المفضلة وليس لهذه البدع وجود أو رواج وإن وجد شيء منها فهو محدود ، وعلى نطاق ضيق ، يختفى أصحابها ولا يستطيعون الظهور ، لأنهم يشكلون أقلية بخلاف ما وصل اليه حال المسلمين اليوم ، فقد طغت البدعة ، ودرست السنة ، وتغيرت مفاهيم المسلمين ، وأصبح تصورهم للإسلام تصورا خاطئا ، وجعلوه في إطار ضيق ، فقد وصل مثلا في بعض البلاد إلى حد كونه لا يعدو أن يكون مجموعة من الطقوس والاحتفالات التى قلدوا فيها أعداء المسلمين والاسلام ، ويوجهون سهامهم المسمومة إلى الإسلام بسبب ضلال من ضل من المسلمين عن الطريق السوي ، وانحرف عن الجادة الصحيحة التى رسمها لهم الاسلام ، وأمرهم أن يسيروا عليها ولا يحيدوا عنها يمينا أو شمالا ، كما قال تعالى : (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يوسف/١٠٨ ٠ الى غير ذلك من النصوص الكثيرة التى توضح هذا المنهج القويم ٠

حرص الصحابة على لزوم الكتاب والسنة والبعد عن البدع : -

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أشدّ حرصا على العمل بالكتاب والسنة ، وأشدهم عداوة وبغضا للبدع وأهلها ، كذلك التابعون ومن جاء بعدهم ممن تبعهم بإحسان ، وسأورد نماذج من أقوال الصحابة والسلف الصالح في ذم البدعة والمبتدعين ، والحث على لزوم السنة ٠

من أقــوال الصحــابة في ذلك : -

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : « إنما أنا مثلكم ، وإنى لا أدرى لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيقه ، إن الله أصطفى محمدا على العالمين ، وعصمه من الآفات ، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعوني ، وإن زغت فقومونى » ٠

وهذا ابن مسعود رضى الله عنه ينكر على جماعة من المسلمين كانوا قد جلسوا يذكرون الله بذكر على غير الهيئة التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى الدارمي في سننه أن رجلا أخبر عبد الله بن مسعود ، أن قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب ، فيهم رجل يقول : كبروا الله كذا وكذا ، وسبحوا الله كذا وكذا ، واحمدوا الله كذا وكذا ، قال عبد الله : فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم ، فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون ، قام فأتى ابن مسعود فجاء ، وكان رجلا حديدا ، فقال : أنا عبد الله بن مسعود ، والله الذي لا اله غيره لقد جئتم ببدعة ظلما ، ولقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما ، فقال عمرو بن عتبة : استغفر الله ، فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالاً بعيدا ٠ فاذا كان ابن مسعود رضى الله عنه قد أنكر هذه الهيئة التى يذكرون الله بها رغم أن الذكر الوارد فيها مشروع بيد أنه أنكر عليهم الشكل والصفة وتخصيص هذا الوقت بالذات للذكر ، فكيف لو اطلع ابن مسعود على هذه الأذكار التى يذكر بها المسلمون اليوم ، وهى لاتمت إلى ذكر الله بصلة ، مما ابتدعه أصحاب الطرق الصوفية ، وغيرهم من الأذكار التي زينها لهم الشيطان ، منها ما يرددونه بصوت واحد ، من قولهم (هو هو) أو (حي حي) وغير ذلك من ألوان الهذيان ، الذى يرددونه ويزعمون أنه ذكر الله ، في الوقت الذى لو سمعتهم وهم يترنمون بهذه الأذكار التى لا يفهم منها شيء في كثير من الأحيان ، لخيل إليك أن أمامك سباعا تتعاوى وتتهارش ، على فريسة ، بل تحولت أذكار كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم من أنواع من الرقصات المختلفة ، فضلا عما يصحب

ذلك من آلات الطرب والمعازف ، واختلاط الرجال بالنساء ، وشرب للمسكرات ، وغير ذلك من أنواع الفساد التى يمليها عليهم الشيطان ، فيا ليت شعري ماذا سيقول هذا الصحابي الجليل لو اطلع على هذه المناظر ، أو سمع تلك الأصوات المنكرة (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) ، لقمان /١٩ ٠

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر على الصحابة لما رفعوا أصواتهم بالتكبير ، ويقول : أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تنادون أصم ولا غائبا ، ولا شك أن ذكر الله واجب من أعظم الواجبات التى حث عليها الإسلام ، كما قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) الأحزاب /٤١ ٠ ومن أعظم وصايا النبى صلى الله عليه وسلم قوله : « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله » ٠ لكن لا بد أن يكون الذكر وفقا للمعايير التى جاء بها الكتاب والسنة ٠ دون إفراط أو تفريط ٠

وجاء عن ابن مسعود أيضا في ذم البدعة « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » ٠ وقال ابن عباس لمن سأله الوصية : (عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع) ، وقال ابن عمر رضى الله عنهما : « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة » ٠ وقد روى هذه الآثار الكثيرة الإمام الدارمى في سننه ، وآثارا أخرى عن الصحابة والتابعين ، وجاء في سنن أبى داود عن حذيفة رضى الله عنه قال : « كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالا » ٠ ، هذه نماذج من أقوال الصحابة ٠

من أقوال السلف بعد الصحابة : -

وسنشرع الآن في ذكر نماذج من أقوال التابعين وغيرهم من السلف في الحث على اتباع السنة والتحذير من البدع فقد روي الدارمي في سننه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال : « أوصيكم بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعده » ٠ ونقل الأوزاعي عن حسان بن عطية أحد التابعين الفضلاء قوله : « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة » ٠

وقال أبو حنيفة رحمه الله (عليك بالأثر ، وطريق السلف ، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة » ، وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة ، لأن الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا) ، وقال الليث بن سعد : « لو رأيت صاحب بدعة يمشى على الماء ما قبلته » فلما بلغ ذلك الشافعى رحمه الله قال « إنه ما قصر لو رأيته يمشي على الهواء ما قبلته » . وقال الإمام أحمد رحمه الله : « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلال » .

وهكذا نجد مما تقدم من النصوص أن الكتاب والسنة والآثار والأخبار التى نقلت عن السلف الصالح تفيد من نظر فيها بتبصر وتدبر أن كل بدعة في الدين صغيرة أو كبيرة في الأصول أو الفروع ، في العقائد أو العبادات أو المعاملات ، فعليّة أو قوليّة أو تركيّة ، فهي ضلالة ، صاحبها مؤاخذ معاقب عليها في النار ، وبدعته مردودة عليه غير مقبولة منه ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما تمسكتم بهما من كتاب الله وسنتي » وقال أيضا : « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » .

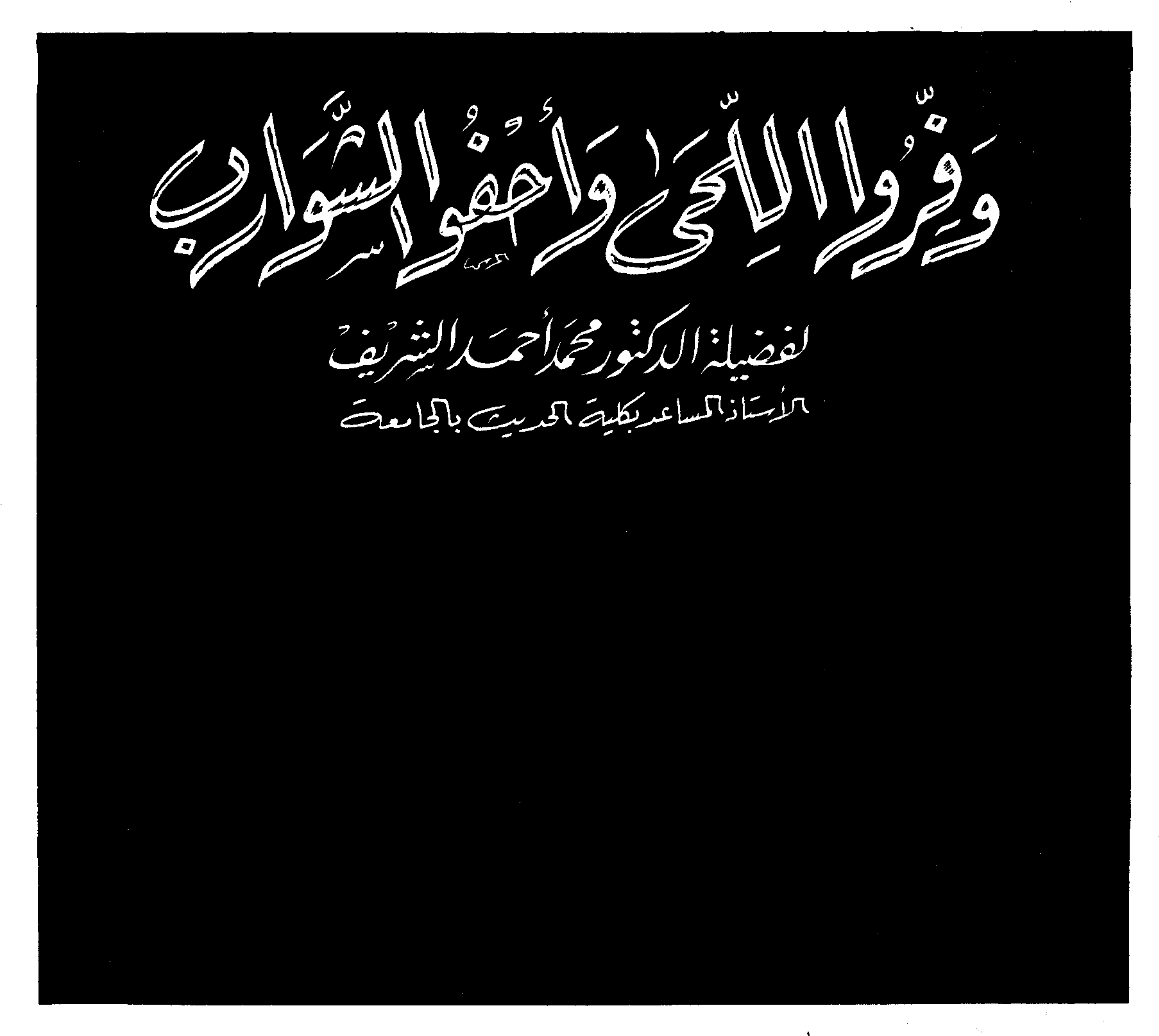
(البقية في العـدد القـادم)



عَنِ ٱلزُّبَيْرِ بن عَدِيٍّ قَالَ:
أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَشَكَوْنَا
إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ ٱلْحَجَّاجِ، فَقَالَ:
«ٱصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَٱلَّذِي
بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»
سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«رواه البخاري»

الفقه وأصوله



الإسلام هو دين الله الذى ارتضاه للعالمين ، وعليه فطر الخلق جميعا ، قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ، (الروم /٣٠) والمعنى والله أعلم أن هذا الدين القيم إنما هو دين يتفق مع الفطرة تماما ، ولو أن كل إنسان تُرك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأداه إلى الدين الحق بتوحيده وشعائره ·

وقد فطر الله الناس قابلين للحق متهيئين لإدراكه مائلين منساقين إليه ، إذا خلوا وأنفسهم ، بعيدين عن الوساوس الشيطانية والأهواء البشرية ، ومن هذه الأمور التى فطر الناس

---

(١) البخارى جـ٤ ص٢٧ ·

(٢) مسلم جـ٣ ص١٤٧ ·

(٣) البخارى جـ٤ ص٢٧ مسلم جـ٣ ص١٤٧ ·

(٤) البخاري جـ٤ ص٣٦ ·

عليها قص الشارب وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ، والمضمضة .. هذه الأمور ملائمة لفطرة الإنسان ملاءمة تامة . ولقد أكد الشارع أمرها فحث عليها ليذكر الناس بأصل فطرتهم وليكونوا على أحسن الصفات وأكمل الهيئات : قال شيخ الإسلام ابن حجر : ويتعلق بهذه الخصال مصالح دينية ودنيوية تدرك بالتتبع منها تحسين الهيئة ، وتنظيف البدن جملة وتفصيلا ، والاحتياط للطهارتين ، والإحسان إلى المخالط والمقارن بكف ما يتأذى به من رائحة كريهة ، ومخالفة شعار الكفار من المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان ، وامتثال أمر الشارع والمحافظة على ما أشار إليه قوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) لما في المحافظة على هذه الخصال من مناسبة ذلك ، وكأنه قيل قد حسنتُ صوركم فلا تشوهوها بما يقبحها أو حافظوا على ما يستمر به حسنها ، وفي المحافظة عليها محافظة على المروءة وعلى التأليف المطلوب ، لأن الإنسان إذا بدا في الهيئة الجميلة كان أدعى إلى انبساط النفس إليه ، فيقبل قوله ، ويحمد رأيه والعكس بالعكس اهـ (١) ولقد أغوى الشيطان الكثير من الناس وأضلهم عن فطرتهم وصرفهم عما جبلوا عليه ، وزين لهم مالم يكن من شأنهم وهيأ لهم أن حسن الهيئة وزينتها في تغيير هذه الفطرة ورفضها ، وسار على ذلك المشركون ، وتبعهم عليه نفر من المسلمين . فتركوا شواربهم لم يقصوها ، وأنهكوا لحاهم ، وأعرضوا عن الاختتان ، وتركوا شعور العانة والإبط ، وأطالوا أظافرهم ، وتركوا الاستنشاق بالماء ، والمضمضة ، والاستنجاء بالماء ، وتركوا البراجم ، وأعرضوا عن السواك الذى هو مطهرة للفم ومرضاة للرب ، واتبعوا في ذلك أهواء الذين لا يعلمون قال تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) (الأعراف /٣) ، وسأقصر البحث هنا بعون الله على أمر الشارب واللحية والله المستعان وعليه التكلان .

والشارب هو الشعر النابت على الشفة العليا للفم ، قال في المصباح : هو الشعر الذى يسيل على الفم ويثنّى باعتبار الطرفين أ هـ . وقد يجمع وهو من الواحد الذى فرق ، ويسمى كل جزء منه باسمه فقالوا لكل جانب منه شاربا ، ثم جمع على شوارب ، وأما طرفا الشارب وهما السبالان فقيل هما من الشارب ويشرع قصهما وقيل هما من اللحية . وجمهور العلماء على أن قصه أو إحفاءه سنة ، وأمره صلى الله عليه وسلم بذلك محمول على الندب بقرينة أن الأمر بذلك للنظافة وتحسين الهيئة ، والنفس تميل إلى ذلك وتدعو إليه ، فلم تحتج إلى أمر إيجاب . والندب كاف في ذلك . وذهب بعض الحنفية وابن حزم والقاضى أبو بكر بن العربي إلى وجوب أخذ الشارب لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك ولأن في تركه تشويها للصورة الآدمية

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٦٢ .

كما أن أخذه من الفطرة ، والفطرة هى الدين وإذا أضيف قصه إلى الدين ، فالظاهر أنه جزء من فرائض الدين لا من سننه وقد أمر إبراهيم عليه السلام بخصال الفطرة ،وأمرنا باتباعه ، وأمْر الله يجب العمل به .. وقص الشارب من خصال الفطرة فهو واجب - والظاهر مع الجمهور فهو سنة الأنبياء جميعاً ، والقصد به النظافة وتحسين الهيئة واتباع إبراهيم عليه السلام واجب . فإن كان الأمر واجبا عليه أو مندوباً كان حكم التابع كذلك ولا نعلم أن ذلك كان واجباً عليه فبقى الأمر على الندب .

وإنما كان ذلك سنة لأن الأنبياء عليهم السلام هم أكمل الخلق وشرعهم أقوم الشرائع ، وقد أمرنا بالاقتداء بهم ، وما شرع الله شيئا إلا وفيه الخير والمصلحة وإن خفى ذلك علينا . والصادق في إيمانه يستجيب لأمر الله لأن مقتضى الإيمان التصديق والطاعة والاستسلام والانقياد لأمره تعالى . وإن كانت معرفة الحكمة تزيده تصديقاً وثباتاً وانقياداً .. ويمكننا أن نفهم شيئا من الحكمة في الأخذ من الشارب ، فالمشركون والمجوس الذين كفروا بالله وعبدوا غيره وأضلهم الشيطان عن فطرتهم كانوا يتركون شواربهم لا يأخذون منها شيئاً ، وذلك أمارة على ما فى أنفسهم من غلظة وتجبر وتعالٍ ، ومن زهو وعجب واختيال ، وشأن المؤمن التواضع والانكسار والتذلل لله عز وجل . ونحن مأمورون بمخالفة الكفار في هيئاتهم وأفعالهم غير المشروعة ، فهم أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومن تشبه بقوم فهو منهم . ولذلك أمرنا بقصه أو حلقه ، إذ في ذلك أيضا من النظافة مالا يخفى ، فإن الإنسان إذا أكل أو شرب وكان شاربه طويلا عاقه عن أكله وشربه إذ يدخل الشعر في فمه ويختلط بطعامه وشرابه وفي ذلك إيذاء للإنسان ، وقد يؤدى به إلى الامتناع عنهما مع حاجته إليهما لضيق الصدر وتألم النفس بدخوله في الفم ، وقد يؤدى به ذلك إلى مضغه وبلعه دون قصد . وكثيرا ما يتعلق به شىء من الطعام والشراب وذلك أمر مستقذر مستهجن ، وفيه إهانة وإزراء بالرجل ، وفي حلقه أو قصه أمان من ذلك ، وإذا كان الشارب طويلا ثم تمخط الإنسان تعلق به شىء منه وهو لا يشعر ، وقد يُرى بين الناس وهو كذلك فيكون مُزدرى مهيناً ينفر الناس منه ، ولما كان تركه ليس من الفطرة فإن النفس تشعر معه بضيق وثقل وأذى حتى تستريح بالأخذ منه . وفي تركه تقبيح للهيئة ، وفي الأخذ منه إصلاح وتحسين لها . وفيه كذلك إحسان إلى الناس بكف الأذى عنهم ، وإحسان إلى النفس بالمحافظة على المروءة ، وبالدعوة إلى التآلف .. قال ابن العربي : إن الماء النازل من الأنف يتلبد به الشعر لما فيه من اللزوجة ويعسر تنقيته عند غسله وهو بإزاء حاسة شريفة وهى الشم ، فشرع تخفيفه ليتم الجمال والمنفعة به اهـ (١) .

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٣٧١ .

وقد اختلفت الروايات في صفة الأخذ من الشارب ، واختلفت تبعا لذلك آراء العلماء · ففي بعض الروايات الأمر بإحفائه وإنهاكه وجزه · وفي المصباح أحفى الرجل شاربه بالغ في قصه · وقال ابن دريد : حفى شاربه حفوا إذا استأصل أخذ شعره · فالمعنى أزيلوا شعر الشارب إذا طال · والإنهاك هو المبالغة في الإزالة ، والجزّ قص الشعر والصوف إلى أن يبلغالجلد · قال الهروي معناه : الزقوا الجز بالبشرة · وقال الخطابي : هو بمعنى الاستقصاء · وفي المصباح : الجز القطع · وقد أخرج الطبري والبيهقي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال « إنهم يوفون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم » قال : فكان ابن عمر يستعرض سبلته فيجزها كما يجز الشاة أو البعير ·

وأخرج رزين أن ابن عمر كان يحفى شاربه حتى ينظر إلى الجلد ويأخذ هذين - يعنى ما بين الشارب واللحية - وفي رواية لغيره « حتى يرى بياض الجلد » وأخرج الطبري والبيهقي عن ابن عبد الله بن أبى رافع قال رأيت أبا سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وابن عمر ورافع بن خديج وأبا أسيد الأنصاري وسلمة بن الأكوع وأبا رافع ينهكون شواربهم كالحلق وأخرج الطبري من طرق عن عروة وسالم والقاسم وأبي سلمة أنهم كانوا يحلقون شواربهم · وذكر الطحاوي عن ابن أبى سعيد وأبى أسيد ورافع بن خديج وسهل بن سعد وعبد الله بن عمر وجابر وأبى هريرة أنهم كانوا يحفون شواربهم · وقد اقتدى هؤلاء رضى الله عنهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أخرج الطبراني بسند حسن عن أم عباس قالت « كان صلى الله عليه وسلم يحفى شاربه » ·· وبهذا قال الإمام أحمد رضى الله عنه فقد سئل عن السنة في إحفاء الشارب فقال يحفى · كما قال النبى صلى الله عليه وسلم « احفوا الشوارب » ، ولم يكن يرى ذلك لازما وإنما كان يرى أنه أفضل وأولى من القص · سئل : ترى الرجل يأخذ شاربه أو يحفيه أم كيف يأخذه فقال إن أحفاه فلا بأس وإن أخذه قصاً فلا بأس مخير ، وقال الأثرم : كان أحمد يحفي شاربه إحفاء شديداً ، ونص على أنه أولى من القص كما ذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الإحفاء أفضل من التقصير · قال الطحاوى : ولما كان التقصير مسنوناً عند الجميع كان الحلق فيه أفضل قياساً على الرأس ، وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثاً وللمقصرين واحدة فجعل حلق الرأس أفضل من تقصيره ، وكذلك الشارب اهـ (١) ونقل أن الربيع والمزني يحفيان وقال : وما أخذا ذلك إلا عن الإمام الشافعي رضى الله عنه · ونقل ابن العربي عن الشافعي أنه يستحب حلق الشارب وفي حاشية العدوي : وأخذ أبو حنيفة والشافعي في قولهما : السنة جزه بخبر « أحفوا الشوارب واعفوا اللحى » ·

---

(١) زاد المعاد جـ ١ ص ٤٦ ·

وروى عن الشافعى غير ذلك · وهكذا نرى أن جمهور العلماء على إحفاء الشارب كله ، وأما حديث « ليس منا من حلق » (١) فليس في الشارب · ولقد جاءت أحاديث أخرى تفيد أن المطلوب قص الشارب منها حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الفطرة حلق العانه وتقليم الأظفار وقص الشارب » (٢) وأخرج الترمذى عن ابن عباس وحسنه « كان النبى صلى الله عليه وسلم يقص شاربه ويقول إن ابراهيم خليل الرحمن يفعله » وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : ضفت النبى صلى الله عليه وسلم وكان شاربي وفيراً فقصه على سواك » (٣) والمعنى أنه وضع سواكا عند الشفة تحت الشعر وأخذ يعضه بالمقص · وروى البزار عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا وشاربه طويل فقال إيتوني بمقص وسواك فجعل السواك على طرفه ثم أخذ ما جاوزه ·· وعن أنس رضى الله عنه قال : « وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانه أن لا تترك · أكثر من أربعين ليلة » (٤) ·

وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية » الحديث (٥) وأخرج البيهقي والطبراني من طريق شرحبيل بن مسلم الخولانى قال رأيت خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصون شواربهم : أبو أمامة الباهلى والمقدام بن معد يكرب الكندي وعتبة بن عوف السلمى والحجاج بن عامر الثمالى وعبد الله بن بسر · قال ابن حجر : وأما القص فهو الذي في أكثر الأحاديث وجاءت رواية عند النسائي بلفظ « تقصير الشارب » في خصال الفطرة وهو واضح المعنى (٦) قال ابن فارس : القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم اقتصصت الأثر إذا تتبعته وقال :

ومن الباب قصصت الشعر ، وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها (٧) وفي المصباح : قصصته قصاً من باب قتل قطعته (٨) قال ابن حجر : والمراد هنا قطع النابت على الشفة العليا غير استئصال ، وكذا قص الظفر أخذ أعلاه من غير استئصال (٩) وبقص الشارب قال طائفة من العلماء : قال

---

(١) أبو داود والنسائى ·
(٢) البخارى جـ ٤ ص ٢٧ ·
(٣) أبو داود ·
(٤) مسلم جـ ٣ ص ١٤٦ ·
(٥) مسلم جـ ٣ ص ١٤٧ ·
(٦) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٥٨ ·
(٧) مقاييس اللغة جـ ٥ ص ١١ ·
(٨) المصباح المنير ·
(٩) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٥٨ ·

الإمام مالك رضى الله عنه : (وتقصيره عندى أولى من حلقه) ، وقال : (إحفاء الشارب عندي مُثْلة) وسئل عمن يحف شاربه فقال : (أرى أن يوجع ضرباً) ، وقال (يؤدب من جز شاربه ويبالغ في عقوبته ، لأن حلقه مُثْلَة ، وهو فعل النصارى) ، وحمل الجزّ والإحفاء والإنهاك على القص لا على الاستئصال · والمراد بالحديث عنده المبالغة في أخذ الشارب حتى يبدو حرف الشفتين · وقال ابن عبد البر يرجح قول مالك : إنما في هذا الباب أصلان أحدهما احفوا وهو لفظ يحتمل التأويل والثانى قص الشارب وهو مفسر والمفسر يقضى على المجمل وهو عمل أهل المدينة اهـ (١) وقال : وقص الشارب أن يأخذ ما طال على الشفة بحيث لا يؤذى الآكل ولا يجتمع فيه الوسخ ، وقال عمر بن عبد العزيز « والسنة في الشارب الإطار » قال الإمام النووي : والمختار في الشارب ترك الاستئصال والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة والله أعلم) اهـ (٢) ·

وقد صرح في المهذب بأن هذا هو مذهب الشافعية ·· وقوله صلى الله عليه وسلم « احفوا الشوارب » يراد به إحفاء ما طال عن الشفة لا إحفاؤه كله · قال ابن حجر في أحاديث الإحفاء : كل ذلك محتمل لأن يراد استئصال جميع الشعر النابت على الشفة العليا ، ومحتمل لأن يراد استئصال ما يلاقى حمرة الشفة من أعلاها ، ولا يستوعب بقيتها ، نظراً إلى المعنى في مشروعية ذلك ، وهو مخالفة المجوس والأمْنُ من التشويش على الآكل ، وبقاء زهومة المأكول فيه ، وكل ذلك يحصل بما ذكرنا ، وهو الذى يجمع متفرق الإخبار الواردة في ذلك وبذلك جزم الداودى في شرح أثر ابن عمر ، ومقتضى تصرف البخارى لأنه أورد بعده حديث أبى هريرة في قص الشارب ، فكأنه أشار إلى أن ذلك هو المراد من الحديث · وعن الشعبى أنه كان يقص شاربه حتى يظهر حرف الشفة العليا وما قاربه من أعلاه ويأخذ ما يزيد مما فوق ذلك ، وينزع ما قارب الشفة من جانبى الفم ولا يزيد على ذلك · قال ابن حجر « وهذا أعدل ما وقفت عليه من الآثار » اهـ (٣) وقد رجح بعض العلماء قول الأكثرين وقال : والإحفاء الاستئصال ، ورواية القص لا تنافيه لأن قد يكون على جهة الإحفاء وقد لا يكون · ورواية الإحفاء معنية للمراد وحديث « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » (٤) لا يعارض من حديث الإحفاء لأن فيه زيادة صحيحة يجب الأخذ بها ·

والحق أن الأحاديث وردت بالأمرين : بالقص على أنه من الفطرة ، وبالإحفاء على

---

(١) القرطبى جـ ١ ص ٤٩١ ·

(٢) شرح مسلم جـ ٣ ص ١٥١ ·

(٣) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٦٩ ·

(٤) أحمد والنسائى والترمذى وصححه ·

أنه أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يشمل القص وزيادة . وكلا الأمرين صحيح ، فالقص سنة ، والإحفاء سنة ، والمكلف مخير ، والأمر واسع فيقص أحيانا ويحفي أحيانا ليعمل بكل الأدلة . قال الطبري : دلت السنة على الأمرين ، ولا تعارض ، فإن القص يدل على أخذ البعض ، والإحفاء يدل على أخذ الكل وكلاهما ثابت فيتميز فيما شاء ا هـ .

وأما اللحى : فهى جمع لحية بكسر اللام، وهى اسم لما نبت من الشعر على الخدين والذقن (١)، والذقن مجتمع اللحيين، واللحى عظم الحنك وهو الذى عليه الأسنان، ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوفيرها فقال صلى الله عليه وسلم « خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب » (٢) كما أمر بإعفائها فقال صلى الله عليه وسلم « أنهكو الشوارب واعفوا اللحى » (٣) . كما أمر بإيفائها فقال صلى الله عليه وسلم « خالفو المشركين احفوا الشوارب وأوفوا اللحي » (٤) كما أمر بإرخائها فقال « جزّوا الشوارب وارخوا اللحي خالفوا المجوس » (٥) وذكر القاضى عياض أن بعضهم قال « وأرجوا » بالجيم بدل الخاء .. ومعنى « وفروا » اتركوها وافرة كاملة لا تنقصوا منها شيئاً ومعنى « واعفوا » اتركوها على حالها حتى تعظم وتكثر ولا تتعرضوا لها بشيء فهى بمعنى وفروا أو كثروا . ولا يقصد بذلك إباحة معالجتها حتى تغزر بقرينة سياق الحديث « احفوا الشوارب » وكذا بقية الألفاظ الدالة على مجرد الترك، ومعنى « أوفوا » اتركوها وافية تامة لا تنقصوا منها شيئاً ومعنى « ارخوا » أطيلوها وأطلقوها ولا تتعرضوا لها حتى تكثر وتنمو . ومعنى « أرجوا » أخروها واتركوها على حالها وأصلها : ارجئوا فحزفت الهمزة من الفعل تخفيفاً وكل هذه الروايات تفيد معنى متقارباً، وهو تركها على حالها وافية وافرة كاملة . وعدم التعرض لها بشيء .

وفي كل هذه الروايات أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد حمله القاضى عياض والنووي والرافعي على الندب لأنه أمر يرجع إلى تحسين الهيئة وتجميلها ولا يحتاج إلى الوجوب كما أنه قرن بإحفاء الشارب . والجمهور على أنه سنة إلا من شذ كما أن توفير اللحية من خصال الفطرة كالختان ، والاستحداد ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط ، والسواك ، والاستنشاق ، وغسل البراجم ، والمضمضة ، وانتقاص الماء وظاهر كونها من الفطرة أنها سنة . وقد اختلف في وجوب بعضها . واللحية من زينة العرب التى امتازوا بها عن غيرهم وقد فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجد قومه عليها . ولذلك قال هؤلاء العلماء بكراهة حلق

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٧٢ .

(٢ ، ٣) تقدما .

(٤) مسلم جـ ٣ ص ١٤٧ .

(٥) تقدم .

اللحية وقصها · وأما الأئمة الأربعة رضى الله عنهم وجمهور الفقهاء والمحدثين فقد ذهبوا الى أن الأمر بإعفائها وتوفيرها للوجوب لا للندب وقالوا بحرمة حلقها · واحتجوا بما يأتى : -

أولا : لقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وقد وضعت صيغة الأمر للوجوب مالم يصرفها عن ذلك صارف بقرينة تدل عليه · ولا قرينة هنا حتى تصرف هذا الأمر عن ظاهره ومقتضاه · وجمهور أهل الأصول والحديث على أنه إذا أمر بشىء كان ذلك الأمر نهياً عن ضده سواء كان ذلك الضد واحداً أو متعدداً · والأمر بإعفاء اللحية فهى عن حلقها أو قصها أو تقصيرها · وقد قال الله تعالى : « وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (الحشر /٧) وإعفاء اللحية ثابت من هديه صلى الله عليه وسلم ، ونحن مأمورون بالاقتداء به · فهو صلى الله عليه وسلم قد أعفاها وأمرنا بذلك · ولا شك أن أكرم العادات وأشرفها هى عاداته صلى الله عليه وسلم · وإعفاء اللحية وإن كان شأن العرب وخاصيتهم إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمره به قد نقله من كونه عرفاً وعادة إلى كونه عبادة مأموراً بها مثاباً على فعلها معاقباً على تركها ·

ثانيا : أضف إلى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم قد أمر بمخالفة المشركين والمجوس ثم أمر بإعفاء اللحية وإحفاء الشارب تدل على أن في ذلك الأمر مخالفة لهم ، وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن حلق اللحية وقصها وترك الشارب ، من هيئات الكفار الخاصة بهم ، فأمر المسلمون بمخالفتهم في فعلهم تماماً · وقد كان بعض الأعاجم يوفرون الشوارب واللحى معاً فأمرنا بمخالفتهم في صنعهم هذا بأن نأخذ من الشوارب ونترك اللحى ، قال أبو شامة : وقد حدث قوم يحلقون لحاهم وهو أشد مما نقل عن المجوس أنهم كانوا يقصونها (١) ، وقد روي البيهقي أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المجوس فقال : « إنهم يوفون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم » ، وعن أبى أمامة رضى الله عنه أنه قيل يا رسول الله : إن أهل الكتاب لا ينتعلون فقال النبى صلى الله عليه وسلم فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب ، قال فقلت يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم ، قال فقال صلى الله عليه وسلم : « قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم (٢) وخالفوا أهل الكتاب » (٣) ، ومخالفة المشركين واجبة وقصد التشبه بهم حرام ، قال صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم « خالفوا المشركين » ، « خالفوا المجوس » غاية في الزجر عن التشبه

---

(١) فتح البارى جـ ١٠ ص ٢٧٣ ·

(٢) جمع عثنون وهو اللحية ·

(٣) أحمد بسند حسن ·

(٤) أبو داود وابن حبان ·

بهم فيما يختصون به من ملبس أو هيئة ، ولقد ظهر في المسلمين حلق اللحية وتوفير الشوارب من مخالطة المشركين واستحسان عوائدهم والميل إلى أتباعهم وتقليدهم ، وقد نرى بعض الكافرين الآن يوفر لحيته · وذلك لا يغير من حكم اللحية في شريعة الإسلام ومع هذا فإنهم لا يفعلون ما هو مشروع لنا فإنهم يتركون اللحى والشوارب معا ونحن مأمورون بمخالفة ذلك كما هو صريح الأحاديث · وبعضهم يترك شعرات أسفل الفم ليست هذه هى اللحية الشرعية ، ولو سلمنا جدلاً أنهم يصنعون مثلنا تماماً فليس هذا مبرراً لأن نخالف هذا القليل بزعم إبليس ، ونخالف هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الواجب اتباعه في كل حال · ولقد كان من الحكمة في الأمر بإعفائها مخالفة المشركين ، ثم بقى الأمر على عمومه واستقر عليه · ولا نعلم ما يخالف ذلك ·

إن الإنسان إذا ضعفت شخصيته ورق دينه وشغل بالدنيا مال إلى ما يميل إليه أهل الغواية والضلال والمشركون ، وقد حلقوا لحاهم وتركوا شواربهم فإذا رأى بعض المسلمين منهم ذلك استحسنوا هيئاتهم وزيهم وعادتهم ، وزين لهم الشيطان حب اتباعهم ، وجعلهم ينسون محاسن دينهم ومآثر نبيهم الكريم ، فتشبهوا بهم ، وشاع ذلك الأمر وانتشر ، وأصبح أمر اللحية أمراً شاذاً عند الكثيرين ولم ينته الأمر عند هذا الحد من انقلاب المعروف إلى منكر ، بل صار بعض من لا خلاق لهم يهزأ بأصحاب اللحى ويسخر بهم وهم الذين يتبعون هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتبعون السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، والخير كله في الاقتداء بهؤلاء الكرام ، والشر كله في التشبه بالكفرة اللئام ·

ثالثـا : لقد زين الله الرجال باللحى وهى لذلك تضفي على الرجل كمالاً وجلالاً وهيبة ووقاراً ، كما أنها تدعوه إلى الكمال في دينه وتصونه من المنكرات ، وتبعث فيه الهمة والعزيمة والتحمل والصبر ، وتجعله معروفا بالفضل والدين والكمال ، ويقدم من أجلها على غيره في كثير من المواقف الهامة ·

وزينة المرأة في خلو وجهها من شعر اللحية · وفي حلق الرجل للحيته تشبه بالمرأة في تخلية الوجه من الشعر ، والتشبه بالنساء حرام · وهو شبيه بحلقها لشعر رأسها وإزالة شعر عينها ، ومروءة الرجل تنأى به عن ذلك · لقد حسن الله صورتنا فعار علينا أن نشوهها بما يقبحها وبما يذهب حسنها وجمالها ·

رابعـاً : إن اللحية أمر فطرى خلق عليه الرجال يتلاءم وما خلقوا له وما أمروا به ·

فعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظفار ، وغسل

البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانه ، وانتقاص الماء · قال زكريا قال مصعب : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة » (١) وفي حلق اللحية اعتداء على هذه الفطرة وتغيير لما خلق الله عز وجل وذلك من الكبائر · وهو مثلة في حق الرجل حقه أن يزجر وأن يؤدب ليعود إليها · ولقد تغير الناس وصار المعروف لديهم حلق اللحي وإعفاء الشوارب ، فصار المعروف منكراً والمنكر معروفا ولقد وصل الأمر إلى أن نعتبر ظهور شعر اللحية في الوجه أمراً غير محمود ولا كريم فيبادر البعض إلى احفائه وازالته طوعاً أو كرهاً طلباً لحسن المظهر في زعمه أو خوفاً من الاستهزاء أو الاستنكار وما يزال مفروضاً على شبابنا المسلم في القوات المسلحة بالدول الإسلامية أن يحلقوا لحاهم ، وهذا أمر لا يليق ولا ينبغى فكيف يؤمرون بأمر حرمه الله ورسوله والمؤمنون ؟ وكيف يتأتى هذا في دولة دينها الرسمى الإسلام ؟ وإعفاء اللحية من الواجبات الاسلامية ومن الشعارات المميزة للمؤمنين ؟ والمفروض في الجندى أن يكون رجلًا بكل مظاهر الرجولة حتى يعطيه ذلك قوة وصلابة وبراً ويقيناً ، ولقد كان ذلك بأمر المستعمرين حتى يبعدوا الشباب عن دينهم ، أما وقد رحل المستعمر فحتم أن ترحل معه مبادئه المخالفة لشرعنا وشعائرنا · ولقد صارت اللحية الآن علامة على التدين والصلاح ، ولقد مل الكثير من شبابنا المبادئ والأفكار المستوردة التى لا تتفق ودينا الحنيف وعرفنا الصحيح وبدءوا العودة الى الدين كله ، فعادت لهم الصورة الكريمة المهيبة الموقرة · وحق علينا أن نوفر السبل لهؤلاء ليتحقق لهم القدر الضرورى من الفقه في الدين ، حتى يلتزموا الصراط المستقيم ويسلكوا الطريق الوسط ، بعيداً عن المبالغة والتغالى والإفراط · وحق علينا أن نتعهدهم وأن نرعاهم وأن نحسن إلى المحسن ونقدره ونكافئه ، وأن نبصر المسيء بالحق والخير حتى يعود إلى الجادة ، ولا خوف على الأمة إذا عاد شبابها إلى حظيرة الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع ، بل إن الرقي الحقيقي والسعادة الغامرة والفلاح والتوفيق في العودة إلى الإسلام خلقاً وسلوكاً وعبادة ومعاملة ومظهراً وشعاراً ، أماالخوف الحقيقي على الأمة فإنما يكون بانسلاخ الشباب من ثياب الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع إلى الفوضى والإلحاد والشك والفسق والجهل وما أخطر المسئولية التى أنيطت بأعناق العلماء والدعاة · ولأجهزة الإعلام دورها الكبير الذى يجب أن تقوم به بعد طول غياب ، ومسئولية الأمراء والولاة والأئمة أن ييسروا السبيل وأن يشعروا الناس بالأمن والطمأنينة والسكينة بعد خوف قد طال ·

لقد ثبت الأمر بتوفير اللحى لما فيه من خير كثير ولكن ذلك الأمر قد خفى على الكثيرين لما رأوا اختفاء اللحى وشذوذ وجودها خوفاً من الإيذاء ، أما وقد أمن الناس بعد

---

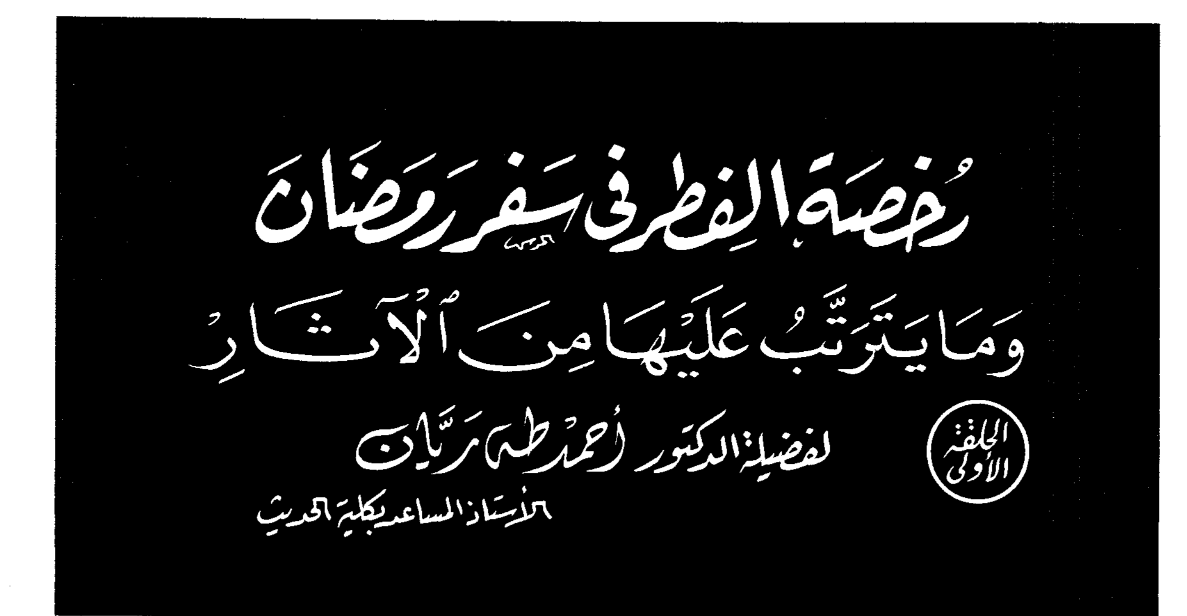
(١) مسلم جـ ٣ ص ١٤٧ ·

خوف فعليهم أن يعلموا وأن يعملوا بما علموا والعلماء والدعاة مسئولون عن ذلك أمام الله عز وجل ولقد خفي هذا الأمر على بعض العلماء لشغلهم بواجبات أخرى ، كما أنه قد يشق على بعضهم العثور عليه في بطون الكتب . ولقد اتضح هذا الأمر أمام جهابذة العلماء ووضعوا فيه رسائل و بحوثا مستفيضة ، وكتب السنة الصحيحة وفقهاء الإسلام فصلت هذا الموضوع بإيضاح .

ما يكره في اللحيــة !

يكره خضابها بالسواد لاظهار الشباب لا لغرض إرهاب العدو في الجهاد ، ويكره خضابها بالصفرة رئاء الناس في ظهوره بمظهر الصالحين ، وأما خضابها بالصفره اقتداء بالسنة فَحَسَنٌ ، ويكره تبييضها بالكبريت ونحوه تعجلا للشيب ، ويكره نتف ما شاب منها ، ويكره إهمالها حتى تصير مشعثة غير نظيفة ، ويكره قصها إلا للنسك ، فيستحب عند الشافعي تقصيرها ويكره أخذ شيء من طولها أو عرضها لغير ما حاجة وتكره الشهرة في تعظيمها وتطويلها ، ويكره عقدها .





تقـــــــديم :

الحمد لله رب العالمين ، وسعت رحمته كل شيء من خلقه ، وتجلت رأفته لأهل طاعته ومحبته ، حيث وفقهم لعبادته ، ثم أحسن اليهم بقبولها ، وأجزل لهم المثوبة عليها ، ففازوا بالسعادتين نعمة الطاعة في الدنيا ، ونعمة الرضا والتكريم في دار النعيم ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، وعلى من تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــــد : فإننا سنعرض في هذا التقديم - بإيجاز - لبيان أهمية هذا البحث ، ثم لدور السنة فيه ، ثم بعد ذلك نعالج موضوع البحث في ثلاثة فصول ، يشتمل كل منها على عدة مطالب ، نتناول في الفصل الأول : رخصة الفطر في السفر ، مبينا كل جوانبها الهامة ، ثم نتناول في الفصل الثانى : كيفية العمل بهذه الرخصة من بداية السفر الى نهايته ، وبعد ذلك نتناول في الفصل الثالث بيان أهم الآثار المترتبة على الأخذ بهذه الرخصة ، ثم نختم البحث بذكر أهم النتائج التى أمكن الوصول إليها من خلال هذا البحث ، فنقول : وبالله التوفيق .

أهميـــــة هـــــذا البحث :

تتبين أهمية هذا البحث من خلال ارتباطه بالأمور الثلاثة الآتية :

الأمــر الأول :

إنه يتناول بالتفصيل رخصة الفطر في السفر باعتبارها تطبيقا جزئيا لقاعدة هامة من قواعد الشريعة الاسلامية ، ألا وهى قاعدة رفع الحرج ، تلك القاعدة التى تعتبر من الحصون المنيعة التى أقامها رب العزة تبارك وتعالى للدفاع عن الشريعة الاسلامية ضد أعدائها الرامين لها بكثرة التكاليف وشدتها ، كما أنها من جملة البراهين الساطعة الدالة على سماحة تعاليم الإسلام ويسرها ، ومناسبتها لكل الظروف والأحوال ، لذلك كانت هذه القاعدة وما تشتمل عليه من تطبيقات جديرة بأن يسجلها القرآن الكريم في كثير من آياته ، مثل قوله تعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) (البقرة /٢٨٦) وقوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج) (الحج /٧٨) ، وقوله تعالى : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) (البقرة /١٨٥) ، وقوله تعالى : (واذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) (النساء /١٠١) وقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) (النساء /١٧٩) ٠

الأمــر الثانى :

إن هذا البحث يتناول أهم الأحكام المتصلة بجانب حيوي من جوانب الحياة الإنسانية ، وهو السفر ، وهو جانب لا يمكن الاستغناء عنه ، وكيف يمكن الاستغناء عنه وقد جعله الإسلام واجبا في كثير من التشريعات العملية ، فالحج فريضة على كل مسلم مستطيع ، ولا يمكن تأديته لأكثر المسلمين إلا بالسفر ، والوسيلة إلى تحقيق الواجب واجبة ، ويقال هذا أيضا في الجهاد لمن تعين عليــه ٠

كما أن السفر ضرورة من ضرورات الحياة ، إذ هو الوسيلة لتنمية التجارات ، وتشغيل الصناعات ، وطلب العلوم والمعارف ، كما أنه من أهم الوسائل الموصلة الى العلم بالله والتعرف على آياته ، (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ٠٠) (العنكبوت /٢٠) ٠

ومع ضرورته ولزومه ، فإنه لا يمكن فصله أو تجريده من المشقات التى تصاحبه في كل مرحلة من مراحله ، من بدء التفكير فيه الى الانتهاء منه ، لذلك مَنَّ الله على الخلق بتهيئة السبل والوسائل التى تيسر لهم تحقيق غايتهم منه ، قال تعالى : (وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرؤوف رحيم) (النحل /٧) ٠

فلولا ما اقتضته رحمته تعالى بخلقه ورأفته بهم ، من شرعية هذه التيسيرات ـ المتمثلة

في رخصتى الفطر والقصر وما يتعلق بهما ـ لقعد المسلمون عن السفر ، وتعطلت كثير من الفرائض ، وكسدت التجارات وجمدت العقول ٠

ثم يـأتى الأمر الثـــــالث :

والذى يمسس هذا البحث جانبا هاما منه وهو الصوم ، تلك الشعيرة الربانية ، والعبادة الصمدانية ، التى أضافها الرب تبارك وتعالى إلى نفسه تعظيما لها ، وتشريفا لفاعلها ، ووعد المتصفين بها ، بأنه سيتولى مثوبتهم بنفسه ، ولن يوكل أمرهم الى أحد من ملائكته ٠

فهذه العناية الإلهية بأمر الصوم والصائمين ، تلزم أهل العلم ـ كل على قدر طاقته ـ أن يعطوا هذه الفريضة ما تستحقه من اهتمام سواء بإيضاح ما تنطوى عليه من أسرار عظيمة ، أو ببيان ما تشتمل عليه من أحكام جزئية ، أو مسائل فرعية ٠

لذلك كله وغيره كان هذا الموضوع جديرا بما يبذل فيه من جهد أو ينفق فيه من وقت ٠ ونسأله سبحانه أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يوفقنا إلى تحقيق الغاية المرجوة منه وأن ينفع المسلمين به ٠

دور السنـــة في هــذه الرخصـــة :

تعتبر آية البقرة : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر) الآيــة ، هى الأصل الأصيل لهذه الرخصة ، ولم يقتصر دورها على التأصيل والتأسيس ، بل إننا سنرى ضوؤها يشع في كثير من الفروع والآثار التى انبسقت عنها أو ترتبت عليها ٠

أما دور السنة في هذه الرخصة ، فقد كان في أكثر الأحايين هو التبيين والتوضيح لما أجملته الآية السابقة من قواعد وأحكام ، كبيان المراد من السفر الذى يباح فيه القصر أو الفطر ، أو دور التقييد والتخصيص لما جاء مطلقا أو عاما من الفروع والجزئيات ، كتحديد بداية العمل بالرخصة ونهايته ٠

كما أننا سنجد أنها قامت بدور التأكيد لما أفادته الآية ، فقد جاء في حديث حمزة ابن عمرو الأسلمى حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيام في السفر قال : « هى رخصة من الله » (١) وهو نفس المعنى المستفاد من الآية السابقة ٠

وأخيرا فاننا سنجد أنها قامت بدور التأسيس أو الإنشاء لأحكام لم تستفد من الآية

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٤٥ دار التحرير ـ القاهرة ٠

كتحديد المدة التى إذا أجمع المسافر على إقامتها في مكان ما من سفره ، فان حكم السفر يرتفع عنه ٠

لذلك كان دخول هذا البحث ضمن نطاق فقه السنة أولى من دخوله في مجال فقه الكتاب العزيز ، إذ هى تشمل ما جاء في الكتاب الكريم وزيادة ٠

الفصـــــل الأول

رخصة الفطر في السـفر

معنى الرخصة لغة وشرعـــــا :

يقال رخص له في الأمر ، أذن له فيه بعد النهي عنه ، والاسم : الرخصة والرخصة - بتسكين الخاء وضمها - والرخصة - ترخيص الله للعبد في أشياء خففها عنه (١) ٠

ومن هنا أطلق الفقهاء لفظ الرخصة على كل معنى خاص - روعي في تشريعه التخفيف سبب ما - اذا ما كان هذا المعنى مستثنى من حكم عام ، وذلك كإباحة الفطر في السفر سبب المشقة ، وهذا الأمر مستثنى من الحكم العام ، وهو وجوب الصوم على كل مسلم بالغ صحيح مقيم ٠

وعلى هذا فالرخصة شرعا مستعملة في نفس المعنى اللغوي التي وضعت له ٠

معنى السفر لغة وشرعـــــا :

السفر - بفتح السين والفاء - يطلق في اللغة على عدة معان ، من بينها : الكشف والذهاب والسعى بالاصلاح ، يقال : سفر شعره : استأصله وكشف عن رأسه ، وسفرت الريح التراب والورق كنسته وذهبت به كل مذهب ، وسفرت المرأة وجهها اذا كشفت النقاب عنه ، وسفرت بين القوم أى سعيت بينهم بالإصلاح ، ومنه قول على لعثمان رضى الله عنهما : إن الناس قد استسفروني بينك وبينهم ، والجمع أسفار وسافرة وسفر وسفار ، وفي الحديث « صلوا أربعا فإنا قوم سفر » (٢) والرجل المسفر كثير الأسفار القوي عليها ، والأنثى مسفرة ، وقد اشتق لفظ السفر المستعمل في لسان الشرع ، وهو الضرب في الأرض من هذا المعنى ٠

وقد ربط الأزهري بين المعنى اللغوى والشرعي للسفر بقوله : لكشفه قناع الكن عن

---

(١) لسان العرب جـ ٨ ص ٣٠٦ مصورة من طبعة بولاق ٠ مادة رخص ٠

(٢) لسان العرب جـ ٦ ص ٣١ مادة سفر ٠

وجهه ، ومنازل الحضر عن مكانه ، ومنازل الخفض عن نفسه ؛ وبروزه إلى الأرض الفضاء … ولأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ماكان خافيا منها (١) ٠

المطلب الأول

الفطر في السفر رخصة عامة

يرى جمهور أهل العلم أن الفطر في السفر رخصة عامة ، سواء حضر المسلم بداية الشهر مقيما أو مسافرا ، وقد نقل هذا القول عن مالك وأبي حنيفة والشافعي والثوري والأوزاعي وأحمد ، والعلماء كافة ما عدا بعض التابعين ٠

وقد استند الجمهور فيما ذهبوا اليه على ما يلي ؛

١ ـ قوله تعالى ؛ (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) الآية وجه الدلالة ؛ أن الله سبحانه وتعالى ؛ قد أعطى الإذن في الفطر لكل مريض أو مسافر على أن يقضي الأيام التى أفطرها بعد ذلك ٠

٢ ـ ما روي عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضى الله عنه أنه قال ؛ يارسول الله أجد بى قوة على الصيام في السفر فهل على جناح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ هى رخصة من الله ، فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » (٢) ٠ وجه الدلالة ؛ قوله صلى الله عليه وسلم هى رخصة ‥ إلى آخره ٠ يفيد العموم ، لأن الشأن في الرخصة العموم ، كما أنه عبر بمن المفيدة للعموم في جانب المستفيدين بالرخصة ٠

٣ ـ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خرج إلى مكة في رمضان فصام ، حتى بلغ الكديد أفطر فأفطر الناس » (٣) ٠

وجه الدلالة ؛ أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج إلى مكة خلال شهر رمضان ، أى بعد أن استهل عليه الشهر وهو مقيم صائم بالمدينة المنورة ، ومع ذلك أفطر في بعض مراحل سفره ٠

---

(١) [illegible] الستر والوقاية ٠ والخفض [illegible]دعة والراحة والاطمئنان) ٠

(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٥ دار التحرير ٠ القاهرة ٠

(٣) صحيح البخاري جـ١١ ص٤٥ مع شرحه عمدة القارئ ٠ دار الفكر ببيروت ٠
والكديد ؛ بفتح الكاف وكسر الدال الأولى ؛ موضع بينه وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها وبينه وبين مكة نحو مرحلتين ٠

المخالفـــون ووجهتهم :

نقل عن أبي مجلز التابعي أن من أدركه الشهر مقيما فعليه أن يتمه مقيما صائما ، ولا يسافر في أثنائه ، فإنه إن سافر لزمه الصوم وحرم عليه الفطر (١) ٠

وما نقله عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني - بفتح العين - : من سافر في رمضان وقد كان صام أوله مقيما فليصم آخره ، ألا تسمع أن الله يقول : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (البقرة /١٨٥) ٠

كما نقل هذا القول أيضا عن سويد بن غفلة (٢) ٠

وما نقله عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ، أن أم ذر دخلت على عائشة تسلم عليها وذلك في رمضان فقالت لها عائشة : « أتسافرين في رمضان ؟ ما أحب أن أسافر في رمضان ، ولو أدركني وأنا مسافرة لأقمت » (٣) ٠

وما نقله أيضا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال على رضى الله عنه « لا أرى الصوم عليه - أى على من بدأه مقيما صائما - إلا واجبا قال الله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) (٤) ٠

وقد نقل البيهقي الأثر السابق عن عبيدة السلمانى بسنده ·· إلى أبي البختري بنفس اللفظ السابق تقريبا إلا أنه عقبه بقول أبي البخترى : قال ابن عباس - وكان أفقه منا - من شاء صام ومن شاء أفطر (٥) ٠

وقد حرصت عل نقل أسماء القائلين بهذا الرأى مع ذكر وجهتهم بالسند الصحيح اليهم ، لأن ما ذكر عن هذا الرأى وعن القائلين به ووجهتهم لم يكن محققا ، ولنأخذ على سبيل المثال ما ذكره صاحب الفتح نقلا عن ابن المنذر « روي عن على بإسناد ضعيف ، وقال به عبيدة بن عمرو وأبو مجلز وغيرهما ، ونقله النووي عن أبى مجلز وحده » (٦) ٠

واضح من رجال السند إلى على رضي الله عنه أنهم ثقات : فقد قال الحافظ ابن حجر في كل من معمر وقتادة : إنه ثقة ثبت (٧) وأما عبد الرزاق صاحب المصنف فهو معروف ٠ وقد

---

(١) المجموع جـ٦ ص٢١٦ - مطبعة المدنى بالقاهرة ٠
(٢) المجموع جـ٦ ص٢١٦ ٠
(٣) المصنف جـ٤ ص٢٧٠ الطبعة الأولى ٠ المكتب الاسلامى ببيروت ٠
(٤) المصنف جـ٤ ص٢٦٩ ٠
(٥) السنن الكبرى جـ ٤ ص٢٤٦ - دار الفكر ٠
(٦) فتح البارى جـ٥ ص٨٣ مطبعة مصطفى الحلبى ٠
(٧) تقريب التهذيب جـ٢ ص١٢٣ ص٢٦٦ دار المعرفة ببيروت ٠

قال فيه ابن حجر : إنه ثقة حافظ (١) · كما أن النووي لم يقتصر في نقله عن أبي مجلز وحده ، بل نقله أيضا عن عبيدة السلماني وسويد بن غفلة كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ·

ويتلخص مستند هذا الفريق في الاستدلال بقوله تعالى : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) · ووجه الدلالة : أن من شهد الشهر حاضرا مقيما وجب عليه صومه ، ولفظ الشهر يطلق على الكل وعلى البعض ، فيكون المعنى : فمن شهد منكم الشهر ـ كله أو بعضه ـ حاضرا مقيما صائما فإنه يجب عليه تكملة صيامه سواء أكمله حاضرا أم مسافرا ·

ولكن الجمهور : يرون أن المعنى أن من أدرك الشهر أى حضره كله حاضرا غير مسافر وجب عليه صومه ، وأما المسافر فله حكم آخر جاء به في الجزء التالي في الآية : وهو قوله تعالى : (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) الآية (٢) ·

ولكنى أرى ـ والله أعلم ـ أن المعنى : أن كل من شهد الشهر وجب عليه صومه ، سواء شهده مقيما أو مسافرا ، صحيحا أو مريضا ، ثم استثنى الله سبحانه وتعالى من هذا العموم المريض والمسافر واختصهما بحكم خاص بهما ، وهو إباحة الفطر لمن شاء منهما على أن يقضيه بعد ذلك في أيام أخر

وهذا المعنى وان كان يتفق مع المعنى الذى قصده الجمهور ، لكنه يختلف عنه من حيث الدلالة فإن الآية على تقدير الجمهور : نزلت بحكمين مختلفين كل جزء منها نزل بحكم خاص منقطع الصلة عن الجزء الآخر ، الجزء الأول نزل بحكمٍ للمقيم والصحيح ، والجزء الآخر نزل بحكمٍ للمسافر والمريض · مع أن لفظ (من) في قوله تعالى (فمن شهد) يفيد العموم ، و (شهد الشهر) بمعنى حضره أى أدركه ، وكل حى موجود يدرك هذا الشهر لا فرق بين مقيم ومسافر وصحيح ومريض ، فمن أين لهم قصر معنى (من) على بعض الأفراد وهم المقيمون دون غيرهم ممن أدرك الشهر ·

ويمكن أن يعتذر لهم بأنهم لجأوا إلى هذا التقدير ليتفقوا مع ماقاله بعض أهل اللغة في الآية ، فقد جاء في لسان العرب : تعليقاً على الآية السابقة « معناه : من شهد منكم المصر في الشهر ـ لا يكون إلا ذلك (٣) ـ لأن الشهر يشهده كل حي فيه ، قال الفراء : الشهر نصب بنزع الصفة ولم ينصب بوقوع الفعل عليه ، المعنى : فمن شهد منكم في الشهر أى كان حاضرا غير غائب في سفره »(٤) والتكلف هنا ظاهر ·

---

(١) تقريب التهذيب جـ١ ص٥٠٥ ·

(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى جـ١ ص١٨٢ دار المعرفة ببيروت ·

(٣) الاشارة الى المعنى الذى قدره ·

(٤) لسان العرب جـ٤ ص٢٢٧ ماده شهد ·

أما على تقدير : بأن كل من شهد الشهر وجب عليه صومه إلا المسافر والمريض فقد رخص لهما في فطره ، فهو متفق مع سياق المعنى في الآية ، وربما يعترض على هذا التقدير : بالصبى والمجنون ونحوهما من غير المكلفين إذ هم يشهدون الشهر ، ومع ذلك لا يجب عليهم صومه ، فيجاب عن ذلك : بأن أمثال هؤلاء يخرجون من الوجوب بنصوص أخرى ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور « رفع القلم عن ثلاثة ، عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ » وغيره ٠

وعلى فرض أن الآية تحتمل التأويلين ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بين المراد منها بفعله في غزوة الفتح ، إذ صام أول الشهر بالمدينة ، وخرج منها صائما حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، قال الزهري ـ في رواية أخرى لحديث ابن عباس السابق ـ « فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان » (١) ٠

وفي حديث آخر عن أبى سعيد الخدري ـ ولعله في غزوة بدر ـ قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لست عشرة مضت من رمضان ، فمنا من صام ومنا من أفطر ، فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم » (٢) ٠

وفعله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ـ وكانت في العام الثامن من الهجرة ـ يعتبر من التشريعات المحكمة لما جاء في حديث ابن عباس السابق ـ في رواية ثالثة له ـ « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ، قال وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » (٣) ٠

فهذه الأحاديث الواردة في محل النزاع تقطع كل احتمال يتوهمه البعض من الآية وترفع كل لبسة قد يحوم حول دلالتها على عموم الرخصة ، سواء لمن شهد بداية الشهر مقيما أو مسافرا فقد قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر/٧) وقال جل من قائل : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل/٤٤) ٠

لذلك كان هذا هو الرأى المختار والله أعلم ٠

أما ما نقل عن على رضى الله عنه من القول بوجوب إتمام الشهر صائما فلعله كان

---

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤١ دار التحرير ـ القاهرة ٠

(٢) صحيح مسلم جـ٣ ص١٤٢ ٠

(٣) مسلم جـ٣ ص١٤٠ ٠

اجتهادا منه ، ومعلوم أن النص الثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أقوى من اجتهاد الصحابي مهما كان قدره ·

ومما يقوى أنه من كان اجتهادا منه ، إشارته للآية بعد قوله بالوجوب مما يدل على أن ذلك كان استنباطا منه للحكم من نص الآية · وقد قلنا : إن الآية وإن كان فيها احتمال لكن السنة قد رفعت عنها هذا الاحتمال ·

أما ما نقل عن السيدة عائشة رضي الله عنها من كراهتها للسفر في رمضان ، فلما في صومه من عظيم الثواب ، وما في قيام ليله من المغفرة والرحمة فالمسافر وإن رخص له في الفطر ، لكنه سيفوته ثواب الصيام في نفس الشهر ، وسيفوته قيام ليله المؤدى للمغفرة والرحمة ، مما ينبغى الحرص عليه ·

وهذا في حق من كان يمكنه تأجيل سفره ، أما من كان لا يمكنه ذلك ، وكان التأجيل سيترتب عليه ضرر كبير على المسلم في أهله أو ماله ، فليس هناك ما يمنعه ، وما قلناه في حق على رضى الله عنه ، يقال فيما نقل عن عبيدة السلماني وغيره عن التابعين رضى الله تعالى عنهم ·

الدستور الأساسي

قال الفيلسوف (جيبون) :

القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الى نهر الفانك بأنه الدستور الأساسي · ليس لأصول الدين فحسب بل للأحكام الجنائية والمدنية والشرائع التي عليها مدار نظام المجتمع الانساني وترتيب شؤونه ·

ثقافة إسلامية



تطلعات إلى المستقبل
في مستهل القرن الهجري الجديد

لفضيلة الأستاذ محمد قطب

في مستهل هذا القرن الهجرى الجديد .. استبشر كثير من المسلمين وهى ظاهرة طيبة ، نرجو أن يحقق الله من ورائها الخير الكثير ، ولكن الاستبشار وحده لا يكفى إذا كان مجرد أماني خاوية ، يقول سبحانه وتعالى : (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب) (النساء /١٢٣) .

فالأمانى الفارغة لا تغير شيئا من الواقع ، ولا تحدث ما نرجوه من الخير ، إنما يحدث هذا التمني أثره الطيب بإذن الله حين يكون استبشاراً مبنياً على عمل ، استبشارا له رصيد من الواقع ، إننا نريد أن نتدارس معاً أمر هذا الاستبشار بالقرن الهجرى الجديد ، هل هو مجرد أماني ؟ أم أنه استبشار له رصيد من الواقع ؟ وما ذلك الرصيد ؟ على وجه التحديد ؟ ما حجمه ؟ ما الذى ينبىء به ؟ ما الذي نرجوه من ورائه ؟

أقول بادئ ذى بَدْء : إن الله لا يغير أحوال البشر بأرقام السنين ، ولا بأرقام القرون . فكوننا دخلنا في قرن تاريخي جديد ، ليس معناه بالضرورة أن يغير الله لنا . إنما علمنا الله سبحانه وتعالى طريق التغيير . قال عز من قائل : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد/١١) .

فطريق التغيير إذن : الطريق الذى يغير الله على أساسه واقع الناس هو أن يغيروا ما بأنفسهم . والتغيير بحالتيه من سيء إلى حسن ، أو من حسن إلى سيء لا يحدث في حياة الناس إلا إذا غيروا ما بأنفسهم : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الأنفال /٥٣) .

فإذا أنعم الله على قوم نعمة فإنه يحفظها لهم ما داموا هم حافظين لها . فإذا غَيَّروا ما بأنفسهم فإن الله يغير حالهم إلى حال سوء والعياذ بالله . ثم إنهم إذا كانوا في حال سوء ، وأرادوا أن يخرجوا منها إلى حال خير فإن عليهم بادئ ذي بدء أن يغيروا ما بأنفسهم إلى خير فيغير الله ما بهم من سوء ويبدل أحوالهم إلى خير .

فعلى هذه القاعدة . أو على هذه السنة الربانية التى لا تتبدل ولا تتحول ككل سنن الله سبحانه وتعالى . نتدارس أمر هذا القرن الجديد . فنسأل عن هذا الإستبشار : هل هو مبني على واقع في نفوس الناس ؟ أى بعبارة أخرى : هل بدأ الناس يغيرون ما بأنفسهم ؟ ، فنتوقع إذن أن يغير الله لهم ؟ أم إنهم مازالوا يسيرون على الحال الذى يسيرون فيه ؟ ، فلا تغيير إذن من عند الله مادامت القلوب لم تتغير والعقول لم تتغير ؟ .

أنا شخصيا من المستبشرين والحمد لله . استبشر لا بالسنوات . ولا بالأرقام . لكن استبشر بما أراه في قلوب الشباب في العالم الاسلامى من المحيط إلى المحيط . من تغير نحو الاسلام .. إنه اتجاه جديد .. بعث إسلامى جديد .. يعمر هذه القلوب من بعد ما كانت خاوية خلال القرون الماضية . فحل بالمسلمين ما حل بهم نتيجة خواء قلوبهم من الإيمان الصحيح . ولكنى وأنا أستبشر بمطلع هذا القرن . وأرجو للمسلمين فيه خيرا . لا أغفل عن الواقع الذى نعيشه . لا أغفل عن الظلمات .. عن الأزمات .. عن المصاعب والمشقات التى تحيط بالمسلمين اليوم . وتعتصرهم اعتصاراً على يد أعدائهم في كل مكان في الأرض .

ولعنا لا نستطيع أن نمضي في الحديث عن هذا القرن الجديد . إلا إذا تحدثنا عن القرون القريبة الماضية . فالمستقبل حلقة من حلقات التاريخ متصلة بالحاضر . والحاضر حلقة متصلة بالماضى . ولا يمكن أن ندرك الحاضر ولا أن ندرك المستقبل المرقوب إلا إذا مررنا بالماضى نستشف أحداثه . ونعرف ما جرى فيه من تغير في أحوال المسلمين بعد أن كانوا هم الأمة . بعد أن كانوا هم القوة في الأرض . بعد أن كان لا يبرم أمر في الأرض إلَّا برضاهم أو بمشورتهم . أو يغضبون فتهتز الأرض كلها .

كيف تغير الحال ؟ كيف صار المسلمون إلى الذل والهوان والتشريد الذى يعيشونه اليوم ؟ يُقَتَّلون في كل مكان في الأرض . يعذبون .. يشردون .. يطاردون .. تنتهك أموالهم وديارهم وأعراضهم .. بل تنتهك أموالهم وديارهم وأعراضهم .. بل تنتهك أرواحهم وقلوبهم .. وتُحشى بأفكار ليس بينها وبين الاسلام صلة . وبأمور مخالفة تمام المخالفة لدين الله . كيف حدث ذلك وقد وعد الله المؤمنين من هذه الأمة بالاستخلاف والتمكين والتأمين . حيث قال سبحانه وتعالى :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) (النور ٥٥) نعم ، هنالك في الآية وعد من الله سبحانه وتعالى بالاستخلاف والتمكين والتأمين . ولكن الوعد مقرون بشرط (يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) . إن هذا هو الشرط الذي اشترطه الله على هذه الأمة ، والذى تكفل في مقابله أن يمنح هذه الأمة بركته ونصره وتأييده وعونه في الاستخلاف والتمكين والتأمين .

« يؤمنون » و « يمّكن دينهم في الأرض » و « يصبحون هم الخلفاء » أى هم القوة التي تسيّر أمر هذه الأرض .

كذلك قال الله في وصف هذه الأمة : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران ١١٠) .

وقال كذلك : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة ١٤٣) .

هذا الوصف الرباني ، هذا التقرير الرباني لهذه الأمة ، أنها خير أمة أخرجت للناس ، وأنها شاهدة على البشرية كلها ، وقائدة لها ورائدة ، كيف تحول إلى هذا الهوان الذي تعيشه الأمة الاسلامية ؟ هل يتخلف وعد الله ؟ حاشا لوعد الله أن يتخلف ، وهو الوعد الحق والله أصدق القائلين ، ماذا حدث إذن ؟ كيف نفسر القرون الثلاثة الأخيرة من حياة المسلمين ، التى انحدروا فيها تباعاً ، وظلت قوتهم تتضاءل بينما ظلت قوة أعدائهم تتصاعد ، حتى غلب عليهم أعداؤهم وغزوهم في عقر دارهم ، ومزّقوا العالم الاسلامي مزقاً ، ودخلوا لا الأرض والديار فقط ، بل القلوب والأرواح ، يغزوننا بما نصطلح على تسميته « الغزو الفكرى » .

كيف حدث ذلك ؟ كل شيء بقدر ، نعم ، ولكن قدر الله يجري من خلال أعمال الناس : -

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم ٤١) .

يظهر الفساد في البر والبحر بقدر من الله ، نعم ، لكن بما كسبت أيدي الناس ، فقدر الله مرتبط بأعمال الناس في الأرض : هل يستقيمون على النهج أم يحيدون عنه ؟ وبحسب سلوك الناس في الأرض يجري قدر الله .

حين وقعت هزيمة « أحـــد » قال الله سبحانه وتعالى للمؤمنين : (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىَّ هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شيء قدير . وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) (آل عمران ١٦٦) .

هو قدر من عند الله . نعم . مقدر في كتابه من قبل أن يبرأ السموات والأرض . لكنه جرى بما كسبت أيدي المؤمنين يومئذ . (قل هو من عند أنفسكم) · بمخالفتهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قائدهم ونبيهم ومعلمهم . فأصابهم ما أصابهم في ذلك اليوم بقدر من الله وبفعل من أنفسهم . كذلك ما أصابهم في ذلك أصاب المسلمين في القرون الثلاثة الأخيرة إنه جرى بقدر من الله . ولكنه جرى من خلال أعمال المسلمين . فماذا عمل المسلمون في تلك القرون بالذات مما أورثهم هذا الهزال . وهذا الهوان . وهذا الضعف وهذا الذل الذى عاشوا فيه في القرن الأخير بصفة خاصة ؟

بكلمة مختصرة : لقد حادوا عن طريق الله . فإن أردنا أن نفصل هذه الكلمة شيئا من التفصيل . فلنراجع مفاهيم الإسلام وقواعده وأركانه . كيف نزلت من عند الله سبحانه وتعالى ؟ كيف فهمها الصحب الكرام رضى الله عنهم ورضوا عنه ؟ كيف قامت بها تلك الأمة التي وصفها خالقها سبحانه . بأنها كانت (خير أمة أخرجت للناس) .. ثم كيف تحولت هذه المفاهيم . هذه الأركان . هذه المعانى الاسلامية في نفوس المتأخرين من المسلمين . وأبدأ بالركن الأكبر والأعظم من أركان الاسلام · الركن الذي يدخل به الناس الاسلام · « لا إله إلا الله .. محمد رسول الله » · ذلك ركن الاسلام الركين . ركنه الأول . قبل الصلاة والزكاة والصوم والحج . قبل كل شيء . هذا الركن الأساسي الذي ينبنى عليه الاسلام . انبنى في الماضى . وينبنى في الحاضر . وينبنى في المستقبل . وبغيره لا يتم بناء على الإطلاق . كيف كانت « لا إله إلا الله » في حسن هذا الجيل الأول الذى استحق وصف الله بكامله : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ذلك الجيل الفريد الذى لم يتكرر في تاريخ البشرية . كيف نشأ ؟ بم تفرد هذا التفرد في التاريخ كله ؟ هل كانوا بشراً غير البشر ؟ كلا والله . لقد كانوا بشرا تجري بشريتهم في عروقهم . في سلوكهم وفي أعمالهم . هم في كل لحظة بشر . ولكنهم بشر عل الصعيد الأعلى · بشر في أعلى آفاق البشرية . فبم استطاعوا أن يصعدوا إلى ذلك الأفق السامق ؟ بأي شيء ارتفعوا حتى استحقوا أوصاف الله لهم ؟ ارتفعوا باستيعاب هذ الركن الأول بصفة خاصة . باستيعاب « لا إله إلا الله محمد رسول الله » استيعابها إلى أعمق أعماقهم . والسلوك بها في واقع الحياة في كل لحظة من لحظاتهم ·

ليست « لا إله إلا الله » تلك الكلمة العابرة التى صارت إليها في حس المسلمين المتأخرين . كلمة يقولونها . يظنون أنهم بها حازوا الإسلام وهم بعيدون عن معناها . بعيدون عن مقتضاها . بعيدون عن منهجها الشامل التى يشمل الحياة كلها . يقولونها بألسنتهم . وقلوبهم وعقولهم غافلة عنها . وسلوكهم الواقعي مخالف لها أتم المخالفة · وأى مخالفة أكبر وأعظم من أن يحكم المسلمون بشريعة غير شريعة الله وهم ينطقون « لا إله إلا الله » ؟ ما

معنى « لا إله إلا الله » إذن إذا لم يكن أول مقتضاها أن يتحاكموا إلى شريعة الله ، ماذا بقى منها في واقع الحياة . بقى الصوت والصدى . وما كان المقصود بها أن تكون أصواتاً تخرج من أفواه الناس . إنما كان المقصود بها أن تكون واقعا يعايش . كان المقصود بها أن تلغي الجاهلية التى تعبد أرباباً متفرقة ، وتحدث بدلا من الجاهلية واقعاً جديدا فيه إله واحد يُعبد . لا آلهة متعددة . إله يعبد في المسجد ، وهو ذاته سبحانه يعبد في كل مكان · أما أن يُعبد الله في المسجد . ويعبد إله آخر في واقع الحياة . فإن الله سبحانه وتعالى يقول : :(وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد) (النحل /٥١) ·

فأما الجيل الأول الذي كتب بدمه ·· بمشاعره ·· بفكره ·· لكل لحظة من حياته أمجاد التاريخ الإسلامي ووضع البذرة التى نمت خلال القرون . فقد كان يستوعب « لا إله إلا الله » · كان يعرف مقتضياتها كلها ، كان يعيش كل لحظة من حياته بـ « لا إله إلا الله » . فيتحاكم إلى شريعة الله ، ويتخذ منهج الله منهجاً له في الحياة ، يأتمر بما أمره الله ، وينتهى عما نهاه الله ، ولا نقول إنهم كانوا ملائكة ، كلا ، لقد كانوا بشراً ، وكان يجري عليهم ما يجري على البشر من خطأ وخطيئة ، ولكنهم : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ، ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ·· أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) (آل عمران /١٣٥ _ ١٣٦) ·

نعم : لقد كانوا يخطئون كما يخطىء البشر ، وتقع منهم الخطايا كما تقع من البشر ، ولكنهم سرعان ما يفيئون إلى الله ، يعرفون أنهم مخطئون ، فيقومون من وهدتهم ويتجهون إلى الله من جديد ، فيتقبل الله توبتهم ويعطيهم العزم والقوة على أن يسيروا في طريقه ·

كان ذلك الجيل يعرف حق المعرفة ، ويقدر حق القدر ما « لا إله إلا الله » لم تكن في حسه كلمة عابرة ، ولا قضية خفيفة الوزن ، إنما كانت حياته كلها هى « لا إله إلا الله ·· محمد رسول الله » ، وبذلك كان خير جيل عرفته البشرية وبذلك فعل تلك المعجزات العجيبة التى لا يصدقها البشر لولا أنها واقع حدث بالفعل · كيف تأتّى لهذه الحفنة القليلة من البشر أن تنشر دين الله بهذا اليسر ، بهذه السرعة ، بهذا التمكن في خلال نصف قرن كان الإسلام قد امتد من المحيط إلى ما وراء الهند ، حركة لا مثيل لها في التاريخ كله من قبل ولا من بعد ، هل تحدث جزافاً ؟ كلا ، إنما تحدث بمقوماتها ، وأول مقوماتها : « لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله » ·

حين يستوعبها القلب ، حين تتعمق في النفس ، حين تصبح هى منهج الحياة إنها تكتب الواقع على ذلك النحو الفريد الذى كتبه أولئك الصحب الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ٠

ثم إن أجيالا مضت ومسلمون يستمسكون بأركان الاسلام ولكن يدهم تتخلخل من القبضة المتينة رويدا رويدا فيصيبهم من جراء هذا التخلخل ما ذكره الله لهم من سننه التى لا تتغير ولا تتبدل . يجيء الأعداء يهاجمون دار الإسلام ، جاء الصليبيون ، وجاء التتار ، وغزوا أرض الاسلام ، ما غزوها اعتباطا كل شىء بقدر ، وكل شيء يسير حسب السنن الربانية ، كان المسلمون قد غفلوا ، قد ركنوا إلى الأرض ، إلى الشهوات ، إلى متاع الدنيا القليل ، شغلتهم أموالهم وأنفسهم ، شغلهم متاع لا يساوي أن يشغلوا به عن الدار الآخرة وعن الجهاد في سبيل الله ، فجاء الغزاة : إنه عقاب سريع من الله سبحانه وتعالى ، جاء الصليبيون وجاء التتار ، وأغاروا ·· وعاثوا فساداً في الأرض الاسلامية ·· ولكن الله الغالب على أمره (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف /٢١) ، إن الله الغالب على أمره كان قد قدر قدراً أن يستيقظ المسلمون مرة أخرى ، أن يعودوا الى الله بقيادة علمائهم وزعمائهم وقادتهم العسكريين ٠

أرسل الله من العلماء من يذكرّ هذه الأمة بقضية عقيدتها ، من ينقي لها تلك العقيدة مما شابها من أخلاط ليست منها ، وكان في مقدمة أولئك شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، وبعث الله قادة من قادة المسلمين يذكرونهم ، كما فعل « صلاح الدين » بأنهم غلبوا على أمرهم لأنهم نسوا الله ، وشردوا عن دينه الصحيح ، فيجب عليهم أن يعودوا إلى الدين ، يجب عليهم أن يعودوا إلى النهج الصحيح ، لينصرهم الله « واستجابت الأمة ، سواء وراء « صلاح الدين » في حربه للصليبين ، أو وراء « قطز » في حربه للتار ، وصيحة « قطز » الشهيرة ·· « وا إسلاماه » حين دخل المعركة الفاصلة بينه وبين التتار ، بهذه الصيحة العظيمة « وا إسلاماه » وتغير مجرى التاريخ ، لقد كان التتار قد خرجوا من ديارهم في رحلة مخربة مدمرة لم يتوقفوا فيها أبدا خلال ألوف من الأميال حتى دخلوا عاصمة الخلافة « بغداد » وعاثوا فيها فساداً بأبشع ما يعيث جيش غازٍ ، جيش بربري ، جيش لا يعرف للرحمة سبيلا ولا معنى من معاني الإنسانية : يُقتِّل ·· يُذبِّح ·· لقد ألقوا بكتب المكتبة الكبرى في بغداد ، ألقوا بها في النهر لتعبر عليها خيولهم ، وحولوا مجرى النهر دماً أحمر أربعين يوماً وليلة من المذابح التى أوقعوها بالمسلمين ، ووصل الذل بالمسلمين يومئذ إلى حد أن التتري في بغداد كان يمر بالمسلم ، والتتري ليس معه سلاح فيقول للمسلم : قف مكانك حتى أذهب إلى بيتي فآتي بالسيف فأقتلك ، فيقف المسلم مكانه حتى يأتي التتري بالسيف ويقتله ٠

وبعث الله لهذه الأمة قائدها الذي يقودها باسم الإسلام وتحت راية الإسلام ، في تلك المعركة الشهيرة الحاسمة التى دخلها قطز رافعاً هذه الصيحة رافعاً هذه الراية « وا إسلاماه » وتغير مجرى التاريخ ، ففي يوم واحد ، في معركة واحدة ، استغرقت من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر ، تغير ميزان القوى ، وارتد التتار في « عين جالوت » لأول مرة منذ أن خرجوا من ديارهم ، هزموا وتقهقروا ، وكان ذلك فتحا تاريخيا لأن التتار بعد ذلك بدأوا يدخلون في الإسلام .

ومضت جولة جديدة للمسلمين ، اعتز فيها الاسلام ولكنه اعتز على دَخَلٍ فيه ، تلك هى الفترة التى قامت فيها الدولة العثمانية ، وليس هنا مجال التفصيل في أمر هذه الدولة التى كثر الكلام ضدها في كتب التاريخ التى بين أيدينا ، حتى قام قائل وهو مسلم أو يدعى أنه مسلم .. يقول : « الإستعمار التركى » وما ينبغى لمسلم أن يتفوه بمثل هذه اللفظة ، إن المسلم لا يكون مستعمرا في أرض الإسلام ، قد يكون ظالماً .. نعم ، قد يكون فاسقاً .. نعم ، قد يحدث منه ما يحدث مخالفة ومعصيةً ، أما أن يكون مستعمرا وهو يحكّم شريعة الله ، إنها كلمة دخيلة ، أدخلها أعداؤنا إلى قلوبنا وأفواهنا لنكره الحكم الإسلامى .

ينبغى أن نحترس ونحن نتحدث عن هذه الدولة ، لقد كانت فيها مظالم كثيرة .. نعم ، ولقد كان فيها انحرافات كثيرة من دين الله .. نعم ، ولكن يكفى هذه الدولة عند الله أنها حمت العالم الاسلامى أربعة قرون متوالية من الغزو الصليبي والصهيوني ، ويكفي هذه الدولة عند الله أن السلطان « عبد الحميد » أبى أن يقيم الوطن اليهودى في الأرض الإسلامية ، ودفع حياته أو ملكه ثمنا لذلك ، وله عند الله العاقبة .

ولكن علينا أن نقف وقفة عند هذه الأحداث : (عبد الحميد واليهود) ، لأن حاضرنا الذى نعيشه مرتبط أشد الإرتباط بهذه الأحداث ، لقد ذهب اليهود بقيادة قائد الصهيونية أو مبتدعها « هرتزل » ذهبوا إلى السلطان عبد الحميد يعرضون عليه عروضا مغرية لو أنه كان يريد الحياة الدنيا ، وكان يريد لنفسه المجد والسلطان ، فلم يكن ليطلب لنفسه أكثر مما عرضه عليه « هرتزل » له ولدولته ، كانت « تركيا » في ذلك الوقت أو « الدولة العثمانية » تدعى « بالرجل المريض » لكثرة المشكلات التي كانت تحيط بها ، وتوقعاً لسقوطها ميتة بعد طول المرض ، كانت في أزمة اقتصادية حادة ، وكانت فيها مشاكل سياسية كثيرة ، وكانت الدول الصليبية لاتكف عن استثارة الأقليات ، المسيحية واليهودية لتشغل بال السلطان لكى لا يهدأ ولا يستقر ، كانت روسيا تستثير المسيحيين الأرثوذكس لأنها هى أرثوذكسية المذهب ، وكانت بريطانيا تتكفل بإثارة الأقليات الكاثوليكية والبروستانتية مع أنها هى بروستانتية » ، وكانت تلك الأقليات ، ومن أبرزها الأقلية الأرمنية لاتكف عن إثارة المشاكل

للدولة العثمانية . كل يوم مشكلة في ركن من أركان الدولة . ويضطر « السلطان » أن يضرب بيد من حديد على مثيري الفتن ، فيقول الأعداء : انظروا · هذا هو الجلاد ، هذا هو الدكتاتور ، هذا هو البربري الذي لا يعرف الرحمة يقتلّ رعاياه ، يستثيرونهم ليثوروا ضد الدولة ، ضد الإسلام ، يريدون أن يقوضوا الإسلام ، فإذا فتك بهم ، وما كان أمامه إلا أن يفتك بهم ، يقولون : « انظروا إلى السفاح » ·

وذهب « هرتزل » الى « عبد الحميد » يعرض عليه قروضاً طويلة الأجل ويعرض عليه تنشيط الحياة الاقتصادية في الدولة العثمانية ، ويعرض عليه التدخل لدى الدولتين المناوئتين « روسيا » و « بريطانيا » لكي تكفا عن إثارة الأقليات . ماذا يطمع حاكم في أكثر من ذلك : يستقر حكمه ، يغنى شعبه ، يأمن من الفتن والاضطرابات ، ماذا يريد أكثر من ذلك ، وكان لهم في مقابل ذلك كله طلب صغير ، هو إعطاء اليهود قطعة من الأرض في فلسطين ليقيموا عليها وطنا قوميا لهم ، ورفض السلطان المسلم بما أوحى إليه إسلامه ، وقال « لهرتزل » : إن هذه ليست بلادي ولكنها بلاد المسلمين وقد روتها دماؤهم ، ولا أملك أن أتنازل عن شبر واحد منها ·

وكان أن عُزِل ·· وكانت نهايته ، كما تعلمون منفيا في الأرض ، ولكن له الأجر عند الله ، لأنه وقف تلك الوقفة البصيرة ·· المستبصرة بنور الله ، التي عرف فيها أن هؤلاء الخادعين يريدون هذه القطعة القليلة من الأرض لتكون غدا دولة ولتتوسع هذه الدولة ولتنخر في عظام العالم الإسلامى ، وهذا الذي كان ·

نريد أن نتتبع بشيء قليل من التفصيل تلك السنوات التي مرت ما بين هذا العرض الإجرامي الذي رفضه « عبد الحميد » ، وبين قيام الدولة اليهودية لقد ائتمر المؤتمرون أو المتآمرون ·· هرتزل ورفقاؤه ، في مؤتمر أقيم في سويسرا عام ١٨٩٧ للميلاد ·· وقرروا في ذلك المؤتمر ضرورة إقامة الدولة في خلال خمسين عاماً · وإذا حسبتم التاريخ تجدوا الدولة قد قامت بالفعل في خلال خمسين عاما ١٨٩٧ ـ١٩٤٧ ·· خمسون عاما بالضبط ، فماذا فعل اليهود وأنصارهم وحلفاؤهم من الصليبيين لكى يقيموا تلك الدولة ·

لقد بدأوا بإزالة الخلافة الإسلامية ·· لأن الخلافة كانت هى السد المنيع الذى يقف أمام أطماعهم ، حتى « الرجل المريض » كانت أوربا تخشاه !! ، ولست أنا الذى أقول ذلك ، اقرءوا ذلك إن شئتم في كتاب « الغارة على العالم الاسلامى » بألسنتهم هم ، يقول واحد من المبشرين : « إن أوربا كانت تخشى الرجل المريض وهو مريض ·· لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين مستعدون للجهاد بإشارة من يده » ، لذلك كانوا يخشونه وهو مريض ، ولذلك كانوا يعملون بغية الإجهاز عليه ، وبالفعل جاءوا بدعِيِّهم « مصطفى » وما هو بمصطفى ،

وما هو بمسلم ، ولكنه تمسْلَم · « مصطفى كمال أتاتورك » وهو من أصل يهودى ، من يهود « الدونمة » الذين هاجروا من المغرب إلى البلقان بأمر من قيادتهم السرية ، وتمسلموا « أدعوا الإسلام » قبل تلك الأحداث كلها بمائة وخمسين عاماً ، واستوطنوا بالقرب من دار الخلافة ليقيموا بدورهم حين يجيء الوقت المحدد لهذا الدور ، وجاء « كمال أتاتورك » المتسمي بمصطفى ليزيل الخلافة الإسلامية وليمهد لإقامة الدولة اليهودية في حين غفلة من المسلمين ، فما كان أحد في ذلك التاريخ يوم أزيلت الخلافة الإسلامية يتصور على الإطلاق أن الأحداث ستجري في طريق إقامة الدولة اليهودية في الأرض الإسلامية إنما كان الأشقياء ، كان الشريرون يعبثون ، يعيثون في الأرض فساداً وأول فسادهم إزالة الخلافة الإسلامية ، وتمزيق العالم الاسلامي ، أولا إلى كتلتين كبيرتين : الكتلة العربية ، والكتلة التركية ، وإثارة البغضاء والحقد والحسد بين الكتلتين ، يدعون الترك الى تتريك الدولة ، أي الى اضطهاد العرب ، ثم يذهبون إلى العرب فيلعبون بقلوبهم ، ويلعبون بعقولهم ، يجيء « لورانس » ويدعى أنه صديق العرب ، وأنه ينصحهم نصيحة خالصة ، وما كانت نصيحته إلاَّ إثارتهم ضد الدولة التركية ، فيتمزق العالم الإسلامي تمهيداً لتمزيق أكثر ، لتفتيته إلى دويلات لا تستطيع أن تحمي نفسها ، ولا تستطيع أن تدفع عن الإسلام شيئا ·

ومُزِّق العالم الإسلامى مزقا متنافرة متناحرة متنافسة متباغضة على غير ما أمرهم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ·

وتكون جيش من المسلمين العرب يقاتل الدولة الإسلامية تحت راية « أللنبي » البريطاني وحين يدخل « اللنبي » بيت المقدس عام ١٩١٧ م يقول : الآن انتهت الحروب الصليبية ··· وما انتهت في الواقع ، ولكنها كلمة تعبر عن الحقد الصليبي الذي يمتلىء به قلب ذلك الرجل ، ولكن من أتباعه ؟ من المقاتلون معه ؟ مسلمون ، عرب ، يقاتلون مسلمين ·

ويقول لورد « أللنبي » في مذكراته : إنه لولا المعونة الضخمة التي قدمها الجيش العربي ما استطعنا أن نتغلب على الدولة العثمانية ·

يمزق العالم الإسلامى مزقا ، والعالم العربي بصفة خاصة ، لتزرع فيه تلك الدولة الدخيلة وما كان في الإمكان أن تزرع وهناك إسلام في الأرض يحكمها ، ما كان في الإمكان لشذاذ الآفاق أن يحتلوا الأرض المقدسة لو أن الناس كانوا يعون « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وإن هذه الكلمة كانت تقتضيهم ألاَّ يقبلوا أن تدنس أقدام الكفار شبرا واحدا من الأرض الاسلامية ، ولكن الأرض الإسلامية من المحيط إلى المحيط فيما عدا رقعاً قليلة منها أجزاء من الجزيرة العربية ، وجسم الدولة التركية ـ أرض تركيا ـ ما عدا ذلك كله دخل في نطاق

الاستعمار الصليبي ، الذى تدخل الصهيونية تحت جناح الصليبية فيه لتعيث فساداً في الأرض ولتمكن وتهيء لقيام الدولة اليهودية ٠

وبعد خمسين عاماً من هذا التشتيت ، من هذا التمزيق ، في موعدها الذى قدره الله ، والذى قال به « هرتزل » ·· وما كان ينطق بالغيب ، ولكنه يخطط والمسلمون غافلون ، يدبر ، والمسلمون مشغولون بخلافاتهم بعضهم مع بعض ، بأحقادهم بعضهم على بعض ، بتنافسهم على لعاعات من الحياة الدنيا ، ينسون بها الله وينسون بها الآخرة ، ينسون بها مقتضيات لا إله إلاّ الله » وإن كانوا يقولونها بألسنتهم صباح مساء ٠

ومنذ قامت تلك الدولة ماذا حدث في العالم العربي بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة ؟

لقد كان اليهود وحلفاؤهم الصليبيون قد دبروا وخططوا تخطيطا دقيقا ألا تقوم قوة على الاطلاق تواجه تلك الدولة ، فأزالوا القوة السياسية والقوة العسكرية ، والقوة الاقتصادية ، والقوة الروحية للمنطقة كلها ، فأما القوة السياسية فماذا تملك تلك الدويلات التى تحتضنها بريطانيا وفرنسا ؟ ٠ ماذا تملك أن تصد عن نفسها وأن تمنع عدوان العادين ؟ وأما القوة العسكرية ، فقد فتتت جيوش العرب ، ووضعت تحت وصاية حليفتي اليهود بريطانيا وفرنسا ، فصارت أسلحة العرب من بريطانيا وفرنسا ، وذخيرة السلاح من بريطانيا وفرنسا ، فإذا كفت هاتان الدولتان أيديهما من الذخيرة فقط تتوقف الجيوش العربية كلها في ساعة ، أما الاقتصاد فقد سيَّره الصليبيون والصهيونيون في خطة معينة : إضعاف العالم العربى ، واستنزاف ثرواته ، وتركه مريضا فقيرا جاهلا لا يملك أمر نفسه ٠

أما قوة الشباب ، وهى قوة هائلة تُخشى ، فقد سلطوا عليه السينما والإذاعة ولم يكن التلفزيون قد اخترع بعد ، وسلطوا عليه المراقص ، والحانات والشواطئ العارية ، سلطوا عليه الصحافة ·· العارية بصورها العارية بأخبارها ، العارية بقصصها ·· العارية بأفكارها ·· التي تبعد الشباب عن الله ، تبعده عن الدين ، تبعده عن الجدية في أي أمر من الأمور ٠

وحسب المخططون أنهم قد خططوا تخطيطاً كما يقول المثل العامي « لا يخر الماء منه »"محكم » ، وهو في الحقيقة محكم ، ولكنهم نسوا أن هناك مسلمين ما يزالون يقولون « لا إله إلا الله » لا بأفواههم فقط ·· إنما يقولونها بقلوبهم ، بأرواحهم ، بمنهج حياتهم ، يقولونها يقصدونها حقا ، ويعيشون في ظلها ، ويعيشون على نحوٍ مما عاش المسلمون الأوائل الذين قال فيهم أبو بكر رضى الله عنه « إنهم قوم أحرص على الموت من حرص أعدائهم على الحياة » ٠

في عام ١٩٤٨ م حين أعلنت الدولة ، وقامت مسرحية الحرب بين الدول العربية والكيان اليهودي ، وتراجعت في نهايته الجيوش العربية إلى خط الهدنة المقرر من قبل ، المصطلح عليه من قبل ، الذى يعرف القادة المحاربون في المسرحية أنهم سيعودون إليه بعد المسرحية !! حين قامت تلك المسرحية كان « فتيةٌ » من المؤمنين بالله ، من الذين يريدون أن يصلوا إلى الله شهداء ، أو منتصرين : (قل هل تربصون بنا إلاَّ إحدى الحسنيين) (التوبة /٥٢) ٠ . الشهادة أو النصر ·· كان « فتية » يملأ قلوبهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يقاتلون في أرض فلسطين ، وما كانوا يزيدون في أية معركة عن مائة ، ولكنهم كانوا يقاتلون بقوة الإسلام ، بقوة الإيمان ، القوة التي لا تغلب ، فما إن عركهم اليهود وعركوهم في معركة أو معركتين ، حتى صاروا إذا سمعوا صيحة « الله أكبر ولله الحمد » يفرون من مستعمراتهم ، تاركين أسلحتهم وذخائرهم لينجوا بجلودهم ، عند ذلك تقرر أنه لا يمكن للدولة الوليدة أن تعيشَ إلا إذا قضى على هؤلاء « الفتية » المقاتلين ٠

وكان تخطيط عالمي اشتركت فيه كل قوى الشر العالمية للقضاء على هذه « الحفنة » من المؤمنين لكى تستقر الدولة في مأمنها ، لكى لا يزعجها « لاإله إلا الله محمد رسول الله » ٠

وقوتلت تلك « الفئة » من الشباب ، وحوربت ، واضطهدت ، وعذبت ·· عُذبت عذابا لا مثيل له في التاريخ إلا محاكم التفتيش في الأندلس ، وما كان يقصد بمحاكم التفتيش في الأندلس إلا القضاء على الاسلام والمسلمين في تلك البلاد ، لم تكن مجرد حرب ، لم يكن مجرد اضطهاد ، إنما هو تعذيب منظم للإبادة ، ولكن قدر الله شيء ، وما يقدره البشر شيء آخر ، قدر البشر أن تفنى هذه الحفنة من « الفتية » المؤمنين ، أن ينتهى الإسلام من الأرض لتستقر تلك الدولة ، ولتستقر قلوب الصليبية الحاقدة ، لتسقط الثمرة التى طالما اشتهوها ، وظنوا أنها طابت واستوت ، وأنها واقعة في أيديهم لا محالة ، قدَّروا ذلك ، وقدَّر الله أن يقوم بعث إسلامي في كل بلاد العالم الإسلامي ، قدَّر الله أن ينشأ جيل جديد من الشباب يقول « لا إله إلا الله » لا يقولها بلسانه فقط ، إنما يقولها بلسانه وقلبه ، يعيشها ·· يريد الإسلام واقعاً يُعايش ، لا يريده كلمات جوفاء ، لا يريده شعارات ، لا يريده أفكاراً موضوعة في كتب ·· سواء كانت تلك الكتب صحيحة التصوير للإسلام أم فاسدة التصوير ·· إنها في حالتيها لا تصلح ، الكتب وحدها لا تصلح الشعارات وحدها لا تصلح الأفكار الجامدة الميتة لا تصلح ، إنما يصلح « لا إله إلا الله محمد رسول الله » عقيدة حية تملأ القلب ، تشكل السلوك ، تغير الواقع ٠

ومشيئة الله الغالبة . الله الذي أنزل هذا الدين ليبقى إلى يوم القيامة وليظهره على الدين كله . وحفظ كتابه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (الحجر/ ٩) . وحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . حيث لم تحفظ سيرة ولا سنة لنبي من قبل إلا ما حفظه القرآن من سير الأنبياء السابقين . هذا الدين الذي أنزله الله ليبقى لن يمحى من الأرض بإذن الله . فيقيّض الله له بقدر منه جنوداً يحمونه . ولا بد من هؤلاء الجنود . يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) (الأنفال / ٦٢) .

ولقد كان يكفى لعقولنا نحن أن يقول الله سبحانه وتعالى « هو الذى أيدك بنصره » فماذا بعد نصر الله ؟!! ولكن الله يلفتنا إلى سنة من سننه : (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) . لا بد أن يكون هناك مؤمنون في الأرض يكونون جنودا . يكونون ستاراً لقدر الله . يُجري الله قدره . ولكن من خلال هذا الستار البشري جنود مؤمنون . يعيشون « لا إله إلا الله محمد رسول الله » يعيشونها واقعاً حيا . يسلكون بها سلوكهم الواقعى . فينصر الله بهم هذا الدين .

إن الواقع الذى عشناه في نهاية القرن الرابع عشر . ودخلنا به مستهل القرن الخامس عشر هو هذا الواقع الذى وصفته لكم .

الصليبية والصهيونية جاثمتان على أرض الاسلام . تمتهنان كل كرامة في الأرض الإسلامية . يسلبون المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم . ينتهكون أعراضهم . ينتهكون قلوبهم وأرواحهم بالغزو الفكرى . يضعون في تلك القلوب أفكاراً غير إسلامية وسلوكا غير إسلامى . واتجاهات غير إسلامية . وفي ذات الوقت بعث إسلامي جديد يملأ قلوب حفنة من الشباب . قليلون هم : نعم بالنسبة لتعداد المسلمين . ولكنهم هم الأمل . هم البشير الذى نستبشر به بالنسبة للقرن الخامس عشر وما يتلوه إن شاء الله من القرون .

قلت في مستهل كلامي : إن الاستبشار . إن الأماني الخاوية لاتغير شيئا . ولا يغير الله بها شيئا في الواقع . إنما يغير الله حين يغير الناس ما بأنفسهم : - (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (الرعد /١١) .

فهل حدث التغيير ؟ نعم لقد بدأ يحدث . بدأ منذ نهاية القرن الرابع عشر وندخل القرن الخامس عشر وهذا التغيير قائم في قلوب تلك الفئة من الشباب . إن تكن قليلة اليوم بالنسبة لتعداد العالم الإسلامى : الألف مليون .. الذين تحدث عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في لمحة من لمحات الوحي فقال :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . فقال قائل : أمن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل انتم يومئذ كثير . ولكنكم غثاء كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور

عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قيل وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (١) ٠

هذه الألف مليون من البشر التى تعمر الأرض الإسلامية غثاء كغثاء السيل ، لا يقام له وزن ، تقضى الأمور وهو غائب ٠ كما كان الشاعر العربي القديم يقول عن قبيلة « تيم » : :

ويقضي الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود

كذلك الحال مع هذا الغثاء الذي يملأ الأرض الإسلامية ٠ ولكن يشاء الله أنه من وسط هذا الغثاء يبرز هذا الجيل الذى نستبشر به ونرجو من الله على يديه الخير ، جيلٌ يرجع إلى أصول الإسلام الصحيحة من كتاب الله ، وسنة رسوله ، وسيرة السلف الصالح ، يريد الإسلام واقعاً حقيقياً خالياً من الغبش ، لا يريده شعارات ٠ لا يريده ألفاظاً ، لا يريده أفكاراً جامدة ، إنما يريده واقعا حيا مأخوذا من المنبع الصافي : من كتاب الله وسنة رسوله ، ومقتدى فيه بالسلف الصالح الذى كان يعيش الإسلام حقا ، ويدرك معانيه حقا ، ويطبقه في واقع حياته حقاً ٠ هذا هو البشير الذى نستبشر به بالنسبة للقرن الخامس عشر ٠ وما نقول أبدا إن الظلمات قد انتهت وإن المشكلات قد ذهبت ، ولا إن الأعداء قد تركوا عداءهم لهذا الدين ٠ كيف والله تعالى هو الذى يقول : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة /٢١٧) ٠

إن أعداء الله الذين ذكرهم الله في كتابه المنزل ، إنهم فئات أربع : اليهود ، والنصارى ، والمنافقون ، والمشركون ٠ هؤلاء هم أعداء « لا إله إلا الله » وهؤلاء هم الذين لم يكفوا أبداً عن عدائهم للإسلام ، قال تعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة /١٢٠) ٠ وقال عن المشركين عامة : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن إستطاعوا) (البقرة /٢١٧) ومصداق ذلك هو الواقع الذى نعيشه ، بل مصادقة الأربع عشر قرنا التى عاشها الإسلام في الأرض ، ولكن هذا القرن بصفة خاصة ـ أقصد القرن الرابع عشر ـ كان مصداقا لتلك العداوات : اليهود والنصارى في كل بلاد الأرض ، المنافقون ، المشركون وهم اليوم فئات كثيرة أبرزهم الشيوعيون والملحدون الذين يعادون هذا الدين عداوة لا هوادة فيها ٠٠ والذين يتحالفون مع المعسكر الغربى حين يبرز الإسلام وينسون عداوتهم معه فهم في حرب دائمة مع أوربا وأمريكا إلا حين تكون القضية قضية الإسلام فيتحالف الأمريكان والروس كما تحالفوا في تقسيم « باكستان » إلى شرقية وغربية ، وكما تحالفوا في أفغانستان ٠ إن المؤامرة التى تمت في أفغانستان ونفذها الشيوعيون كانت برضاً من المعسكر

---

(١) الحديث عن ثوبان رضي الله عنه ٠ أخرجه أبو داود في الملاحم . ورواه أحمد في مسنده بسند قوي ٠

الغربى . وإن كان المعسكر الغربى يتصايح بين الحين والحين .. إنه صياحُ يشجع القاتل على ذبح الفريسة ..

انك إذا وجدت رجلا يمسك بالسكين ليقتل إنساناً ثم وقفت من بعيد تصيح به « عيب يا شيخ ماذا تصنع ؟! » فأنت في الواقع تشجعه على أن يتم جريمته .. وهذا هو الذى حدث من أمريكا بالنسبة للشيوعيين .. هم الذين هيأوا لروسيا أن تغزو أفغانستان . نعم إن الشيوعية لها حقدها الخاص وهو أشد الحقد .. ولكنهم يتآزرون جميعا على حرب الإسلام .

ما من قضية يبرز فيها الاسلام إلاَّ وتتكالب كل دول العالم : اليهود والنصارى ، والمنافقون والمشركون .. كلهم في كل أرجاء الأرض يتكالبون للقضاء على الاسلام والمسلمين . وإن إستبشارى الذى أعبر عنه إننى لا أغفل عن الواقع الموجود . لا أغفل عن الظلام الذى يكتنف المسلمين .. لا أغفل عن المذابح التى تقع في كل أرض الاسلام للمسلمين .. لا أغفل عن مذابح سوريا أو مذابح افغانستان .. أو مذابح الفلبين .. أو مذابح تشاد .. أو مذابح أوغندا .. وكل بلد من بلاد المسلمين تقع فيه المذابح .. إلاَّ من رَحم ربك .

لا أغفل عن ذلك الواقع . ولا أغمض عينى عن الظلام الكائن اليوم .. ولكنى فقط أقول .. إن هناك فارقاً بين بداية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر .

لقد استعرضنا معاً أهم الأحداث أو أكبر الأحداث في القرن الرابع عشر .. فكيف كان حال المسلمين حين وقعت تلك الأحداث ؟ كانوا في يأس حين زالت دولة الخلافة .. يئسوا .. قنطوا .. شردوا من الاسلام .. انسلخوا منه .. ذهبوا وراء أوربا شرقها وغربها .. ظنوا أن طريق الخلاص هو أن يتبعوا أعداءهم ... حتى إن دخلوا جحر ضَبٍ دخلوه .

نبذت أوربا دينها فانسلخ المسلمون من دينهم .. عرَّت أوربا نساءها فعرى المسلمون نساءهم وأخرجوهن في الشوارع والشواطئ عاريات .. قالت أوربا إن التقدم يقتضى القضاء على الدين لأنه خرافة .. فقال مسلمون أو من يحملون أسماءً مسلمة .. إنه لابد لنا لكى نتقدم أن نقضى على الغيبيات .. أن نقضى على الخرافات لكى نتقدم !!! . قالت أوربا إن التقدم هو المصانع .. وهذا التقدم المادى .. وهو التكنولوجيا .. بعيدا عن عالم الروح .. بعيدا عن الدين .. بعيدا عن الله .. بعيدا عن اليوم الآخر .. فقام مسلمون أو من يتسمون بأسماء المسلمين يقولون هلم ننشىء المصانع .. هلم نتعلم التكنولوجيا ولكن على أساس قتل الدين وإزالة الغيبيات من النفوس .

وذلك كان القرن الماضى .. واليوم تقع الأحداث في العالم الاسلامى وستستمر لأن العداوات المتأصلة مازالت متأصلة . ولأن القوة الاسلامية لم تنمْ بعد إلى الحد الذى تصد فيه

العدوان الصليبي والصهيوني والشيوعي والالحادي .. ولكن الفارق هو أن موجة الانسلاخ من الاسلام كانت هي عنوان القرن الرابع عشر ، وموجة العودة إلى الاسلام هي عنوان هذا القرن والقرون التالية باذن الله .

إني استبشر بمستقبل الإسلام لأمرين كبيرين .. الأمر الأول هو الذي شرحته : قيام حركات البعث الاسلامي في كل مكان في الأرض الاسلامية .. العودة إلى الإسلام ، الرغبة في تطبيق الاسلام بصفاته ، بنقائه ، بحيويته ، بحركيته بواقعيته . والأمر الثاني الذي يبعث الاستبشار في نفسي - لامجرد أماني ولكن قراءة للواقع ، وقراءة له على ضوء السنن الربانية .. هذا الأمر هو أن الحضارة الأوربية آخذة في الانهيار . ويتبادر إلى الذهن هذا السؤال : ما علاقة هذه البشرى أو هذا الاستبشار بانهيار الحضارة الغربية ؟ .. نعم : لقد كان أشد ما فتن المسلمين عن دينهم في القرن الماضي بصفة خاصة هو هذه الحضارة الغربية .. ذلك لأن قوماً من المسلمين أو ممن يحملون أسماءً مسلمة قالوا لأنفسهم : هذه أوربا بلا دين وهي قوية ممكنة في الأرض ، ونحن مسلمون ومع ذلك فنحن جهلاء ، ونحن ضعاف ونحن متخلفون ، فما قيمة الدين إذن ؟! فلننبذه ولنصنع كما صنعت أوربا . تلك المعادلة الخاطئة غير المستبصرة كانت سببا في فتنة الشباب المسلم في القرن الماضي .

لقد شهدوا جزءاً من سنة الله ولم يدركوا بقية السنة ولم يدركوا الحكمة لقد وجدو أوربا الكافرة ممكنة في الأرض .. نعم .. ولكن ذلك لا يخالف سنن الله ، وحاشا لشيء يقع في الأرض أو في الكون كله أن يكون مخالفا لسنن الله .. لقد نسى أولئك الذين فتنوا بأوربا .. بل لم يتدبروا أصلًا قرآنهم الذي بين أيديهم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (محمد /٢٤) .

يقول الله موضحا ومبينا ما يقع في أوربا اليوم وما وقع في أمم سلفت من الجاهليات القديمة .. يقول سبحانه وتعالى : (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) (الأنعام /٤٤) . نعم : هذه هي السنة الربانية ، نسيت أوربا ما ذكرت به ، نسيت إلهها نسيت الآخرة ، وانحصرت في الحياة الدنيا ، وعلى مستوىً من أحط المستويات من الحرص على الحياة الدنيا ومتاعها الرخيص . فماذا فعل الله بهم ؟ .. فتح عليهم أبواب كل شيء .. أبواب القوة السياسية .. أبواب العلم .. أبواب التكنولوجيا أبواب القوة الحربية .. أبواب القوة الاقتصادية .. كل أبواب القوة .. انظر إلى العبارة « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » .

نعم . هذا جزء من السنة الربانية .. ولكن المتدبر لكتاب الله يعرف النهاية المحتومة لهؤلاء القوم ، (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا .. أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) (الأنعام /٤٤) .

ولقد بدأت السنة تتحقق ، بدأ هذا الكيان الشامخ المخيف يتزلزل · القوة المادية ما تزال في أيديهم ·· نعم ·· ولكن كتابهم ومفكريهم وفلاسفتهم هم الذين يقولون إن هذه الحضارة آيلة إلى السقوط ·· آخذة في الانحدار لخلوها مما يسمونه هم « القيم الروحية » . ومما يسميه الله سبحانه وتعالى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ·

هذا البناء الشامخ المخيف الذى أزاغ قلوب المسلمين في القرن الماضى يبدأ اليوم يتزلزل · ولو قلت للناس قبل عشرات السنوات إن الحضارة الأوربية آخذة في الانهيار ما صدقوك · لكنهم اليوم والحمد لله يصدقون لأن أوربا تقول هذا من نفسها ·· تقول : انه مالم يتغير واقع الحياة الأوربية ·· مالم يعودوا إلى القيم الروحية ·· فانهم صائرون إلى الإنهيار ·

ماذا يهمنا نحن من انهيار أوربا ؟ أنشمت فيهم ؟ كلا : لا شماتة · ليست القضية قضية شماتة ·· إنما هى إرادة الخير للبشرية كلها ·· وأوربا من بينها ·· إن أوربا حين مُكنت فُتنت ·· وزادت جحوداً ، وزادت بعداً عن الله ·· ولن تعود إلى الله أبداً إلا بقارعة ·· لن تعود حتى يهتز كيانها اهتزازاً لن تعود حتى نحس أن بنيانها يتقوض ·· عندئذ إذا قدر الله لها ·· تعود إلى الله ·· فيغير الله لها حين تغير ما بأنفسها ·

ولقد بدأوا يحسون · فبدأ أفراد منهم يدخلون في دين الله . ولكنا نطمع غداً ـ لا أن يدخلوا في دين الله أفراداً ـ إنما يدخلوا في دين الله أفواجاً ·

أرأيتم ما الذى يمنعهم اليوم من الإسلام ؟؟ · إنهم حائرون إن القلق والحيرة والضياع تملأ عليهم حياتهم ، فتضيق بهم الأرض ·· وتضيق قلوبهم بهم فينتحرون ، ويصيبهم الجنون والقلق والأمراض العصبية والأمراض النفسية · ويفرون يريدون العلاج ·· يبحثون عن الطريق ·· يدخل بعضهم في « البوذية » يظنون أنها هى الطريق · يدخل بعضهم في « الهندوكية » يظنون أنها هى الطريق · بعضهم يدخل في عبادة « كريشنا » وهى إحدى العبادات الجاهلية القديمة التى تعاد إلى الحياة اليوم في أوربا وأمريكا ·· ويدخل فريق منهم في الإسلام · لماذا لا يدخلون كلهم في الاسلام ؟! أولئك الباحثون عن الطريق · وهل الطريق إلاّ الإسلام ؟! ·

تعلمون ما الذى يصدهم ؟ إنما يصدهم واقع المسلمين ·· يسمعون كلاماً طيباً عن الاسلام : في الدعوة ، في الكتب في المحاضرات ،، في البحوث التى تلقى عليهم ·· ثم يقولون للدعاة : إذا كان الإسلام بهذا الشكل فلماذا كانت حياتكم أنتم نقيضا لما تقولون ؟ ·

من أجل ذلك قال الله سبحانه وتعالى وهو يعلم المؤمنين : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون · كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (الصف /٢ـ٣) ·

ولكن الجيل الجديد النابت في رحاب الإسلام .. الذى نستبشر به للغد في العالم الإسلامى .. نستبشر به أيضا لمستقبل البشرية . أن الحائرين الضالين الذين يلذعهم الضياع فيبحثون عن الطريق سيجدون الطريق غدا .. حين يجدونه في واقع سلوكى مطبق .. حين يجدون مجتمعا إسلاميا .. يعيش الإسلام حقا .. يعيش « لا إله إلا الله محمد رسول الله » مع بقية أركان الاسلام .. عندئذ فإن الجادين في البحث عن الطريق سيجدون الطريق أمامهم . وسيدخلون في دين الله أفواجاً . متى يحدث ذلك ؟؟ .. ذلك غيب .. ولكنا نرى بشائره منذ اليوم ..

ثم نستبشر ونختم حديثنا اليوم بهذه البشرى التى جاءت عل لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يتحدث بلسان الوحى :

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الفرقد فانه من شجر اليهود (م - عن أبي هريرة) .

وفي إحدى روايات الحديث .. رواية عجيبة ، بالنسبة لنا .. ولا عجب في الوحى .. في إحدى روايات الحديث « أنتم شرقى الأردن وهم غربيه » .. فيتحدد مكان المعركة بالضبط .. المعركة التى نتهيأ بوادرها اليوم .. وقال واحد من الصحابة « ما كنا ندرى ما الأردن حتى سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الحديث » .

إنها لبشريات .. وما أقول أبداً إن الواقع الحالى مشرق مريح للأعصاب .. بل أقول : إنه يكتنفه الظلام .. تكتنفه العقبات .. تكتنفه المشقات .. تكتنفه المشانق المعلقة للمؤمنين في كل مكان في الأرض .. نعم ولكن البشرى غالبة بإذن الله .. إنى أمد بصرى إلى القرن القادم وقرون تالية بإذن الله .. فأرى أن هذا البشير الذى ولد في نهايةالقرن الماضى سيكبر بإذن الله .. يترعرع كما وصف الله المؤمنين .

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراه ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) (الفتح /٢٩) .

يترعرع هذا الجيل بإذن الله ·· ويمتد هذا الخط على الأفق ·· فيلتقى بخط انهيار الحضارة المادية الكافرة فيكون النصر المؤزر بإذن الله ·· وتكون جولة جديدة للاسلام ·· يدخل فيها الناس في دين الله أفواجاً وتقوم المعركة الكبرى بين الإسلام وبين أكبر أعدائه ·· بين المسلمين وبين اليهود ·· فينتصر المسلمون بعون الله ·· وتكتب صفحة جديده للإسلام ·

ذلك ما خطر في نفسى من خواطر في مستهل القرن الخامس عشر أحببت أن أشرككم فيها ·· أحببت أن تشاركونى استبشارى بهذا القرن ·· لا على أنها مجرد أمانى ·· ولكن على رصيد من الواقع بإذن الله ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ·

اليورانيوم في الوطن الاسلامي

طالب الدكتور عدنان مصطفى الأمين العام المساعد لمنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط (الاوبك) ببدء التحرك العربي لحيازة التقنية النووية تمهيداً لاستغلالها في تلبية الطلب المستقبلي على الطاقة في الوطن العربي ·

وقال في ورقة العمل التي تقدم بها الى المؤتمر العربي الرابع للثروة المعدنية أن أي قرار يتخذ بشأن استغلال الطاقة النووية لابد له أن يستند الى المعرفة التامة بمقدار وفرة مصادر الوقود النووية المقرر تشغيلها لتوليد الطاقة المطلوبة · وحث الدكتور مصطفى المنظمة العربية للثروة المعدنية ومنظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط على التعاون لتحقيق رؤية عامة لمصادر اليورانيوم العربية ·

وأشار الى وجود جهود جادة ومنهجية لاستكشاف وتقييم وجود اليورانيوم في مناطق محدودة في الجزائر والمغرب وموريتانيا والصومال ومصر وفي العام الماضي تم توقيع عقود عديدة لاستكشاف الاورانيوم في السعودية والسودان والاردن ·

وتذكر ورقة العمل أن مجمل الاحتياطي العربي المؤكد لاوكسيد اليورانيوم يقدر بحوالي ستين ألف طن إلا أن استخلاص اليورانيوم من الفوسفات الذي دخل في حيز الاستغلال الاقتصادي يرفع الكميات الممكن استخلاصها كنتاج ثانوي من الفوسفات الرسوبي العربي الى ٣٫٦ ملايين طن ·

الرائد الهندية

وسائل التربية الاسلامية

لفضيلة الدكتور عباس محجوب
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة بالجامعة

وابتغاء الوسيلة كما قال قتادة : التقرب اليه بطاعته والعمل بما يرضيه (١) (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) وكذلك يقول الله تعالى في حديثه القدسى الذى رواه أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها وان سألنى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » (٢) .

وقد تتخذ عدة وسائل لغاية واحدة حتى اذا لم تفد الوسيلة الواحدة لجأ الانسان الى الأخرى بطريق التدرج كما في آية النشوز (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) (النساء /٣٤) .

كما دعا الاسلام الى اتخاذ الوسائل الطيبة للسلوك غير الحسن ، ولمواجهة الشر (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) (فصلت /٣٤ ، ٣٥) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ص٥١ . الاسراء ٥٧ .
(٢) رواه البخارى - رياض الصالحين ص١٨٦ .

وقد يكون الهدف المطلوب من الواجبات الأمر الذى يجعل الوسائل أيضا في درجتها ولذلك رأى العلماء أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب أيضا ٠

لذلك كله اختلفت وسائل التربية وتعددت فيما سنفصله الآن ......

أولا ـ الوســــائل الذاتيـــة :

تقتضى التربية الذاتية للانسان نوعا من الوعى الفكرى والمعرفة بأهمية القواعد الصحية والأخلاقية والجسمية في استمرارية التربية التى يحتاج الانسان اليها مدى الحياة وأول وسائل التربية الذاتية مراقبة الانسان لنفسه وجعل ضميره حيا يقظا متحركا وهذه الوسيلة داخلية تحدثنا عنها في حديثنا عن القلب وتوجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للانسان أن يستفتى نفسه فما اطمأنت نفسه اليه كان حسنا وما حاك في الصدر تجنبه والضابط لهذا الاستفتاء القلبى أن يكون القلب يقظا على صلة بالله دائما بالعبادة والدعاء والاستعانة على الخير والاستنجاد من الشر كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل دائما في دعائه المستمر في كل حركة من حركاته كما أن الالتزام بالفضائل يجعل المرء قوى الصلة بالله ، ويرى بعض العلماء أن من وسائل التربية الذاتية أن يتخذ الانسان لنفسه شيخا يعينه على التربية وينصحه ويوجهه ولا يشترط الاتصال المباشر بل قد يكون عن طريق الاطلاع على مؤلفاته وان كانت العلاقة الشخصية هى المطلوبة عملا بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) (النحل /٤٣) ونسبة لتعذر الملازمة للشيوخ الناصحين في الدين المشتغلين بتهذيب العباد فان التجارب الشخصية النابعة من مخالطة الناس تساعد على تربية النفس لأن المؤمن مرآة أخيه فاذا علم صفات سيئة في الناس اتفقوا على سوئها وكراهتها أبعد نفسه عنها ، كما أن قوة الارادة والعزم على فعل الخير وممارسته من الوسائل التى تدفع الانسان الى السير في طريق الخير ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ان أحب الأعمال الى الله أدومها وان قلت » (١) ٠ والأيمان بالله الذى يصدر عنه الفعل من احساس بالواجب وحب للفضائل وترك للرذائل من وسائل تربية النفس والذى يساعد على ذلك كله أن تكون صحبة الانسان للأخيار من الناس ٠

ولذلك يرى الغزالى أن تزكية النفس تتم بأمرين الأول ـ الابتعاد عن المعاصى ثم ممارسة الطاعات والعبادات ٠

وتجرى عملية التزكية باتخاذ الوسائل السابقة في الارتقاء بالنفس من النفس الامارة بالسوء الى النفس اللوامة التى تستقبح المعصية وتلوم صاحبها بعد أن كانت لا تحدثه الا بالسوء ولا تأمره الا بالمعصية ثم ترتفع النفس إلى مقام الملهمة التى ألهمها الله الخير والشر

---

(١) رواه بخارى ومسلم ٠

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) (الشمس /٨،٧) ثم ترتفع درجة الى مستوى النفس المطمئنة الراضية بقضاء الله وقدره ثم كانت نفسا راضية باطمئنانها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلى جنتى) (الفجر /٢٧ ـ ٣٠) فهى قد دخلت أخيرا في زمرة العباد الذين قال الله عنهم (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) (الحجر /٤٢) والجنة جنتان جنة الدنيا وهى المعرفة والعلم والحكمة ٠

والانسان بتزكيته لنفسه يحرر نفسه من الخضوع للشهوات والرغبات ويرتقى الى مقام العبودية لله ٠

ثانيـــــا : الوسائل الاجتماعيـة : وتتمثل في : ـ

١ ـ الرفقة الصالحة :

الانسان بطبيعته متأثر بغيره آخذ عنه سواء أحس بذلك أم لم يحس خاصة في مراحل الصبا فالرفقة الصالحة وهم الذين يسمون : (بشلة الرفاق) هم من وسائل التربية الأخلاقية والنفسية والعقلية للناشئة وواجب الآباء أن ينتقوا لأبنائهم هذه الرفقة بطريقة غير مباشرة من أصدقائهم الصالحين لأن صداقة الآباء تقتضى الزيارة والخروج في رحلات تعمق الصلات بين الأبناء وعن ذلك يقول ابن سيناء : (أن يكون الصبى في مكتبه مع صبية حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم لأن الصبى عن الصبى القن وهو عنه آخذ وبه آنس) (١) ٠

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) (٢) وعن تأثير الصحبة في الانسان ذلك الحديث الذى سبق أن ذكرناه عن الجليس الصالح والجليس السوء والمقارنة بينهما وقد بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم نتيجة مصاحبة الأشرار وتخلى بعضهم عن بعض واتهام كل للآخر بأنه سبب ضلاله وكفره فالشيطان يقول (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) (ق /٢٧) ويقول (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ، وكان الشيطان للانسان خذولا) (الفرقان ٢٨ ـ ٣٠) ويحذر الله سبحانه من شياطين الجن وشياطين الانس من الرفاق وأصحاب السوء لأنهم يوحون الى بعضهم زخرف القول غرورا …

ان على الآباء أن يراقبوا ابناءهم وان يوجهوهم من غير اشعارهم بذلك لأن الأوامر والنواهى ومنع الأطفال من مصاحبة من في سنهم يؤدى الى نتائج غير كريمة وعلينا أن

---

(١) الابراشى التربية الاسلامية ص٢٣٠ ٠

(٢) رواه الترمذى ٠

نشجعهم على صحبة من نعجب بسلوكه من أصدقاء حيه أو دراسته وأن ننبهه الى عدم مصاحبة من نرى اعوجاجا في سلوكه مع اقناعه بذلك عن طريق الواقع والمنطق ويقول الغزالى (ويمنع الطفل من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والشتم وعن مخالطة من يجرى على لسانه شىء من ذلك فان ذلك يسرى لا محالة من قرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء) (١) .

القـــدوة الحسنـــــة :

ينشأ الطفل فيجد أمامه شخصية والده تؤثر فيه وتثير عواطفه ثم يجد شخصية المربى الذى يعجب به الطفل ويتأثر بأفكاره ، ومعلوماته ، لذلك كان واجب الآباء والمربين أن يقدموا النموذج الطيب والأسوة الحسنة أمام الأطفال الذين يتعلقون بشخصياتهم ويدفعونهم الى السلوك الطيب عن طريق التأثير فيهم فكلاهما يمثل بالنسبة للطفل القيم الساميه والعواطف الطيبه الأمر الذى يجعل دورهما في حياة الطفل كبيرا فاذا تمثلت فيهما معانى الشجاعة والعفة والكرم والمروءة ، والصدق والأمانة قولا وفعلا نشأ الأولاد على ذلك أما اذا وجد ذلك في أقوالهم ودعوتهم لهم من غير أن يتمثلوه في حياتهم نشأ الطفل على عكس تلك الفضائل وفقد الثقة في سلوك أحب الناس اليه ومثله الأعلى في الحياة ولذلك حذر الله سبحانه وتعالى من أن يأمر الناس بالبر من ينسون أنفسهم وأن يقولوا مالا يفعلون وقد توعد الرسول صلى الله عليه وسلم هذا النوع بعذاب أليم يوم القيامة حيث يسأله الناس الم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيجيب بأنه كان يأمر بالمعروف ، ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه - والقرآن يخبرنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى اتصف بأعلى الكمالات وأنبل الصفات التى عرفتها البشرية هو قدوة حسنة للبشر قاطبة خلقه القرآن ومؤدبه ومربيه رب العالمين (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الأحزاب /٢١) ولأن التربية تحتاج الى القدوة العليا التى يقاس عليها فان الله سبحانه جعل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم النموذج الذى يهتدى به الناس والسراج الذى يضيئون به حياتهم ان اطاعه الناس اهتدوا وان خالفوه ضلوا (وان تطيعوه تهتدوا) (النور /٥٤) ، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مثال للقدوة النادرة في الجاهلية والاسلام في مجال الكرم والتواضع والحلم والشجاعة والقوة والثبات على الحق والصبر والجهاد والإيثار فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون في رمضان وكان أزهد الناس فهو لم يشبع ثلاثة أيام تباعا وكان أكثر الناس تواضعا يأكل من عمل يده ويجيب دعوة من دعاه يجلس حيث ينتهى بأصحابه المجلس يرقع ثوبه ويخيط نعله ، يحلم عن المسىء ويعفو ويصفح بما لم يحدث في التاريخ حين قال لقريش (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وكان أشجع الناس ، وأقواهم يتقى به أصحابه اذا

---

(١) الاحياء ج ٣ ص٧٣ .

حمى الوطيس واحمرت الحدق ، ثبت على مبدئه حين عرضت قريش على عمه ما عرضت . ولذلك كله ولغير ذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى للمربين والمتربين كما كان أصحابه الاجلاء رضى الله عنهم القدوة بعده في الصفات السابقة كما دعا الى التأسى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم) وقد كانوا كما قال عنهم عبد الله بن مسعود ابر الأمة قلوبا وأعمقها علما واقلها تكلفا وأقومها هديا وأحسنها حالا . ان الطفل يكون أكثر الناس حاجة الى القدوة الحسنة في حياته الأولى الأمر الذى يضع على كاهل المحيطين به عبء كبيرا فالطفل يعتقد أن ما يفعله والده ومدرسه هو الحسن والخير وان ما يتركه الوالد والمدرس هو القبيح والشر . والطفل مطبوع في هذه المرحلة على المحاكاة والتقليد وتنطبع في نفوسهم كل الصفات التى كانت سلوكا لأسوتهم .

وليس معنى هذا اقتصار القدوة في السلوك على الآباء والمربيين انما تتمثل القدوة في المجتمع كله بمؤسساته : البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فاذا وجد في قطاعات المجتمع القدوة الصالحة كانت التربية ناجحة لأن الطفل لا يحس بالتناقض في الأخلاقيات أو التباعد في السلوك بين أنشطة المجتمع الموجهة .

ان القدوة الحسنة من الآباء والمربين ومؤسسات المجتمع من أهم العوامل الموثرة في التربية والهادية الى الخير والمهيئة للفرد النافع للمجتمع والحياة .

ثالثـــــا ـ الوسائل العاطفيـــــة :

عرف بعض الدارسين العاطفة بأنها (عبارة تركيبية انفعالية (تجمع بعض الانفعالات الموجودة أصلا في نفس الفرد) هذه الانفعالات تنتظم فيما بينها ثم تدخل في تركيب جديد ، لم يكن موجودا من قبل . ان هذه التراكيب أو المجاميع الجديدة تكسب الحياة الانفعالية المتقلبة قدرا من الانسجام وقد تتجمع من جديد في مجاميع أوسع وهذه بدورها حين تتجمع ثانية في نظام واحد شامل متناسق ، تكون ما نسميه بالشخصية ، ان العواطف الثابتة تعطى الحياة الوجدانية نظاما واتساقا نحو أهداف بالذات وان عاطفة قوية كافية لتجديد نشاط الفرد واتجاهه في حياته . فالعواطف تلعب دورا هاما في حياة الانسان وهى مصدر معظم دوافعنا وجهودنا) (١) . ولذلك كانت العواطف وتكوينها في الانسان من أهم ما اهتم به المربون ، فالحب والكراهية تكونان عناصر العاطفة في الانسان ومهمة التربية عاطفيا هى توجيه عاطفة الحب الى أنواع الفضائل والسلوك المراد غرسها في النفوس وتوجيه عاطفة الكراهية الى أنواع الرذائل والسلوك المراد ابعاد النفوس عنها كما أن الرغبة عاطفة تبعث على الحب والرهبة عاطفة تبعث على الكراهية فان دورهما في التربية كبير .

---

(١) د . مصطفى فهمي ـ الصحة النفسية ص٣٤٨ .

ولذلك ركز القرآن الكريم على مخاطبة العواطف الانسانية في جانبيها الايجابى والسلبى اذ أن الجانب الايجابى يمثل العواطف الخيرة بينما السلبى يمثل العواطف الشريرة .

فمن الجانب الايجابى : حديث القرآن عن الضعفاء والمساكين وأهمية العطف عليهم (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) (الضحى ٦ ـ ١١) ، ومن الحض على العفو والتسامح والصفح مع القدرة والأمثلة كثيرة في القرآن ومنه العطف على الوالدين (إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) (الاسراء /٢٣،٢٤) ، والآيات كثيرة في ذلك ومنه أيضا أحاديث الجهاد والتحكم في الانفعالات والإخلاص والتفانى في سبيل الله والجماعة وما الى ذلك من العواطف الانسانية السامية التى تعالج جوانب الروح والاخلاق والسلوك .

أما الجانب السلبى : الذى يعالج العواطف المنحرفة المتصلة بالسلوك والأخلاق فكثيرة أيضا مثل ذم الرذائل والموبقات والشح والبخل والنفاق والحقد والغرور والكراهية والطمع والجشع وحب المال والدنيا والأثرة والأنانية وغيرها وغيرها من جوانب السلوك غير الانسانى وغير الأخلاقى والتى تدل على جوانب نقص في الشخصية وقصور في النضج السلوكى والأخلاقى .

ان العاطفة وسيلة تربوية فعالة عندما تكون وسائط التربية كلها نماذج حية طيبة للعواطف السامية والأخلاق النبيلة ولأن الطفل يعيش في حياته الأولى على الاقتناع بالأشياء المحسة المشاهدة فان تكوين عاطفة الحب للفضائل أو الرذائل لا يكون بالدروس المجردة انما بالثناء على كل عمل طيب يأتيه والمكافأة عليه ، والاستنكار لكل رذيلة يأتيها أو يشاهدها والعقاب عليه فاذا وصل الطفل الى مرحلة فهم المجردات كان الاهتمام بالمثل العليا والعواطف السامية وتكوين الاتجاهات الطيبة نحوها ولذلك ركزت التربية الاسلامية فى تكوين هذه العواطف على محبة الله والارتباط به وحبه للمتقين والمحسنين وكراهيته للعصاة والظالمين ولذلك استعمل القرآن والسنة عدة أساليب في ذلك منها :

(١) القصص والتاريخ :

(والقرآن يستخدم القصص لجميع أنواع التربية والتوجيه التى يشملها منهجه التربوى : تربية الروح ، وتربية العقل ، وتربية الجسم ، والتوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس ، والتربية بالقدوة والتربية بالموعظة) (١) والقصة لها تأثير كبير في نفوس الصغار والكبار ولها القدرة على اثارة العواطف والانفعالات والاقناع الواقعى والعقلى والتوجيه نحو التفكير والتأمل ، فالله سبحانه استعمل القصة في القرآن كثيرا ليتعظ الناس منها وليثبت الرسول صلى الله عليه وسلم - (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) (هود /١٢٠) (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب) (يوسف /١١١) وهى كما أنها للعبرة تدعو الى التفكير (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (الاعراف /١٧٦) وقد أورد القرآن قصص الأنبياء لبيان الحق والباطل وموقف البشر من أنبيائهم والمكذبين بالرسالات والرسل وقصة البشرية ممثلة في قصة آدم وقصصا تمثل النفس الانسانية في حالاتها المختلفة من الضعف والقوة والرغبة والرهبة والعدل والظلم والإيثار للحق والتمسك بالعفة ٠ وتهدف هذه القصص كلها من الناحية التربوية الى :

١ ـ حال البشرية وموقفها من الرسالات والرسل وفيها عظة وعبرة للناس وتقوية وتثبيت للرسل ٠

٢ ـ وجوب ايثار الحق على الباطل مهما عظم وتجبر وتوعد واللجوء الى الله كما في قصة أصحاب موسى ٠

٣ ـ نموذج للشباب في العفة والتمسك بها ومراقبة الله والصمود أمام الشهوات والرغبات كما في قصة يوسف وقصة آدم ٠

٤ ـ نماذج من لحظات الضعف البشرى حينما يستسلم لها الانسان وينسى كما في قصة آدم أيضا موسى وفتنة سليمان وداود ٠

٥ ـ أسباب زوال الأمم وزوال الحضارات والمدنيات وهى الظلم والفساد والتجبر والطغيان وغيرها كما في قصص قوم لوط وثمود وابراهيم وأصحاب مدين وغيرها من الأمم التى ذهبت لتحلّل أخلاقها وانحرافها عن جادة الطريق ٠

---

(١) محمد قطب منهج التربية الاسلامية ص٢٢٩ ٠

(٢) الترغيب والترهيب : المثوبة والعقوبة :

عواطف البشر نحو الفضيلة والرذيلة مرتبطة بالترغيب والترهيب فتوجيه الانسان نحو حب الفضيلة لأن الفضيلة خير تتحقق به سعادة الانسان في الدنيا والآخرة والرذيلة شر يؤدى الى الهلاك في الدنيا والآخرة والمثوبة والعقوبة وسيلتان للترغيب والترهيب ٠ فاذا اختزن فعل الفضيلة في ذهن الطفل بالمثوبة وادخال الفرح والسرور في نفسه ماديا أو معنويا نشأ على حب الفضيلة كما أن ارتباط الرذيلة بالعقوبة والحرمان والتأنيب عدم الرضا ينشئه على كراهية الرذيلة ، ولذلك يرى علماء النفس أن توفر عامل الجزاء مهم لان الانسان لا يكرر الاستجابات التى لا تؤدى الى نوع من الترضية أو الجزاء أو الاشباع وكلما كان الجزاء واضحا دفع الانسان الى الحركة والنشاط واشباع الدافع ٠

ومن اسلوب الثواب والعقاب يقول الغزالى (اذا ظهر من الصبى خلق جميل ، وفعل محمود فانه ينبغى أن يكرم عليه ويجازى عليه مما يفرح به ويمدح امام الناس لتشجيعه على الأخلاق الكريمة والأفعال الحميدة ، واذا حدث منه ما يخالف ذلك ، وستره الصبى واجتهد في اخفائه ، تغافل عنه المربى وتظاهر بأنه لا يعرف شيئا عما فعل حتى لا يخجله ، فان عاد ثانية الى الخطأ عوقب سرا وبين له نتيجة خطئه ، وارشد الى الصواب وحذر من العودة الى مثل هذا الخطأ ، خوفا من أن يفتضح أمره بين الناس) (١) فالغزالى يسبق علماء النفس التربويين في أنه لا بد من التدرج في الجزاء وان هناك جزاء ثانويا يتمثل في التشجيع والمكافأة والعتاب والتحذير والارشاد باللين الى الخطأ ـ هذا الجزاء له أثره الكبير في التربية والتعلم ولا يترك آثارا سلبية كما في الجزاء الأولى ، وفي تأييد هذه النظرية المثوبة والعقوبة يقول ابن سينا (انه من الضرورى البدء بتهذيب الطفل ، وتعويده ممدوح الخصال منذ الفطام ، قبل أن ترسخ فيه العادات المذمومة التى يصعب ازالتها اذا ما تمكنت في نفس الطفل اما اذا اقتضت الضرورة الالتجاء الى العقاب فانه ينبغى مراعاة منتهى الحيطة والحذر فلا يؤخذ الوليد أولا بالعنف وانما بالتلطف ثم تمزج الرغبة بالرهبة والمثوبة والعقوبة والنصح والتهديد ولأنها وسيلة اقرب الى عقلية الصغار وتجاربهم وخبراتهم المحدودة ولذلك استعملها لقمان مع ابنه كما حكى القرآن (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لى ولوالديك الىّ المصير ، وان جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون

---

(١) الأحياء ج ٦٣/٣ ٠

يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور ، واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) (لقمان ١٣،١٢) .

والموعظة للكبار أيضا في مناسبات يحتاجون اليها خاصة اذا كان الأمر متعلقا بالعقيدة (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) (سبأ /٤٥) .

وقد يعتاد الكبار على الموعظة المباشرة فيملونها ولا يستمعون اليها أولا تترك الأثر العاطفى عندهم وقد ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخولهم بالموعظة أى يعظهم فترة بعد أخرى ، ولذلك استعمل القرآن أساليب كثيرة متعددة للوعظ . فالقرآن كله هدى وموعظة للناس (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) (آل عمران /١٣٨) والموعظة وسيلة من وسائل الدعوة الى الله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل /١٢٥) .

ولا يستفيد بالموعظة الا المؤمن الكامل الايمان (ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) (الطلاق /٢) .

وقد تميز أسلوب القرآن في المواعظ بعدة أساليب منها :

١ ـ النداء الاقناعى مصحوبا بالاستعطاف والاستنكار (١) مثل (يا بنى) (يا مريم) (يانساء النبى) (ياقومنا أجيبوا) (يا أيها الذين آمنوا) (يأهل الكتاب) (ياأيها الناس) .

٢ ـ الاسلوب القصصى مصحوبا بالعبرة والموعظة كما في قصص الأنبياء وغيرها من قصص القرى والأمم .

٣ ـ التوجيه القرآنى مصحوبا بالوصايا والمواعظ والأوامر والتوجيهات والنواهى وغيرها مما هو كثير في القرآن والموعظة كما يقول الاستاذ محمد قطب درجات تتفاوت بدرجات الناس فهناك من تنفع معه الاشارة البعيدة ومن لا يصلح معه الا الغضب والتهديد ومن يكفيه التهديد ـ بالعذاب (٢) .

---

(١) يراجع كتاب عبد الله علوان : تربية الأولاد في الاسلام ص٧٣ وما بعدها .

(٢) راجع محمد قطب ـ منهج التربية الاسلامية ص٢٣٦ .

رابعـــــا : الوسائل العقليـــــــــة :

لم تعتمد التربية في الاسلام على الوسائل العاطفية أو الوجدانية أو الاجتماعية وانما اعتمدت على الوسائل العقلية باعتبار العقل من النعم التى أنعم الله بها على الانسان وميزه به عن الحيوان ويمكننا أن نلمح هذه الوسائل في جوانب كثيرة منها :

١ ـ **التربية الفكريـــة :** والتربية الفكرية تهدف الى اخضاع العقل للتدريب والتمرين حتى يقوى فيه ملكة التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال والرؤية الصادقة والبصيرة النافذة ويمكن تدريب العقل بتقديم الحقائق العلمية على أساس أهميتها في الحياة وتقييمها للسلوك واستعمالها في طريق الخير والتفاعل معها بحيث تكون جزءا من حياة الشخص ثم تجربة تلك الحقائق مع واقع الحياة ليرى مدى فائدة الحقائق العلمية اذا ما استعملت في حياة الانسان وأهمية التربية الفكرية انها تزيد من قدرات الفرد على الادراك والتكيف وتقبل الحقائق والقيام بالواجبات كما أنها تهيىء مجالا لنمو الذكاء وارتفاع معدلاته بحيث ان الشخص الذكى يكون أقل عرضة للمشكلات التى تدفع الى الانحراف أو الجريمة لأن قوة عقله ينبهه الى الطريق القويمة والنتائج المترتبة على الانحراف السلوكي وعن طريق التربية الفكرية تحصل القناعة التى تجعل الفرد متمسكا بالخير لأنه خير ومبتعدا عن الشر لأنه شر وأنه لا تعارض بين ما يقرره المنطق والعقل وما يطالب به المرء دينيا من الالتزام بسلوك أخلاقى ثابت ومعروف في حياته .

٢ ـ **تكوين البصيرة :** يقول الله تعالى في كتابه العزيز (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) (آل عمران /١٦٤) والعلاقة وثيقة بين الحكمة والبصيرة فكلاهما من أعمال القلب والعقل وقد وصف الله سبحانه وتعالى الانسان بأنه على نفسه بصيرة والبصيرة هى القدرة الى النفاذ الى الأشياء ومعرفتها وحسن تقديرها والقدرة على التصرف فيها ولما بين البصيرة والحكمة من علاقة قوية دعا الله سبحانه الى اتخاذهما وسيلتين في الدعوة اليه فقال (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل /١٢٥) كما قال (قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (يوسف/١٠٨) . ومن هنا فان تكوين البصيرة في قلب المؤمن غاية من غايات التربية ووسيلة من وسائلها أيضا ولذلك يقول الله تعالى (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر لنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (الأنعام /١٠٤) والبصيرة والحكمة بمعنى التمييز بين الحق والباطل والصواب والخطأ عن طريق الاحساس الداخلى أو الوجدان من هبات الله على الناس . فالله سبحانه وتعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) (البقرة /٣٦٩) لأن الحكمة

(هى نفاذ البصيرة الى سنن الحوادث ومجريات الأمور ، واتقان العمل والتصريف ، دون صدام مع قوانين الظواهر في ضوء ظروف العصر الذى تواكبه لدى الفقيه القدرة على استنباط التشريعات والأحكام اللازمة في ميادين الحياة المختلفة حسب الظروف والأحوال ، وهى لدى القائد فهم معنى الجهاد والوقوف على منطلقاته وأهدافه وتنظيماته وحسن التعامل بذلك كله حسب المواقف والمتطلبات ، وهى لدى المربى المسلم فهم مبادىء التربية وأهدافها ومناهجها وأساليبها واتقان التعامل بذلك · وهى لدى الإدارى حسن تصريف الأمور · وهى لدى القيادة السياسية حسن التخطيط والتنفيذ في الداخل والخارج ـ وهى لدى الأمة ادراك معنى وجودها واجادة تنظيم هذا الوجود ووضعه برمته ومقدراته في خدمة الرسالة الاسلامية وبالتالى فالحكمة هى فهم كل فرد أو جماعة في الأمة لدوره واتقان أداء هذا الدور طبقا لمقاييس الاسلام ومنطلقاته) (١) ·

ودور التربية انها هى التى تبصر بالحقائق المتعلقة بوجودها ورسالتهم وهى التى تربى فيهم البصيرة والحكمة وتدعوهم بهما (وابصرهم فسوف يبصرون) (الصافات /٦) واذا كان البصر مجاله الادراك ـ المادى للأشياء فان البصيرة تمثل الادراك القلبى للأشياء (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) (النحل /٤٦) ·

وذلك لأن البخل وعدم الانفاق من طبائع النفوس كما أن الغضب وحب الانتقام كذلك ، ولذلك جعل الرسول القوى من الرجال الذى يملك نفسه عند الغضب والأحاديث كثيرة في فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكل والمشرب وغيرها وكلها تؤدى الى تقوية الارادة في جانب التغلب على شهوات البطن والفرج فالرسول عليه الصلاة والسلام وآله لم يشبعوا من خبز شعير يومين متتابعين حتى مات كما روت عائشة · ولأن الانفاق عامل من عوامل تقوية الارادة وعقاب النفس قرر الاسلام الزكاة في مقادير معلومة من المال (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (التوبة /١٠٣) وجعل المال كفارة لكثير من ـ الكفارات كما حث على الانفاق تفضلا وتدريبا للارادة المتغلبة على غرائز النفس حبا للخير ، ومحاربة للرذائل وايثارا للغير على النفس لأن تكاليف الاسلام كلها لا يقوم بها الا شخص قويت ارادته وعزيمته بحيث يبدأ من التكاليف التى تحتاج الى جهد بسيط لتتدرج في الوصول الى التكاليف التى تحتاج الى تضحية بالنفس والمال والحياة كلها في سبيل الله ·

---

(١) ماجد الكيلانى النظرية التربوية الاسلامية ص٥١ ·

٣ ـ **الصبر** : الصبر وسيلة كبرى من وسائل تربية الارادة وتقويتها وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة في ذلك منها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران /٢٠٠) ، وعن الآية يقول الحسن البصرى « امروا أن يصبروا على دينهم الذى ارتضاه الله لهم وهو الاسلام فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء حتى يموتوا مسلمين وأن يصابروا الاعداء الذين يكتمون دينهم » وهذا من الصبر على الطاعات وعلى الصلاة ، والتكاليف كما أن الصبر يكون على البلاء (١) (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين) (البقرة /١٥٥) وانما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر /١٠) (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) (محمد /٣١) والرسول عليه الصلاة والسلام يقول (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن : ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) (٢) والصبر من أنواع البر التى ذكرها الله تعالى (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) (البقرة /٧٧) ولأن الصبر يقوى الارادة .

قال الله تعالى (ولمن صبر وغفر فان ذلك من عزم الأمور) (الشورى /٤٣) والله مع الصابرين (استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) (البقرة /١٥٣) والصدقة برهان والصبر ضياء ولا يكون الصبر الا بمجاهدة النفس وأخذها على التحمل وطلب العون عليه من الله سبحانه وتعالى لأن (من يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

وتارة يستخدم العبوس ، أو ما يستدعيه التأنيب ، وتارة يكون المديح والتشجيع أجدى من التأنيب ، وذلك وفق كل حالة خاصة ، ولكن اذا أصبح من الضرورى الالتجاء الى الضرب ، ينبغى ألا يتردد المربى على أن تكون الضربات الأولى موجعة فان الصبى يعد الضربات كلها هينة ، وينظر الى العقاب نظرة استخفاف ، ولكن الالتجاء الى الضرب لا يكون الا بعد التهديد والوعيد ، وتوسط الشفعاء لأحداث الأثر المطلوب في نفس الطفل) (٣) .

فالمثوبة والعقوبة وسيلتان ناجحتان في تكوين عاطفة الرغبة والرهبة إزاء الفضائل والرذائل سواء أكانت المثوبة والعقوبة ماديتين أو أدبيتين كما ان الترغيب والترهيب وسيلتان

---

(١) ابن كثير ج١ ص٤٤٤

(٢) رواه مسلم .

٣) نقلا عن الابراشى التربية الاسلامية ص٢٣٣ .

تربويتان تدفعان الفرد الى انماط من السلوك اعتمد عليهما القرآن والسنة في دفع الناس الى تطبيق كثير من التعاليم الاسلامية · ولذلك دعا الاسلام الى تخير الصحبة والاكثار من ذكر الله والعبادات بأنواعها لما لها من نتائج ترغب في ممارستها وحذر من المعصية والبعد عن الله لما لها من نتائج ترهب الممارس لها ، والترغيب والترهيب من المراحل الأولية في تزكية النفس وتهذيبها اذ الخوف من المعصية بما يترتب عليها من عذاب وعقاب من الله تكون البداية ثم تتعود النفس عن طريق الممارسة حتى تصل الى درجة الا بتعاد من المعصية لقبحها كما أن حب الفضيلة والاستقامة والطاعة تكون لما يترتب عليها من جزاء حسن ومثوبة عند الله حتى يصل المرء الى درجة الاحسان وحب الفضائل لذاتها ومثل هذا يصل الى درجة من يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ·

٣ ـ الموعظـة الحسنـــة :

للموعظة الحسنة تأثير عاطفى كبير في الانسان لما لها من نفاذ الى القلوب واصغاء من الوجدان وسيطرة على المشاعر خاصة اذا كانت في بيئة صالحة وقدوة محترمة معايشة ، ولما للموعظة من أثر فان القرآن اتخذها أسلوبا في مخاطبة الكبار والصغار ، أما الصغار فلأن الموعظة تجد عندهم انتباها وتركيزا واهتماما خاصة اذا ربطت بالترغيب والترهيب ويمكن للمعلمين أن يكونوا البصائر بما وجه اليه القرآن من التعود على التأمل والتفكير والتدبر والتعقل في آيات الله حتى يكون التمسك بالمبادىء والتعاليم التى فيها عن اقتناع ومعرفة تؤديان الى اطمئنان القلوب وخوفها وخشوع الجوارح وانقيادها ، والآيات التى تحض على ذلك كثيرة منها قوله تعالى : (افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) (الحج /٤٦) (ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) (آل عمران /١٩٠ ، ١٩١) والقلوب التى لا تعرف الحق بالتأمل والتدبر هى التى لا تعقل (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (محمد /٢٤) ·

(كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) (ص /٢٩) أما الذين لا يتدبرون ولا يتأملون وينصرفون عن وسائل الحق فهم كما حكى الله عنهم (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنون بها) (الأنعام /٢٥) وعدم التعقل والتدبر والاستماع الى الحق يؤدى بالمشركين الى النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) (الملك /١٠) ، أما الذين يترفعون عن فهم آيات الله وينصرفون عن الحق ويكذبون فان الله أيضا صارفهم عن الحق (سأصرف عن آياتى الذين

يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) (الأعراف /١٤٦) وبتكون البصيرة والحكمة في الانسان يتعرف الى الحق الذى أوجد الله سبحانه به الوجود وخلق به السموات والأرض لأن معرفة الحق هى التى تدفع الى التمسك به وبناء الحياة عليه (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) (الحجر /٨٥) والآيات بهذا المعنى والتعبير في القرآن كثيرة وعلى معرفة الحق تترتب نتائج معرفة خلق الانسان والوجود والمصير لقيام ذلك كله على الحق الذى نزل به القرآن (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) (الاسراء /١٠٥) ، كما أن البصائر نتائج للتفكير في عواقب الأفعال من المعاصى وما يترتب على الرذائل من هلاك للافراد والأمم والحضارات فالله يخبرنا بأن المعاصى هى التى تسببت في ضياع أمم وحضارات سابقة فيقول (ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) (الأنعام /٦) ويقول : (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) (يونس /١٣) كما أن المقارنة الدائمة بين الخير والشر والخبيث والطيب والصواب والخطأ يساعد على تكوين البصيرة في الانسان ولذلك نجد القرآن يكثر من المقارنات :

يبين المواقف والأشياء ، ويدعو القرآن أيضا الى استعمال العقل في قياس الأمور لأن ذلك من دلائل البصيرة ، وقد تميز أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة التى رباهم عليها مما جعل القياس عند المسلمين مصدرا من مصادر الشريعة بعد القرآن والسنة والاجماع ولولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مارس ذلك مع أصحابه فيما عهد اليهم من مهام ولا يجدون فيها نصا من كتاب الله لما كان للقياس تلك الأهمية مثل ما فعل سيدنا عمر في حد شارب الخمر عندما استشار فافتاه سيدنا على بالجلد ثمانين جلدة قياسا على حد القاذف لأنه اذا شرب سكر فهذى فافترى وحد المفترى القاذف ثمانون جلدة ومثل هذا كثير عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تميزوا به من نفاذ البصيرة والحكمة .

والتعود على الحقائق وممارستها من عوامل تكوين البصائر لأن الحقيقة تدل على جانب الخير في الفعل وجانب الشر فيه فيكون القرب والبعد مبنيان على معرفة حقيقة الخير وفائدته وسوء الشر وضرره ولا يستوى العالم والجاهل .

ان المربى يستطيع باخلاصه وادراكه للوسائل المتعددة لتكوين البصيرة والحكمة وممارسته لهما أن يساعد على بناء جيل راجح العقل حكيم متبصر متفتح يزن الأمور بميزان العقل والبصيرة لهم قلوب يعقلون بها وأذان يسمعون بها وأبصار ينظرون بها وبصائر يعرفون بها لأن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا .

٣ ـ تكوين الارادة :

الارادة قوة من القوى المحركة للانسان مرتبطة بالتصميم والعزم على فعل الشيء فعنها تصدر الأعمال الارادية للانسان ، ويرى البعض أن الارادة ميل النفس الى شيء ما وحملها على فعله ولكن الفرق واضح بين الميل والارادة لأنه قد يوجد الميل ولا توجد الارادة ، والارادة تشمل الميل والشعور والعزم ثم العمل ، والارادة هى القوى المحركة لملكات الانسان والدافعة لها الى العمل وللارادة نوعان من العمل فقد تكون دافعة للعمل وقد تكون مانعة تمنع الانسان من القول والفعل وأعمال الخير والشر في الانسان منبعها ارادته ولارتباط الارادة بالخلق (عرف بعضهم الخلق بأنه (عادة الارادة) يعنى أن الارادة اذا اعتادت شيئا فعادتها هى المسماة بالخلق فاذا اعتادت الارادة العزم على الاعطاء سميت عادة الارادة هذه خلق الكرم وقريب من هذا التعريف قول بعضهم هو تغلب ميل من الميول على الانسان باستمرار) (١) .

والارادة لها صلة قوية بالميول والبواعث والغايات والرغبات لأنها دوافع الى العمل ولانها تجتمع مع الارادة في جانب وتختلف في أخرى وقد ربطت التربية الاسلامية بين النية والارادة باعتبارها العزم على فعل الشيء والقصد التصميم القلبى عليه ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) (٢) .

والارادة لا بد أن تكون قوية دائمة بحيث تنفذ الأشياء التى يريدها مهما كلفها ذلك من متاعب ومشاق ومهما وضعت أمامها العقبات والصعوبات ومثل هذه الارادة لا تقوى الا اذا اعتمدت على عقيدة راسخة ثابتة لأن الارادة المبنية على العقيدة السليمة هى القوة المحركة للسلوك الناتج عنها كما أن التدريب على الفضائل ومعرفة قيمتها وممارستها وترك الرذائل ونبذها من مقويات الارادة ، قد تضعف الارادة أمام الشهوات وأهواء النفس والمغريات تفقد قوة الصمود أمامها تستسلم فتقع في المحظور وقد تكون الارادة قوية ولكنها مريضة أيضا لأن قوتها في الجانب السلبى جانب الشر ، وتوجيه هذه القوى والطاقة في الاجرام والانحراف والشذوذ .

---

(١) أحمد أمين كتاب الأخلاق ص٦٣ .

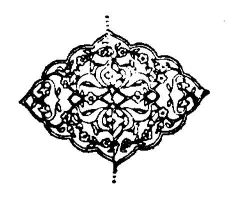
(٢) رواه البخارى ومسلم .

وسائل تكوين الارادة الخيرة وتقويتهـــــــــا :

١ ـ المران على فعل الخير والزام النفس بالأعمال التى تتطلب مشقة ومجاهدة للنفس لأن توفيق الله الانسان مرتبط بتلك المجاهدة فالله سبحانه يقول (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) (العنكبوت /٦٩) وفي الحديث « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » ورواية مسلم (حفت) بدل (حجبت) أى بينه وبينها هذا الحجاب فاذا فعله دخلها) (١) ٠

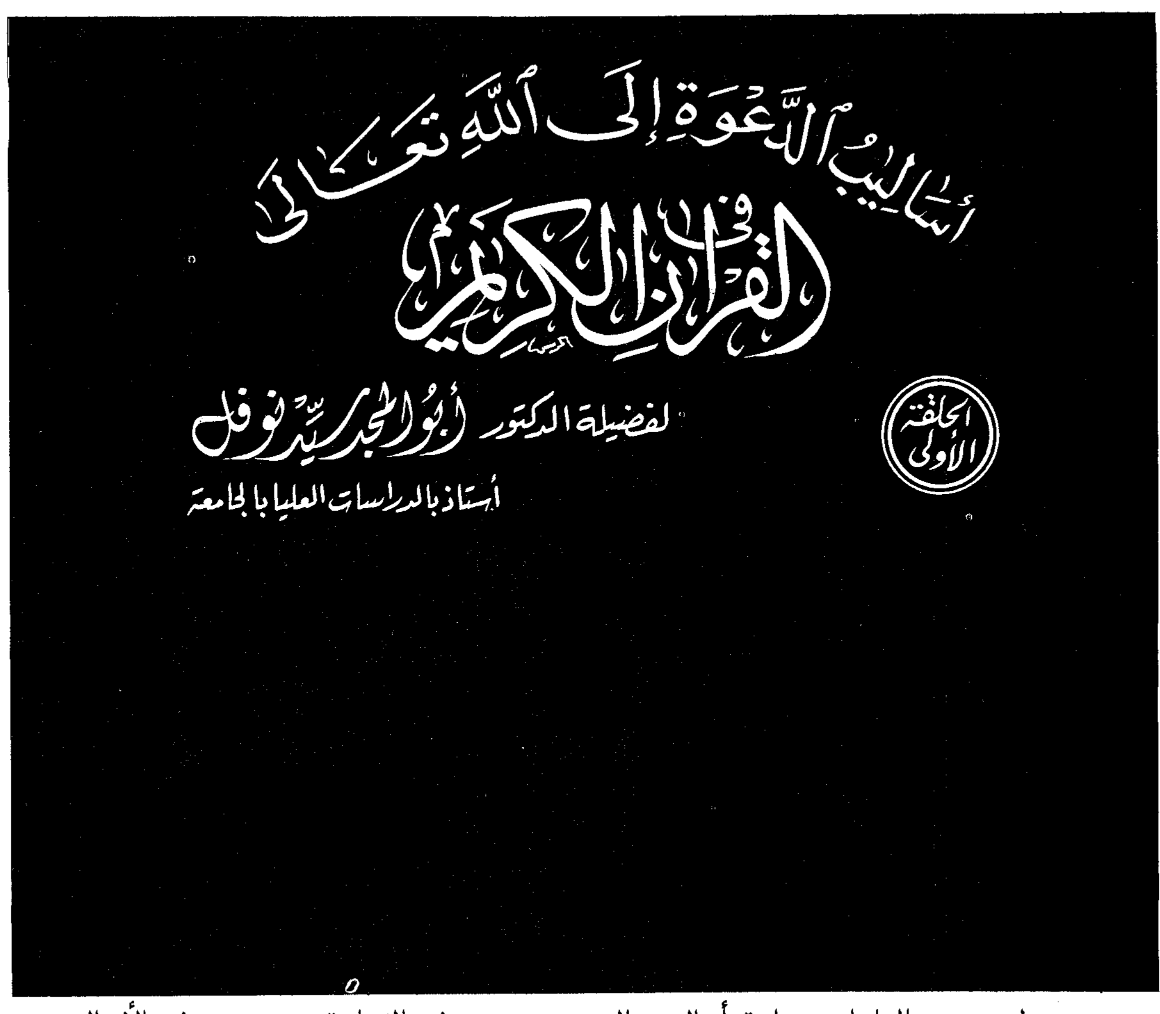
ومن المران الواجب لتقوية الارادة صوم رمضان كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصوم تطوعا ودعا الشباب الى الصوم في سبيل التغلب على قوة الطاقة الجنسية ، ولأن الاسراف في هذه الوسيلة قد يؤدى الى نتائج عكسية فان الرسول صلى الله عليه وسلم منع مواصلة الصوم ونهى عن التبتل ودعا الى بذل الجهد على قدر الطاقة ٠

٢ ـ المران على التغلب على الغرائز الفطرية في الانسان واخضاعها لقيود الدين والعقل والأخلاق والقواعد الصحية التى تكون المصلحة في اشباعها واعطاء الجسم حقه بالطرق المشروعة وعدم ترك النفس على هواها والله سبحانه وتعالى يقول (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (آل عمران /١٣٤) ٠



---

(١) متفق عليه رياض الصالحين ص٦١ ٠



ولقد عنى العلماء بدراسة أساليب الدعوة ، ومن هذه الدراسة تقسيمهم هذه الأساليب الى خبرية ، وانشائية ، وجدلية ، وبراهينية ، وقصصية .. الى آخر هذه التقسيمات التى حفلت بها كتبهم قديما وحديثا . وهى تقسيمات تدور حول الألفاظ ، والجمل ، والتراكيب اللغوية والأدبية .

ونستطيع هنا أن نضيف تقسيما آخر لهذه الأساليب ، وهو يدور حول المعنى والمضمون الدينى فاذا اشتمل الأسلوب على معنى من معاني الايمان مثلا فهو أسلوب ايماني ، واذا دار حول معنى عبادة من العبادات يبين أمرها ، وحكمها .. فهو أسلوب عبادى . واذا اشتمل على أحكام تشريعية أو خلقية ، أو جهادية .. فهو أسلوب تشريعى ، أو خلقى أو جهادى ...

وهكذا تظهر لنا أساليب عقائدية ، وعبادية ، وتشريعية في حقل الدعوة وأساليبها . على أن كلا من هذه الأساليب سيظهر في صور متعددة ، وفنون مختلفة ، كفنون القصة والمثل ، والمجادلة وما إليها من الأساليب التى أشرنا اليها قبلا .

وفي هذا النهج محاولة لضبط أساليبها ، وتوضيح معانيها وتكاملها .

٢ ـ ما هو أسلوب الـــدعوة ؟

والمراد بأسلوب الدعوة هنا ما بلغت به أوامر الله تعالى وارشاداته الى المدعوين وهو لا يخرج عما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ٠

وهو يجمع على « أساليب » وهو الطريق ، والوجه ، والمذهب ، ... وهو الفن : يقـــال أخذ فلان في أساليب من القول أى أفانين منه (١) ٠

وله تعاريف منها : أنه كلمات مناسبة في مواضع مناسبة ٠ أو هو الفن البياني الذى غايته قوة الأداء مع الصحة ، وسمو التعبير مع الدقة وابداع الصورة وجمالها (٢) ٠

ومنهـــا : أنه الكلام الحسن الذى يصفه بعض علماء البيان بقوله : (يحسن بسلاسته وسهولته وفصاحته ، وتخير لفظه ، واصابة معناه ، وجودة مطالعه ، ولين مقاطعه واستواء تقاسيمه وتعادل أطرافه ، وتشبه أعجازه بهواديه ، وموافقة مآخيره لمباديه ...) (٣) ٠

هذه هى صفات الكلام الحسن ٠ أما الكلام الأحسن فهو كلام الله تعالى الذى وصفه الله تعالى بقوله (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد) (الزمر آية ٢٣) ٠

ولقد أخذت هذه الأساليب بنفوس الكفرة ، وهم أرباب القول ، وفحول البيان ، فأعجبوا بها ، وافتتنوا بجمالها ، وشهدوا لها رغم عداوتهم للإسلام وبقائهم على الشرك ٠ روى أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، وأن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى) (٤) ٠

٣ ـ خصائص هذه الأساليب :

وأساليب الدعوة جزء من الدعوة ، والدعوة هى القرآن الكريم ٠ ومن هنا فهى متعبد بتلاوتها والتدبر فيها (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ...) (محمد آية٢٤) ٠

ـ وقد تعهد الله تعالى بحفظها ، وجمعها ، وبيانها ، (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ـ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ٠ ثم ان علينا بيانه) (القيامة آية ١٦ ـ ١٩) ٠

---

(١) لســـان العرب ٠

(٢) وحي القلم لمصطفي صادق الرافعي ٠

(٣) الصناعتين لأبي هلال العسكري ٠

(٤) ابن هشام جـ ١ ٠

وما دامت من عند الله تعالى فليس فيها تبديل ولا تحريف ، وليس لأحد ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه أن يغير فيها أو يبدل (ولو تقول علينا بعض الأقاويل · لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين · فما منكم من أحد عنه حاجزين) (الحاقة آية ١٦ ـ ١٩) ·

ـ وهى من عند الله تعالى بلفظها ومعناها باللغة العربية (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين · بلسان عربي مبين) (الشعراء آية ١٩٢ ـ ١٩٥) ·

ولقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحدى أمة البيان والبلاغة والانس والجن أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا ، ثم طلب منهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا ، ثم طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، فثبت أنه كلام الله لا كلام غيره (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فائتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين · فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (البقرة آية ٢٣ ـ ٢٤) ·

ولقد ظلت هذه الأساليب تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم تباعا ، وعلى مدى ثلاث وعشرين سنة حتى اكتمل نزول القرآن ، وهو الموجود الآن في المصاحف والمحفوظ في الصدور · وهي على هذه الكثرة الكثيرة من السور والآيات البينات (١) لم يحصل فيها تناقض واحد ، ولا غلط واحد ·· وظلت كذلك حتى اليوم وبعد أربعة عشر قرنا هي هي سليمة من أى تبديل أو تحريف ·· وذلك بعكس أساليب اليهودية والنصرانية (٢) ·

ـ وأساليب الدعوة في القرآن على تعدد صورها وألوانها ··· لم تصطدم مع العلم قديمه وحديثه ، العلم الصحيح القائم على المنطق السليم ، وأن ما في أحدث نظريات العلم من حقائق عن الكون ومظاهر الحياة المادية والإنسان ، والحيوان ، والنبات ···· لا يتناقض مع مافي

---

(١) أحصى بعض العلماء آيات القرآن الكريم فوجدها أكثر من ستة آلاف آية · انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطى جزء ١ ص٨٨ طبعة رابعة ·

(٢) أثبتت الأبحاث الدينية أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل . وأن التوراة الموجودة أو العهد القديم معظمها مجهودات بشرية . وأن أناجيل النصارى المعتمدة عندهم الآن لا تخرج عن انجيل مترجم جهل الأصل المترجم منه كانجيل متى . أو عن انجيل جهل كاتبه ولم يعرف على وجه اليقين · ومن هنا فهي كتب لا علاقة لها بالوحي . ومن ثم فقد وقع فيها التضارب والاختلاف · وقد أحصى بعض الباحثين الاختلافات في العهدين القديم والجديد وذكر منها مائة وعشرين اختلافا . كما أحصى الأغلاط وذكر منها مائة وعشرة من الأغلاط وأتى باستشهادات على التحريفات اللفظية ذكر منها خمسة وثلاثين شاهدا . وعلى التحريفات بالزيادة وذكر منها خمسة وأربعين شاهدا . وعلى التحريفات بالنقصان وذكر منها عشرين شاهدا . ثم ذكر كثيراً من المغالطات التي امتلأت بها هذه الكتب وذلك بالأدلة التى لا مجال فيها للطعن ـ انظر اظهار الحق لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندى الجزء الأول ·

القرآن الكريم من أساليب · بل هذه الأساليب بمعانيها العميقة لا زالت ولن تزال تؤيد العلم في اتجاهاته السليمة ، واكتشافاته لمظاهر الكون لمعرفة أسراره ، وذلك بعكس الأديان الأخرى التى عاشت في صراع مرير مع العلم حتى الآن · (١) ·

ـ وهذه الأساليب فضلا عن تأديتها مهام العبادات والتكاليف والأحكام الشرعية ··· هى أساليب جمالية ونصوص أدبية امتاعية ، تقوم اللسان ، وتعلم البيان ، وترقق المشاعر ·· وكلما قرئت اطمأنت بها النفوس ، واقشعرت منها الجلود خشية لله وخضوعا لعظمته (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد آية ٢٨) (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ···) (الزمر آية ٢٣) ·

ـ ومن مقومات هذه الأساليب أنها قامت على الحق (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ···) (السجدة آية ٢) · وعلى الصدق (ومن أصدق من الله قيلا) (النساء آية ١٢٢) ·

وعلى الوضوح والابانة (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) (النساء آية ١٧٤) · وعلى اليسر (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (القمر آية ١٧) ·

وعلى الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ···) (النحل آية ١٢٥) ·

ـ وهى أساليب لا باطل فيها (·· لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ··) (فصلت آية ٤٢) · ولا كذب (··· ماكان حديثا يفترى ···) (يوسف آية ١١١) ·

ولا عسر ولا حرج (·· وما جعل عليكم في الدين من حرج ···) (الحج آية ٧٨) ·

ولا لغو ولا لهو ·· (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين · لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين · بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ··) (الأنبياء آية ١٦ ـ ١٨) ·· ولا خيال ، وهو ما يقوم عليه شعر الشعراء ، وفن الأدباء ، وغيرهما

---

(١) فالكنيسة النصرانية تقول أن الله خلق العالم ابتداء من سنة ٤٠٠٤ ق · م . وظلت تقول بهذا القول حتى مطلع القرن الماضى · ولقد أعلن مجلس كنسي في بداية القرن العاشر الميلادى أنه القرن الأخير وأن العالم سينتهى بانتهائه لأن الله جعل المدة بين انزال ابنه (تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا) ونهاية العالم بعد ألف سنة فقط ـ انظر قصة الحضارة جـ١٤ ولديورانت ·

ولقد انتهى القرن العاشر الميلادى ولم ينته العالم كما قالت الكنيسة . ومر بعده تسعة قرون ولا زال العالم باقيا · ونهايته عند خالقه وصانعه (أن الله عنده علم الساعة ····) ·

مما يبعد عن الحقيقة ويضرب في أودية الوهم والخرافة .. (والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر انهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ...) (الشعراء آية ٢٢٤ ـ ٢٢٧) .

ولن يدخل في هذا الخيال ما اشتملت عليه هذه الأساليب من تشبيهات وتراكيب بلاغية لأن هذه وان احتوت على ضروب من التصويرات فإنما هى لتقريب المعنى وإبرازه في صورة المحسوس ، وكشفه ، وتوضيحه واظهار الحقيقة دون زيادة أو نقصان ودون أى معنى خرافي أو اسطورى . لأن كلام الله عز وجل متنزه عن ذلك (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والأرض انه كان غفورا رحيما) (الفرقان آية ٥ ، ٦) . وهى أساليب هداية حقيقية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتدعو الى المثل العليا والحياة الطيبة في أسمى صورها وغاياتها ، إنها شفاء للناس ، ورحمة للعالمين . (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ...) (الإسراء آية ٩) . (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ..) ((الإسراء آية ٨٢) .

وليست كأساليب المنافقين ، والمبشرين ، والمستشرقين .. التى تقدم للناس في صور ظاهرها فيه رحمة وباطنها من قبله العذاب ، ظاهرها تعليم ، وتطبيب ، وبر وإحسان وباطنها هدم ، وكيد ، وحرب للإسلام ، وليست كأساليب الشيوعية والاستعمار ، تنادى بالحريات ، وتدافع عن الفقراء ، وتشيد بالإنسان وتخفي وراءها الدمار والغصب ، وسفك الدماء ، واحتلال الأوطان ، ونهب خيراتها والقضاء على معتقداتها ، ومسخ الإنسان آلة لا إرادة لها ، وتحقيره ، ووأد حريته ... ليعيش عيشة الذل والفقر والهمجية .

ـ وأساليب الدعوة الإسلامية أساليب أدب وعفة .. ليس فيها ما يخدش الحياء أو ينافي الفضيلة ، أو يساعد على تحريك الغرائز الحيوانية الممقوتة في الإنسان . وإذا تعرضت هذه الأساليب إلى تصوير بعض المواقف التى تلعب فيها الغريزة الحيوانية بعض أدوارها لإظهار الصراع بين الخير والشر للعظة والتبصرة ... فإنها سرعان ما تسد النوافذ التى قد تطل منها تخيلات دنيا ، فنراها تنتقل بالنفس على الفور الى آفاق من السمو والرفعة ، وتفتح لها طاقات من النور والروحانية ... يتلاشى معها ما قد يكون علق بالنفس من شوائب تلك التخيلات .. ففى قصة يوسف عليه السلام هذا الموقف الذى تصوره هذه الآية (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون) (يوسف آية ٢٣) . فهنا تشتمل الآية على عدد من الجمل ، نصفها الأول جاء لتصوير موقف امرأة العزيز من يوسف عليه السلام حيث تراوده عن نفسها (وراودته التى هو في بيتها عن نفسه) ، وتسد عليه النوافذ كيلا يهرب منها (وغلقت

الأبواب) وتأمره صراحة بعمل الحرام (وقالت هيت لك) وذكر هذه الأمور قد يفتح أمام النفس البشرية أودية من التصورات الدنيا مما يتوجب على الأسلوب الحكيم أن يطمس هذه التصورات ، ويسد هذه الأودية حتى لا تؤثر في النفس أثرها السيء . وهذا هو ما صنعه القرآن الكريم حيث سارع بإيراد موقف يوسف بعد إيراده موقف امرأة العزيز بدون فصل ، وفي آية واحدة ، في هذه الجمل الثلاث التى تحمل معانى الخشية من الله ، والأمانة على العرض ، والحذر من الهلاك ... وهى قيم رفيعة ، ومثل عليا ، وروحانية صافية من شأنها أن تنتقل بالنفس من موقف المادية والجنسية والمراودة .. الى آفاق الروحية ، والطهر والعفة .. واستشعار النفس للإحاطة الالهية والمراقبة الربانية والتخوف من الذى لا يغفل عن ظلم الظالمين ولا ينام عن عقاب المعتدين (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون) .

وهكذا إذا أراد القرآن معالجة مشكلة من المشاكل المتصلة بالإنسان من حيث جانبه الحيوانى نراه يبتعد كل الابتعاد عن الخوض في التصورات الجنسية ، والإيحاءات النفسية الشريرة ، ويوصد الأبواب في وجه الوسواس الخناس (الذى يوسوس في صدور الناس) (الناس آية ٥) وينأى عن العبارات الفاضحة ، والألفاظ الخادشة للحياء ، والمثيرة للبهيمية في الإنسان (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل آية ٩) .

وذلك بعكس أساليب الكتب التى يزعم أصحابها أنها مقدسة ، وأنها متصلة بالوحى ، إذ أن أساليب هذه الكتب تنطق صراحة لا ضمنا بألفاظ الفحش ، والغزل القبيح ، وعبارات الجنس المرذول ، وتفتح كل منافذ التصورات الدنيئة والتخيلات السوداء المثيرة للغرائز البهيمية في الإنسان .

وأسوق بعض الأمثلة على ذلك وهى قليل من كثير فيما يلى :

جاء في سفر (نشيد الإنشاد) لسليمان ، والمسجل في العهد القديم ، وهو الذى يطلق عليه اليهود والنصارى التوراة ويعدونه كتابا مقدسا ما يلى :

(لقد شبهتك يا حبيبتى بغرس في مركبات فرعون . ما أجمل خديك .. وعنقك ..) (الإصحاح الأول) .

(حبيبي بين ثديي يبيت .. ها أنت جميلة يا حبيبتي ، ها أنت جميلة ، عيناك حمامتان) (الإصحاح الأول) .

(كذلك حبيبي ، شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقني ...) (الإصحاح الثانى) .

(ها أنت جميلة يا حبيبتي ، فمك حلو ، خدك كفلقة رمانة …) (الإصحاح الرابع) ·

(صوت حبيبي قارعا افتحى يا أختي يا حبيبتي ، ياحمامتي قد خلعت ثوبي كيف ألبسه قد غسلت رجلى فكيف أوسخها ·· حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائى ، حبيبي بطنه عاج ·· ساقاه عمود رخام ·· حلقه حلاوة ، وكله مشتهيات ··) (الإصحاح الخامس) ·

وهكذا · كتاب ديني ، مقدس عند اليهود والنصارى ، وهو المرجع الأساسي للديانتين معا ، يقوم على أشعار ، وإصحاحات ، وعبارات ·· من هذا النمط الرخيص المتقدم !!! غزل فاضح ، وعبارات مستهجنة ، وتصورات جنسية سافلة … !!!

فهل بعد هذا يتعجب متعجب من الدعوة اليهودية إلى التحلل ، والإباحيه ، ونشر الدعارة والفسوق ، وإذاعة الرذيلة ·· في العالم كله ·· على يد كتابهم ومؤلفيهم ورؤسائهم وفلاسفتهم ·· وعلى يد فرويد ···· وغير فرويد !!!

ومن تحلل أوربا وأمريكا ، وسائر المجتمعات التي تدين بالمسيحية ·· ولا تجد غضاضة في اظهار عورات النساء أمام الأجانب ، والعلاقات الحرام بين الأنثى والذكر ·· والسقوط الخلقي السافر الذى يسود هذه المجتمعات الآثمة الضالة ؟؟؟ !!!

ان القوم يخلصون لكتابهم ، ويحكمون شريعتهم فيما بينهم ، وينشرونها على الناس !!!! ولكن : اذا لم تستح فاصنع ما شئت ·

ان أساليب الوحي السماوى تفيض حياء ، وأدبا ، وعفة ·· في ألفاظها ، وعباراتها ومعانيها · وهي نور وهداية إلى الخير والفضيلة … ولا صلة لها البتة بالتغزل في أفواه النساء ، وخدودهن وبطونهن ، وحلوقهن ، وسيقانهن ، وشهواتهن … على الوجه الحرام الذى يخدش الحياء ، ويزرى بالفضيلة ويهدم البناء الخلقي الصالح الى آخر ما جاءت به أساليب اليهودية والنصرانية معا !!!

٤ ـ الأساليب العقائدية ومنهج القرآن في تقريرها :

ونأخذ الآن في أساليب الدعوة في القرآن الكريم بادئين بالأساليب العقائدية فنقول : لقد بدأت الدعوة إلى الله تعالى في المرحلة المكية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى العقيدة الإسلامية وتقريرها ، وتثبيتها في القلوب ، واستمرت على هذا النحو طوال هذه المرحلة ، والمرحلة التالية وهى المرحلة المدنية ، وستظل كذلك إلى ما شاء الله تعالى ·

ولا بدع في ذلك ؛ اذ أن البدء بغرس العقيدة في النفس كالبدء بغرس الحبة في الأرض ، وهو أول عمل يقوم به من يريد أن يحصد الزرع المثمر · ولا ريب أن ثمار العقيدة هي الأخلاق وتكوين حماة الدعوة وأبطالها ، وتربية جنود الاسلام على الصبر والثبات ، والتضحية ، والصدق والجهاد في الله حق جهاده ، لنشر راية الاسلام والدفاع عنها ·

وهذا هو ما حدث في الماضي البعيد ، على يد الأنبياء والرسل والهداة ·· وفي الماضى القريب على يد النبي الخاتم صلوات الله عليه وسلامه ، ويحدث في مختلف مراحل التاريخ على يد دعاة الاسلام الذين لا يبدؤون دعواتهم الا بالدعوة الى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك والوثنية في شتى صورها · وهذه هى الدعوات الناجحة التى تستقيم بعدها أحوال العباد ·

ولقد شبه القرآن الكريم تمكن (لا إله إلا الله) من قلب المسلم ، وإثمارها الفضائل والعمل الطيب ·· في سائر الأوقات ما دامت على هذا النحو · بالشجرة الطيبة الثابتة الجذور فهي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء · تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (ابراهيم آية ٢٤ ، ٢٥) ·

ولعظيم شأن العقيدة في النفوس ، وما يترتب عليها من آثار خطيرة في سائر حياة الإنسان ·· فلقد استحوذت أساليبها على نصيب كبير في القرآن الكريم ، بل كادت أن تكون كله ، اذ أنه مامن جزء أو سورة ، أو آية خلت من الدعوة إلى العقيدة إما صراحة أو ضمنا ·

ولقد جاءت هذه الأساليب متنوعة ، وبهذه الكثرة ·· لتقرير العقيدة وتثبيتها ··· من ناحية وبيان أهدافها وأغراضها وآثارها من ناحية أخرى · واتخذ القرآن لبيان ذلك طريقين ·

أحدهما ؛ ايجابي ، وهو يتمثل في بيان العقيدة الصحيحة ، وتفصيل عناصرها ، والاستدلالات عليها وبيان آثارها ، وصفات أهلها ···

وثانيهما ؛ ، سلبي ، ويتمثل في بيان العقائد الفاسدة ، وأنواعها ، والاستدلال على فسادها وبيان آثارها ، وما يتصف به أهلها ···

ومن هنا نستطيع القول بأن منهاج عرض العقيدة الإسلامية في القرآن إنما هو منهج كامل واضح ، وذلك بتجلية العقيدة بالطريق الإيجابي المتمثل في بيانها وتفصيل أمرها ·· ثم بإيراد ما يضادها من العقائد الأخرى الفاسدة ، والقرآن بهذا يضع الحقيقتين المتضادتين بجانب بعضهما ، ليتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ، ويتضح الليل من النهار ، والعمي من الإبصار ·· (ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حى عن بينة ··) (الأنفال آية ٤٢)

وبضدها تتميز الأشياء وهكذا لم يعد هنا عذر لمعتذر ، ولا ريبة لمرتاب ، إلا من ختم الله على قلبه وجعل الغشاوة على سمعه وبصره ·

ولنضرب بعض الأمثال على ما ذكرنـــــا فيما يلى :

فمن الطريق الأول : قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ···) (البقرة آية ٢٨٥) ·

وقوله تعالى : (إن يوم الفصل كان ميقاتا · يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا · وفتحت السماء فكانت أبوابا ـ وسيرت الجبال فكانت سرابا · إن جهنم كانت مرصادا · للطاغين مآبا · لابثين فيها أحقابا ···) (النبأ آية ١٧ ـ ٢٣) ·

وقوله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (القمر آية ٤٩) ·

وهو لبيان العقيدة ، وبيان عناصرها ، من الإيمان بالله ، وملائكته وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره ·

وقوله تعالى : (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم · هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون · هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (الحشر آية ٢٢ ـ ٢٤) ·

وقوله تعالى : (قل هو الله أحد · الله الصمد · لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحـد) (الإخلاص) · وقوله تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (الشورى آية ١١) ·

وهو لبيان بعض صفاته تعالى ، وعلى رأسها الوحدانية ، وأنه عز وجل له الأسماء الحسنى وليس كمثله شىء ، و (انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس آية ٨٢) وقوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ··) (المؤمنون آية ٩١) ·

وقوله تعالى : (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهى رميم · قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ···) (يس آية ٧٨ ، ٧٩) ·

وهو للاستدلال على الوحدانية والبعث ·

وقوله تعالى : (الم · ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين · الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون · والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون · أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (البقرة آية ١ ـ ٥) ·

وقوله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ....) (التوبة آية ٧١) .

وهو لبيان صفات أهل هذه العقيدة ، فهم المهتدون بالقرآن ، المتقون لربهم ، المقيمون الصلاة ، والمؤتون الزكاة ، والمؤمنون بكل ما أنزل الله ، والعاملون للآخرة والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمطيعون لله ورسوله .

وقوله تعالى : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ..) (النور آية ٥٥) .

وقوله تعالى : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ...) (نوح آية ٩ - ١٢) .

وهو لبيان أثر العقيدة في الدنيا ، من الاستخلاف في الأرض ، وتمكين الدين ، والقوة والأمن ..

وقوله تعالى : (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون . لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) (الأنبياء ١٠١ ، ١٠٣) .

وهو لبيان أثر العقيدة في الآخرة ، فالمؤمنون مبعدون عن النار ، خالدون في النعيم مستمتعون بما تشتهيه أنفسهم ، لا يعتريهم ألم ولا حزن ، وهم في جنات عدن ورضوان من الله أكبر .

ومن الطريق الثانى : قوله تعالى : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) (الرعد آية ١٤) .

وقوله تعالى : (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) (الأنعام آية ١٠٠) .

وقوله تعالى : (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت آية ٤١) .

فالمشركون بالله غيره من الأصنام ، والأوثان ، والجن ، والناس ، وغيرهم ... على ضلال وعمى ، وجهل وغباء .. إذ أنهم يعبدون مالا قدرة له على عمل أى شيء إذ أنه فاقد القدرة والاستطاعة . فأنّى له ذلك وهو الضعيف الذى لا يمد معبوده بأى نفع ، ومن ابتغى نفعا عند غير الله فكمن يضع كفيه في الماء لتحملا الماء ليشرب . لكن أنّى له ذلك ويداه مبسوطتان فهيهات هيهات أن يحملا له ماء أو يذهبا عنه ظمأ ، وهو كمثل من يحتمي بالضعيف الواهن الذى لا قدرة له على شيء أصلا .

وهو لبيان بعض العقائد الفاسدة وهو الشرك ، والاستدلال على فساده وقوله تعالى : (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (التوبة آية ٣٠ ، ٣١) .

وقوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) (المائدة آية ٧٣) .

وهو لبيان بعض عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين ينسبون الولد لله سبحانه وتعالى ، ويتخذون الإنسان وليا وربا ، ويعبدون مع الله آلهة أخرى وهاهم النصارى يكفرون بالله ويقولون عنه إنه ثالث ثلاثة . مع أن الجميع مأمورون بعبادة الإله الواحد ، وقد أنذروا من الانحراف عنها .

وقوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) (البقرة آية ٢٠٤ ـ ٢٠٦) .

وقوله تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ..) (البقرة آية ٨ ـ ١٠) .

وهو لبيان عقيدة النفاق التي تجعل صاحبها يظهر مالا يبطن ، وظاهره حسن ، وباطنه سوء ، ظاهره الإسلام وباطنه الكفر ، يسعى في الأرض فسادا ويهلك الحرث والنسل كدأبه في الحياة ، يحسب نفسه على شيء لكنه مخدوع مريض فحسبه جهنم ولبئس المهاد .

وقوله تعالى : (إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ٠ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ...) (البقرة آية ٦ ، ٧) ٠

وقوله تعالى : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) (البقرة آية ٩٦) ٠

وقوله تعالى : (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٠ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (المائدة آية ٧٨ ، ٧٩) ٠

وقوله تعالى : (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون) (التوبة آية ٦٧) ٠

وهو لبيان بعض صفات المشركين الذين قست قلوبهم وصمت عن سماع الحق ، وبعض صفات أهل الكتاب من اليهود الذين يعبدون المادة ويحرصون على المال بل هم أحرص الناس على حياة ولهذا فهم يكرهون الموت خوفا من العذاب ولكن هيهات ٠ وبعض صفات المنافقين الذين يسعون في الأرض فسادا حيث ينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر ويدعون إلى الباطل ٠

وقوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ٠ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (النور آية ٣٩ ـ ٤٠) ٠

وقوله تعالى : (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (آل عمران آية ١١٢) ٠

وقوله تعالى : (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) (التوبة آية ٥٥) ٠

(والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (التوبة آية ١٠٧) ٠

وهو لبيان آثار العقائد الفاسدة ، فالكفار لا وزن لأعمالهم ، ولو عملوا خيرا فلا اعتداد به ، وهم في ضلال وعمى لأنهم عبدوا غير الله .

أما اليهود فهم الأذلاء ولو كان معهم أقوى الناس ، والله لا يمدهم بنصره ولو ملكوا كل أسباب القوة المادية ، وهم العصاة الفسقة الذين باءوا بغضب من الله .

وكذلك المنافقون ، يعذبهم الله بأموالهم وأولادهم بسبب نفاقهم وسعيهم بين الناس بالفساد ، وهم الكاذبون في أعمالهم ولو كان منها بناء المساجد لأنهم يتخذونها رياء وسمعة وضرارا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله .

وهذه آثار العقائد الفاسدة في الدنيا . أما آثارها في الآخرة ففى قوله تعالى :

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (الأنعام آية ١٧٩) .

وقوله تعالى : (إن الذين كفروا لو أن لهم مافي الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم . يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم) (المائدة آية ٣٦ ، ٣٧) .

وقوله تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) (النساء آية ١٤٥) .

وهكذا يسير القرآن الكريم في عرض منهج العقيدة ، داعيا إلى التوحيد ، وناهيا عن الشرك والعقائد الفاسدة ، ومبينا آثار كل منها ليتميز الخبيث من الطيب ، وتتضح الحقائق كاملة لا شائبة فيها .

(يتبع)

قَالَ أحدُ الحُكَمَاءِ:

النَّاسُ ثلاثُ طبقَاتٍ، تَسُوسُهم ثلاثُ سِياسَاتٍ:

.. طَبَقَةٌ مِنْ خَاصَّةِ الأخْيَارِ تَسُوسُهُمْ بِالعطْفِ وَاللّينِ وَالإحْسَانِ.

.. وَطبقَةٌ مِنْ خَاصَّةِ الأَشْرَارِ تَسُوسُهُمْ بِالغِلْظَةِ وَالعُنْفِ وَالشِّدَّةِ.

.. وَطبقَةٌ مِنَ العَامَّةِ تَسُوسُهُمْ بِاللِّينِ وَالشِّدَّةِ لِئَلَّا تُحْرِجُهُم الشِّدَّةُ وَيُبْطِرَهُمُ اللِّينُ.



وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ
ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ
رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ
إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ
ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ سورة البقرة

ندوة الخرطوم

في الأشهر القليلة الماضية عقدت ندوة في الخرطوم عاصمة السودان بين علماء من المسلمين ومجموعة من القسس بلغوا اثنى عشر قسيساً شرح الله صدورهم للاسلام . وقد عولجت في هذه الندوة قضايا في منتهى الخطورة كانت تحوم عليها شبهات أزالها بفضل الله علماء المسلمين وسوف تنشر ـ بحول الله وقوته ـ ما دار في هذه الندوة على حلقات متتابعة ، ونبدأ ذلك فيما يلى :

الحلقـــة الأولى

وبعـــــد ...

إخوتي الأفاضل ... مستمعى الأعزاء

فإنه ليسعدني ويسعدكم أيضا مثل هذا اللقاء الذى يتم وتم بناء على طلب مقدم من السيد (جيمس بخيت سليمان) موجه لرئيس وأعضاء هيئة النشاط الإسلامي بالسودان ، وللملحق الدينى بالسفارة العربية السعودية بالخرطوم أيضا .

وإنه ليسعدنا جميعا أن يكون مثل هذا اللقاء عن الإخاء والمحبة لنعرف الحقيقة ولنعرف الحق من الباطل ، والله نسأل أن يوفقنا للحق أينما كان وحيثما كان وأن يرزقنا اتباعه ، ومثل هذه اللقاءات نرجو أن تتكرر في كل مكان وفي كل زمان ، كما نرجو أن تثمر ويكون لها أثر فعال إلى طريق الحق والخير والسلام .

وبعـــد .. ففى هذه الجلسة يفتتحها لنا أستاذى الفاضل وشيخى الأكبر الشيخ عوض الله صالح الرئيس العام لهيئة إحياء النشاط الإسلامى بالسودان ومفتى جمهورية السودان سابقا ، والعضو الحالى والمشارك في رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . فليتفضل جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين .

فقام الشيخ عوض الله وقال ، بعد أن حمد الله ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم :

الأخوة من مسلمين ومسيحيين ....

أنا سعيد بهذا اللقاء وأرحب بكم في هذه الدار نيابة عن الأخوة أعضاء هيئة إحياء النشاط الإسلامى ، وقد حضرت قبل خمس سنوات حواراً يشبه هذا الحوار في طرابلس بليبيا ، ولقد كان أول ما يلاحظ على تلك الندوة أنها بعدت عن كل كلمة نابية .. بل لم يذكر نبي من قبل المسلين غير محمد صلوات الله عليه وسلامه إلا ذكر بكلمات كلها تعظيم وتبجيل ، ولم يذكر من المسيحيين غير عيسى عليه السلام أي نبى إلاَّ وكانت تحف كل كلمة حوله مظاهر التبجيل والاحترام ، ولقد كانت تلك الندوة بحق ندوة بحث عن حقيقة ، وإن في العالم أخطاء كثيرة وأنا لم أدرس المسيحية ، ولكننى لا أنكر أن لنا أخطاء في الاسلام . إن بعض أفهام خاطئة عن الإسلام موجودة ، ولكنها تصحح بمرور الزمان . فالإسلام شيء وأخطاؤنا شيء آخر . ولا أشك في أن المسيحية التي كانت أبعد عهدا من الإسلام لا بد أن تكون قد طرأت عليها أخطاء وهى قابلة للتصحيح ، ولا تمس بحال من الأحوال جوهر مافي الدين سواء كان من جانب المسلمين أو من جانب المسيحيين .

أنا لا أشك في أن كثيرا من الأشياء يلتقى فيها المسيحية مع الإسلام أو الإسلام مع المسيحية . فكلنا نوحد إلها واحدا ، .. ونحن المسلمين اشترط علينا قرآننا أننا إن كفرنا بعيسى فإن إيماننا بمحمد يكون قد اعترته الشكوك .. وعلى هذا فإني لست بمشارك في هذه الندوة .. ولكنى مرحب فقط عن أهل هذه الدار وقد أعجبني ما استمعت فيها إليه ... وأنا على يقين أنى سأعجب أيضا بما سأستمع إليه من الجانبين المسيحى والإسلامى .

إن أكثر ما أعجبنى في تلك الندوة بعد الذي قلت : هو أن اتفاقاً قد تم ونحن جميعا نعبد إلهاً واحداً - إن الاتفاق قد تم بألاَّ يذهب المسلمون إلى مناطق المسيحية لإدخالهم في الإسلام ، ولكن الذي يدخل طائعا مختارا نرحب به ، ونستقبله . وتم أيضا الاتفاق على ألاَّ يدخل أهل المسيحية في مناطق المسلمين ليدخلوا مسلمين في المسيحية . .. أنا أعرف ماذا جري

من المسيحيين بعد هذا الاتفاق ... الذى فات عليه الآن أكثر من ست سنوات ، ولكنى أؤكد وفي هذا البلد بالذات أننا التزمنا بأننا لا نعمل إلا في جو المسلمين وأطفال المسلمين لنحتفظ بإسلامهم من أن ينحرفوا انحرافا لا يعجب الإسلام .

وإنى أرجو ألاَّ تذهب المسيحية إلى مواطن المسلمين لإغرائهم . وما أكثر ما يغرى الناس بسبب الفقر والضعف الفكرى ـ فيتحولون عن عقيدة إلى عقيدة .

أخشى أن أكون قد أطلت .. أرحب بكم جميعا . أبنائى وإخوانى من المسيحيين ... وأرحب بأساتذتى ومشايخي من المسلمين ، وأتمنى أن يسير الحوار بالصورة التى ترضيكم جميعا ، وترضي المستمعين أيضا ... والسلام عليكم .

ثم عاد مدير الندوة فعلق على كلمة الشيخ عوض الله بقولـــه :

شكرا لهذا التوجيه الطيب من فضيلة شيخنا الأكبر الشيخ عوض الله صالح وشكرا لكم جميعا .. وأؤكد لكم أنه بناءً على قائمة الأسماء التى قرأتها .. بأسماء إخواننا الذين يسمون أنفسهم مسيحيين .. حينما قرأت قائمة الأسماء وجدت أنهم جميعا من أسر مسلمة بموجب الأسماء .. فهذا اسمه مسيحى واسم أبيه (محمد) أو أحمد أو عبد الله . وأؤكد لكم جميعا أن هؤلاء جميعا لم يخرجوا من الإسلام إلى المسيحية إلا لظروف خاصة وقاهرة ، وأرجو لهم التوفيق والسداد في أن يعيدهم الله سبحانه وتعالى إلى الحق وإلى الطريق المستقيم الذى لاعوج فيه .

وبعـــــد : إخوتى الكرام فإن هذه الندوة سيدير فقراتها وحلقاتها فضيلة الدكتور محمد جميل غازى ، فليتفضل :

فتقدم الدكتور محمد جميل غازي ، وقـــــال :

بسم الله الرحمن الرحيم (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ...) وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

في الأول أقدم لكم الأخ (جيمس بخيت) ليتحدث إليكم . وقبل أن أقدمه إليكم ، لى رجاء ... أن أرى الابتسامة على وجوه الكل .. لأننى ألاحظ أن الابتسامة انعدمت من هذا الاجتماع ، فأرجو أن نكون جميعا على تفاؤل كامل ، لأننا مقدمون ، ولله الحمد ، على عمل طيب صالح ، ونسأل أن يكون موفقا ، لا عداء بيننا ولا كراهية ... وإنما هو الحب الذى جمعنا ، والحب هو الذى جعل كل واحد منا يتحدث الى صاحبه ... بالحب كله ، وبالتقدير كله ، أقدم اليكم الأخ (جيمس بخيت) وأرجو من خلال حديثه أن يشير إلى هذه الأسئلة

التي قدمها إلى فضيلة الأخ الشيخ طاهر لتكون هى مجال الحوار في هذه الندوة أو في هذا اللقاء الإسلامى ، المسيحي ، والذى ابتدأ انعقاده في هذه الليلة ، ولا يعلم إلا الله وحده ، كم يستمر من ليال أو كم يستغرق من ساعات ٠

. أيهـــا الســـادة : يتحدث نيابة عنه الأخ محمد رمضان :

السادة أعضاء هيئة النشاط الإسلامي ،
فضيلة الشيخ الملحق الديني السعودي بالخرطوم ،
السلام عليكم ورحمة الله ٠

إنها بحق إرادة الله الذي مهد لنا هذا اللقاء الروحي لا للانتقاد أو الإدانة ، وإنما للاستذكار ، وتوضيح بعض المواضيع الدينية في الإسلام والمسيحية بالأدلة والبراهين ، كما أنزله الله على رسله ، بعيدين عن أي تعصب ديني ، آملين أن يهدينا الله جميعا لما فيه الخير لأمتنا ٠

السادة الكرام : نحن قادة لمجموعات من الإخوة والأخوات بالعاصمة المثلثة وجبال النوبة مسلمين بالوراثة ... ولكننا لم نتعمق في تعاليم الإسلام وتعلمنا أيضا شيئا من الديانة المسيحية نتيجة للتبشير المكثف الذي تقوم به الطوائف المسيحية في السودان ٠

ســــــادتى : لقد أحدث هذا الخلط بين العقيدتين شكوكاً في نفوسنا مما أدى بنا للجوء إلى القسيس (جيمس بخيت) بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، بدعوة من إحدى الطوائف المسيحية هناك ، آملين أن نجد لديه المساعدة في هذا الشأن ، فإما أن نؤمن بالإسلام أو بالمسيحية ، بعد معرفة الحقيقة ، هذا والشيء الذي دعا بنا للجوء للقسيس (جيمس بخيت) ما لمسناه منه في اعتداله من الناحية الدينية ، وإيمانا منه بالحرية الدينية والعبادة ، مع أنه قد رفض كل الطوائف المسيحية بالسودان ، وهو الآن يقوم بتأسيس طائفة مسيحية يقوم بإدارتها إخوة سودانيون فقط ، وقد كانت توجيهاته لنا كما كفلت الثورة حرية العبادة للجميع ، فيجب علينا أن نساعد في تنفيذ هذا المبدأ ، مسلمين كنا أم مسيحيين ، ونبعد التعصب الديني من أنفسنا ، ونعطى كل فرد حريته في اختيار المذهب الذي يريده ، وقد نصحنا القسيس جميس بعدم الانضمام لأى مذهب دينى - حتى طائفته - رفض أن ننضم إليها إن لم يكن ذلك بالاقتناع وقام باختيار منازل بعض الأفراد للتجمعات الروحية ، وكان من نتائج تحركه واهتمامه بهذه المشكلة مولد اجتماع اليوم ٠ ولا يفوتنا أيضا إلا أن نخص بالشكر الملحق الثقافى السعودى بالخرطوم لما بذله من جهود عظيمة في تحقيق رغبة الإخوة

في الالتقاء بهيئة النشاط الإسلامي ، كما لا يفوتنا أيضا أن نحيطكم علماً بأن هؤلاء الإخوة الذين ترونهم أمامكم إخوة يطلبون معرفة الحقيقة ، وليس من بينهم عالم أو متفقه في أمور الدين أيًا كان ٠

وفي الختام نسأل الله العظيم أن يساعدنا ويهدينا إلى الطريق القويم ويظلنا ببركاته والسـلام ٠

ـ الأخ جيمس يقرأ الأسئلة التي تقدم بها إلى الملحق الديني السعودى ، وهى أسئلة ذات شقين : شق يدور حول الديانة المسيحية ٠ وشق يدور حول الديانة الإسلامية ٠ فيتفضل بقراءة الأسئلة :

الجـــانب المسيحى :

السؤال الأول : هل يؤيد القرآن المسيح والإنجيل ؟

السؤال الثانى : النسخ والتحريف في الإنجيل ، كيف تم كما يزعم المسلمون ؟ وهل يحتفظ المسلمون بأصـــل الإنجيـــل ؟

السؤال الثالث : الخمر محرم في القرآن ولكنه غير محرم في الإنجيل ٠ فكيف تفسرون ذلك ٠ وهل هناك آية في القرآن تحرم الخمر ؟

السؤال الرابع : هل يؤمن المسلمون برسل المسيح الذين اختارهم وأسند إليهم مهمة التبشير ... كما ذكر في الإنجيل ؟

السؤال الخامس : هل يؤيد القرآن الروح القدس ؟

السؤال السادس : صحة ما جاء في الإنجيل أن المسيح عليه السلام صلب ومات ودفن ثم قام من بين الأموات في اليوم الثالث ٠ فماذا جاء في القرآن فيما يختص بهذا القول ؟

السؤال السابع : ورد في الإنجيل أن المسيح ابن الله فما رأى القرآن ؟

السؤال الثامن : هل يؤيد القرآن الأقانيم الثلاثة (الآب والابن والروح القدس) حسب ما جاء في الإنجيل ؟

السؤال التاسع : ماهى مكانة مريم العذراء لدى المسلمين كأم المسيح عليه الصلاة والسلام ؟

الجانب الإســــــلامى :

السؤال الأول : محمد صلى الله عليه وسلم كيف كانت حياته ونزول القرآن عليه ؟ وكيف نقنع المتشككين بأنه خاتم الأنبياء كما جاء في القرآن ؟

السؤال الثانى : كما يزعم بعض المسلمين والمسيحيين هل استعمل السيف في صدر الإسلام لإخضاع الكفار للدخول في الإسلام ؟ وهل كان ذلك في عهد الرسول أم في عهد الخلفاء الراشدين ؟

السؤال الثالث : ما رأي المسلمين في إخوتهم العلماء الذين قاموا بتفسير القرآن حسب آرائهم مما أدى ذلك إلى وجود طوائف مختلفة ؟ وما حقيقة هذه الطوائف ؟

السؤال الرابع : يتزوج المسلمون بأكثر من امرأة .. فهل هناك آية في القرآن توضح ذلك ؟ وما هى الأسباب التى جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يتزوج بأكثر من أربع نساء ؟

السؤال الخامس : لماذا يحرم القرآن لحم الخنزير ؟ وهل هناك آية تحرم ذلك ؟

السؤال السادس : هل يؤيد القرآن أن المسيح عليه الصلاة والسلام جاء لبني إسرائيل فقط ؟

السؤال السابع : نلاحظ في القرآن أن هناك آيات تنقض آيات مثل : (يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ..... إلى قوله : لكم دينكم ولى دين) . في حين أن هناك آية أخرى تقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ......) فما رأى المسلمين في هذا التناقض ؟

السؤال الثامن : ما هي نظرة المسلم لغير المسلم فيما يختص بالمعاملات الاجتماعية المختلفة ؟

السؤال التاسع : لماذا تمنع السلطات السعودية دخول المسيحيين في الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية ؟

وبعــــــد : فإذا كان من المقرر أن ألقى كلمة في أول هذا الاجتماع ، وفي افتتاحه ، فإن كل ما يمكن أن أقول هو أن أقرأ عليكم بعض آيات من القرآن الكريم .

يقول الله سبحانه وتعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع

العليم · ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم • ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم • ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلاَّ من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين • إذ قال له ربه أسلم · قال أسلمت لرب العالمين · ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون • أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ · إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى · قالوا نعبد إلّهك وإلّه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلّهاً واحدًا ونحن له مسلمون · تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون · وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين · قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط · وما أوتى موسى وعيسى · وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون · قل : أتحاجّوننا في الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، ونحن له مخلصون · أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى ، قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسئلون عما كانوا يعملون » ·

وبعد ذلك تحدث مدير الندوة الدكتور محمد جميل غازى فقال :

أتمنى أن أدير حديثى لا مع هؤلاء الأفاضل الطيبين ، ولكن معكم أنتم أيها المسلمون ، بماذا تردون على هذه الكلمات الطيبة التى ألقاها في وجوهكم هذا الأخ الطيب ، حينما أعلنكم بهذه الحقائق المرة ؟ هل فكرتم فيها ؟ هل فكرتم أنكم الجناة الحقيقيون ؟ هل فكرتم أنكم ستدانون بين يدى الله ؟ وأنكم قصرتم في تبليغ كلمة الله ؟ لِمَ لَمْ تعلنوها ولَمْ تنطقوا بها ؟ غرتكم الحياة الدنيا ورفاهيتها ؟ عشتم في الدَعة والهدوء والاستقرار ، وآثرتم الطريق الآمن والأسهل في بلادكم ، في الوقت الذى كان يأتى الأجانب من آخر الدنيا يدكون حصونكم ويدقون أبوابكم دقاً عنيفاً ، ويسرقون أبناءكم وفلذات أكبادكم ، هل فكرتم في هذه الكلمات الطيبة التى قالها هذا الأخ الطيب الذي مزق كبدي بكلماته ، أرجو أن تفكروا ·· إنها لكم ، لا بد أن تهز مضاجعكم ، حتى لا تهنأوا بعدها بمنام ·· حتى لا تستقر جنوبكم على الأرض ·· فلا نامت أعين الجبناء · إنما عليكم أن تحرسوا بناء محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن تحرسوا دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعوة الأنبياء جميعا ··

والأسئلة التى تفضل الأخ الكريم (جيمس) فقرأها عليكم .. رأيت أن أعيد وضع خريطة لها لتكون هذه الخريطة تؤدى بنا إلى مجموعة من الدراسات لأننا لسنا في حاجة إلى مواعظ ، ولسنا في حاجة إلى خطب رنانة وعلى جيوش الخطباء أن يوفروا لعابهم ، إننا في حاجة إلى دراسة علمية موضوعية هادئة وهادفة ، نعرف فيها الحق والطريق المستقيم ، ما هو الطريق المستقيم وأين هو حتى نسلكه جميعا صفاً واحدا ، وليلعن الله سبحانه وتعالى من يجانب الحق أو يبتعد عن طريق الحق .

رأيت أن أعيد تنظيم الخريطة ورأيت أن أوزعها على الإخوة الأساتذة الذين سيتولون الحديث معكم ، لا أقول في هذه الليلة الواحدة - فاصبروا علينا - لأن جهالات عصور كاملة ينبغى أن تُبحث .. وهى ليست متعة قول ، وإنما هي دراسة ديانات كاملة ، والديانات لا تدرس في رحلة ولا تدرس في جلسة ، إنما تدرس دراسات متأنية عبر النصوص المقدسة أمام الطرفين . تستخرج هذه النصوص أمام العقل ثم تبحث وتدرس .

رأيت أن أعيد تنظيم هذه الخريطة على الوجه التالى : الليلة سيحدثكم الأخ الأستاذ أحمد عبد الوهاب ، حول قضية قانونية الأناجيل ، ولقد جاء حولها أسئلة منها السؤال القائل : النسخ والتحريف في الإنجيل كيف تم ؟ وهل يحتفظ المسلمون بأصل للإنجيل ؟ يدور حديث الأستاذ أحمد حول هذا ، وقبل أن أقدم الأستاذ أحمد أحب أن أشير إلى نقطتين :

النقطة الأولى : أنني حينما وضعت هذه الخريطة لمعرفتي بإخوانى العلماء رأيت أن أقدم الجزء الأول : فالأخ (جيمس) كان مهذبا حينما عرض الأسئلة الإسلامية أولا .. ولكننا كنا أكثر موضوعية حينما قدمنا الأسئلة المسيحية أولا ، لأن الموضوعات المسيحية يجب أن تكون سابقة ، حتى إذا ما فرغنا من دراسة الأسئلة الموجهة حول الديانة المسيحية ظهر لنا سؤال جديد : فإما أن نحصل من نتاج هذه المناقشات التى أرجو أن تكون واضحة وصريحة وجلية وبصدر مفتوح ، وبتفكير عالى الصوت لا يخاف ولا يجبن ، وإنما يناقش ويهاجم كما يشاء ، وكما يحب ، فالحق لا يخاف ولا يستخذى ولا يغضب ، بل الحق يؤمن بالنوافذ المفتوحة على النور .

النقطة الثانيــة : هى ما الذى سيعرضه الأخ الأستاذ أحمد في خلال حديثه ؟ أنا لا أكتفي بأن تكون الأسئلة حول هذين السؤالين .. النسخ والتحريف في الإنجيل كيف تم ؟ وهل يحتفظ المسلمون بأصل الإنجيل ؟ وإنما هناك أسئلة أيضا تضاف إلى هذا السؤال وينبغى للأستاذ أحمد أن يهتم بها اهتماماً بالغاً ...

من هذه الأسئلة مثلا :

ـ أين هو إنجيل المسيح ؟ وهل نزل على المسيح عليه السلام إنجيل واحد أو عدة أناجيل ؟ والتعداد القديم للأناجيل ، والذى انتهى بها إلى السبعين فما فوق السبعين ، كيف تم هذا التعداد وأين هذه الأناجيل السبعون ؟ وكيف انتهى مصيرها من خلال المجامع التي انعقدت مجمعا تلو مجمع ؟ وهذه الأناجيل الأربعة هل هي من كلام المسيح أم من كلام التلاميذ ؟ وهل هذه الأناجيل متفقة فيما بينها أم أنها اختلفت ؟ وفيم اختلفت ؟ ولماذا اختلفت ؟ وأرجو أن تكون إجاباته محددة وأرجو أن تكون الإجابات ذات وثائق ؟ ولا أحب أن تكون الوثائق إسلامية بحال من الأحوال · إنما أريد أن تكون الوثائق نصوصا من الكتاب المقدس أو نقولاً عن الشراح المسيحيين أنفسهم حتى يستريح العقل ويطمئن الضمير ·

كذلك فإننا نريد أن ننظر نظرات فاحصة في وجوه الأناجيل إنجيلا إنجيلا ·· ثم ننظر هل بين الإنجيل الواحد تناقضات معينة ؟ والأناجيل الجديدة كإنجيل يوحنا ·· ما هو الموقف منه ؟ ثم الإضافات التي أضيفت بدءً من (بولس) وهى رسائل (بولس) أو ما تسمى بأعمال الرسل وغير ذلك ، ما هو الموقف منها ، كل هذه الدراسات وهى كما ترون عبء ثقيل نضعه بين يدى الأستاذ أحمد عبد الوهاب ·

لدى أقلام ولدى أوراق ·· متاحة للكل : مسلمين وغير مسلمين ·· وإن كنت أرى أن الذين يجلسون بين يدى جميعا إنما هم مسلمون غير أن البعض قد علق بذهنه بعض الشكوك ، فهو جاء مجاهدا في سبيل تجلية هذه الشكوك والوصول إلى حقائق ·

بين يديكم أوراق وأقلام لمن شاء منكم أن يسجل ملاحظات على كلام الأستاذ أحمد ، فكلامه ليس مقدساً ، وإنما هو كلام علمي ، والكلام العلمي يخضع للمناقشة ، فكلامه خاضع للمناقشة ، وأرجو أن يكون الكل قادراً على مناقشته بصراحة وبقوة حتى نصل إلى حقائق ثابتة ، والله يوفقنا جميعا لما فيه رضاه ، ويهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فإنه لا يهدى إلى الحق إلا هو ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً وأن يرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلا وأن يرزقنا اجتنابه ، وأترككم مع الأستاذ الفاضل ، الأستاذ أحمد عبد الوهاب ·

بسم الله الواحد الأحد ·· أرحب بكم جميعا ، وخاصة الإخوة الذين تقدموا إلينا بأسئلة واستفسارات عما في المسيحية والإسلام من أمور يُتفق عليها وأخرى يختلف فيها ، ولا تزال موضع جدل بين المسيحيين والمسلمين · والسؤال البديهى في مثل هذا اللقاء هو « من أين يستقي الناس عقائدهم ؟ » ·

من المتفق عليه أن العقائد الدينية تستقى من الكتب المقدسة من أجل ذلك فإن الموقف يقضى بدراسة الكتب المقدسة • وأولا قبل أن نناقش العقائد المستخرجة منها ، لاشك أن من أهم الدراسات لتلك الكتب هي الدراسات التى يقوم بها علماء تلك الديانة •• وهذا ما سوف أقوم به ، أي أنني سأعرض خلاصة مركزة لبعض دراسات علماء المسيحية المشهورين وأغلبهم من المعاصرين حاليا ودراسات في أسفارها المقدسة •

إن كثيرا من دراسات علماء المسيحية للأسفار المقدسة أصبحت تجعل صورة المسيح أكثر اقترابا مع حقيقته التى حددها القرآن الكريم ، وفي هذا المقام اقتطف الآتى من كتاب هام اشترك في تأليفه سبعة من علماء المسيحية ، وصدر في لندن في السبعينات (١٩٧٧) بعنوان « اسطورة الإله المتجرد » وجاء فيه :

« إن المعارف الإنسانية مستمرة في النمو بمعدل متزايد ، كما أن الضغط على المسيحية يقوى أبداً بما يجعلها تكيف نفسها لتصنع شيئا يمكن الإيمان به ، إيمان أهل الفكر الواعي والإخلاص ، أولئك الذين جذبتهم إليها بعمق شخصية « يسوع » وما تلقيه تعاليمه من أضواء على معنى حياة الإنسان • إن المشتركين في هذا الكتاب مُقتنعون أن تطوراً لاهوتيا آخر لا بد منه في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين وتنبع الحاجة إليه من تطور معرفتنا لمصادر المسيحية ، ويتضمن ذلك اعترافاً ان (يسوع) كان كما يقدمه لنا سفر « أعمال الرسل » الإصحاح الثاني العدد ٢٢،٢١ ، وهو يقصد ما قاله بطرس : « أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون » رجل قد تبرهن من قبل الله لأداء دور معين خلال هدف إلهي •• وأن التصور الذي لحق به أخيراً باعتباره الإله المتجرد والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس الذي عاش حياة البشر ، **إن كل ذلك إلا أسلوب أسطورى وشاعرى للتعبير عما يعنيه بالنسبة لنا ان هذا الاعتراف أصبح لازما لصالح الحقيقة ، ولنقلها الآن إن ما نأمل فيه هو تنقية الحديث عن « الله » وعن « يسوع » من الخلط وبذلك يتحرر الناس لخدمة « الله » في طريق المسيحية باستقامة وكمال »** •

هذه فقرة ، خلاصة أو مقدمة ، للكتاب الذى ألفه سبعة من كبار علماء المسيحية المعاصرين •

والآن أعرض خلاصة لبعض ما انتهى إليه علماء المسيحية في دراستهم للأسفار المقدسة

تحت عنوان « حديث عن أسفار العهد الجديد » يماثل تماماً التقرير الذي يتلقاه من يهمه الأمر من إحدى اللجان المتخصصة التي شكلت لدراسة مشكلة أو موضوع معين ، وهو ما يناسب مثل هذا اللقاء الذى نعقده الآن ، والذى لا يستغرق سوى فترة زمنية محدودة تقدر بالساعات أو بعدد من الأيام ·

بعد ذلك أعرض حديثا بعنوان « نظرة في أسفار العهد الجديد » يسمح لكل قارىء مهما كانت ثقافته أن يطلع بنفسه على حقيقة ما في هذه الأسفار ، وعلى الأسباب التى جعلت كثيرا من علماء المسيحية يقررون ما سبق أن عرضناه عند الحديث عن أسفار العهد الجديد ، وبهذا تكتمل الصورة اليقينية لكل باحث عن الحقيقة ، ومن حقه أن يطلب ذلك ، وأن لسان حال الإنسان الصادق مع نفسه دائما يقول : أريد أن أعرف ، وأن أتدبر ، وأن أتحقق ، ليطمئن قلبى ·

إذن أيها السادة : النقاط المختصرة التى سأقرأها حاليا لا تمثل كلام مسلم في المسيحية ، إنما تمثل خلاصة كلام علماء المسيحية ، أما حديث المسلم فيكون في النهاية حين نصل إلى تعليق أو توضيح أو رأي ·

« إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم ، وعندما ظهرت أولى الكتابات المسيحية فقد كان يُنظر إليها جميعا باعتبارها إضافات أو ملحقا لأسفار الناموس والأنبياء ، وكانت تقرأ أسبوعيا في المعبد اليهودى والكنيسة المسيحية ·

إن العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره ، لكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة · في فترة المائة والخمسين عاما الأخيرة تحقق العلماء من أن الأناجيل الثلاثة الأولى تختلف عن إنجيل يوحنا أسلوبا ومضمونا · إن إنجيل يوحنا يختلف اختلافا بيناً عن الثلاثة المتشابهة الأولى ، فهو لا يذكر أى شيء عن رواية الميلاد ، وبالنسبة للروايات الأخرى فإنه توجد اختلافات في الزمان والمكان ، إذا قورنت بنظيرتها في الأناجيل المتشابهة ، إن التاريخ المضبوط الذى تحددت فيه قانونية أسفار العهد الجديد غير مؤكد » ، هذه فقرات من كتاب « برايتى » وهو ألمانى ·

إن هناك مشكلة هامة وصعبة ، تنجم عن التناقض الذى يظهر في نواح كثيرة بين الإنجيل الرابع والثلاثة المتشابهة ، إن الاختلاف عظيم لدرجة أنه لو قوبلت الأناجيل المتشابهة باعتبارها صحيحة وموثوقا بها ، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا ·

« ليس لدينا أية معرفة مؤكدة بالنسبة للكيفية التى تشكلت بموجبها قانونية الأناجيل الأربعة ، ولا بالمكان الذي تقرر فيه ذلك » · وبالنسبة لموضوع التحريف وإدخال كلمات في النص ، فإننا نقرأ الآتى :

« أما موقف الأناجيل فعلى العكس من رسائل (بولس) إذ أن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد مثل إضافة أو إدخال فقرات بأكملها » (١) ·

إن نصوص جميع المخطوطات في العهد الجديد تختلف اختلافا كبيرا ، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ ، ومهما كان الناسخ حى الضمير فإنه ارتكب أخطاء ، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التى نقلت عن نسخته الأصلية · إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدى المثقفين الذين لم يكن عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة ·

نذهب الآن لدراسة الصورة العامة للأناجيـــل :

وهذا الذى أقوله ليس قولى :

« إن القول بأن « متى » « ولوقا » استخدما إنجيل « مرقس » أصبح على وجه العموم مسلما به ، ولكن بجانب إنجيل « مرقس » فلا بد أنهما استخدما وثيقة أخرى يشار اليها الآن بالحرف (Q) الذى يرمز لكلمة « المصدر » كما استخرجت من الكلمة الألمانية التي تعطى هذا المعنى ·

بالنسبة لإنجيل « مرقس » يقول « هارجارد » حوالى عام ١٣٥ « في الواقع أن مرقس الذى كان ترجمانا « لبطرس » قد كتب بالقدر الكافي من الدقة التي سمحت بها ذاكرته ما قيل عن أعمال « يسوع » وأقواله ، ولكن دون مراعاة للنظام ، ولقد حدث ذلك لأن مرقس » لم يكن قد سمع « يسوع » ولا كان تابعاً شخصيا له ، لكنه في مرحلة متأخرة قد تبع « بطرس » ، ويتفق مع (قول بابياس) هذا ما اقترفه « أرمنيوس » في قوله : « بعد موت بطرس وبولس فإن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه سلم إلينا كتابة ما صرح به بطرس ، لم يوجد أحد بهذا الاسم ـ اسم مرقس ـ عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة « بيسوع » أو كانت له شهرة خاصة بالكنيسة الأولى ·· ومن غير المؤكد صحة القول المأثور الذى يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأن يوحنا هو مرقس المذكور في « أعمال الرسل » ١٢/٢٥، ١٢ أو أنه

(١) دائـرة المعـارف البريطانيـــة ·

مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولى ٥/١٣ أو أنه مرقس المذكور في رسائل بولس (في ٤/١٠) لقد كان من عادة الكنيسة الأولى أن تفترض أن جميع الأحداث التى ترتبط بما ورد ذكره في العهد الجديد إنما ترجع جميعها لشخص واحد له هذا الاسم · ولكن عندما نتذكر أن اسم « مرقس » كان أشهر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الامبراطورية الرومانية ، عندئذ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة ·

بالنسبة لتاريخ كتابة الإنجيل ، فإنه غالبا ما يحدد في الجزء المبكر من الفترة ٦٥ ـ ٧٥ ميلادية ، وغالبا ٦٥ أو ٦٦ ، ويعتقد كثير من العلماء أن ما كتبه مرقس في الإصحاح ١٣ قد سطر بعد عام ٧٠ م وأما عن مكان الكتابة ، فإن المأثورات المسيحية الأولى لا تسعفنا ، فإن كلمات السكندري ، وأورجين يقولان : ربما « روما » وأحيانا يقول آخرون : « مصر » ، وفي غياب أي تحديد واضح تمدنا به المأثورات لمعرفة مكان الكتابة ، فقد بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدنا به ، وعلى هذا الأساس طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل « انطاكية » ، ولكن « روما » كانت الأكثر احتمالا ·

تعليق :

لذلك يتضح أن أحداً لا يعرف بالضبط من هو مرقس كاتب الإنجيل ، كذلك فإن أحدا لا يعرف بالضبط من أين جاء هذا الإنجيل ·

مشاكل إنجيل مرقس :

يتخذ العلماء كلمة « مشاكل » للتعبير المهذب عن التناقضات والاختلافات التي توجد في الكتب المقدسة ، فبدلا من هذا العنوان يقولون : مشاكل الإنجيل ·

من مشاكل إنجيل مرقس : اختلاف النسخ على مر السنين ولقد أدى ذلك إلى أنه ـ حسب النص ـ (ظهرت تغييرات تعذر اجتنابها ، سواء بقصد أو بدون قصد ، ومن بين هذه المخطوطات أو النسخ التى عملت باليد من إنجيل مرقس والتى عاشت إلى الآن فإننا لانجد أى نسختين تتفقان تماماً ، كذلك من مشاكل إنجيل مرقس خاتمة هذا الإنجيل ، تلك الأعداد من ٩ إلى ٢٠ التي تتحدث عن ظهور المسيح وعن تعليم التلاميذ ، لتذكير العالم (بالآب ـ الابن ـ الروح القدس) هذه تعتبر إلحاقية أضيفت فيما بعد بحوالى مائة وعشر من السنين ، لم تظهر أول مرة إلا حوالى سنة ١٨٠ م ·

ننتقل الآن إلى الحديث عن إنجيل (مَتّى) لا يزال من الواضح أن كلًا من بولس

ومتى المبشر اليهودى له وجهة نظر تخالف الآخر فيما يتعلق بأعمال يسوع ، أما بالنسبة لتاريخ كتابة هذا الإنجيل فيمكن القول بأنه كتب حوالى الفترة من ٨٥ ـ ١٠٥ م وعلى أية حال يمكن القول بأنه كتب في الربع الأخير من القرن الأول أى في السنوات الأولى من القرن الثاني وفيما يتعلق بمكان تأليفه فإن شواهد قوية تشير إلى أنطاكية ولما كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة فمن المناسب أن نقول إنه يأتى من مكان ما في المنطقة المحيطة بها أو في مكان ما يقع في شمال فلسطين ٠

مشـــاكل إنجيل متى :

توقع نهاية العالم سريعاً ، والآن هذه الفكرة قد سيطرت على تفكير مؤلفى العهد الجديد إلا أن (مَتَّى) كان أكثرهم حرصاً على تأكيد ذلك ، فقد توقع أن تأتي نهاية العالم في أيام المسيح قبل أن يكون رسله قد أكملوا التبشير في مدن إسرائيل ـ إصحاح عشرة عدد ثلاثة وعشرين ـ وقبل أن يدرك الموت بعض معاصري المسيح والذين استمعوا إلى تعاليمه ، (إصحاح ستة عشر عدد ثمانية وعشرين) وقبل أن يكون ملك الجيل الذي عاصر المسيح وتلاميذه قد تم ، (إصحاح أربعة وعشرون عدد ٣٤) ومن الواضح كما يقول (جون كونتن) أن شيئاً من هذا لم يحدث كما توقعه (مَتَّى) ثم تأتى خاتمة الإنجيل التى يشك فيها العلماء ويعتبرونها دخيلة وهي تنسب إلى المسيح قوله لتلاميذه اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس ـ إصحاح ٢٨ عدد ١٩ ـ ويرجع هذا الشك كما يقول ـ آبل هارمك ـ وهو من أكبر علماء المسيحية ـ إلى الآتى : لم يرد إلا في الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية مايتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أبقى من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئاً عن هذا ، إن صيحة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ في عهد الرسل ، وهو الشيء الذي كان حقيقة جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصياً ٠

إنجيـــــل لوقـــــــا :

نبدأ بالمقدمة التى ألقت كثيراً من الضوء على ما كان يحدث صدر المسيحية وخاصة فيما يتعلق بتأليف الأناجيل ، فهو يقول : ـ اذا كان الكثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخدام للكلمة ، رأيت أنا أيضا ، اذ قد تتبعت كل شيء من الأول بترتيب أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز (جافينوس) لتعرف صحة الكلام الذى علمته من هذه المقدمة تتضح جملة أمور لا بد من التسليم بها ٠

إن لوقا يكتب رسالة شخصية إلى جافينوس ، وإن هذه الرسالة تكتب على التوالى حسبما تتوفر له إمكانية الكتابة من وقت ومعلومات وإن هذا العمل قام به لوقا بدافع شخصي بحت بغية أن تصل المعلومات التى علم بها إلى صديقه ، ولم يدع الرجل في رسالته أنه كتبها بإلهام ، أو مصوغة من الروح القدس ، بل يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي ، لأنه تتبع كل شيء من الأول بتدقيق ، كذلك يقرر لوقا أن كثيرين قد أخذوا في تأليف أناجيل وأخيراً يعترف لوقا بأنه لم ير المسيح ولم يكن فى تلاميذه لكنه كتب رسالته بناء على المعلومات التى استلمها من الذين عاينوا المسيح وكانوا في خدمته ، ومن المعلوم أن سفر أعمال الرسل وهو أطول أسفار العهد الجديد هو الجزء الثانى من رسالة لوقا لجافينوس ، ولقد حاول العلماء معرفة جافينوس هذا ، ولكن جهودهم لم تصل إلى نتيجة محددة يقول فردريك براون لم يخبر بمن يكون جافينوس هذا ، قد يمكن افتراضه موظفاً رومانياً كذلك لم يخطر بأولئك الكثيرين الذين أخذوا في تأليف قصة مماثلة . برغم أن الموضوع لا يتعدى مجرد احتمالات غير مؤكدة ، فليس من المتعذر أن يكون مؤلف إنجيل لوقا قد جمع مادة في فلسطين أو سورية مبكراً في الفترة من ٧٠ - ٨٠ م ثم ربطه بالجزء الأكبر من إنجيل مرقس في وقت ما من السبعينات ، ثم أصدر إنجيله حوالى عام ٨٠ أو ٨٥ م وذلك بعد حوالى ٥ سنوات فإنه ذيل كتابه الأصلى برسالة ثانية نعرفها الآن باسم أعمال الرسل ، ثم نشر مصنفه في حوالى ٩٥ م ٠

من أقـــوال العلماء في إنجيل لوقـــــا :

إن سفر أعمال الرسل يوجد فيه كثير من النقاط التى تتعارض تعارضاً تاماً مع التعاليم المذكورة في رسائل بولس ومن غير المعقول أن هذه قد سطرها شخص له معرفة ببولس ، ورحلاته التبشيرية ، من الواجب ذكر لوقا كشخصية بارزة في سجلات التاريخ في القرن الأول للمسيحية ٠

مشاكل إنجيـــل لوقــــــا :

يعانى نص إنجيل لوقا من التغييرات التى تعانى منها الكتب الأخرى في العهد الجديد ، إلا أن النص العربى للإنجيل وسفر أعمال الرسل يعانى من اختلافات مثيرة ، بالإضافة أو الحذف ، ثم هناك المشكلة الحادة التى نتجت عن اختلاف نسب المسيح كما ذكره لوقا ، عما جاء في نظيره إنجيل (مَتّى) وفي أسفار العهد القديم ، وهذه واحدة من مشاكل الأناجيل سوف نبحثهما فيما بعد ٠

إنجيـــل يوحنـــــــا :

حسب أقوال العلماء ، لقد كان من المعتقد لفترة طويلة أن يوحنا كان على بينة من وجود الخلافات السابقة وأنه قد كتب ليكملها أو ليصححها في حالة أو حالتين ، فقد جرى القول بأن حادثة تطوير الهيكل على سبيل المثال قد وضعها يوحنا عمداً في بداية بعثة يسوع لأنه حسبما تذكرها يوحنا الذي تقدمت به السنون كان ذلك موضعه ·

كذلك لأنه صحح تاريخ الصلب حيث وضعه عشية الفصح وهو اليوم الذي تذبح فيه خراف الفصح ومن ناحية أخرى فإن لقب (ابن الانسان) الذي لم يستعمله بولس قط قد أبقى عليه يوحنا ، من هو يوحنا ؟؟ ·

لقد كان يوحنا مسيحيا وبجانب ذلك إنه كان أردنياً ومن المحتمل أن لا يكون يهودياً ولكنه شرقي أو إغريقي ومن المحتمل أن يكون إنجيل يوحنا قد كتب في أنطاكية أو الاسكندرية أو حتى روما فإن كلًا من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعاية العقائدية في القرنين الأول والثاني من الميلاد ويقول (جون مارك) في مقدمة ترتيبه لانجيل يوحنا تحت عنوان (استحالة التوقيف) حينما نأتى لمناقشة المشاكل الهامة والمعقدة التى تتعلق بالإنجيل الرابع ، نجد أنه من المناسب والمفيد أن نعترف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة بالتعريف بالإنجيل وكاتبه يمكن إيجاد حل لها ، من كان هذا ال (يوحنا) الذي قيل إنه المؤلف ؟ أين عاش ؟ ·

من الصعب بل من المستحيل تحقيق أي شيء أكثر من الاحتمال حول مشاكل إنجيل يوحنا ، ويعتقد كاتب هذه السطور أى (جون مارك) أنه ليس من المستحيل الاعتقاد أنه خلال السنوات العشرة الأخيرة من القرن الأول الميلادى قام شخص يدعى (يوحنا) من الممكن أن يكون يوحنا مرقس ـ وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة فقام عندئذ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع ، اختص بها طائفته الخاصة التي كانت تعتبر نفسها عالمية كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان ·

مشاكل إنجيـــل يوحنـــــــا :

تقول دائرة المعارف الأمريكية : يوجد ذلك التضارب الصارخ بينه وبين الأناجيل المتشابهة ، فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس بالتسلسل التاريخى للأحداث ، وتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيسى لرسالة يسوع ، بينما يقرر أنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية

كانت المركز الرئيسى وهناك مشكلة في الإصحاح الأخير رقم ٢١ من الإنجيل : إن القارىء العادي يستطيع أن يرى أن الإنجيل ينتهى بنهاية الإصحاح العشرين الذي يقول : (وأن هذه فقد قيلت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ا بن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة بكر) ٠

إن هذا الإعلان يبين بوضوح الغرض الذى كتب من أجله هذا الكتاب . بعد ذلك يأتى الإصحاح الأخير الذى أخبرنا أن يسوع ظهر (كرب) أقيم من الأموات إلى خمسة تلاميذ وأنه قال لبطرس : ارع خرافي !! وكذلك تعليق مبهم يقول : هذا هو التلميذ الذى جاء عن طريق الجماعة التى تشير لنفسها بكلمة « نحن نعلم » وفي حقيقة الأمر فإن هؤلاء يصعب تحديدهم . وقد ظهر شيء من التآلف بين إنجيل « لوقا » وإنجيل « يوحنا » مما ساعد على ظهور نظرية تقول بأن يوحنا استخدم إنجيل لوقا كأحد مصادره . إلا أن هذه النظرية موضع معارضة بسبب الاختلاف الواضح بين الإنجيلين في المواضع المشتركة بينهما ٠ فكلا الإنجيلين يتحدث عن بطرس وصيد السمك . لكن أحدهما « لوقا » يضع القصة مبكرا في رسالة يسوع في الجليل أما الآخر « يوحنا » فيضعها بعد قيامته من الأموات (لوقا : إصحاح ٥ أعداد ١١/٨ . يوحنا : إصحاح ٢١ أعداد ١٤/٨) ٠

وكلاهما يتحدث بلغة مشتركة عن كيفية مس يسوع بالطيب من امرأة . لكنها في أحدهما « لوقا » كانت زانية في بيت شريف . بينما في الآخر « يوحنا » كانت امرأة صديقة ليسوع . وأن ذلك حدث في بيتها ٠

تعليق :

التعليق بعد هذه الخلاصة الذي أقوله . والذي أعتقد أي مستمع يمكن أن يقوله . أتصوره كالآتى :

إن النتيجة التي لامفر من التسليم بها كما بينتها هذه الخلاصة أن الأناجيل القانونية ما هي إلا كتب مؤلفة بكل معنى الكلمة . وهى تبعا لذلك معرضة للصواب والخطأ . لا يمكن الادعاء ولو للحظة واحدة أنها كتبت بإلهام . كتبها أناس مجهولون في أماكن غير معلومة وفي تواريخ غير مؤكدة . والشيء المؤكد الذي يلحظه القارىء البسيط هو أن هذه الأناجيل مختلفة وغير متآلفة . بل إنها متناقضة مع نفسها ومع حقائق العالم الخارجي ٠

إن هذا القول قد يضايق المسيحي العادى بل إنه قد يصدمه . لكن العالم المسيحي المدقق أصبح هذا القول الذي يعنى وجود أخطاء في أسفار الكتاب المقدس حقيقة مسلماً بها . إن الكنيسة الكاثوليكية التى تتمسك بشدة بعقيدة الإلهام التى تأكد القول بها في مجمع

الفاتيكان الذي عقد عام ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ م ٠ والذي تقرر فيه أن الكتب القانونية لكل من العهدين القديم والجديد ، قد كتبت بإلهام من الروح القدس ، وقد أعطيت هذا للكنيسة ٠٠ لكنها عادت الآن بعد نحو قرن من الزمان لتواجه الحقائق وتعترف بها ، فلقد بحث المجمع المسكونى الثانى للفاتيكان الذى عقد في الفترة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م ـ المشكلة التى تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص أسفار العهد القديم وقدمت له خمس صور مقترحة استغرق بحثها ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة وأخيرا تم قبول صيغة حظيت بالأغلبية الساحقة ، إذ صوت إلى جانبها ٢٣٤٤ عالم ضد صفر ٠٠ وقد أدرجت في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم في الفصل الرابع ص٥٣ تقول :

« بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وصفه المسيح ٠٠٠ تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو (الله) ومن هو (الإنسان) ، غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان » انتهى هذا النص ٠

إن السؤال الذي يطرح نفسه الآن : كم من المؤمنين بقداسة هذه الأسفار واعتبارها تعليما إلهيا موحىً به من الله يعلم هذا الذي قررته الكنيسة بشأنها وما تحتويه من شوائب وبطلان ؟ ، ومالنا نذهب بعيدا ولدينا الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك ١٩٦٠ م وهو يقدم لأسفار موسى الخمسة بقوله : « كثير من علامات التقدم تظهر في روايات هذا الكتاب وشرائعه ، مما جعل المفكرين ـ كاثوليك وغيرهم ـ على التنقيب عن أصل الأسفار الخمسة الأدبي ، فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب الأسفار الخمسة منذ قصة الخلق إلى قصة الموت كما أنه لا يكفى أن يقال إن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة ٠٠ كما يقول الكتاب المقدس في تقديمه (القس راعون) ٠٠ « من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان بالبدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماما ثم أضاف إليها عددا من التفاصيل يجعل الرواية أكثر حياةً ، ويعطيها قيمة أدبية ٠

وها هى كتب التفسير التي توزع هنا تعترف بتسرب أخطاء خطيرة إلى أسفار العهد الجديد ، فقد جاء في كتاب : « هل الكتاب المقدس حقا كلمة الله ؟ » ص١٦٠ ما يلى :

(بمقارنة أعداد كبيرة من المخطوطات القديمة باعتناء يتمكن العلماء من اقتلاع أية أخطاء ربما تسللت إليها ٠٠ مثال ذلك الإدخال الزائد في رسالة يوحنا الأولى ، الإصحاح الخامس ٠٠ فالجزء الأخير من العدد (٧) والجزء الأول من العدد (٨) يقول حسب الترجمة البروتستاتينية العربية طبع الأمريكان في بيروت : (في السماء الأب والكلمة والروح

القدس) ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ·· والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة : (الروح والماء والدم) وهؤلاء الثلاثة هم في واحد ، ولكن طوال القرون الثلاثة عشر الأولى للميلاد لم تشتمل أية مخطوطات يونانية على هذه الكلمات ، وترجمة مريطة العربية تحذف هذه الكلمات كليا من المتن ·· والترجمة البروتستاتينية العربية ذات الشواهد تضعها بين هلالين ، موضحة في المقدمة أنه ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها) انتهى الإقتباس ·

• أعتقد أن أبسط تعليق أن هذا النص الخطير الذي دخل ابتداء من القرن الثالث عشر والذي يُقتبس منه فكرة التثليث لم يكن له وجود طوال القرون السابقة ، وهذا تحريف خطير لأنه أساس العقيدة ، وهكذا نجد أن نصوصا وأفكاراً تتسرب إلى الكتابات التى اعتبرت مقدسة عبر القرون ، فكل ما يتعلق بتثليث أو ثالوث ما من شك أنه دخيل على مسيحية المسيح الحقة ، التي لا تزال لها جذور ثابتة في الأناجيل الموجودة الحالية ، ويكفي عندما يأتي العلماء لتفسير حالات المسيح الأخيرة التى يقول فيها « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » يقولون إن هذا توحيد صرف ·

وهذا الكلام معناه باللغة العربية المتداولة « لا إله الا الله المسيح رسول الله » · ومن هذه النقاط يمكن أن تلتقى المسيحية مع الإسلام وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنك أنت الإله وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته » ···· وفي فقرات أخرى في نقاش آخر مع الإسرائيليين كان قوله « اسمع يا إسرائيل ·· الرب إلهنا رب واحد » وهذه فقرة تشير إلى مافي أسفار العهد القديم ·

وعندما تقدم إليه إسرائيلى يسأله : « أيها المعلم الصالح ·· ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ · ماذا قال المسيح ··· لم يقل له افعل كذا أو كذا · ولكنه أولا نفى الصلاح عن نفسه ·· وقال الآتى : كيف تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالح إلا واحد وهو الله · بعد ذلك بدأ المسيح يعلمه ، ماجاء في أسفار العهد القديم وما دعى إليه وهو التوحيد في العقيدة والتمسك بشريعة موسى ·

بهذا انتهى من الكلام عن أسفار العهد القديم ·

بعد ذلك ندخل في الحديث عن أسفار العهد الجديد حيث يستطيع كل واحد ، مهما أوتي حظا من الثقافة والعلم أن يتأكد من صحة هذا الكلام ·

الدكتور محمد جميل غازى : بعد هذا الجزء النظري ·· نريد جزءً تطبيقياً بمعنى أن نستخرج بعض وجوه التناقض في روايات الأناجيل ··· وبعض وجوه التناقض في

الرواية الإنجيلية الواحدة .. يعنى مثلا هل هناك تناقض في روايات إنجيل متىً مع بعضها ؟ وهل هناك تناقض في روايات الأناجيل بعضها مع بعض ؟ . نرجو نماذج تطبيقية تكون واضحة .

بعد هذا العرض ... نعرف أن هناك تناقضات فيما بينها ، وانها غير موثقة وأن رواتها مجاهيل وأنها تفقد السند .. كل هذا الكلام قاله .. وقد نقلها عن الرواة الأجانب .. وختم كلامه في الرواية بما اتفق عليه المجمع المسكونى برئاسة البابا وقرروا بالإجماع أن هذه الأناجيل دخلت عليها أشياء دخيلة .

نريد أن نعرف النصوص التطبيقية ونحكم فيها عقولنا ، ونحكم فيها المراجعات بين نسخ الأناجيل المختلفة ومعنا والحمد لله نسخ من الأناجيل مختلفة فنرى ما الذى تقوله الأناجيل وتتناقض فيه وتتضارب فيه أو تلتقى عنده ونرى الإنجيل الواحد كإنجيل متى أو لوقا أو يوحنا .. نرى ماهى وجوه الخلاف بينها هذه ستوضح في الأسلوب التطبيقى الذى سيوضحه الآن :

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

نبدأ بالمشكلة الأولى التى أسميتها « الاختلاف الكثير » حيث يوجد اختلاف كثير بين الأناجيل الواحد والآخر .. واختلاف داخل الإنجيل نفسه وطبعا في أى دراسة تحكمنا القاعدة الأساسية التى لا بد أن يقبلها الكل « لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

النقطــــة الأولى :

اختلف متى ولوقا في نسب المسيح فجعله متى يأتى من نسل سليمان بن داود حيث جاء يوسف خطيب مريم في الجيل رقم ٢٧ باعتبار داود الجيل رقم ١ . لكن لوقا جعله يأتى من نسل « ناسان » بن داود ابن أخ لداود حيث جاء يوسف في الجيل رقم (٤٢) باعتبار أن داود في الجيل رقم ١ .

كيف عرف العلماء ذلك ؟ وضعوا جدولا ... ووضعوا فيه أقوال كل من (متى) (ولوقا) .. وقارنوا المجموعتين مع بعض ..

أقترح أخذ فكرة عن الجدول لعمل مثله في البيت .. ونستطيع كل واحد أن يعمل مثله في البيت نعمل عمود في الوسط وهو أهم عمود ونكتب قوله سفر أخبار الأيام وعن يمينه

إنجيل متى وعن يساره إنجيل لوقا ونبدأ من (داود) طبعا الاخوة المسلمين ربما يستغربوا من فكرة نسب المسيح ·· فقد جرت العادة في التعاليم المسيحية أن يوسف النجار كان خطيب مريم وبعد أن حملت من الروح القدس فكر أن يتركها وبعد ذلك عرف أن الحمل مبارك من الروح القدس فبقى معها ·· المهم أن كلا الإنجيلين ينسب المسيح كنبوة ليوسف ·· يقول هو ابن يوسف ·· ابن كذا ·· الخ ·

نجد الآتى ·· أن الخلاف الرئيسى أن متى جعل نسب المسيح من نسل سليمان بن داود ·· ولكن لوقا نسبه إلى ناسان بن داود ·· ·

نمره ٢ : في تسلسل هذه الأنساب ·· نجد أن بالاعتماد على أخبار الأيام الأول نجد أن (متى) أسقط مجموعة من الناس في الطريق ·

نمره ٣ : أن متى أخطأ مع نفسه عندما قال جميع الأجيال من إبراهيم إلى داود (١٤) جيلًا ، ومن داود إلى ···· (١٤) جيلا ومن ··· إلى يوسف (١٤) ···· وجدنا أن الأخيرين ١٣ وليس ١٤ جيلا ·

فيمكن تلخيص هذا الاختلاف بناء على هذه المسلسلات ··· نص ذكره نور ترتون في تفسيره لإنجيل متى ··· أن يشير متى إلى أنه في كل من العقود الثلاثة يوجد أربعة عشر جيلا رغم أنه في الحقيقة لم يذكر سوى ثلاثة عشر اسما في الجيل الأخير ابتداء من الأصحاح الأول عدد ١٢ ـ ١٦ ·

وفي منتصف قائمة لوقا نجد هذه الأسماء يوحنا بن ريسا بن برمبال لكن يوحنا هى صيغة أخرى لاسم حنانيا أن هذا الشخص ريسا لم يذكر البتة في سفر أخبار الأيام الأول · لكن ريسا هى كلمة آرامية تعنى أمير ·

أن الخطأ الذى لحق بقائمة لوقا يمكن إرجاعه إلى أن القائمة الأصلية التى نقل عنها كانت مصنفة بترتيب عكسى هكذا (برمبال الأمير ولد يوحنا) هذا كلام نورترثون في ترتيبه لانجيل « متى » وخلاصة القول في نسب المسيح أننا اذا اعتبرنا سفر أخبار الأيام الأول هو المرجع الرئيسى لانساب الآباء وقد أخطأ « متى » في سلسلة نسب المسيح حين أسقط منها في الواقع خمسة أسماء المسلسلات ٩و١٠و١١و١٨و٢١ · وأخطأ لوقا حين أضاف ريسا المسلسل رقم ٢٤ بين برمبال ويوحنا ـ اختلف « لوقا » مع (متى) اختلافاً جوهرياً حين جعل يوسف خطيب مريم ينحدر من نسل (ناسان بن داود) بينما جعله (متى) ينحدر من نسل (سليمان بن داود) ·

ونتيجة لهذا الاختلاف صارت الأجيال ١٤٠ جيلا حسب إنجيل لوقا ، ٢٣ جيلا حسب إنجيل متَّى ٠

وقد قدم مدير الندوة الاستاذ ابراهيم خليل أحمد ليتحدث عن هذه القضية حيث حققها وهى ما تتعلق بالنداءات الموجهة في الإنجيل أو نسب المسيح إلى داود ، ويثبت بطلان نسب المسيح إلى داود أساساً وأن نسبه إلى هارون لا إلى داود وأنه من سبط اللاويين ولا علاقة له بداود على الإطلاق :

الاستاذ ابراهيم خليل أحمد :

قال إن الحقيقة أن المعلومات التى سأقولها هى من الكتاب المقدس ومن القرآن الكريم فقد جاء في الكتاب المقدس في نصوص أناجيل (متى) (ولوقا) عندما دخل المسيح إلى أورشليم بدخول ابن قصارم ... هلل الأولاد وقالوا : وصلنا مبارك الآتى باسم الرب مبارك بن داود ...

المقصود هنا من كلمة ابن داود أن يرجعوا بنسب المسيح إلى سبط يهوذا الذى منه داود الملك ، لكن في الحقيقة أريد أن أقول : ـ أن مرقس يختلف في هذه المسألة وإليكم النص في إنجيل مرقس : « ثم أجاب يسوع وقال : وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبة أن المسيح ابن داود لأن داود نفسه قال : يابن الروح القدس قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع اعداءك موطأً لقدميك » الإصحاح ١٢ عدد ٣٥ ـ ٣٧ ٠

فداود نفسه يدعوه رباً فمن أين هو ابنه ؟ وكان الجمع الكثير يسمعه ٠ في مرقس هنا تيقن أن المسيح بن داود ٠

عندما نأتى لنحقق ذلك في القرآن الكريم في سورة مريم ٠

« يا أخت هارون ما كان أبوك أمرأ سَوْء وما كانت أمكَ بغياً) معنى ذلك أن القرآن ينسبها إلى سيدنا هارون أخو موسى ٠ وموسى وهارون من سبط اللاوى .. وسبط لاوى هذا هم سدنة الهيكل ٠ ومريم العذراء كانت المريم البتول التى عاشت في قدس الأقداس مع زكريا وهى أيضاً من سبط لاوى ٠ فالمسيح نسب إلى أمه لأنه من سبط لاوى ولم يكن على الاطلاق من سبط داود الذى منه يوسف خطيب مريم ٠

الفكرة من محاولة نسب المسيح لداود أن يلبسوا المسيح ثوب داود الملك على اعتبار أنه جاء ملك مخلص لبنى إسرائيل ويعيد مملكة إسرائيل التى هى مملكة داود ٠

خلاصة الكلام أن المسيح نادى بغير ماكان يتصور بنو إسرائيل نادى بملكوت الله · وهم كانوا ينتظرون مسيحاً ملكاً يحررهم ويخلصهم من نير الرومانيين ·

مدير الندوة :

من غير المعقول أن ننسب المسيح إلى شخص لا علاقة له به بالمرة وهو يوسف النجار ـ فيوسف النجار عبارة عن خطيب لأمه · فإذا نسبنا المسيح في سلسلة نسب يوسف فهذا لا يقره عقل ولا خلق مع المسيح عليه السلام · إنما ينسب إلى أمه ثم إلى نسبه الذى ينتهى كما رأيتم إلى سبط اللاويين وليس إلى سبط يهوذا كما ينادى دائما يا بن داود لأنه ليس ا بن داود ، وإنما هو من سبط اللاويين ·

الأستاذ أحمد عبد الوهاب : ـ

قال : نأتى بعد ذلك إلى اختلاف كتبة الأناجيل في أسماء التلاميذ من المعروف أن المسيح كان له اثنا عشر تلميذاً · فاختلف (متى) (ومرقس) من جانب مع (لوقا) و (يوحنا) من جانب آخر في أسماء التلاميذ · فقد أورد الأخيران اثنين (يهوذا) : يهوذا الاسخريوطى ، ويهوذا بن يعقوب ولم يظهر (يهوذا بن يعقوب) في قائمة كل من (متى) (ولوقا) ·

وهنا يعلق (جون كيك) في تفسيره لإنجيل (لوقا) (عندما كتب الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ ·

أن (يهوذا بن يعقوب) لا يظهر في القائمة المذكورة في إنجيل كل من (متى) و (مرقس) · بينما شغل مكانه ميثاوس ·

تعليق : ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) ظهر تحت شمس التاريخ والصحابة كانوا بين مائة ألف ومائة وأربعة عشر ألفاً وعرضت وعرفت أسماؤهم وأنسابهم · فهل يعقل أن نجهل اثنى عشر تلميذاً ؟ · هذا هو الواقع ·

مدير الندوة :

قال : نريد أن نعرف الأسلوب الذى يمكن أن يتكلم به إله مع شجرة · فالإنجيل يقول : ـ ان المسيح ذهب إلى الشجرة ·

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

قال هناك نص آخر : في الإصحاح رقم ١٢ قبل متى « ودخل يسوع إلى هيكل الله

وأخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيالهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتى · بيت الصلاة وأنتم جعلتموه مغارة لصوص ·

وتقدم إليه عمىٌّ وعرجٌ في الهيكل فسقاهم · فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التى صنع والأولاد يصرخون في الهيكل ويقولون : - أوصلنا بابن داود ··· » وقالوا له : تسمع ما يقول هؤلاء فقال له يسوع نعم · أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع إياك تسبيحاً قم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عمه وبات هناك وفي الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع فنظر شجرة تين على الطريق وجاء إليها فلم يجد فيها شيئاً إلا ورقاً فقط - فقال لها : لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد فيبست التينة إلى الأبد » حادثة شجرة التينة حدثت بعد عودته من تطهير الهيكل ·

وفي إنجيل (مرقس) إصحاح ١١ عدد ١٢ ·

« وفي الغد لما خرج من بيت عمه جاع فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين فذهب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد · وكان تلاميذه يسمعون وجاءوا إلى أورشليم ولما دخل يسوع الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلّب موائد الصيارفة والكراسى وباعة الحمام ولم يدع أحدا يجتاز الهيكل بالمساء وكان يعلم قائلًا بيتى بيت للصلاة والدعاء لجميع الأمم وأنتم جعلتوه مغارة اللصوص ، وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بُهت الجمع كله من تعليمه ولما صار المساء خرج إلى خارج المدينة ·

تعليق مدير الندوة :

فالروايتان مختلفتان · وقد صور يسوع وهو ما يسمى الرب بأنه جائع - وهل الرب يجوع ؟ ويجهل أن الوقت وقت تين - فكيف يكون خالق الشجرة جاهلا متى تثمر فيكون علمه أقل من علم الفلاح العادى - ثم يلعن الشجرة - وكان منطق الشجرة أن تقول له لم تلعننى وقد خلقتنى دون ثمر ؟

الأستاذ أحمد عبد الوهاب قال :

نأتى بعد ذلك إلى موضوع (يوحنا المعمدان) و (المسيح) والمعروف فى الإسلام يحيى بن زكريا ·

(من المعلوم فى المسيحية والإسلام أن يحيى بن زكريا (المعمدان) والمسيح بن مريم أقرباء تربوا مع بعضهم فرق السن بينهم ستة شهور وعاشوا فترتهم مع بعض ثم تلقى يحيى الرسالة أولاً وجاء ليقدم المسيح لبنى اسرائيل ومعروف فى خطبة التقديم أن الناس كانوا يعتمدون منه كيف يعرفون أن يتطهروا ويتوضؤوا فى ماء الاردن فجاء المسيح يعتمد منه فقال يوحنا للمسيح أنت أعظم منى فقال له المسيح إننى لا بد أن أكمل كل بر فاعتمد منه ومنذ ذلك الوقت بعد هذا الغسيل الذى غسله يوحنا للمسيح حلَّ عليه الروح القدس أو نزل معه الملك الذى يؤيده ـ هذا ملخص القصة بتمامها ـ

اذن من الثابت أن يوحنا المعمدان كان يعرف المسيح تماماً ويعرف أنه يعرف جميع بنى اسرائيل وهو الذى سلمه هذه الرسالة ٠

بعد ذلك لأسباب سياسية فى ذلك الوقت يوحنا حصل منه مقاومة لطغيان حاكم الولاية فوضعه فى السجن نجد أن أنجيل (متى) الذى كتب هذا الكلام يقول : ما ملخصه « أن يوحنا وهو فى السجن بعد أن سمع بأعمال يسوع بعث يسأله هل أنت هو الآتى ام تنتظر آخر ؟ ٠

نأتى بعد ذلك لموضوع هام جداً بالنسبة لكلمة نبى :

متفق بين علماء الديانات وخصوصاً ديانات الكتب المقدسة أن أحد تعاريف النبى (هو الذى ينبىء عن الله) أو يتكلم بوحى من خالقه فالمفروض أن يكون عنده شيء يأخذه بحذر بالنسبة للغيب أو المستقبل ٠ ومن المؤكد أن الذى يصدقه فيما حدث فى الحياة الدنيا لا بد أن يصدقه فيما وعد به فى الحياة الآخرة لكن عندما تنسب نبوة لنبى ما ويشهر النبوءة ثم تثبت الحياة الدنيا أنها لم تتحقق يبقى ماذا يكون المصير بالنسبة لهواة الحياة الآخرة ـ هذه قاعدة أعتقد أننا متفقين عليها ـ فالنسبة لموضوع النبوءات نجد الآتى :

أن السيد المسيح مع تلاميذه تنبأ لهم بأن نهاية العالم سوف تأتى فى القرن الأول الميلادى وهذا يفرض فى نفوس كثيرة من ضمنها ومن الأفضل أن نقرأ النص « دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسه وأوصاهم قائلا : أنا أرسلكم كغنم وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمائم ومتى طردوكم من مدينة فاهربوا إلى الأخرى ، فان الحق أقول لكم ٠ لتكملون مدن اسرائيل حتى يأتى إبن الإنسان » ـ (متى) اصحاح عشرة الأعداد ١ و٢٣ ٠ أى أن عودة المسيح ثانية الى الأرض تحدث قبل أن يكمّل تلاميذه التبشير فى مدن اسرائيل وهى كذلك تحدث قبل أن يكون معاصرى المسيح الذين عاشوا فى

القرن الأول من الميلاد قد ماتوا · والنص يقول : « إن ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله · الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته » (مَتّىَ) أصحاح ١٦ عدد ٢٧ و ٢٨ · وبصورة أخرى تؤكد ما سبق فان نهاية العالم وعودة المسيح ثانية الى الأرض لا بد أن تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل فى القرن الأول من الميلاد · والنص يقول :

(بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوء والنجوم تسقط من السماء وقوة الأرض تتزعزع وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء ويبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير · الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله) ·

قال العلماء أن هذه التنبوءات خاطئة ولا يمكن الدفاع عنها ·

تعليـــق :

نلاحظ فى العبارة التى تقول إن ابن الانسان يأتى على السحاب · فانهم طبعا لم يروا المسيح يأتى على السحاب بل رأوه على الصليب فكونهم يشبهونه أنه يأتى على السحاب فهذا ما لم يره أحد إطلاقاً ·

• ومن النبوءات التى اتفق العلماء على أنها لم تحقق ولن تتحقق يلخصها هذا النص (أن المسيح جالس مع تلاميذه فقالوا له قد تركنا الدنيا وتبعناك فماذا يكون لنا ـ وتلاميذه فيهم يهوذا الخائن ـ لأنه خان فى آخر لحظة ـ قال لهم إنكم الاثنى عشر ستجلسون معى على كراسى تدينون إسباط إسرائيل) ·

• فى حوار دار بين المسيح وتلاميذه عن من تكون له النجاة فى العالم الآخر · سأل بطرس · معلمه عن أجر المؤمنين فقال : (ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فأجابه المسيح : متى جلس إبن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على إثنى عشر كرسياً تدينون إسباط إسرائيل الإثنى عشر) اصحاح ١٩ ، ٢٧ ، ٢٩ ·

تعليـــق :

لقد كان يهوذا الاسخريوطى أحد التلاميذ الإثنى عشر وبعد خيانته أصبح يعرف بالهالك لأنه طرد من صحبة المسيح فى الدنيا والآخرة وبهذا استحال تحقيق هذه النبوءة واذا رجعنا الى نظير هذه الفقرة فى انجيل لوقا لوجدنا الآتى : (وهو كلام من تفسير فمتون)

(أنه حذف العدد الإثنى عشر ولعل ذلك يرجع كما يقول (فمتون) إلى أنه كان يفكر فى يهوذا الاسخريوطى) ٠

تعليـــق :

اذن استحال تحقيق هذه النبوءة ٠

• هناك نبوءة أخرى ـ ونكتفى بها فى موضوع النبوءات ـ أن المسيح يدفن فى الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال ٠ حاول قاضى من اليهود تعجيز المسيح فقال له : نريد منك يا معلم أن نسمع منك آية فأجاب وقال جيل شرير وفاسق يطلب آية ؟ ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبى ٠ لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال يكون هكذا ابن الانسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال) (متى) الاصحاح ١٢ العدد ٣٨ ٠

تعليـــق :

هذا القول جاء فى الاناجيل وذكر فى انجيل (لوقا) مع إختلاف هام يلحظه القارىء وذلك فى قوله : (هذا الجيل شرير يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبى) لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الانسان أيضاً لهذا الجيل ... (لوقا) اذن تخلص من تحديد ثلاثة أيام وثلاث ليال ٠

نقرأ فى سفّر (يونان) من أسفار العهد القديم (أعد الرب حوتاً عظيماً ليبتلع يونان فكان يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال فصلى يونان إلى رب إله فى جوف الحوت وأمر رب الحوت فقذف يونان الى البر) اذن من الواضح لتتحقق هذه النبوءة فى المسيح حسب قولهم يجب أن ينتظر ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى يظهر ثانيةً ويقوم ٠

لكن اذا رجعنا إلى ما تذكره الاناجيل من أحداث الصلب والخيانة لوجدنا أن المصلوب أنزل من على الصليب مساء الجمعة ٠ (ولما كان المساء اذ كان الاستعداد ـ أى ما قبل السبت ـ جاء يوسف ودخل إلى بلاط الحاكم وطلب جسد يسوع ٠ فدعا قائد المائة وسأله هل له زمان قد مات ؟ ولما عرف من قائد المائة ... اشترى كتاناً وأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتاً فى صخرة ودحرج حجراً على باب القبر) (مرقس) اصحاح ١٥ عدد ٤٢ ٠

وقد اكتشف تلاميذ المسيح وتابعوه أن ذلك القبر كان خالياً من الميت فى الساعات الأولى من فجر يوم الأحد ٠

وبهذا يقول انجيل (متى) (وبعد السبت عند فجر أول الاسبوع جاءت مريم المجدليه ومريم الاخرى لتنظر القبر فأجاب الملاك وقال للمرأتين ليس هو ههنا لأنه قام كما قام) ٢٨ العدد ١ ٠

كذلك يقول انجيل (يوحنا) (وفى أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باقٍ فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر) ٠

تعليـــق :

بعملية حسابية بسيطة نجد أن الأيام التى قضاها الميت فى بطن القبر يوم وليلتان أى يوم السبت وليلة السبت والأحد ٠ إذن لا تصح دعوى ثلاثة أيام وثلاث ليال ولذلك فقد تخلص منها (لوقا) ٠

مـدير النـــدوة :

نريد أن ننظر فى الذين زاروا القبر لأنه أحياناً تكون مريم المجدلية وأحياناً تكون معها مريم أم يعقوب ، وأحيانا تكون الأسماء مختلفة ٠ ثم لماذا يذهبون إلى القبر ٠ لماذا تذهب مريم المجدلية إلى القبر ؟ الانجيل يقول أنها إخذت (حانوت) لتحنط المسيح مع أنه من المعروف أن المسيح حُنط بخمسين كيلو حلبة ٠ فاذا كان المسيح قد حنط بخمسين كيلو فلماذا تذهب مريم المجدلية فى اليوم الثانى وماذا تعمل ؟ ولماذا تحنطه بعد أن حنط بأكثر من نصف وزنه ؟ كيف يمكن أن يعقل هذا ؟ ٠ أرجو أن توضح لى الأسماء التى اختلفت فيها الاناجيل ٠

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

سيأتى ذلك عند دراستنا لموضوع القيامة ٠

مـدير النــدوة :

لا مانع لأن عندنا موضوعات عن الصلب والفداء والقيامة ستُفصل ٠ لأن في موضوع الصلب والفداء والقيامة أربعة وثلاثين تناقضاً سنوردها ونرى هذه التناقضات ولنرى كيف قال الله سبحانه وتعالى : **(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وأن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ...)** ٠

قضيـــة الصلـــب :

من أكبر معجزات القرآن الكريم أنه قال أن المسيح لم يصلب الآية ١٥٧ من سورة النساء ٠

لكن موضوع (ا بن الله) ، وهو الله ذكر فى القرآن أكثر من مرة ونفى أكثر من مرة كذلك · (**قل هو الله أحد**) تعدل ثلث القرآن · هذه قمة المعجزات · ثم موضوع الصلب ما كان ممكناً لو أن القرآن ليس من لدن حكيم خبير وأن الله لم ينزله واخترعه أحد على الأرض ما كانت هذه قصة سالفة ومعروفة فى المسيحية معناها الصليب وهذه قصة مفروغ منها ما كان ـ ليش صلبوه مش دى مشكلة ـ انما يركز على موضوع ا بن الله وهو الله وعنده ما يؤيده · اليهودية تؤيد التوحيد وفلاسفة الاغريق يؤيدون التوحيد ...... ؟ والقرآن دائماً يضع الحقيقة مهما كان عدد المؤمنين بها كثيرٌ أو قليل وبما أنها قضية وما نناقشه عبارة عن قضايا ففى قاعدة بسيطة متفق عليها سواء كانت الجلسة فى البيت أو المحكمة أو مجلس الشعب أو الكونجرس · القاعدة تقول كل ما تسرب إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ·

مدير الندوة :

قال : إن الأخ (جيمس) يرفض الرد الآن ، على أساس أن يأخذ « الأشرطة » فى البيت ويدرسها مع اخوانه ، وتكون ردوده فى جلسة قادمة · لماذا ؟ لأننا نقول معلومات مدروسة بالنسبة لنا ولعلها تكون جديدة الآن · فلا أن تتاح له فرصة كما اتيحت لنا فرصة ·· وذلك ليدرس ويراجع ثم لينظر هل هذه المراجعات صحيحة أو ربما كان فيها شيء من وجهة نظره ·

كما أنه (الأخ جيمس) يعتذر عن حضور جلسة الغد · وتؤجل الجلسة إلى الأربعاء · وقد سألت الأخ جيمس فتبين أن تعليقاته ستكون بعد كل جلسة ، على أساس أن نتكلم فى جلسة ثم يرد هو فى جلسة أخرى وهذا حقه ·· وهذا مشروعه وهذا هو المعقول ·

الأستاذ أحمد عبد الوهاب :

قال : بالنسبة لقضية الصلب ·· والأحداث التى ابتدأت بها عملية محاولة الصلب حتى انتهت بتعليق واحد على الصليب ·· نرى من يكون هذا ؟ وماذا قال ؟ وماذا عمل ؟ وكيف شهدوا عليه ؟ ·· الخ ·

يمكن تقسيم ذلك إلى عدد من العناصر :

١ ـ معروف فى الأناجيل (مسح جسد المسيح بالطيب) ·

اختلف فى هذه الأناجيل تماماً ·

فلو بحثنا عن مكان الحادث ·· متى جاءت المرأة لتمسح جسده بالطيب ؟ نجد فى (مرقس) و (متى) نجد أن هذا الحادث بدأ فى بيت (سمْعَان الأبرصَ) إنجيل مرقس إصحاح ١٤ عدد ١ ـ ٨ ·

مـدير النـدوة :

قال : نرجو مراجعة النصوص الآن للتأكد من صحتها ·

الأستاذ ابراهيم يقرأ فى الانجيل :

انجيل (مرقس) إصحاح ١٤ من عدد ١ إلى عدد ٨ ·

وانجيل (يوحنا) إصحاح ١٢ من عدد ١ إلى ٢ ·

نقرأ من إنجيل (مرقس) إصحاح ١٤ من عدد ١ إلى عدد ٨ · (وكان الفصح وأيام الفطر بعد يومين · وكان رؤساء الكهنة والكنيسة يطلبون كيف يمسكون بمقرن ، يمسكونه بمقرن ، ويقتلونه ، ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب ، وفيما هو فى بيت عمها فى بيت « سمعان الأبرص » وهو متكىء جاءت امرأة معها قارورة طيب وادين خالص كثير الثمن ·· فكسرت القارورة وسكبته على رأسه وكان قوم محتاجين فى أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا ، لأنه كان يمكن أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء ·

(يتبـــع)

قرية كاملة تعتنق الاســلام

اعتنق سكان قرية (ميناكشي) الاسلام بأجمعهم وأصبحت اليوم تسمي (رحمة نجر) ·

وقد احتفل هؤلاء المسلمون الجدد بتاريخهم الجديد ، وحضر الحفل ممثلو جمعية إشاعة الاسلام ورئيس العصبة الاسلامية بالهند السيد سليمان سيته والسيد عبد الصمد عضو البرلمان والأستاذ عبد الكريم باريكه من زعماء (رسالة الانسانية) وآخرون من أساتذة الجامعة ، وفي مقدمتهم سماحة الداعية الاسلامي الكبيرالشيخ أبي الحسن الندوي ·

الرائد الهندية


سيرة
و
تاريخ

موقعة اليرموك

دراسة وتحليل

لفضيلة الدكتور محمد السيد الوكيل وكيل كلية الحديث بالجامعة

اليرموك نهر ينبع من جبال حوران ، يجرى قرب الحدود بين سوريا وفلسطين ، وينحدر جنوبا ليصب في غور الأردن ثم في البحر الميت ، وينتهى مصبه في جنوب الحولة ، وقبل أن يلتقى بنهر الأردن بمسافة تتراوح بين ثلاثين وأربعين كيلو مترا يوجد واد فسيح تحيط به من الجهات الثلاث جبال مرتفعة شاهقة الارتفاع ، ويقع في الجهة اليسرى لليرموك .

اختار الروم هذا الوادى لأنه المكان الذى يتسع لجيشهم الضخم الذى يبلغ عدده مائتين وأربعين ألف مقاتل .

وأما المسلمون فقد عبروا النهر إلى الجهة اليمنى ، وضربوا معسكرهم هناك في واد منبطح يقع على الطريق المفتوح لجيش الروم ، وبذلك أغلقوا الطريق أمام الجيش المزهو بعدده وعدده ، فلم يعد للروم طريق يسلكون منه ، أو يفرون إذا اضطروا للفرار ، لأن جيش المسلمين قد أخذ عليهم مسلكهم الوحيد .

وقد يعجب الإنسان كثيرا ، وهو ينظر إلى الخارطة ، ويرى نفسه مضطرا لأن يسأل كيف رضي قواد الروم لجيوشهم هذا الموقع ؟ وكيف وافق الجنود على النزول فيه وهم يرون ألا سبيل للخروج منه إلا عن طريق هذا الوادي الذى احتله المسلمون ؟ .

أفما كان الأجدر بهم إن اضطروا إلى اتخاذ هذا المكان ميدانا للجيش لأنه لا يوجد مكان سواه يتسع لجيشهم أن يحموا الفتحة الوحيدة التى لا طريق لهم غيرها ؟ .

لاشك أن البديهيات العسكرية تحتم حماية أمثال هذه الفتحة ليؤمن الجيش طريقه إذا اضطر إلى الخروج من هذا الوادى المحاصر بشواهق الجبال .

ولكن يبدو أن قوات الروم كانت مغرورة بكثرتها الهائلة مزهوة بالنصر الذى أحرزته على خالد بن سعيد ومن معه من قوات المسلمين ، كما يبدو أن هذا النصر أنساهم أبسط التخطيط العسكري في مثل هذا الموقف .

ازداد حماس الخليفة لفتح الشام بعد ما أصاب خالد بن سعيد وجنده من الهزيمة والفرار ، فندب أعظم قواده للذهاب إلى بلاد الشام ، فأمر عمرو بن العاص على فرقة من الجيش وأمره أن يتجه بها إلى فلسطين ، واستدعى يزيد بن أبى سفيان وولاه على جيش لجب فيهم سهيل بن عمر وأمثاله من أهل مكة ، وألحقه بجيش آخر بقيادة أخيه معاوية ، ووجه شرحبيل بن حسنة ليقود جماعة من جيش خالد بن سعيد ، وندب الخليفة جيشا عظيما وأمّر عليه أبا عبيدة بن الجراح وعين لكل جيش طريقه ، وأمره أن يسلكه حتى يصل إلى مقره . فأخذ عمرو بن العاص طريق المعرقة . وسلك أبو عبيدة الطريق نفسه ، وأخذ يزيد بن أبى سفيان طريق التبوكية وسلكه معه شرحبيل بن حسنة ، وتوجه الأمراء إلى الشام ، فلما وصلوها نزل أبو عبيدة الجابية ، ونزل يزيد البلقاء ، ونزل شرحبيل الأردن ، ونزل عمرو بن العاص العربة (١) .

هرقل ينصح قومـــه :

علم الروم بدخول الجيوش الإسلامية أرضهم ، فكتبوا إلى هرقل ، وكان بالقدس فقال هرقل : أرى أن تصالحوا المسلمين ، فو الله لأن تصالحوهم على نصف ما يحصل من الشام ويبقى لكم نصفه مع بلاد الروم أحب إليكم من أن يغلبوكم على الشام ونصف بلاد الروم (٢) .

وأغضبت هذه النصيحة قواد الروم ، وظنوا أن الأمبراطور قد وهن وضعف وسيسلم البلاد للغزاة الفاتحين ، والحق أن هرقل قد ضعف أمام غضبة قواده ، وعزم على قتال المسلمين مع يقينه بالهزيمة ، وجمع هرقل الثائرين ، وتوجه بهم إلى حمص ، وهناك أعد جيشا ضخم العدد كثير العدد ، وقسمه أربعة أقسام ، وجعل كل قسم منه يقابل فرقة من جيش المسلمين ليوهنهم ويشغلهم عن مناصرة إخوانهم .

عـــدد الجيش :

بلغ جيش المسلمين ثلاثين ألفا أو تقل قليلا ، وأما جيش الروم فقد بلغ مائتين وأربعين ألفا (٣) .

---

(١) ابن الأثير (٤٠٦/٢) .

(٢) نفسه .

(٣) الصديق أبو بكر ص٢٨٥ .

فزع المسلمون لهذه الأعداد الضخمة التي واجهتهم ، وكتبوا إلى عمرو بن العاص يسألونه ماذا يفعلون ، فأجابهم (الرأى لمثلنا الاجتماع ، فإن مثلنا إذا اجتمعنا لا نغلب من قلة) (١) وكتبوا إلى أبى بكر فأجابهم بمثل ما أجابهم به عمرو وقال : (إن مثلكم لا يؤتى من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف ، والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين ، وليصل كل رجل منكم صاحبه) (٢) ٠

إتجه المسلمون إلى اليرموك تنفيذاً لوصية الخليفة ، فوجدوا الروم قد نزلوا بالوادى السابق الذكر ، وعبر المسلمون النهر فنزلوا بإزائهم ٠

الخليفة يدرس أسباب تأخر النصر :

واستشار الخليفة أصحابه من ذوى الرأي ، وقلب الأمر على كل وجوهه ، فاهتدى إلى أن ضعف المسلمين ناتج عن ضعف القيادة ، ذلك لأن الأمراء الذين بعثهم الخليفة إلى الشام ليس فيهم من يصلح في نظر الخليفة لخوض هذه المعركة الرهيبة ، فأبو عبيدة بن الجراح مع قدرته العسكرية الفائقة إلا أنه رقيق القلب لا يقدم على الحسم ، وابن العاص مع دهائه وحسن حيلته يهاب الإقدام على عدوه ، وعكرمة مع إقدامه وحنكته غير أنه تنقصه دقة التقدير للمواقف ، وبقية القواد لم يشتركوا من قبل في مثل هذه المعارك الكبيرة ٠

وهناك أمر آخر ينبغى للخليفة أن يقدره ولا يغفله ذلكم هو تساوي القواد في القدرة فليس فيهم من يقرون له بالتفوق أو العبقرية التى يتميز بها عليهم حتى يجتمعوا عليه ٠

من أجل هذا فكر الخليفة كثيرا في الأمر وطال تفكيره فالأمر ليس بالهين اليسير ، وإنما هي معارك فاصلة لا بد أن تحسم في الشام كما حسمت في العراق ٠

واهتدى الخليفة ـ رضى الله عنه ـ إلى الحل فقال لمجلس الشورى : (والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد) (٣) ٠

خـــالد يتوجه إلى الشـــام :

كتب الخليفة إلى خالد يأمره بأن يستخلف على العراق ويتجه بخيرة جنده إلى الشام ، وصدع خالد بأمر الخليفة واتجه إلى الشام في تسعة آلاف مقاتل من خيرة الجند ، حيث

---

(١) الطبرى (٣٩٢/٣) ، ابن الأثير (٤٠٦/٣) ٠

(٢) نفســـــه ٠

(٣) ابن كثير (٥/٧) ٠

اختار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وضن بهم على المثنى بن حارثة خليفته على العراق ، وغضب المثنى لذلك التقسيم وقال : (والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبى بكر ، وبالله ما أرجو من النصر إلا بأصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ) (١) فلما سمع خالد منه ذلك أرضاه وأسكته ، وأراد خالد أن يغادر العراق وهو مطمئن فرد النساء والضعفاء إلى المدينة حتى لا ينشغل بهم المثنى عند منازلة عدوه .

وقطع خالد بجيشه بادية الشام المعروفة ببادية السماوة وهو طريق لم يعبره جيش قط قبل جيش خالد ، وذلك لوعورته وقلة الماء فيه ، وتعرض من يسلكه للهلاك بالعطش والضياع ، وإنما صمم خالد على اختراق هذه البادية رغم تحذير العارفين بها لأنه كان يريد أن يباغت العدو فينزل خلفهم حتى لا يحبسوه عن إغاثة المسلمين .

وبالعزم والإيمان اخترق خالد وجيشه تلك البادية ، وغامر هذه المغامرة ، وقطعها في خمسة أيام ، وكلما مر بجماعة من أعداء المسلمين قاتلهم وتغلب عليهم وغنم منهم حتى وصل اليرموك في آخر ربيع الآخر من السنة الثالثة عشرة من الهجرة .

كانت الجيوش الإسلامية قد نزلت موقفها من اليرموك قبل مجيء خالد اليهم بثلاثة أشهر : صفر وربيع الأول وربيع الآخر ، وكان المسلمون قد ضجروا وملوا هذا الموقف الذى لا يتناسب مع إقدامهم وشجاعتهم وتضحياتهم في سبيل الله ، فأرسلوا إلى الخليفة يصفون له الحال ويستمدونه ليحسموا الموقف ، وكان عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ قد أحس من المسلمين بما يشبه اليأس من طول المقام وعدم القدرة على خوض معركة تفصل بينهم وبين عدوهم ، وخاف أن تسري هذه الروح إلى صفوف المسلمين فيضعفون ولا يستطيعون مواجهة العدو ، ولم يكن العدو يرجو من وراء هذا الموقف أكثر من ذلك ، فإن روح اليأس إذا سرت في جيش مهما كانت قوته لا بد أن يؤول حاله إلى أحد أمرين : إما أن ينسحب ويفوز خصمه بالسلامة من غير قتال ، وإما أن يدخل في معركة تكون نتيجتها حتما في مصلحة الطرف الآخر .

أدرك عمرو بن العاص أن هذه الروح بدأت تدب في أوصال الجيش المرابط أمام عدوه ثلاثة أشهر فأراد أن يخفف عنهم ، وينفخ فيهم روحا جديدة تبعث فيهم الأمل ، وتجدد فيهم نشاطهم وحيوتهم ، فنظر إلى جيوش الروم الكثيرة العدد الكثيفة العُدد ، ولفت نظر المسلمين إلى وضعهم الجغرافي الذى لا يحسدون عليه ، وقال : (أيها الناس ، أبشروا ، حصرت والله الروم ، وقلما جاء محصور بخير) (٢) .

---

(١) ابن الاثير (٤٠٧/٢) .
(٢) الطبرى (٣٩٣/٣) .

وصادف قدوم خالد قائد المسلمين وصول باهان قائد الروم ، واستبشر المسلمون بقدوم خالد ، بقدر ما فرح الروم بوصول باهان ، وبلغت إحصاءات الجيش عندئذ ما وصفه الطبرى بقوله : وحارب المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيد : أربعون ألفا مسلسلون للموت ، وأربعون ألفا مربطون بالعمائم ، وثمانون ألف راجل ، وثمانون ألف فارس ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفا ممن كانوا مقيمين ، إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف ، فصاروا ستة وثلاثين ألفا)) (١) .

وتواجه الجيشان في تعبئة لم ير مثلها قط ، وكان القسيسون والشمامسة والرهبان يحرضون جيوش الروم ويحثونهم على القتال لمدة شهر قبل المعركة حتى امتلأوا حماسا واخذوا يتحينون الفرصة للقاء .

خالد يدعو إلى توحيد القيادة

ونظر خالد إلى المسلمين فوجدهم متساندين كل جماعة على رأسها قائدها ليس لهم أمير واحد يجمعهم ، ورأى - رضى الله عنه - بعبقريته العسكرية أن هذا الحال لا يؤدى إلى النصر ، فخطب في المسلمين ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

إن هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بأعمالكم ، فإن هذا يوم له ما بعده ، ولاتقاتلوا قوما على نظام وتعبية وأنتم متساندون ، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغى ، وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأي من واليكم ومحبته .

قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أننا سنتياسر ولو علم بالذى كان ويكون لما جمعكم ، إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيهم وأنفع للمشركين من أمدادهم ، ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه أن دانوا له ، إن تأمير بعضكم لا ينقصكم عند الله ، ولا عند خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هلموا فإن هؤلاء تهيئوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها ، فهلموا فلنتعاور الإمارة فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدا ، والآخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ، ودعونى اليكم اليوم ، فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه (٢) .

---

(١) الطبرى (٣/٣٩٤) .
(٢) الطبرى (٣/٣٩٥ - ٣٩٦) ، إبن الأثير (٢/٤١١) .

كانت لكلمة خالد تلك أعظم الأثر في نفوس المسلمين من تحريض القسيسين والرهبان في نفوس الروم ، ولئن ظل هؤلاء يعبئون تلك التعبئة الروحية لمدة شهر كامل ، فإن نفوسهم لم يكن فيها من اليقين وحسن الثقة في وعد الله كما كان في نفوس المسلمين ، ولذلك أثمرت كلمة خالد التى لم تستغرق دقيقتين مالم تثمره مواعظ الرهبان والقسيسين لمدة شهر ، لأن النفوس المؤمنة بالحق تكون دائما مهيأة لاستقبال التوجيه والموعظة ، سريعة التأثر بما يلقى عليها إذا ذكرت بوعد الله ـ عز وجل ـ ، حسنة الثقة فيما عنده .

على أننا نرى في كلمة خالد ـ رضى الله عنه ـ من الإخلاص والحث عليه ، وعظيم الإعتماد على الله مالا يمكن أن يخيب صاحبه ، زد على ذلك بعد نظر خالد ، وإدراكه لما حوله من أبعاد المعركة وقدرته العسكرية التى تجعل أصحابه يدينون له من غير منازع ، كل ذلك جعلهم يجتمعون على قيادته بعد أن كانوا متساندين لا يدين أحد لأحد ، ولا يرى أحد أن أحدا أحق بالأمرة منه .

خطـة خالـد لمواجهة الروم

اجتمع المسلمون على خالد بعد أن مكث شهراً على اليرموك ليس بينه وبين الروم قتال واقترح خالد بعد أن آلت إليه القيادة العامة لجيش المسلمين أن يقسم الجيش إلى كراديس (فرق) كل فرقة من ألف رجل ، وجعل على كل كردوس رجلا ممن اشتهروا بالشجاعة والإقدام ، أمثال القعقاع بن عمرو وصفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل وأضرابهم ، وأسند قيادة القلب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وقيادة الميمنة إلى عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة ، وقيادة الميسرة إلى يزيد بن أبى سفيان . وقال لأصحابه : (إن عدوكم كثير وليس تعبية أكثر في رأى العين من الكراديس) (١) .

حاول خالد بذلك أن ينسي المسلمين كثرة الروم المخيفة ، وأن يظهر المسلمين في حالة تدخل الرعب والفزع في عدوهم ، ولكنه لم يلبث أن سمع رجلا يقول : ما أكثر الروم وأقل المسلمين ! فغضب خالد لما سمع وصاح مغضبا ، بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر ، وتقل بالخذلان ، والله لوددت أن الأشقر ـ يعنى فرسه ـ براء من توجِّيه وأنهم أضعفوا في العدد ، وكان فرسه قد حفي من مشيه بالمفازة (بادية الشام) (٢) .

وخشي خالد أن تسرى كلمة الرجل في صفوف المسلمين فتوهنهم ، وتضعف مقاومتهم ، فعجل بالمعركة ليشغل المسلمين بها بدلا من أن يشغلوا عنها بالنظر في عددهم وعدد عدوهم .

---

(١) ابن الأثير (٢/٤١١) .
(٢) ابن الاثير (٢/٤١٢) .

لم ينس خالد أن يختار من جنوده من يتولى أمور المسلمين ، فبعد أن نظم الكراديس واختار لها مهرة القواد ، عين أبا الدرداء قاضيا ، وأبا سفيان واعظا ، وجعل على الطلائع قباث ابن أشيم ، وعلى الأقباض عبد الله بن مسعود ، وكان القارىء المقداد ، يقول الطبري : (ومن السنة التى سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء - وهى الأنفال - ولم يزل الناس بعد ذلك على ذلك » (١) .

وقام أبو سفيان بدوره كواعظ للمسلمين خير قيام فقال وهو يمشى بين الكراديس : يامعشر المسلمين ، أنتم العرب وقد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهل ، نائين عن أمير المؤمنين وإمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عدده ، شديد عليكم حنقه وقد وترتموهم في أنفسهم وبلادهم ونسائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القوم ، ولا يبلغ بكم رضوان الله غدا إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا وإنها سنة لازمة ، وإن الأرض وراءكم ، وبينكم وبين أمير المؤمنين وجماعة المسلمين صحاري وبراري ليس لأحد فيها معقل ولا معول إلا الصبر ، ورجاء وعد الله فهو خير معول ، فامتنعوا بسيوفكم وتعاونوا ولتكن هى الحصون .

ثم ذهب إلى النساء فوصاهن ، ثم عاد فنادى ، يامعشر أهل الإسلام حضر ماترون ، فهذا رسول الله والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ، ورجع إلى موقفه في الصف حيث كان .

وقام أبو هريرة بعد أبى سفيان فقال : سارعوا إلى الحور العين وجوار ربكم - عز وجل - في جنات النعيم ، ما أنتم إلى ربكم في موطن بأحب إليه منكم في مثل هذا الموطن ، ألا وإن للصابرين فضلهم (٢) .

خـالد يأمر بالهجوم :

سمع المسلمون هذه الكلمات فوقعت من نفوسهم موقعا أنساهم قلتهم وكثرة عدوهم ، وتطلعت قلوبهم إلى ما عند الله ، وهبت عليهم من خلالها نسائم الجنة فاشتاقوا إليها ، ولمح خالد في الجنود حماسا لم يره من قبل ، ورأى حبهم للجهاد على النحو الذى كان يتطلع إليه منذ قدم إلى اليرموك ، وتأكد أن المسلمين قد تأهبوا للمعركة بكل إمكاناتهم ، فانتهز الفرصة ، وأمر عكرمه والقعقاع أن ينشبا القتال ، فبرز القعقاع وهو يرتجز :

---

(١) الطبرى (٣٩٧/٣) .

(٢) ابن كثير (٩/٧) .

يااليتى ألقاك في الطراد قبل اعترام الجحفل الورَّاد
وأنت في حلبتك الوراد

وتبعه عكرمة وهو يقول :

قد علمت بهكنة الجواري أني على مكرمة أحامِي

ونشبت المعركة حامية الوطيس ، مستعرة الأوار ، السيوف تخطف الأرواح ، وتزيل الهام ، وتفرى الأجسام .

خالد يستقبل بريـــد الخليفة :

وبينما المسلمون كذلك إذ أقبل البريد من المدينة مسرعا يتخطى الناس ، ويسأل عن خالد ، والناس وراءه يتبعونه ليستطلعوا منه أخبار المدينة ، والبريد يبشرهم بالخير ، ويخبرهم عن الأمداد .

ولما بلغ البريد خالداً سلمه الكتاب ، وأخبره بوفاة أبى بكر ، أسر إليه به ، وأخبره بما أخبر به الجندْ، فسر خالد من حسن تصرف البريد وقال له : أحسنت ، ووضع الكتاب في كنانته حتى لا يطلع أحد على مافيه فيجزع الجند ، وينتشر الأمر .

إسلام قائد من قواد الروم :

وفي الوقت نفسه خرج جرجة من صفوف الروم حتى وقف بين الصفين ، ونادى ليخرج إلى خالد ، فخرج خالد إليه ، وأناب أبا عبيدة عنه ، والتقى الرجلان بين الصفين ، وسأل جرجة خالدا عن سبب تسميته سيف الله ، فأخبره خالد بأن الرسول هو الذى سماه بذلك ودار بين الرجلين حديث طويل أسلم جرجة على أثره ، وتبع خالدا إلى خيمته ليعلمه الإسلام .

موقف عكرمة من هجوم الروم :

ظن الروم أن جرجة حمل على المسلمين ، وأنه في حاجة إلى المدد ، فحملوا على المسلمين حملة أزالتهم عن مواقفهم ، وثبت لهم عكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام ، وكانا على حامية فسطاط خالد ، ولما رأى عكرمة تراجع المسلمين قال : قاتلت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في كل موطن ، وأفر منكم اليوم ، ثم نادى في المسلمين ، من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور ومعهما أربعمائة من أبطال المسلمين

وفرسانهم ، ودافعوا عن الفسطاط حتى أثبتوا جميعا جراحا ، وقتلوا إلا من برأ وكان منهم ضرار بن الأزور (١) ·

وتراجعت الروم أمام ثبات عكرمة وأصحابه ، ورأى خالد تراجع الروم فزحف بقواته يرافقه جرجة على جيوش الروم المنهزمة ، وظل يضرب فيهم بسيفه ومعه جرجة يضرب ويقتل من طلوع النهار حتى مالت الشمس إلى الغروب ، وقاتل كل فريق من المسلمين تحت رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرحا ·

يقول ابن كثير : فلم تر في يوم اليرموك إلا مخًّا ساقطا ، ومعصما نادرا ، وكفا طائرة ((٢) ·

خالد يدير المعركـــة :

وواجه خالد ميسرة الروم التى حملت على ميمنة المسلمين ، فقتل منهم ستة آلاف ، والتفت إلى أصحابه وقال : والذي نفسي بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد إلا ما رأيتم ، وإنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم ، ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس على مائة ألف منهم ، فلم يكد يصل إليهم حتى انفض جمعهم ، وحمل عليهم المسلمون حملة صادقة ، فانكشفوا لا يلوون على شيء وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ·

وصلى المسلمون صلاة الظهر والعصر إيماء : واستشهد جرجة ، وحمل خالد برجاله على الروم حتى صار في وسطهم ، وذعر الروم لهول ما رأوا من المسلمين ، وفر خيالتهم وأفسح لهم المسلمون الطريق ، فهاموا على وجوههم في البلاد ، ثم تبعوا من فر من الخيالة ، واقتحم خالد عليهم الخندق ، وجعل الروم يتقهقرون أمام الهجوم الكاسح الذى شنه خالد في اللحظة المناسبة حتى وصلوا إلى الواقوصة ،·

وجعل الذين سلسلوا أنفسهم لئلا يفروا يتساقطون في الواقوصة كما يتساقط الفراش في النار ، وكلما سقط رجل من مجموعة سقطت معه بأكملها حتى سقط فيها ، وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفا ، ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق ، سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل (٣) ، وأخر الناس صلاة العشائين حتى استقر الفتح ·

وأمعن المسلمون في قتل الروم ، وظلوا يقاتلون حتى أصبحوا ، ودخل خالد رواق تذارق أخى هرقل ، فلما أصبحوا وقد انتهت المعركة أتى خالد بعكرمة بن أبى جهل جريحا فوضع

---

(١) الطبرى (٤٠١/٣) ·
(٢) ابن كثير (١٢/٧) ·
(٣) الطبرى (٤٠٠/٣) ·

رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ، ومسح وجهيهما ، وأخذ يقطر في حلقيهما الماء حتى استشهدا ، وقال : زعم ابن حنتمة - يعنى عمر - أننا لا نستشهد (١) ٠

وقاتل نساء المسلمين في هذا اليوم ، وقتلوا عددا كبيرا من الروم ، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن : أين تذهبون وتدعوننا للعلوج ، وعندئذ يرجع المنهزمون ، وكان عمرو بن العاص من المنهزمين ومعه أربعة نفر حتى بلغوا النساء ، فلما زجرنهم رجعوا إلى القتال (٢) ٠

دفع شبهـــة :

وكان يزيد بن أبى سفيان من الذين ثبتوا ولم يفروا ، وقاتل قتالا شديدا ، لأن أباه مر به ، وذكره بما يجب عليه وعلى أمثاله من الأمراء ، وأمره بالصبر والثبات ، ورغبه فيما عند الله من الأجر والمثوبة ، فأجاب يزيد ، أفعل إن شاء الله (٣) ٠

وهذه الرواية ترد رواية ابن الأثير التى رواها عن عبد الله بن الزبير ، وفيها يتهم أبا سفيان ورجالا من مكة يسميهم مهاجرة الفتح ، بأنهم تنحوا عن الميدان ، وظلوا بعيدا يتربصون بالمسلمين فإذا ركب الروم المسلمين قالوا : إيه بني الأصفر ، وإذا غلب المسلمون يقولون : ويح بنى الأصفر ٠

تدل هذه الرواية على تجنب أبى سفيان المعركة ، وأنه لم يشترك فيها ، ولكن ابن الأثير نفسه يذكر ما يكذب ذلك ، حيث يروى بعدها مباشرة وفي الصحيفة نفسها أن عين أبى سفيان قد أصيبت في المعركة ، وذلك أمر مجمع عليه من المؤرخين ، فكيف يكون أبو سفيان بعيدا عن ميدان المعركة يتربص بالمسلمين ، وكيف يصيبه سهم في عينه فيفقؤها وينتزع السهم من عينه أبو حثمة (٤) ٠

ويروى ابن كثير عن سعيد بن المسَّيب عن أبيه قال : هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتا يكاد يملأ العسكر يقول : يانصر الله اقترب ، الثبات الثبات يا معشر المسلمين قال : فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد (٥) ٠

---

(١) ابن الاثير (٤١٤/٢) ٠
(٢) ابن كثير (١٣/٧ - ١٤) ٠
(٣) نفســه ٠
(٤) ابن الأثير (٤١٤/٢) ، والطبرى (٤٠١/٣) ٠
(٥) ابن كثير (١٤/٧) ٠

أين كان أبو سفيان ، وهو ينادى نصر الله ؟ وهو يطلب الثبات من المسلمين ؟ هل كان يطلب الثبات وهو هارب من الميدان ؟ وهل يليق برجل كأبى سفيان أحد زعماء قريش أن يطلب الثبات من المسلمين ويفر هو خارج المعركة ؟ ومن الذي يصيح بالمسلمين ليثبتوا ثم يرى بعد ذلك بعيدا عن الميدان ؟ .

أغلب الظن أن الرواية مكذوبة على أبى سفيان ، فقد أجمع المؤرخون على أنه كان واعظ الجيش وروى عنه المؤرخون كلمات في الحض على القتال والحث على الثبات تثير إعجاب كل من قرأها أو سمع بها .

هزيمـة الروم :

وفر المنهزمون من اليرموك حتى بلغوا دمشق ، وأما هرقل فإنه لما بلغه خبر اليرموك وكان بحمص تركها وولى عليها رجلا وجعلها بينه وبين المسلمين ، وودع سوريا الوداع الأخير .

وتوجه المسلمون بعد ذلك إلى الأردن ، وطهروها مما بقى فيها من جنود الروم ، ثم تابعوهم إلى دمشق حيث حاصروهم هناك .

وبلغ عدد الشهداء من المسلمين ثلاثة آلاف شهيد بينهم كثير من كبار الصحابة مثل سعيد بن الحرب بن قيس السهمى ، ونعيم النحام ، والنضير بن الحارث ، وأبو الروم عمير ابن هشام أخو مصعب بن عمير . وكان في جنود هذه المعركة ألف صحابى منهم مائة ممن شهد بدرا (١) .

وغنم المسلمون كل ما كان في معسكر الروم ، وكان شيئا عظيما حتى خص الفارس من النفل ألف وخمسمائة درهم (٢) أو ألف وخمسة دراهم (٣) ، وكانت الموقعة الفاصلة عند اليرموك في شهر جمادى الآخرة من السنة الثالثة عشرة من الهجرة بعد أن مكث المسلمون قرابة أربعة أشهر لا ينالون من الروم ، ولا ينال منهم .

ولما انتهت المعركة ، وطارد المسلمون الروم حتى حصروهم في دمشق أظهر خالد الكتاب الذي جاء به البريد ، فإذا هو نعي للخليفة ، وعزل لخالد من الإمارة وتولية لأبى عبيدة بن الجراح إمارة الناس ، وعندئذ قال خالد ـ رضى الله عنه ـ وهو يعلن وفاة الخليفة

---

(١) ابن الأثير (٣/٤١٠ ، ٤١٤) .

(٢) الطبرى (٣/٤٠٠) .

(٣) هيكل ص٣٠٣ .

وتولية عمر : (الحمد لله الذى قضى على أبى بكر بالموت ، وكان أحب إلى من عمر والحمد لله الذى ولى عمر ، وكان أبغض إلى من أبي بكر ، وألزمني حبه) (١) ٠

وفـــاة الصـــديق :

ونحن نلاحظ خلافا في تاريخ وفاة الصديق ـ رضى الله عنه ـ ينبغى أن يحقق ، فالطبرى وابن الإثير وابن كثير والسيوطي والبلاذري كلهم مجمعون على أن الوفاة كانت في جمادى الآخرة وهذا أمر لا خلاف فيه بين المؤرخين ، ٠

وكما اتفق المؤرخون على الشهر الذى توفي فيه الخليفة ، فهم كذلك متفقون على أن الوفاة كانت في السنة الثالثة عشرة من الهجرة ٠

ويأتى الخلاف بعد ذلك في اليوم الذى حصلت فيه الوفاة ، والرواية التى تكاد تحظى بإجماع المؤرخين أنه ـ رضى الله عنه ـ اغتسل في يوم شديد البرد ، وكان ذلك يوم الأثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، فحم على أثر ذلك خمسة عشر يوما ، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة (٢) ٠

ولكننا نرى أن البريد قد وصل والمسلمون في اليرموك والمعركة دائرة بينهم وبين الروم والمؤرخون أنفسهم يرون أن معركة اليرموك انتهت في جمادى الآخرة كذلك ، فمتى يصل البريد من المدينة إلى الشام ؟ وفي كم يوم يقطع المسافة ؟؟ ٠

إن البريد مهما كانت سرعته لا يمكن أن يقطع هذه المسافة في أقل من عشرة أيام ، ولو توفى الخليفة لثمان بقين من جمادى الآخرة لتحتم أن تكون المعركة قد امتدت إلى شهر رجب ٠

ولهذا فإنى أرجح أن تكون وفاة الصديق في النصف من جمادى الآخرة قبل انتهاء المعركة بعشرة أيام كما ذكر الطبري حيث يقول : (ومرض أبو بكر ـ رحمه الله ـ في جمادى الأولى وتوفي للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشرة أيام) ٠(٣) ٠

وهذه الأيام العشرة يمكن أن يصل البريد فيها من المدينة المنورة إلى الشام حيث تدور المعركة ٠

---

(١) ابن كثير (١٤/٧) ٠

(٢) الطبرى (٤١٩/٣) . ابن الأثير (٤١٨/٢) . ابن كثير (١٨/٧) السيوطى ص٨١ ٠

(٣) الطبرى (٣٩٤/٣) ٠

منهج المؤرخين المسلمين في التأليف

دكتور عوض عبد الهادى العطا

إن الدارس للتاريخ الاسلامى من مصادره الأولية ، والذى يقارن ذلك بالدراسات التى طرأت حديثا أو في فترات تاريخية متعاقبة ، يجد أن هناك دراسات وأبحاثاً وخاصة كتابات الغربيين ورجال الكنيسة ومن تأثر بهم من الكتاب المحدثين ، يلاحظ أن حقائق في التاريخ الإسلامى وأحداثه ومرتكزاته قد أصيبت بالخدش والتجريح ، أحيانا في محاولة لاستقراء أحداث التاريخ الاسلامي ووضع افتراضات خاصة للوصول إلى نتائج معينة قد يكون من بينها التأثير على الأحداث الهامة التى كونت التاريخ والتراث الاسلامى بصفة عامة ، ولعل مصدر ذلك راجع إلى تأثر بعض ممن يكتبون في التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية بآراء ووجهات نظر لمؤرخين أجانب أو مستشرقين .

فعندما خرجت جيوش الإسلام تحمل لواء الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية في جهادها لنشر الإسلام على عهد الخليفة أبى بكر الصديق ، كان الدافع الرئيسى هو الجهاد في سبيل الله ، ذلك الجهاد الذى بدأه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عندما أرسل الكتب إلى كبار الملوك والأباطرة حينذاك يعرض عليهم اعتناق الإسلام ، وشرع في إعلاء كلمة الله .

وكان أبو بكر الصديق ، قد نادى المسلمين عند بيعته العامة بالجهاد باعتباره ركنا أساسيا لنشر الدين الاسلامى وذلك حين قال في خطبته المشهورة (.. لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا خذلهم الله بالذل ...) (١) .

---

(١) أبو الفدا الحافظ بن كثير . البداية والنهاية جـ٦ ص٣٠١ (بيروت) .

ورغم ذلك يشير بعض الكتاب بأن هذه الفتوحات لاتعدوا أن تكون امتداداً لموجات الهجرات السامية السابقة إلى مناطق الهلال الخصيب وأن هدف هذه الهجرات اقتصادي وذلك بالتحرك من مناطق مجدبة الى مناطق أكثر خصوبة ، ويذكرون آراء ليدعموا بها نظرية العامل الاقتصادي في هذه الفتوحات ولا يعطون الهدف الحقيقى من هذه الفتوحات الوزن الكافي له .

الواقع أن اهتمام المؤرخين الغربيين والمستشرقين بالتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية كبير ، ولكنه يأخذ منطلقات خاصة ، فقد اهتموا بالكتابة في هذه الموضوعات وتحليل أحداثها وسرد تواريخها ولكن لما كانت خلفياتهم العلمية قائمة على دراسات علمانية ومرتكزات مسيحية أو يهودية ، فإن اهتمامهم بتاريخ الإسلام لا يمكن فصله عن هذه الخلفيات ، فضلا عن أن الدارس لتاريخ معين أو لتراث معين لكي يقدم حقائقه متكاملة لا بد أن يكون قد تشربه ونشأ في محيطه حتى يدرك كثيراً من حقائقه التى لا تؤخذ بالعلمية المجردة ولذلك تجد الفارق كبيرا بين كتابات هؤلاء وما خطه المؤرخون المسلمون ، ذلك إن اهتمام الباحث الغربي في تاريخ الإسلام تناول الأحداث كحقائق علمية مجردة فتأثرت تخريجاته واستنتاجاته الى حد بعيد بخلفية نشأته العلمية والحضارية ولذلك فهو لا يهتم بالقضايا ذات الخصوصية لدى المسلمين والتى لا يكون الخوض فيها لائقا من ناحية مكانة أصحابها وخاصة ما يتعلق بشخصية الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأصحابه الميامين .

كذلك فإن كثيرا من الباحثين والدارسين من المسلمين في العصر الحديث اهتموا بالكتابة في مجالات عسكرية وسياسية ومن قام بدراسة الحضارة الإسلامية تناولها في بعض الأحيان من وجهة نظر خاصة ، فقد قرأت لكاتب يكتب في تاريخ الخلفاء الراشدين ، يتحدث عن الجيوش الإسلامية بأنها جيوش عربية وكيف أنها حققت انتصارات على الفرس والروم ، ولم يتناول الموضوع من زاوية الإسلام التي هي أكثر شمولا ومن أجلها خرج أولئك المجاهدون رغم أنه تخصص في التاريخ وأصبح مسئولا في كتابة التاريخ الاسلامى وحسب .

في حين أن بعض المؤرخين المسلمين القدامى قد خصص كتابات في الحضارة الإسلامية أوردوها من خلال كتاباتهم أو أفردوا لها أبحاثا مستقلة تناولوا فيها عصراً من العصور ومنهم من كتب في حضارة الإسلام بصفة عامة ومن هؤلاء المؤرخ الإسلامى المقريزي (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ) (١) . في الوقت الذى اهتم فيه كثير من المؤرخين الغربيين بحضارة الإسلام

---

(١) محمد عجاج الخطيب . **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر** ص٢٩٤ (بيروت ـ دمشق) .

وصنفوا فيها المؤلفات مثل جوستاف لوبون في حضارة العرب وآدم متز في الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري وجب وباون Gibb.N. and Bowen في كتابهما المجتمع الإسلامى والغرب (١٩٣٧) ·

ويقودنا هذا المفهوم إلى أسلوب المؤرخين القدامى والذين حفظوا التراث الإسلامي وتولوا مسألة صيانته ونقله بالأمانة والدقة العلمية ، فالمؤلف حينذاك يتناول أحداث التاريخ بتفاصيلها ويسردها كاملة دون أن يكثر من إبداء الرأي حولها تاركا ذلك لمن يأتى بعده ، فالطبري (٣١٠ هـ) مثلًا في كتابه الشهير تاريخ الرسل والملوك ، يتناول بالسند الحقيقة التاريخية وهذه بالطبع مهمة شاقة للغاية لكنها دقيقة أيضا ومن ثم جاء كتابه متكاملًا اعتمد عليه شيوخ المؤرخين فيما بعد ·

وينطبق مثل ذلك على ابن الأثير (٦٣٠ هـ) في الكامل في التاريخ وابن كثير (٧٧٤ هـ) في البداية والنهاية ، فكلاهما تناول أحداث التاريخ بالسنوات وعرض فيها ما جد من أحداث · ولأن هؤلاء تناولوا الموضوعات بهذه الطريقة فقد عرف المؤرخ حينذاك بالإخبارى الذى ينقل الخبر الحقيقي دون أن يزيد عليه أو يضفي شيئا من تعليقه إلا ما رآه من تضارب في الروايات السابقة عن الحدث نفسه وترجيحه للصواب منه حسب تقديره له ·

ولذلك فقد حفظ لنا شيوخ المؤرخين من السلف الطيب وكتاب السيرة النبوية التراث الإسلامى الخالد طاهراً نقياً · فإن تنقيح ابن هشام لسيرة ابن اسحاق التزام بالمنهج العلمي الدقيق ، فقد اهتم بتدقيق الرواية والسند الصحيح ولم ينقل كل ماورد فيها خاصة ما اعتقد أنه من الأساطير أو الخرافات ، ولعل هذا ما جعله يحذف كثيرا من الأخبار والأشعار عند تقويمه لسيرة ابن اسحاق فهو يقول في منهجه بعرض السيرة النبوية (··· وتارك بعض ما ذكره ابن اسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكر به من الاختصار ، وأشعارا ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعضه يسوء بعض الناس ذكره ···) (١) ·

ومن ثم وصلت الينا مجموعة كبيرة من المؤلفات لا يرقى لمستواها أي تراث أو حضارة لأمة أخرى بل إنها وضعت الأساس وكانت المعين الذي نهلت منه الحضارات المختلفة في الشرق أو الغرب على السواء ·

---

(١) ابن هشام ، **السيرة النبوية** جـ١ ص٦ ، (القاهرة) ·

ذلك أن المؤلف الإسلامى الأول كان موسوعة في العلوم الإنسانية والدينية والتطبيقية ، فهو يكتب في التاريخ كما يكتب في التفسير والحديث ، ويعالج تخصصات مختلفة ، وقد عرفت أغلب كتاباتهم بالدقة والأمانة والأصالة والموضوعية ، وذلك إما بالرجوع بالسند إلى أصله وبذل الجهد والطاقة لتحقيق ذلك ، أو الاعتماد على أصول لا يرقى إليها الشك .

فيذكر ابن الأثير أنه حين كان في زيارة إلى بيت المقدس اجتمع حوله نفر ممن يهتمون بالعلم والحديث والحفظ والاتقان ، وذكروا له أن بعض العلماء الذين كتبوا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في النسب والصحبة ولا يعرفون حقيقة الأمر وطلبوا منه أن يعد مؤلفا في أسماء الصحابة وذلك لما يعرفونه عنه من عناية ودقة .

ورغم ذلك فإنه اعتذر لهم في ذلك الحين لأنه لا يستطيع أن يكتب وهو بعيد عن مصادره ، وعندما ألحوا عليه بدأ العمل بما تيسر له من مادة علمية وبدأ بذلك كتابه المعروف (بأسد الغابة في معرفة الصحابة) .

ويشرح منهجه في تأليف هذا الكتاب فيقول إنه جمع ما ذكره العلماء وأشار الى أربعة منهم باعتبارهم أكثر دقة فوضع لكل منهم رمزاً كاختصار لاسمه فهو يرمز لابن مندة بالعلامة (د) ولأبى نعيم بالعلامة (ع) ولابن عبد البر بالعلامة (ب) ولأبي موسى بالعلامة (س) ، فإذا اتفقوا جميعا عل اسم صحابي وضع أمام الاسم جميع هذه الاشارات وإلا ذكر الرمز الذي يشير الى من ذكر اسم الصحابي ، ويذكر في آخر الحديث اسم من أخرجه فإذا ذكر أخرجه الثلاثة مثلاً فإنه يقصد ابن مندة وأبا نعيم وأبا عمر بن عبد البر ، ولا يقول أخرجه فلان وفلان وفلان كما أنه التزم حروف الهجاء في ترتيب الأسماء (١) .

وهذا منهج علمي متقدم في التأليف والكتابة ويعطينا الإحساس الكامل بدقة وصحة ما يكتب ، بل إن هذا المنهج تسير عليه أغلب الجامعات الحديثة عند إعداد الرسائل الجامعية ، سواء في الإشارة إلى المصادر أو إلى ذكر مؤلفي المصادر أو المخطوطات وهو ما يعرف بنظام الاختصارات(ABBRVIATIONS)وهي التي ترمز إلى نوع المصادر التى يشير إليها الباحث واسم المؤلف ومصدره كاملاً سواء كان للمؤلف كتاب واحد أو أكثر وكمثال لذلك يمكن أن يضع الباحث اختصارات معينة ويعمل بموجبها على أن يوضح ذلك عند بداية بحثه ، فمثلاً يمكن أن يشير إلى مجلة الجامعة الإسلامية بالرمز (م ج س) ويشيرون مثلاً إلى الهامش بالحرف (Foot Note) (F.N.) . مثلما فعل المورخ الإسلامى في أسد الغابة .

---

(١) عز الدين بن الأثير . **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، جـ١ ص١١ (القاهرة) .

ولذلك لم يعد في تقديرى تدريس التاريخ يقوم على الألفاظ الرنانة التى تصور التاريخ وكأنه صور خيالية أو حقائق جافة مجردة من أى إحساس تربوي . وقد يستطيع الدارس مثلًا أن يدرك دور المجاهدين المسلمين كاملًا من خريطة توضيحية أو خطوط تصور حقيقة معركة كاملة أكثر من خطبة رنانة يلقيها مدرس التاريخ على طلابه ، فقد لاحظت أن صدى ما بذله المسلمون في معركة مثل اليرموك أو فتح المدائن يظل عالقا وواضحاً بتفاصيله لدى الدارسين عند استخدام الوسيلة التوضيحية بصورة فعالة أكثر مما لو استخدم المدرس أسلوب السرد فقط .

والحقيقة فإن ما خطه المؤرخون القدامى فاق كل تقدير ، ولفت كل نظر الباحثين الغربيين فقد لاحظوا المؤلف الإسلامي يكتب في كل علم بمقدرة فائقة ، فقد أحصيت مؤلفات الامام جلال الدين السيوطي فكانت ٧٢٥ عددا ، ووصف بأن الكتابة كانت يسيرة عليه غير عسيرة فقد حرر في اليوم الواحد عدداً من الكراسات مع قيامه بالتدريس والإملاء ، وورد أنه كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً (١) .

وإنه حين شرع في تأليف كتابه (حسن المحاضرة) طالع كتبا عديدة ، زادت عن الثلاثين كتابا منها الخطط للمقريزي وتاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع ، والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، وطبقات الشافعية وغير ذلك (٢) وقد أوفى السيوطي أو كاد أن يؤلف في كل علم كتابا ويخرج في كل فن تصنيفا إلا المنطق والحساب فقد ذكر أن الحساب استعصى عليه ، وأنه من العذر دراسة المنطق (٣) .

والواقع فإن فضل هذا العالم والمؤرخ واسع وكبير في حفظ التراث الإسلامي ، وخاصة وهو يكتب في العهد المملوكى الذى ذخر بكثير من التقلبات السياسية المقترنة بأمزجة الحكام ، وتداخلت عوامل كثيرة في مناهضة العلماء أو توجيه كتاباتهم بطريقة خاصة .

ولكن اعتمد منهج الإمام السيوطي في كتابة التاريخ على تربيته ونشأته التى كانت في أسرة انقطع معظم رجالها لطلب العلم والاشتغال بالتعليم ، فتعلم تعليما دينيا عاليا وشغل منصبا في الجهاز الحكومي المملوكي حينذاك لفترة ، وقد أثرت عقليته الموسوعية في منهجه في كتابة التاريخ الذى اعتمد على سعة الاطلاع وغزارة الانتاج ، وقد وجد علم التاريخ في عهد

---

(١) أحمد الشرقاوى إقبال ، **مكتبة الجلال السيوطى** ، ص١٤ الرباط (١٣٩٧) .

(٢) جلال الدين السيوطى ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم جـ١ ص٤ (القاهرة) .

(٣) انظر جلال الدين السيوطي ، **بحوث ألقيت في الندوة التى أقامها** المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٧٦) .

السيوطي انتعاشاً واهتماما كبيرا ، فالسخاوى أحد معاصرى السيوطي ومنافسيه ألف كتابا سماه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) وربما كانت المنافسة شديدة بين من يكتبون في التاريخ كعلم عام وبين من يهتمون بمسائل علمية أخرى ٠

وتظهر موسوعية الإمام السيوطي في هذا الكتاب حسن المحاضرة بعدد الكتب التى رجع اليها وكثرة المصادر التى نقل منها ورغم ذلك فإنه يعالج موضوعات هذا الكتاب بطريقة (تصلح لمسامرة الجليس وتكون للوحدة نعم الأنيس) فهو ينقل عن غيره مثلًا في وصف مصر أنها اقليم العجائب ومعدن الغرائب وكانت مدنا متقاربة على الشطين كأنها مدينة واحدة والبساتين خلف المدن متصلة كأنها بستان واحد والمزارع من خلف البساتين حتى قيل : إن الكتاب كان يصل من الاسكندرية إلى أسوان في يوم واحد يتناوله قيم البساتين من واحد إلى واحد ، وقد دمر الله تلك المعالم وطمس على تلك الاحوال والمعادن (١) ٠

ولكن السيوطي في نقله مثل هذا الخبر لم يعلق عليه بما ينقضه أو يوضح غرابته أو يشرحه بما يساعد القارىء على تفهم مثل هذه المبالغة في الوصف وربما ترك ذلك لفطنة القارىء ، لأن الخبر بهذه الصورة يكون مبالغا فيه بطريقة قد يستنكرها القارىء وخاصة فيما يتعلق بوصول الكتاب في يوم واحد من الاسكندرية إلى أسوان مهما كانت الوسيلة التي استخدمت حينذاك لنقل مثل هذا الكتاب ، على أن إقامة محطات متقاربة متصل بعضها ببعض في العصر الإسلامى لنقل البريد كان أمرا معروفا ومطروقا ولكن لم يصل للدرجة التى يقطع مثل هذه المسافة في يوم واحد ، وربما مثل هذا الخبر يدخل في باب المسامرة التى أرادها الإمام السيوطي بكتابه ، وهو يجهد نفسه في ذكر كثير من الروايات والرجوع الى عديد من المصادر في موضوع واحد بقصد أن يوف الموضوع حقه من العرض والدراسة ٠

وإذا كانت حياة العلماء بهذا المستوى الرفيع من التوسع والدقة والاهتمام في تسجيل الأحداث التاريخية والمعارف والعلوم الدينية وغيرها فإنه ينم أيضا على مستوى حضاري عالى ، ويشير إلى مقدرة في التفكير السليم ، مما يساعد على توجيه الدارسين بصفة عامة ويساعد على تأكيد وجود السلوك الإسلامي والخلقي لدى هؤلاء الدارسين مما يكسبهم الخبرة والقدرة على الفهم والاستيعاب بسهولة ، وهو ما اهتم به التربويون في العصور الأخيرة من أن التاريخ مادة من مهامها تدريب الذاكرة ، وتقوية الخلق والفضيلة ، وحل المشكلات الحاضرة (٢) ٠

---

(١) جلال الدين السيوطي . **المصدر السابق** ، ص٢٣ ٠

(٢) عبد الحميد السيد . **التاريخ في التعليم الثانوى** ، أهدافه . مناهجه . تدريسه . ص٤ (القاهرة) ٠

وفي دراسة التاريخ الإسلامي من مظانه الأولى معين لربط الدارسين على مناهج الدعوة الإسلامية ، لأنه سجل هام لأمة الإسلام على مدى تاريخها ، بتجاربها وخبراتها وتراثها الذي أثرى العالم بصفة عامة ، وكان معينا هاما انكب عليه الغرب الأوربى فاستفاد منه وبنى عليه دعائم أساسية من حضارته العلمية ·

ومن هنا جاءت ضرورة الإهتمام بالتاريخ الإسلامى وغرسه لدى الناشئة والباحثين والدارسين على اختلاف مراحلهم ، لأنه يقوى الخلق ويربطهم بأصولهم في مواقفها المتعددة وعلاقاتها المختلفة مما يولد عندهم الاهتمام بعظمة ذلك التراث وأخذ العبر منه ·

لماذا الخوف والفزع من الإسلام .. ؟!

يقول « مورو بيرجر » فى كتابه العالم العربى المعاصر : إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام · يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التى تؤدى الى قوة العرب لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره ·

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر فى القارة الأفريقية ·



في سلسلة الدعاة الذهبية يأتى النموذج الثالث وهو عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ٠

نسبـــــــه :

فمن هو عثمان بن عفان ؟ إنه عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كلاب بن مرد بن كعب بن لؤى بن غالب القرشي ، الأموى المكنى بأبى عمرو ، والملقب بذي النورين ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مجهز جيش العسرة ، المبشر بالجنة على بلوى أصابته ٠

فضـائـــــله :

إن لذى النورين عثمان بن عفان من الفضائل والكمالات مالم يكن لغيره من كثير من الدعاة الصالحين ونماذجهم ، بيد أن الفضائل والكمالات التي هى مجرد عطاء إلهي لا دخل للمرء في كسبها والحصول عليها ، لا نحب أن نستعرضها إلا لماما ، لأن الائتساء بها لا يتأتى للمرء ، وإنما الائتساء يكون في الفضائل والكمالات النفسية التي جرت سنة الله تعالى باكتسابها والحصول عليها بواسطة الرياضة والجد والعمل ، ومن فضائل عثمان التي لا مطمع للمرء في الحصول عليها أنه خَتَن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج اثنتين من بناته ، هما رقية وأم كلثوم ، فقد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ابنته رقية ، وأسلم وهاجر فهاجرت معه وتوفيت أيام وقعة بدر ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أم كلثوم رضى الله عنها ، فتم له أن تزوج بنتين من بنات النبي صلى الله عليه وسلم ، الأمر الذي

قالت فيه العلماء إنه لم يتفق لأي إنسان في هذه الحياة أن تزوج بنتي رسول قط إلا عثمان ابن عفان رضى الله عنه ·

ومن فضائله الذاتية التي لا مجال للقدوة فيها أنه كان أجمل رجل في هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازني : رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى أحسن وجها منه ·

ومن فضائله غير المكتسبة استحياء الملائكة منه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج الشيخان أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه ، وغطى ساقيه ، لما دخل عليه عثمان ، وقال ألا استحي من رجل تستحى منه الملائكة ؟ ·

أسبقيتـــــــه :

لقد أسلم عثمان وحسن إسلامه في أول من أسلم ، حيث لم يسلم قبله من رجال قريش إلا أبو بكر الصديق ، فكان رابع أربعة من المسلمين ، إذ أسلم قبله زيد وعلى وأبو بكر الصديق ، أسلم بدعوة الصديق فكان من السابقين الأولين ·

وهاجر أول من هاجر إلى الحبشة من المسلمين ، فكان أول المهاجرين رضى الله عنه وأرضاه ، وفي هجرته يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ، إن عثمان أول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط ·

فمبادرته إلى الإسلام وإلى الهجرة تدل على كمال عقله ورجاحته ، وكذلك كان رضى الله عنه ، كان من أرجح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عقلا ومن أزكاهم نفسا وأطيبهم قلبا ، وأسماهم خلقا ·

صلابته في دينه ، وصدقه في إيمانه :

لقد كان عثمان رضى الله عنه ذا صلابة في دينه ، صادقا في إيمانه الأمر الذى كان فيه مثالا يحتذى وإماما به يقتدى - ولنذكر مثالين لذلك بهما تنكشف لنا هذه الحقيقة :

الأولى : أخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : لما أسلم عثمان بن عفان أخذ عمه الحكم بن أبى العاص بن أمية فأوثقه رباطا ، وقال له ، ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه وحل وثاقه ، فصبره رضى الله

عنه على الوثاق وما يتبعه من حرمان ، وهو من هو في قومه شرفا وعزا ورفاهة عيش وحسن حال ، دال على قوة إيمانه وصلابته فيه ٠

والثانية : أنه لما داهم المدينة الغوغاويون من مصر ، مطالبين الخليفة بعزل والى مصر والقصاص منه حيث قتل رجلا منهم ظلما ، وهاجت الفتنة في المدينة ، ودخل عثمان بيته فكان لا يقدر على الخروج منه ، دخل عليه المغيرة بن شعبة فقال له : إنك إمام العامة ، وقد نزل بك ما ترى وإنى أعرض عليك خصالا ثلاثا : إما ان تخرج فتقاتلهم فإن معك عددا وقوة ، وأنت على الحق وهم على الباطل ، وإما أن نخرق لك بابا سوى الباب الذى هم عليه فتقعد على راحلتك فتلحق بمكة ، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام ومعهم معاوية ، فقال رضى الله عنه : أما أن ـ أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء ، وأما أن أخرج إلى مكة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم فلن أكون أنا ، وأما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفض عثمان كل هذه المقترحات صابراً محتسباً ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يوما : يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصا ، فإن أرادك ـ المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني وكذلك كان أراده المنافقون أن يخلع نفسه من إمارة المسلمين ، وهى القميص ، فلم ير ذلك وصبر للبلاء حتى لقى الله تعالى شهيدا مخضبا بدمه في منزله بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرضى الله عن عثمان وأرضاه ٠

سخاؤه وكرمـــــــه :

إن السخاء والكرم من صفات الكمال في الداعي ، وقد لا يعثر على داعية إسلامي كان عاريا من صفة السخاء والكرم ، إذ ضدهما الشح والبخل وهما من عوائق الدعوة ٠ إذ الناس بفطرتهم لا يؤثر فيهم إلا من يكرمهم ويسخوا عليهم أما من يهينهم ويبخل عليهم فلا يستجيبون له نداء ، ولا يقبلون منه دعوة ٠

وعثمان بن عفان ذو النورين ، وهو أحد الدعاة الصالحين ، كان كريما سخيا ، لم يلمز بشح ، ولم يطعن فيه ببخل ، فوصله لأرحامه ، وصلته لأقاربه مما نقمه عليه كثير ، وكان سبب تلك الفتنة التي أودت بحياته رضى الله عنه ، وإن طلبنا شاهدا على سخاء عثمان وكرمه فإنا لا نجد خيرا من تجهيزه لجيش العسرة ، وتسبيله بئر رومة ، فقد أخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن خباب : قال شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش

العسرة ، فقال عثمان بن عفان يارسول الله عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله . ثم حضّ على الجيش ، فقال عثمان يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان يارسول الله على ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : ما على عثمان ما عمل بعد هذه شيء .

وأخرج الترمذى عن عبد الرحمن بن سمرة ، قال : جاء عثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، مرتين .

وكتجهيزه جيش العسرة حفره بئر رومه ، فقد أخرج البخاري عن أبى عبد الرحمن السلمي أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم فقال أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة .؟ ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر بئر رومه فله الجنة ؟ فحفرتها ، فصدقوه بما قال .

سياستــــــه :

كان قد غلب على عثمان طابع التقوى والرفق واللين فكان في هذا الجانب من أقوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وناهيك بالشهادات التالية : قالت عائشة لما بلغها مقتل عثمان : قتلوه وإنه والله لأوصلهم للرحم وأتقاهم للرب ، وهو أحد المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض . وقال فيه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنه : رحم الله أبا عمرو ، كان والله أكرم الجعدة وأفضل البررة ، هجادا بالأسحار ، كثير الدموع عند ذكر النار ، نهاضا عند كل مكرمة ، حييا أبيا وفيا ، صاحب جيش العسرة وختن رسول الله . وقال فيه غير واحد : إنه كان طيب النفس حليما متواضعا رفيقا بالناس ، قال فيه المسعودي كان عثمان في نهاية الجود والكرم والسخاء والبذل في القريب والبعيد .

فغلب جانب الورع والتقوى والحلم والكرم جانب السياسة والحزم والدهاء ، فلذا كان ضعيفا في السياسة ، قال فيه بعضهم : كان عثمان بن عفان شيخا كبيرا ضعيف الإرادة فلم يستطع الاضطلاع بأعباء الحكم رغم نزاهته وفضائله الكثيرة رضى الله عنه ، وقد أثار بسياسة الضعف التي سار عليها مع انحيازه إلى ذوى قرباه ومحاباتهم كراهة بعض الناس من أهل

المدينة ومن غيرهم من أهل الأمصار ، مما جر عليه تلك الفتنة التي انتهت بقتله ، وما انتهت في الحقيقة إلى اليوم ، إذ كانت بداية ولم تكن لها نهاية ... والله غالب على أمره ، وما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، ومع ضعف سياسة عثمان رضى الله عنه فقد كانت خلافته خيرا وبركة على المسلمين ، فقد شهد المسلمون على عهده من الأموال والخيرات وكثرة الفتوحات ، مالم يشهدوه في خلافة من قبله ولا من بعده . ويكفى من ذلك فتح افريقيا والذي كان خطوة أولى إلى فتح بلاد الأندلس .

علمه رضى الله عنـــــه :

أما علم عثمان فكان علما غزيرا ، كتب للرسول صلى الله عليه وسلم ، واتخذه سفيرا بينه وبين قريش في صلح الحديبية ، واستخلفه على المدينة في غزوته ذات الرقاع ، وقد روي له ستة وأربعون حديثا ومائة ، ويكفيه علما حفظه لكتاب الله وهى منقبة اختص بها إذ لم يجمع القرآن من الخلفاء الراشدين سواه ، وكذا من الخلفاء غيرهم ممن جاء بعدهم إلا المأمون ابن هارون الرشيد ، فانه كان جامعا للقرآن حافظا له ، ومن حفظ القرآن من أولئك البررة السابقين كان كمن أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى اليه .

كرامـــــاته :

إن لكل ولى كرامة عند الله ، وكيف لا يكرم الله وهو ذو الكرم والفضل أولياءه ، وما يكرم به الله أولياءه من الكرامات أنواع : منها الدعوة المستجابة ، ومنها أن يثأر الله تعالى ممن آذى وليه وعاداه ، ومن كرامات عثمان على ربه تعالى ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن جهجاه الغفاري قام إلى عثمان وهو على المنبر يخطب فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته . فما حال الحول على جهجاه حتى أرسل الله في رجله الأكلة فمات منها ، ومنها ما أخرجه ابن عساكر عن يزيد بن حبيب قال : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جُنُّوا ، والعياذ بالله تعالى .

وفـــاته رضى الله عنـــــه :

قضى عثمان رضى الله عنه اثنتي عشر سنة في خلافة المسلمين ، منها ست سنوات لم ينقم المسلمون فيها عليه شيئا أبدا ، بل كان فيها أحب إلى قريش من عمر بن الخطاب ، قال الزهري : لأن عمر كان شديدا عليهم ، فأما عثمان فلان لهم ووصلهم .

وبعد الست سنوات الأولى توانى عثمان رضى الله عنه ، واستعمل أقرباءه على

الأمصار ، وعزل كثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من غير أقربائه . قال الزهري وكتب لمروان بخمس إفريقية ، وأعطى أقرباءه وأهل بيته المال ، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، وقال : إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما ، وإني أخذته فقسمته في أقربائي . فأنكر الناس عليه ذلك ، وفي السنة الأخيرة من خلافته وهى سنة خمس وثلاثين ، كثرت شكاوى أهل الأمصار ، ولاسيما أهل مصر ، من ولاتهم ، وكانوا يطلبون من عثمان أن يعزلهم فلا يعزلهم ، وجاء أهل مصر يشكون واليهم الأموي ابن أبي سرح ، فكتب إليه عثمان كتابا هدده فيه طالبا منه أن يكف عن الرعية ظلمه ، فلم ينته ابن أبى سرح عما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان حتى قتله . وعندئذ تجمع كثير من الغوغاوين وأوباش الناس ، وجاءوا إلى المدينة ، وطالبوا الخليفة بخلع ابن أبى سرح ، فاستجاب لهم وخلعه وولى محمد بن أبى بكر الصديق بدله ، وكتب إليه كتاب العهد ، وأمره أن يتوجه إلى مصر ، فسار محمد بن أبى بكر الصديق إلى مصر في ركب من الناس ، وفي أثناء الطريق شاهدوا غلاما أسود على بعير يخبطه خبطا ، كأنه طالب أو مطلوب ، فرابهم أمره فأوقفوه وسألوه من أنت ؟ فمرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان ، فقال له محمد بن أبى بكر إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر ، قال بماذا ؟ قال برسالة ، قال معك كتاب ؟ قال لا . ففتشوه فوجدوا الكتاب في إداوة قد يبست ففتقوها وأخرجوا الكتاب فاجتمعوا عليه وقرأوه ، وإذا فيه : إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم . وأبطل كتابه ، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء إلى يتظلم منك ليأتيك أمري في ذلك .

وهنا رجع محمد بن أبى بكر ومن معه ، وكانوا قد ساروا ثلاثة أيام ، رجعوا إلى المدينة واجتمع عليهم الناس وقرأوا الكتاب على عثمان ، فأنكر أن يكون قد كتب به أو أمر بكتابته ، ثم اجتمع على وطلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة ، وكلهم يدري ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير ، فقال له على : هذا غلامك ؟ قال نعم ، قال والبعير بعيرك ؟ قال نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ، ولا علم لى به ، قال على له : فالخاتم خاتمك ؟ قال نعم ، قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك ، وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف بالله ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ، ولا وجه الغلام إلى مصر قط ، وعرفوا أن الخط خط مروان ، وأنه هو الذى قام بهذه المؤامرة ، فطلبوا من عثمان أن يسلم إليهم مروان ، فخاف أن يقتلوه ، وعز عليه

ذلك ، فأبى أن يسلمه إليهم ، ولازم بيته معتصما فيه ومروان معه ، فحاصر الناقمون من الأمصار بيت عثمان وترك علّي ابنيه الحسن والحسين يحرسان الباب ، ويردان كل من يريد اقتحام المنزل على عثمان ، غير أن البغاة تسوروا الدار من منزل أحد الجيران ، ودخلوا عليه يتقدمهم محمد بن أبى بكر وأخذ بلحيته ، فقال له عثمان ، والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني ، فتراخت يده ، وتركه وانصرف ، ودخل رجلان عليه فوجآه حتى قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وأخرج ابن عساكر أن الذى قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق أشقر يقال له حمار ، ومن أحسن ما رثي به عثمان من المراثي رضى الله عنه وأرضاه ، قول كعب بن مالك :

فكف يديه ثم أغلق بابه — وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم — عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم — العداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده — عن الناس إدبار الرياح الجوافل

وكانت وفاة عثمان رضى الله عنه على ما قيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء بالبقيع ، على عمر نيف على الثمانين سنة ، فرضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه ٠

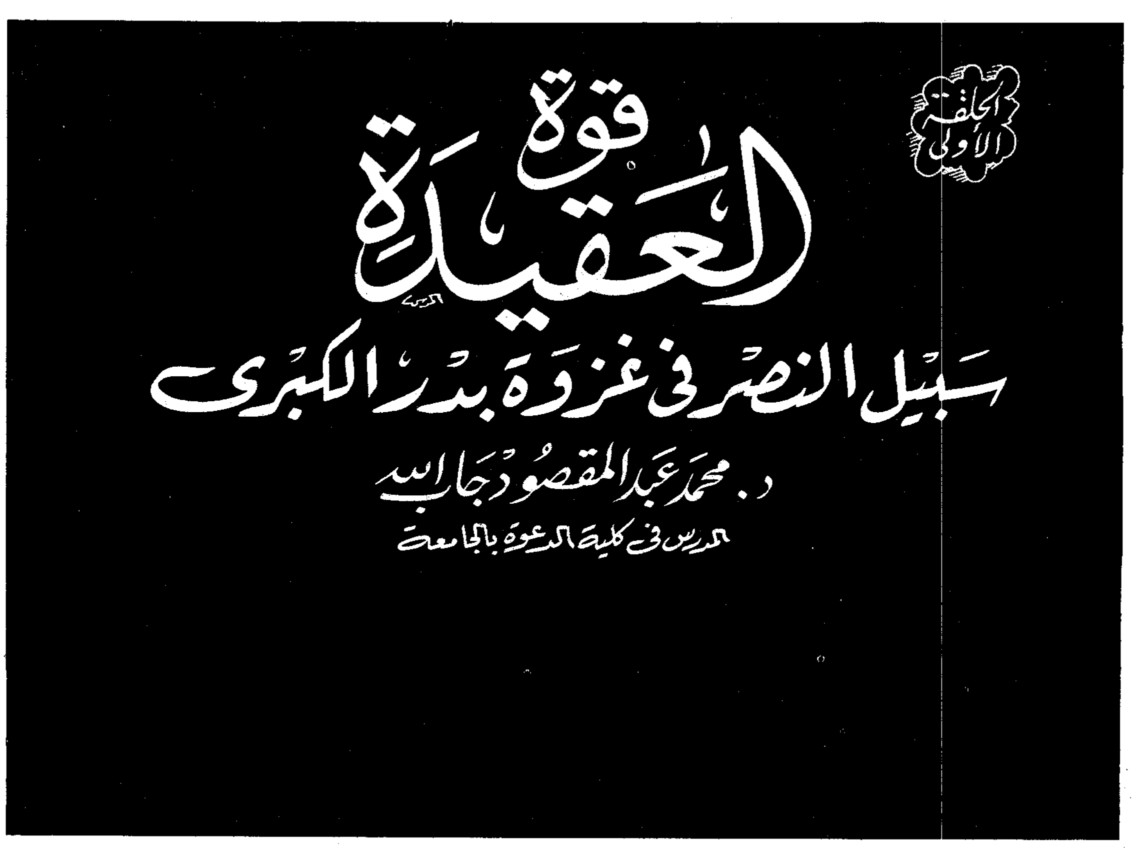
(يتبع)

****

طبقات الإخوان

مما ينسب الى الخليفة (المأمون) قوله :

الاخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه ، وطبقة كالدواء قد يحتاج إليه وطبقة كالداء جنبك الله اياه ٠



فإن الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها مستنفرة الآن للدفاع عن حقوقها ضد أعدائها الذين يتربصون بها ، ويتكالبون عليها تكالب الأكلة على قصاعها .

ولن يدفع هؤلاء الأعداء عنها ، ويصدهم عن سبيلها ، إلا إعلان الجهاد المقدس ، ورفع رايته تلك الدعوة التى وجهها سمو ولى عهد المملكة العربية السعودية الأمير فهد بن عبد العزيز ، فكان لها صدى عميق في جميع الأقطار الإسلامية ، واستجابت لها بالتأييد والدعم ، وباركتها قلوب الملايين من المسلمين .

ولا بد من بيان المثل والقدوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسلافنا الأوائل في جهادهم وقتالهم لأعدائهم لنترسم طريقهم ، ونمشى على منوالهم ، وأمثل طريق للاقتداء هو غزوة بدر الكبرى تلك الغزوة التى انتصر فيها المسلمون بقوة عقيدتهم ، وتفانيهم في الذود عن الإسلام ، والدفاع عن حياضه ضد المشركين ، وأعداء الدين .

هذه الموقعة الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين ، بل في تاريخ البشرية كلها إلى يوم الدين ، هذه الموقعة التى قدر المسلمون أن تكون غايتها غنيمة أموال المشركين ، وقدَّر ربُّ العالمين أن تكون فيصلا بين الحق والباطل ، وأن تكون مفرق الطريق في تاريخ الإسلام ، ومن ثم تكون مفرق الطريق في خط سير التاريخ الإنسانى العام ، والتى ظهرت فيها الآماد

البعيدة بين تدبير البشر لأنفسهم فيما يحسبونه الخير ، وتدبير ربّ البشر لهم ولو كرهوه في أول الأمر .

والباطل مهما طال أمده ، وقويت شوكته ، لا بد له - على كثرة أنصاره وقوة عوده - من يوم يخر فيه صريعا أمام روعة الحق ، وقوة الإيمان (كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأمَّا ماينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (الرعد آية ١٧) .

وليست غزوة بدر الكبرى التى قام بها المسلمون في السنة الثانية من الهجرة وفي رمضان المبارك إلا تطبيقا عمليا لهذه السُّنَّة التى وضعها الله سبحانه وتعالى في صراع الحق للباطل ، وهى من السنن التى لا تتبدل ولا تتغير ، وليس الحديث عنها حديثا عن مجرد معركة قامت بين فريقين اختصما على بعير أو قطعة من الأرض ، أو على قتل نفس بريئة فانتصر أحدهما على الآخر ، وإنما هو حديث عن كيف يصرع الحقُّ بجلاله الباطل بعدته .

والصراع بين الحق والباطل ليس صراع وقت دون وقت ، ولا مكان دون مكان ، وإنما هو شأن بشريٌّ عام مادام الإنسان ، وما دام في الإنسان إيمان ورحمة ، وتقى وصلاح ، وفيه كفر وقسوة ، وفجور وانحراف .

وتلك طبيعة الإنسان لم يخلقه الله حين خلقه إلا كان من جنده قوى الخير تدفعه إلى الإيمان وإلى الكفاح في سبيله ، وكان من جنده قوى الشر تدفعه إلى الطغيان وإلى الكفاح في سبيله قال الله سبحانه وتعالى : (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) (الشمس آية ٧ - ١٠) .

وقال سبحانه وتعالى : (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيراً ، إنا هديناه السبيل إمَّا شاكراً وإما كفوراً) (الإنسان آية ٢،٣) وسأتناول الحديث عنها في النقاط الآتية :

١ - مقدمة الغزوة .
٢ - سبب الغزوة ووصف المعركة وفضل الله على المسلمين فيها .
٣ - تسجيل لمواقف الخزى والعار بالنسبة لقريش ورجالها .
٤ - أسباب النصر وعوامله .
٥ - الأسرى وموقف الرسول صلى الله عليه وسلم منهم .
٦ - الخاتمـــــة .

أولا : مقــدمة الغزوة :

مكث النبى صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة من غير قتال صابراً على شدة إيذاء العرب بمكة المكرمة واليهود بالمدينة المنورة ، فكان يأتيه أصحابه ما بين مضروب ومجروح ٠ يشكون إليه حالهم ، ويطلبون منه السماح لرد العدوان بالمثل ، فيقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم « اصبروا لأنّى لم أومر بالقتال ، حتى أن بعض أصحابه قتل من جراء العذاب ، منهم سمية أم عمار بن ياسر ، وزوجها ياسر ، عذَّبهما آل المغيرة على إسلامهما ليرجعا عنه وماتا تحت العذاب (١) ٠

ثم تطورت الأحداث بعد ذلك ، وتفنن المشركون في إيذاء المسلمين حتى أجمعوا أمرهم على قتل النبى صلى الله عليه وسلم فلما علم بقصدهم هاجر إلى المدينة المنورة ، حيث استقبله أهلها بالترحاب ، وبايعوه على الإسلام ٠

ولم يكتف المشركون بمحاولتهم قتل النبى صلى الله عليه وسلم ، بل ألبوا عليه القبائل الجاهلية لإبطال دعوته والقضاء عليها ٠

ومنع المستضعفون من المسلمين من الهجرة إلى المدينة فراراً بدينهم وانضماما إلى إخوانهم ٠ فكان أمام هذه المحاولات أن أذن للنبى صلى الله عليه وسلم بالقتال من قبل الله سبحانه وتعالى ٠

وإذا أمعنا النظر في النصوص القرآنية التى أمر الرسول فيها بالقتال رأيناها تعترف بأن الحرب وسيلةٌ لدفع العدوان ٠ اعترفت بها لأن طبيعة البشر كثيراً ماتفضى إلى التنازع والبغى ، والإعتداء على الحريات ٠

وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) (الحج آية ٤٠،٣٩) ٠

ففى هاتين الآيتين إذن بالقتال ، وتعليل له بما مني به المسلمون من الظلم والاعتداء ، وما أكرهوا عليه من الإخراج من الديار والأوطان بغير حق ، ويقول الله سبحانه وتعالى : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين

---

(١) سيرة ابن هشام القسم الأول ص٣٢٠ الطبعة الثانية مطبعة الحلبى ١٣٧٥ ـ ١٩٥٥ ٠

يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيراً) (الإنسان آية ٧٥) ٠

يلفت الله سبحانه وتعالى إلى أن الحرب في الإسلام ليست للتحكم في الرقاب ولإذلال العباد ، بل هى في سبيل الله ، وفي سبيل المستضعفين من المؤمنين الساكنين في مكة ، الذين استذلوا ومنعوا من الهجرة ليفتنوهم عن دينهم ٠

فالإسلام في جهادٍ دائم لاينقطع أبداً لتحقيق كلمة الله في الأرض ولرفع الظلم عن الأفراد والجماعات في أقطار الأرض ٠

ومكة التى أكره الرسول صلى الله عليه وسلم على الهجرة منها فراراً بدينه ، والتى ترك المسلمون فيها أموالهم وديارهم ، تَعْتَمد في معيشتها على التجارة ٠ وعمل قريش الأول هو التجارة مع الشام ، وطريق التجارة إلى الشام محفوف بالخطر ، فالمسلمون في طريقه ، ولقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية القضاء على قوة العدو الاقتصادية ووضعها في المقام الأول ، لأن في القضاء عليها قضاءً على القوة العسكرية ٠ واهتمام الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك يظهر من الغزوات الأولى والسرايا التى بعث بها الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بدر ، فقد كان هدفه الأول منها القضاء على تجارة قريش ومنع قوافلها من الخروج إلى الشام ٠

ونحن في عصرنا هذا نسمع عن الحرب الاقتصادية والحصار الاقتصادى وهما ذات السلاح الذى استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

وكانت هذه الغزوات والسرايا التى قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنفسه بقيادة بعضها ، بمثابة الاستكشاف والاستطلاع لمعرفة قوة عدوه ، والوقوف على ما يدبره القرشيون من المكايد له صلى الله عليه وسلم ، وللمسلمين في المدينة ٠٠٠٠ ولقد ظن الكثيرون أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يهدف بتلك السرايا والغزوات إلى جر قريش إلى الحرب ٠

والواقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرمى إلى غرضين نبيلين همـــا :

١ ـ رغبته في أن تشعر قريش أن المسلمين في المدينة قوة ، وأن في استطاعتهم قطع طريق القوافل إلى الشام وأن هذا معناه ضرورة إعادة النظر في موقف قريش من محمد صلى الله عليه وسلم ورجاله ، وأن على قريش أن تفكر جدّياً في أن مصلحتها تقتضى التفاهم مع المسلمين ، فتكفل لهم حرية الدعوة إلى الدين في نظير سلامة تجارتهم وقوافلهم ٠

وكان هذا بمثابة إنذار لقريش وبيان عقبى طيشها ، فقد حاربت الإسلام ولا تزال تحاربه ، ونكلت بالمسلمين في مكة ثم ظلت ماضية في غيّها لا تسمح لأحد من أهل مكة أن يدخل في دين الله ، ولا تسمح لهذا الدين أن يجد قراراً في بقعة أخرى من الأرض ·

فأحب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشعر زعماء مكة بأن هذه الخطة الجائرة ستُلحق الأضرار الفادحة بهم ، وأنه قد مضى إلى غير عودة ذلك العصر الذي كانوا يعتدون فيه على المؤمنين ، وهم بمأمن من القصاص ، لأن المؤمنين قد تخلصوا من ضعفهم القديم · ذلك الضعف الذى مكن قريشا من مصادرة حرياتهم ، واغتصاب دورهم وأموالهم ·

ومن حق المسلمين أن يُعنوا بهذه المظاهرات العسكرية على ضآلة شأنها ، فإن المتربصين بالإسلام كثروا ولن يصدهم عن النيل منه إلا الخوف وحده ·

وهذا تفسير قوله سبحانه وتعالى : (ترهبون به عدوَّ الله وعدوَّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) (الأنفال آية ٦٠) ·

وهذا ما عرفته الجيوش الحديثة باسم المناورات العسكرية ، والاستعراضات التى تقوم بها بين الحين والحين ·

٢ ـ والغرض الثانى رغبته صلى الله عليه وسلم في أن يعقد الصلح والمعاهدات مع القبائل التى تقطن بجوار المدينة ، وسيظهر ذلك في خلال الحديث عن هذه السرايا والغزوات التى سأكتفى بذكر بعضها ...

١ ـ في صفر من السنة الثانية من الهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه بعد أن جمع جموعه من المهاجرين دون الأنصار بعد أن علم أن تجارة لقريش ستمر بطريق الشام ، ومضى بجيشه حتى بلغ ودّان (١) ·

إلا أن عير قريش كانت قد مرت من قبله ، فلم يحدث اشتباك ، وصالح بنى ضمرة وحالفها ، وكان بينه وبينها كتاب جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمدً رسول الله لبنى ضمْرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، وأن لهم النصرة على من رامهم إلاّ أن يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصره أجابوه · عليهم بذلك ذمة الله ، وذمة رسوله » ·

---

(١) ودّان : قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع . وقيل : واد على الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة ·

وكانت هذه الغزوة أول غزوة للرسول صلى الله عليه وسلم غاب فيها عن المدينة خمس عشرة ليلة (١) ٠

٢ ـ وفي العام الثانى من الهجرة وفي شهر رجب بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش الأسدى ، ومعه جماعة من المهاجرين ٠ وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما بعثه على رأس السرية : « لأبعثن إليكم رجلاً أصبركم على الجوع والعطش » وأطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لقب أمير المؤمنين ، فكان أول من تسمى به في الإسلام ٠ ودفع إليه بكتاب وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره ، فإذا نظر فيه ووعى ماكلفه الرسول به ، مضى في تنفيذه غير مستكرهٍ أحداً من أصحابه ٠

فسار عبد الله ثم قرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه : امض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا أخبارهم ٠

فقال عبد الله : « سمعا وطاعة » وأطلع أصحابه على كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا : إنه نهانى أن أستكره أحداً منكم فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق معى ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف منهم أحدٌ ، إلاّ أن سعد بن أبى وقاص ، وعتبة بن غزوان ذهبا يبحثان عن بعير كانا يعقبانه وكان قد ندَّ فأسرتهما قريش …

ومضى عبد الله برفاقه حتى نزل أرض نخلة ٠ فمرت عير قريش ، فهاجمها عبد الله ومن معه ، فقتل في هذه المعركة عمرو بن الحضرمى ، وأسر اثنان من المشركين ، وعاد عبد الله إلى المدينة ومعه العير والأسيران ٠

وهكذا عرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن السِّرِّية فيها النصر والغلبةُ على الأعداء ٠

وقد وقع هذا القتال في آخر شهر رجب أى في الشهر الحرام ، فلما قدم عبد الله وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف التصرف في العير والأسيرين ، ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله وكثر في ذلك القيل والقال حتى نزل الوحى حاسما هذه الأقاويل ، ومؤيدا مسلك عبد الله تجاه المشركين (٢) ٠

---

(١) السيرة لابن هشام القسم الأول ص ٥٩١ . أبو الفداء ٢٤٣/٣ . فتح البارى ٢٧٩/٧ ٠

(٢) السيرة لابن هشام ٦٠١/٢ ـ ٦٠٥ . أبو الفداء ٢٤٨/٣ ـ ٢٥٢ . فتح البارى ٢٨٠/٧ ٠

فقال سبحانه وتعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفرٌ به ، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنةُ أكبر من القتل) (البقرة آية ٢١٧) .

وبنزول هذه الآية سعد المسلمون وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء عبد الله في الغنيمة ، وقبض على الأسيرين وهما عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان ، فبعثت قريش تطلب فداءهما فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا فإنا نخشاكم عليهما - يعنى سعداً وعتبة - فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم » .

وقدم سعد وعتبة ، فسلم النبى عليه الصلاة والسلام الأسيرين ، وأعلن أحدهما وهو الحكم بن كيسان إسلامه وبقى بالمدينة ، ومات شهيداً في مؤتة . أما عثمان بن عبد الله فقد عاد إلى مكة ومات بها كافراً .

وهذه الضجة التى افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين المسلمين لا مساغ لها فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام واضطهاد أهله فما الذى أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة ، فأصبح انتهاكها معرة وشناعة .

ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين قرر المشركون قتل نبيهم وسلب أموالهم . لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون في مصلحته فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقصها هدم القوانين والدساتير جميعا .

ولقد زكىَّ القرآن عمل عبد الله وصحبه رضى الله عنهم فقد نفذوا أوامر الرسول بأمانة وشجاعة ، وتوغلوا في أرض العدوِّ مسافاتٍ شاسعة متعرضين للقتل في سبيل الله ، متطوعين لذلك من غير إكراه أو حرج فكيف يجزون على هذا بالتقريع والتخويف .

كيف وقد قال الله سبحانه وتعالى فيهم : (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)) (البقرة آية ٢١٨) .

والمستشرقون الأوربيون ينظرون إلى هذه السرايا كأنها ضرب من قطع الطريق ، وهذه النظرية صورة للحقد الذى يعمى عن الحقائق ، ويتيح للهوى أن يتكلم ، ويحكم كيف شاء ، وهذا الاستشراق المغرض يذكرنا بما حدث عند قمع الانجليز لثورة الأهلين في إفريقيا الوسطى « كينيا » وهم يطلبون الحرية لوطنهم ويحاولون إجلاء الأجانب عنه . إذ قال جندى

انجليزى لآخر - يصف هؤلاء الإفريقيين - إنهم وحوش تصور أن أحدهم عضنى وأنا أقتله .(١)

إن هذه الأضحوكة صورة من تفكير المستشرقين في إنصاف أهل مكة والنَّعى على الإسلام وأهله ...

ولقد حققت هذه السرايا أهدافها ووصلت إلى غرضها - ولم يكن ذلك إلا بقوة الإيمان وثبات العقيدة .

ثانيـــــــا :

سبب الغزوة ، ووصف المعركة ، وفضل الله على المسلمين فيهـــا :

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرمى إلى القضاء على إقتصاديات قريش كما بينت ، وكان يرى في ذلك إضعافاً لقوتها العسكرية . وكان قد علم بخروج قافلة كبيرة لقريش قيل إنها جمعت جميع أموالها حتى أنه لم يبق بمكة قرشى ولا قرشية يملك مثقالاً فصاعداً إلا بعث به في تلك القافلة ....

وقدرت أموالها بخمسين ألف دينار ، وحملت تجارتها على ألف بعير يقودها أبو سفيان ومعه سبعة وعشرون رجلا وفي رواية أخرى تسعة وثلاثون منهم مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص ، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن القضاء على هذه القافلة فيه هدم لاقتصاديات قريش بالإضافة إلى إضعاف مركزها العسكرى ، وما ينتج عن ذلك من زيادة قوة المسلمين ، ورفع روحهم المعنوية .

وبهذا سار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العشيرة . إلا أن القافلة كانت قد مرت فرأى عليه الصلاة والسلام أن ينتظر عودتها ، وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام طلحة بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد ينتظران عودة القافلة فنزلا على كشدٍ الجهنى بالحوراء ، وأقاما عنده في خباء حتى مرت العير ، فأسرعا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يفضيان إليه بأمرها . وما رأيا منها .

ولم ينتظر الرسول صلى الله عليه وسلم عودة رسوليه إلى الحوراء ، فقد كان يخشى أن تفوته في عودتها كما فاتته في ذهابها إلى الشام .

---

(١) فقه السيرة ص٢٢٥ .

ولهذا دعا المسلمين وقال لهم « هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلَّ الله ينفلكموها » (١) ·

ولم يعزم الرسول صلى الله عليه وسلم على أحد بالخروج ، ولم يستحث متخلفا فخف بعضهم وثقل بعضهم (٢) ·

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بمن أمكنه الخروج ، وكان الذين صحبوا الرسول هذه المرة يحسبون أن مضيهم في هذا الوجه لن يعدوَ ما ألفوا في السرايا الماضية ، ولم يدر بخلد واحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام ، ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة ، ولتسابقوا في الخروج ولم يبق منهم أحد …

وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، فعلم من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك ·

واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى أهل مكة ، وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو مسرعا إلى مكة (٣)

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وكان عددهم ٣١٣ ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا ، ثلاثة وسبعين من المهاجرين ، ومائتان وأربعون من الأنصار وكان خروجهم من المدينة في رمضان ، وجعل عمرو بن أم مكتوم ليصلى بالناس ، واستعمل عليها أبا لبابة الأنصارى ، وارتفعت أمام المسلمين رايتان سوداوان وكانت إبلهم سبعين بعيراً يتبادلون ركوبها ، كل ثلاثة أو أربعة يتعاقبون بعيراً ، وكان حظ الرسول صلى الله عليه وسلم كحظ سائر أصحابه فكان هو وعلي ، ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يتعاقبون بعيراً ، وكان رفيقا الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوانه ليركب ويقولان له : « اركب حتى نمشى معك » فكان يرفض منهما هذه الدعوة ويقول : « ما أنتما بأقوى منى على المشى ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » (٤) ولم يقبل أن يتميز عليهما ·

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٦٠٧ ·

(٢) فتح البارى ٧ / ٢٨٥ ـ ٢٨٦ . ابن هشام ١ / ٦٠٧ . أبوالفداء ٣ / ٢٥٦ ·

(٣) المصدر السابق . أبو الفداء ٣ / ٢٥٧ ·

(٤) أبو الفداء ٣ / ٢٦١ ·

وأسرع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه خوفاً من أن يفلت أبو سفيان منهم هذه المرة .

ونزل المسلمون في وادى ذَفْران ، وهناك علموا بخروج قريش بأجمعها لتحمى قافلتها في أثناء عودتها .

وكانت قريش ترى في استيلاء محمد على القافلة هزيمة منكرة لها وتثبيتا لمركزه وتأكيدا لصدق دعوته ؛ ولهذا قررت أن تحاربه وتناضله ، لتحمى قافلتها ؛ ولتقضى على قوته فلا يعود ثانية إلى الوقوف في وجه قوافلها .

(يتبع)

العدوان على الإســلام في الفيلبـين

اتهم قائد جبهة مورو الاسلامية في الفيلبين نور ميسواري حكومة مانيلا بالقيام بحملة ا بادة هائلة للمسلمين في جنوب البلاد .

وأن القوات الفيلبينية قتلت في الأونة الأخيرة حوالي (١٥٠٠) مسلم من رجال ونساء وأطفال . واتهم ميسواري السلطة بإغلاق ثلاثة مساجد في جزيرة انا واستخدامها كمسالخ للكلاب .

النور المغربية

إحياء التراث الإسلامي

من عقائد السلف

الرد على الجهمية



للإمام الحافظ ابن منده ٣١٠ - ٣٩٥ هـ

تحقيق وتعليق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين

بـــــــاب

ذكر قول الله عز وجل (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) (ص/ ٧٥) .

ذكر ما يستدل به من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على أن الله جل وعز خلق آدم عليه السلام بيدين حقيقة .

١ ـ (٣٨) أخبرنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو المصري ، ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يارب أين أبونا الذى أخرجنا ونفسه من الجنة ؟ فأراه الله آدم ، فقال موسى عليه السلام : أنت آدم ، فقال : نعم ، قال : فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ قال : من أنت ؟ قال : أنا موسى قال : أنت الذى كلمك الله من وراء حجاب ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه ، قال : نعم ، قال : فما وجدت في كتاب الله أن ذلك كائن قبل أن أخلق ، قال : نعم ، قال : ففيم تلومني في شيء سبق من الله جل وعز فيه القضاء قبلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى (١) .

---

(١) د/ في السنة / باب في القدر ، ٥/ ٧٨ ح ٤٧٠٢ من طريق أحمد بن صالح قال ثنا ابن وهب به وإسناده حسن .

٢ ـ (٣٩) أخبرنا أحمد بن عمرو ، ثنا يونس بن عبد الأعلى ، ثنا ابن وهب ، أنبا يونس (١) عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن وهب (٢) أنه سمع أبا هريرة حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

احتج آدم وموسى عند ربهما ، فحج آدم موسى عليهما الصلاة والسلام ، فقال موسى : أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك في جنته ، ثم أهبطت الناس بخطيئتك الأرض ، فقال آدم : أنت موسى اصطفاك الله برسالته ، وبكلامه ، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا ، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن يخلقني · قال موسى بأربعين عاما ، قال آدم : فهل وجدت فيها (وعصى آدم ربَّهُ فغوى) (طه /١٢١) قال : نعم ، قال : فتلومني على أن عملت عملا كتبه الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى (٣) ·

٣ ـ (٤٠) أخبرنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم مولى بنى هاشم ، ثنا أبو أمية الطرسوسي ، ثنا أبو الوليد ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا يحي بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، حدثني أبو هريرة ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ٦/ب

تحاج آدم وموسى فقال آدم لموسى : أنت الذى اصطفاك الله على خلقه وفضلك برسالته ، ثم صنعت الذي صنعت ، النفس التى قتلت ، قال موسى لآدم : فأنت آدم الذى خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ، ثم فعلت الذى فعلت ، لولا ما فعلت دخلت ذريتك الجنة ، فقال آدم : تلومني في أمر قد قدر علي قبل أن أخلق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حج آدم موسى (٤) ·

٤ ـ (٤١) أخبرنا محمد بن الحسين بن القطان بنيسابور ، ثنا أحمد بن يوسف السلمي ، ثنا النضر بن محمد الجرشي ، ثنا عكرمة بن عمار ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، ثنا

---

(١) يونس ـ هو ابن يزيد بن أبي النجاد الأيلى ··· ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهما قليلا ، وفي غير الزهري خطأ ، من كبار السابعة ، مات سنة تسع وخمسين على الصحيح ، روى عن ابن شهاب ، وعنه ابن وهب ، تقريب ٢ /٣٨٦ · تهذيب ٤٥/١١ ·

(٢) حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى المدني ، ثقة ، من الثانية ، مات سنة خمس ومائة على الصحيح ، روى عن أبي هريرة ، وعنه ابن شهاب · تقريب ٢٠٣/١ · تهذيب ٤٥/٣ ·

(٣) إسناده حسن ·

(٤) فيه متابعة أبي سلمة لحميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة ، وقد جاء فيه تقديم قول آدم على قول موسى ، ولعل هذا من عكرمة بن عمار وهو العجلى أبو عمار اليمامي ، وهو صدوق يغلط ، وفي روايته عن يحيي بن أبي كثير اضطراب ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٦١/٧ ، وتقريب التهذيب ٣٠/٢ ·

· وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٣١٥ ·

أبو سلمة قال عكرمة بن عمار وسمعته من عبد الله بن عمير الليثي (١) ، عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تحاج آدم وموسى ، فقال آدم : ياموسى أنت الذي بعثك الله برسالته ، واصطفاك بكلامه على خلقه ، ثم فعلت كذا وكذا ، فقال موسى : ياآدم أنت آدم أبو الناس الذي خلقك جل وعز بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وأسكنك جنته ، ثم صنعت الذي صنعت فلولا أنت لدخل ذريتك الجنة ، قال آدم لموسى : أتلومني على أمر قدر عليّ قبل أن يخلقني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى (٢) ٠

٥ ـ (٤٢) أخبرنا أبو عمرو ، ثنا أبو أمية ، ثنا حامد بن يحيى (٣) ، عن أيوب ابن النجار اليمامي (٤) ، ثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تحاج) آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام ، فقال موسى : ياآدم أنت أبونا خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، خَيَّبْتَنا وأخرجتنا من الجنة ، فقال آدم : أنت موسى كلمك الله تكليما ، وخط لك التوراة بيده واصطفاك برسالته ، فبكم وجدت في كتاب الله تعالى : (وعصى آدم ربه فغوى) قال : بأربعين سنة ، قال : فتلومني على أمر قدره الله على قبل أن يَخْلُقَني بأربعين سنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى ٠

وهذه أحاديث صحاح ثابتة لا مدفع لها ، ولهذا الحديث طرق عن أبي هريرة منها أبو سلمة (٥) ، ومحمد بن سيرين (٦) ، والأعرج ، وسعيد بن المسيب وغيرهم (٧) ٠

---

(١) هو عبد الله بن عبيد . بالتصغير بغير اضافة ابن عمير الليثي المكى . ثقة . من الثالثة استشهد غازيا سنة ثلاث عشرة ٠ م عم ٠ تقريب ٤٣١/٨ ٠ روى عنه عكرمة بن عمار ٠ تهذيب ٣٠٨/٥ ٠ تهذيب الكمال ٣٥٥/٥ مصور بالجامعة الاسلامية ٠

(٢) إسناده حسن . فقد صرح يحيى بن أبي كثير بالتحديث . ثم إن عكرمة بن عمار الذي في روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب . قد رواه عن عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثي غير أن فيه تقديم قول آدم على قول موسى . وهذا يخالف الروايات الأخرى ٠

(٣) حامد بن يحيى بن هانئ البلخى . ثقة حافظ . من العاشرة . مات سنة اثنتين وأربعين . روى عن أيوب بن النجار . تهذيب ١٦٩/٣ ٠ تقريب ١ـ١٤٦ ٠

(٤) أيوب بن النجار بن زياد الحنفي . أبو إسماعيل قاضي اليمامة ٠ ثقة مدلس من الثامنة ٠ / خ م س ٠ وفي التهذيب قال ابن أبي مريم . عن ابن معين ثقة صدوق . وكان يقول : لم أسمع من يحيى بن أبي كثير إلا حديثا واحدا : التقى آدم وموسى ٠ قلت : وهو هذا الحديث وقد صرح فيه بالتحديث . انظر تهذيب ٤١٣/٨ ٠ تقريب ٩١/٨ ٠

(٥) خ / في التفسير / باب / فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ٠ فتح الباري ٤٣٤/٨ ح ٤٨٣٨ من طريق قتيبة . ثنا أيوب بن النجار . عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ٠

(٦) خ / التفسير / باب / واصطنعتك لنفسي . فتح الباري ٤٣٤/٨ ح ٤٨٣٦ ٠

(٧) منهم أبو صالح عن أبي هريرة ٠ ت / أبواب القدر . ٣٣٦/٦ . ح ٢٢١٧ تحفة الأحوذي ٠

٠ والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣١٦ ٠ من طريق أبي الزناد وهو عبد الرحمن ٠

(ذكر خبر آخر يـــدل على ما تقـــدم)

٦ ـ (٤٣) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبى رجاء ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا قتيبة بن سعيد ح ثنا محمد بن يعقوب بنيسابور ، ثنا محمد بن نعيم ، ثنا قتيبة ، ثنا الليث ابن سعد ، عن سعيد المقبري ، عن سعيد بن يسار ، عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ما تصدق أحد بصدقة إلا أخذها الرحمن عز وجل بيمينه ، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه ، أو فصيله · وهذا خبر ثابت باتفاق (١) ، وله طرق عن أبي هريرة منها أبو صالح السمان (٢) ، وأبو سعيد المقبري وغيرهما

« ذكر خبر آخر يـــدل على ما تقـــدم »

٧ ـ (٤٤) أخبرنا الحسن بن محمد بن النضر ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا سفيان ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار المكي ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال :

إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل
وكلتا يديه يمين ، هم الذين يعدلون في حكمهم ، وأهليهم وما وُلُّوا (٣) · ٧ / آ
وهذا حديث ثابت باتفاق ·

---

(١) م / كتاب الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب · ٧٠٢/٢ / ح ٦٣ ·
· جه / كتاب الزكاة / باب فضل الصدقة ، ٥٩٠/٨ ح ١٨٤٢ ·
· الموطأ / كتاب الصدقة / باب الترغيب في الصدقة ٦١٥/٨ طبعة الشعب ·
· ابن خزيمة / في التوحيد ص ٦١ ·
(٢) خ / كتاب الزكاة / باب الصدقة من كسب طيب ، فتح البارى ٢٧٨/٣ ح ١٤١٠ ·
· حم / ٤١٩/٢ ·
· والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٨ ·
(٣) م / كتاب الإمارة / باب فضيلة الإمام العادل ···· ، ١٤٥٨/٣ ح ١٨ ، من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، وزهير بن حرب ، وابن نمير قالوا : ثنا سفيان بن عيينة به ·
· حم / ١٦٠/٢ ، ٢٠٣ ·
· ن / كتاب آداب القضاة / فضل الحاكم العادل في حكمه ١٩٥/٨ ·
· والآجري في الشريعة ص٣٢٢ ·
· والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٤ ·

بـــــــاب

في ذكر ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم مما يدل على معنى قول الله جل وعز (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء (المائدة ٦٤/) .

١ ـ (٤٥) أخبرنا محمد بن سعيد بن إسحاق ، ثنا عمرو بن سعيد الجمال ، ثنا أبو داود الطيالسي ، ح / وأخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، ثنا إسماعيل بن عبد الله بن مسعود ، ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، سمعت أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها (١) .

٢ ـ (٤٦) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي رجاء بمكة ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا محمد بن الصباح ، ثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، حدثني أبي ، عن عبيد الله بن مقسم عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ، ثم يقول : أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون (٢) . وهذا حديث ثابت باتفاق .

٣ ـ (٤٧) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيي بن مندة ، وعبد الله بن إبراهيم المقري ، قالا : ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، أنبا على بن إسحاق ، ثنا ابن المبارك ، ثنا يونس ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ، ويقول : أنا الملك أين ملوك الأرض (٣) .

٤ ـ (٤٨) أخبرنا عبد الله بن ابراهيم ، ثنا أبو مسعود الرازي ، ثنا على بن إسحاق

---

(١) م / كتاب التوبة / باب قبول التوبة ... ، ٢١١٣/٤ من طريق محمد بن المثنى ، ثنا محمد بن جعفر ، ثنا شعبة به ، وفيه : إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار .
. حم / ٣٩٥/٤ ـ ٤٠٤ ، كرواية مسلم .
(٢) م / كتاب صفات المنافقين ، ٢١٤٩/٤ ح ٢٥ ، من طريق سعيد بن منصور ، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، ثنى أبو حازم به .
. جه / مقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ، ٧١/١ ح ١٩٨ . وفي الزهد / باب ذكر البعث ١٤٢٩/٢ ح ٤٢٧٥ .
(٣) خ / في التفسير / باب والأرض جميعا قبضته يوم القيامة .... فتح البارى ٥٥١/٨ ح ٤٨١٣ من طريق .... ابن شهاب به .
. وفي التوحيد / باب قول الله تعالى (ملك الناس) فتح البارى ٣٦٧/١٣ ح ٧٣٨ من طريق ..... سعيد بن المسيب به .
. جه / المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ، ٦٨/١ ح ١٩٢ من طريق يونس به .
. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٣ .

عن ابن المبارك ، عن عَنْبَسَه ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن عائشة قالت :

سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله جل وعز (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) (الزمر /٦٧) ، أين الناس ؟ قال : على الصراط (١) .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من ذكر اليـــد)

٥ ـ (٤٩) أخبرنا أبو عمرو مولى بني هاشم ، ثنا أبو حاتم الرازى ، ثنا أبو اليمان ، ثنا شعيب ، ثنا أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يد الله مَلأى لا ينقصها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم ينقص مما في يده ، وكان عرشه على الماء وبيده الميزان ، يخفض ويرفع (٢) .

(ذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم : إن الصدقة تربـــو في كف الرحمن عز وجـــل)

٦ ـ (٥٠) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف الأخرم بنيسابور ، ثنا محمد بن نعيم ثنا ابن قتيبة ، ح وثنا محمد بن عبد الله بن أبى رجاء ، ثنا موسى بن هارون ، ثنا قتيبة ، ثنا الليث ، عن سعيد بن أبى سعيد بن يسار ، سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ، هذا حديث ثابت باتفاق (٣) .

---

(١) ابن جرير في التفسير ٢٨/٢٤ من طريق ابن حميد ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسه به .

(٢) جه / في المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية . ٧١/٨ ح ١٩٧ ...... عن أبي الزناد به .

. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٨ .

(٣) خ / الزكاة / باب الصدقة من كسب طيب / فتح البارى ٢٧٨/٣ ح ١٤١٠ من طريق عبد الله بن منير ... عن أبي هريرة . ولفظه . فان الله يتقبلها بيمينه .

. وفي التوحيد / باب قول الله تعالى : (تعرج الملائكة والروح اليه) . فتح البارى ٤١٥/٣ ح ٧٤٣٠ عن طريق خالد بن مخلد .. عن أبي هريرة . وسعيد بن يسار عن أبي هريرة .

. م / في الزكاة / باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها . ٧٠٢/٢ ح ٦٣ من طريق قتيبة بن سعيد به .

. حم / ٣٣١/٢ . ٤١٨ . ٤٣١ . ٥٣٨ . ٥٤١ .

. ت / الزكاة / باب ما جاء في فضل الصدقة . تحفة الأحوذى ٣٢٧/٣ ح ٦٥٦ .

. الدارمي / الزكاة / باب فضل الصدقة . ٣٣٣/٨ ح ١٦٨٢ . تحقيق السيد عبد الله هاشم طبعة ١٣٨٦ هـ .

. الموطأ / الصدقة / باب الترغيب في الصدقة ص٦١٥ طبعة الشعب .

. جه / الزكاة / باب فضل الصدقة ٥٩٠/٨ ح ١٨٤٢ .

. والدارقطني . في الصفات . ورقة ٤/ب خ بالجامعة الاسلامية

٧ / ب

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من معنى قوله لما خلقت بيدى)

٧ ـ (٥١) أخبرنا محمد بن ابراهيم بن عبد الملك القرشي ، ثنا أحمد بن ابراهيم البسرى ، ثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو ، ثنا خالى عبد الحميد ، ثنا يحيى بن أيوب ، عن داود بن أبي هند ، عن أنس بن مالك قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جل وعز خلق الفردوس بيده ، وحظرها عن كل مشرك ومدمن خمر (١) ·

٨ ـ (٥٢) أخبرنا أحمد بن سلمة المؤدب بمصر ، ثنا أبو الزنباع ، ثنا سعيد بن عفير ، ثنا يحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جل وعز خلق الفردوس بيده ، وحظرها عن كل مشرك ومدمن خمر سكير (٢) ·

٩ ـ (٥٣) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر بن أبان ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا أبي ثنا يحيى بن سعيد ، عن أبى عجلان ، قال سمعت أبي يحدث عن أبي هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الله جل وعز كتب على نفسه بيده لما خلق الخلق أن رحمتي تغلب غَضَبي · روى هذا الحديث جماعة عن أبي هريرة ، لم يذكر فيه كتب على نفسه بيده غير ابن عجلان (٣) ·

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من ذكر اليد والكف)

١٠ ـ (٥٤) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، وعبد الله بن ابراهيم : قالا : ثنا أحمد بن الفرات · أنبأ عبد الله بن صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن راشد بن سعد ، عن عبد الرحمن بن قتادة ، عن هشام بن حكيم ، أن رجلا قال :

يارسول الله أنبتدىء الأعمال أم قد قضى القضاء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في

(١ . ٢) لم أعثر على من خرجهما . وفيما تقدم من آيات وأحاديث ما يغنى عنهما · وقد وجدت للحديث شاهدا مرسل في الأسماء والصفات (للبيهقي من حديث عبد الله بن الحارث عن أبيه . ص٣١٨ ·

(٣) جه / مقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ٦٧٨ ح ١٨٩ من طريق محمد بن يحيى ثنا صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة . وفيه : كتب على نفسه بيده ·

· وابن خزيمة في التوحيد ص٥٨ · والدارقطنى / في الصفات . ورقة ٣/ب خ ·

كفه فقال : هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار فأهل الجنة ميسرون لعمل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل النار (١) ·

رواه جماعة عن معاوية بن صالح فلم يذكروا فيه هذه اللفظة ، ثم أفاض بهم في كفه · وروى الزبيدي عن راشد فقال في كفيه · فممن رواه عبد الله بن وهب ومعنى بن عيسى القزاز · وغيرهما ، أخبرناه على بن العباس الطحان المصرى ، ثنا جعفر بن سليمان النوفلي ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحراني ، ثنا معنى بن عيسى ، عن معاوية بن صالح بهذا الحديث ·

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم في معنى اليـــد)

١١ ـ (٥٥) أخبرنا عبد الله بن ا براهيم المقرىء ، ثنا رجا بن صهيب ، ثنا يعقوب الحضرمى ثنا شعبة ، ح وثنا أحمد بن عبد الله بن الحسن العدوي بمصر ، ثنا معاذ بن المثنى واللفظ له ، ثنا أبو الوليد ، ثنا شعبة ، عن أبي اسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن أبيه ، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : ساعد الله أشد من ساعدك ، وموسى الله أحد من موساك (٢) ·

١٢ ـ (٥٦) أخبرنا عبد العزيز بن سهل الدباس بمكة ، ثنا محمد بن الحسن الخرقي البغدادي ، ثنا محفوظ ، عن أبى توبة ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن ابن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله جل وعز ينزل إلى سماء الدنيا ، وله في كل سماء كرسي ، فإذا نزل إلى سماء الدنيا جلس على كرسيه ، ثم مد ساعديه فيقول : من ذا الذى يقرض غير عادم ولا ظلوم ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، من ذا الذي يتوب فأتوب عليه · فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه · هكذا

---

(١) ابن جرير الطبري . التفسير ١١٧/٩ من طريق أحمد بن الفرج الحمصي . قال : ثنا بقية بن الوليد قال حدثني الزبيدي عن راشد بن سعد به . وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور ١٤٣/٣ أن الحديث أخرجه ابن جرير والبزار والطبراني . والآجري في الشريعة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ·

· والآجري في الشريعة ص١٧٢ ·

· والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٢٦ ·

(٢) حم / ٤٧٣/٣ من طريق عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة · ١٣٧/٤١/٤ ·

رواه الخرقى عن محفوظ عن أبى توبة (١) عن عبد الرزاق ، وله أصل عند سعيد بن المسيب مرسل (٢) . ٨ / أ

١٣ ـ (٥٧) أخبرنا محمد بن عبد الجبار بمصر ، ثنا الربيع بن سليمان ، ثنا ابن وهب ، ثنا أسامة بن زيد ، عن أبى حازم ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يخطب الناس فقال :

يأخذ الجبار سماواته والارضين فيجعلها في كفيه ، ثم يقول بهم هكذا كما يقول الغلام بالكرة ، أنا الله الواحد ، أنا الله العزيز (٣) .

١٤ ـ (٥٨) أخبرنا عبد الله بن جعفر البغدادى بمصر ، ثنا هاشم بن يونس ، ثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عمر بن عمرو عن بعض أهل الشام قال :

إن ربك عز وجل أخذ لؤلؤة فوضعها على راحته ثم دملجها بين كفيه ، ثم غرسها وسط الجنة ، فقال لها : امتدى حتى .... مرضاتي ففعلت ، فلما استوت تفجرت من أصولها أنهار الجنة وهي طوبى (٤) .

١٥ ـ (٥٩) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد ، ثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ، البغدادي ثنا سعيد يعني ابن عامر ، ثنا شعبة ، عن ثابت ، عن أنس في قوله : جل وعز (فلما تجلى ربه للجبل) (الأعراف /١٤٣) ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تجلى منه خنصر (٥) فمن نورها جعلها دكا .

١٦ ـ (٦٠) حدثنا أحمد بن زياد ، ثنا أحمد بن محمد الصيدلاني ، ثنا إسحاق بن أبي إسحاق ، ثنا داود يعني ابن الزبرقان (٦) ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن أنس عن النبى صلى

---

(١) محفوظ بن أبي توبة ، سمع عبد الرزاق ، ضعف أحمد أمره جدا وقال : كان يسمع معنا باليمن ولم يكن ينسخ ، قال ابن حجر : وهو محفوظ بن الفضل ، روى عن معن وضمرة وربيعة ، حدث عنه اسماعيل القاضي وعمر بن أيوب السقطي ولم يترك . انتهى وذكره العقيلي في الضعفاء . توفي سنة سبع وثلاثين ومائتين . لسان الميزان ١٩/٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠ هـ الأعلمي للمطبوعات الميزان ٤٤٤/٣ . تاريخ بغداد الجرح والتعديل ٤٢٢/٨/٤ ـ ٤٢٣ .

(٢) الحديث ضعيف لأن فيه محفوظا وهو ضعيف جدا كما ترى في ترجمته . وفي الباب آيات قرآنية وأحاديث صحيحة تغنى عن هذا الحديث .

(٣) ابن جرير في التفسير ٢٦/٢٤ من طريق الربيع بن سليمان ، ثنا ابن وهب به . وفيه حتى لقد رأينا المنبر وانه ليكاد أن يسقط به .

(٤) في إسناده جهالة ، وهو قوله عن بعض أهل الشام .

(٥) ابن جرير ، التفسير ٥٣/٩ من طريق .... ثابت عن أنس نحوه .

(٦) ابن الزبرقان هو الرقاشي البصري قال ابن حجر متروك . تقريب ٢٣١/٨ .

الله عليه وسلم نحوه . قال : الجبل في الأرض . روى هذا الحديث محمد بن سواء (١) عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة مثله مرفوعا · وهما من حديث شعبة غريب مرفوع ·

(حديث آخر يدل على ذكر القبضة)

١٧ ـ (٦١) أخبرنا عبد الله بن جعفر البغدادي بمصر ، ثنا يحيى بن أيوب ، ثنا يحيى بن بكير ، ثنا الليث عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبى سعيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

ان الله جل وعز يخرج قبضته من النار فيطرحهم في نهر الحياة فيدخلهم الجنة (٢) ·

(حديث آخر يدل على ذكر الأصبع)

١٨ ـ (٦٢) أخبرنا أحمد بن محمد بن زياد بمكة ، ثنا الحسن بن محمد الزعفرانى . ثنا أبو معاوية ، ثنا الأعمشى ، عن ابراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال :

أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا أبا القاسم ان الله يحمل الخلائق على أصبع ، والسموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والبحر على أصبع ، والثرى على أصبع ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله جل وعز : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) (الزمر /٦٧) (٣) ·

١٩ ـ (٦٣) أخبرنا حاجب بن أبي بكر الطوسي ، ثنا عبد الله بن حاتم الطوسي ، ثنا يحيي بن سعيد ، ثنا سفيان ، عن منصور ، وسليمان ، عن إبراهيم ، عن

---

(١) محمد بن سواء الدوسي . صدوق . رمي بالقدر · تقريب ١٦٨/٢ ·

(٢) خ / التوحيد / باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فتح البارى ٤٢٠/١٣ ح ٧٤٣٩ من طريق ···· عطاء ابن يسار عن أبى سعيد به مطولا ·

· م / الايمان / باب معرفة طريق الرؤية ١٦٧/١ ح ٣٠٢ من طريق ···· عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري به مطولا ·

· حم / ٩٤/٣ من طريق ···· عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري به مطولا ·

(٣) خ / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) فتح البارى . ٣٩٣/١٣ ح ٧٤١٥ من طريق عمر بن حفص بن غيث . ثنا أبي . ثنا الأعمش به ·

· وباب قول الله : (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) فتح البارى ٤٣٨/١٣ ح ٧٤٥١ ·

· م / كتاب المنافقين / ٢١٤٨/٤ حـ ٢١ من طريق عمر بن حفص بن غياث . ثنا أبي عن الأعمش به ·

· ابن خزيمة في التوحيد ص٧٦ ·

· والدارقطنى في الصفات . ورقة ١/٢ خ ·

· والبيهقى في الأسماء والصفات ص٣٣٣ ·

عبيدة ، عن عبد الله ، أن يهوديا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله يمسك السموات على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع والشجر على أصبع ، والخلائق على أصبع ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : (وما قدروا الله حق قدره) ، قال يحيى بن سعيد وحدثنى الفضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله قال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا (١) . ٨ / ب

٢٠ ـ (٦٤) أخبرنا أبو عمرو مولى بني هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب بن أبى تمام العسقلاني ثنا آدم ، ثنا شيبان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن ابن مسعود قال : جاء حبر من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد انا نجد في التوراة إن الله يجعل السموات يوم القيامة على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال على أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما قدروا الله حق قدره) . وهذا حديث ثابت باتفاق(٢) .

٢١ ـ (٦٥) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، وعبد الله بن ابراهيم ، قالا : ثنا أبو مسعود ، أنبا محمد بن الصلت (٣) ، ثنا أبو كدينة (٤) ، عن عطاء بن السائب (٥) عن مسلم ابن صبيح (٦) ، عن ابن عباس قال :

مر رجل من اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال له : حدثنا يا يهودى فقال :

---

(١) خ / كتاب التوحيد / باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدى) فتح البارى ٣٩٣/١٣ ح ٧٤١٤ / من طريق مسدد سمع يحيى بن سعيد عن سفيان به .

. وابن خزيمة / في التوحيد / باب ذكر امساك الله تبارك وتعالى اسمه السموات ... الخ على اصابعه ص٧٧ .

. والدارقطنى في الصفات . ورقة ٢/ب خ .

(٢) خ / التفسير / باب (وما قدروا الله حق قدره) فتح البارى ٥٥٠/٨ ح (٤٨١١ من طريق .... عبيدة عن ابى مسعود به .

. وفي التوحيد / باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) فتح البارى ٤٧٥/١٣ ح ٧٥١٣ .

. ابن جرير في التفسير ٢٦/٢٤ .

. م / كتاب المنافقين . ٢١٤٧/٤ ح ١٩ . من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس . ثنا فضيل بن عياض . عن منصور به .

. والبيهقى في الأسماء والصفات ص٣٣٥ .

(٣) محمد بن الصلت بن الحجاج الأسدى . أبو جعفر الكوفي الأصم . ثقة . تقريب ١٧١/٢ .

(٤) أبو كدينة ـ وهو يحيى بن المهلب البجلى ـ أبو كدينة بنون مصغرا . الكوفي . صدوق . تقريب ٣٥٩/٢ ويظهر أنه ممن روى عن عطاء بن السائب بعد الاختلاط . انظر التقييد والايضاح ص٤٤٢ ـ ٤٤٥ .

(٥) عطاء بن السائب أبو محمد الثقفى الكوفى . صدوق . تغير بآخره . تقريب ٢٢/٢ . تهذيب ٢٠٦/٧ .

(٦) مسلم بن صبيح . بالتصغير . الهمذانى أبو الضحى الكوفى العطار . مشهور بكنيته . ثقة فاضل تقريب ٢٤٥/٢ .

أبلغك يا أبا القاسم ، ان الله يجعل السماء على ذه ، والأرض على ذه · فأنزل الله جل وعز (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) (١) ·

٢٢ ــ (٦٦) أخبرنا أبو عمرو مولى بنى هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب العسقلاني ، ثنا آدم ، ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي السائب ، وعن أبى الضحى ، عن مسروق (٢) قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهودي : أذكر من عظمة الرب جل وعز ، فقال : السموات على هذه ، يعنى الخنصر ، والأرض على هذه ، يعنى البنصر ، والجبال على هذه ، يعنى الوسطى ، والماء على هذه يعنى السبابة ، وسائر الخلق على هذه يعني الا بهام · فأنزل الله (وما قدروا الله حق قدره) ·

٢٣ ــ (٦٧) أخبرنا أبو عمرو مولى بنى هاشم ، ثنا محمد بن عبد الوهاب ، ثنا آدم ، ثنا حماد عن أبى سفيان ، عن وهب بن منبه ، قال :

ما الخلق كلهم والأرضون في قبضة الله جل وعز إلا كخردلة له ها هنا من أحدكم في العقد الثانى ، يعنى البنصر ·

(ذكر خبر يدل على ما تقدم من ذكر الأصابع)

٢٤ ــ (٦٨) أخبرنا الحسن بن محمد بن النضر ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا الوليد ابن مسلم ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، ثنا بسر بن عبد الله ، ثنا أبو ادريس الخولاني ثنا النواس بن سمعان ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من قلب الا وهى بين اصبعين من أصابع الرحمن عز وجل إذا شاء أن يقيمه أقامه ، واذا شاء أن يزيغه أزاغه ، ويقول : يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك · قال · والميزان بيد الرحمن جل وعز يرفعه ويخفضه (٣) ·

---

(١) ابن خزيمة في التوحيد / باب امساك الله تبارك وتعالى السموات والأرض وما عليها على أصابعه ص٧٨ من طريق عبيد الله ابن عبد الكريم ···· أبو زرعة والرازى ثنا محمد بن الصلت به ·

(٢) مسروق بن الأجدع ، ثقة ، لم يدرك الرسول صلى الله عليه وسلم ، والأحاديث المتقدمة قبل هذين الحديثين متفق عليها . وهى تغنى عنهما ·

(٣) حم / ٢٨٢/٤ من طريق عبد الله حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم به ·

· وجه / في المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ، ٧٢/٨ ح ١٩٩ من طريق هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ، ثنا ابن جابر به · والدارقطنى في الصفات ، ورقة ١/٤ خ ·

· وله شاهد في المسند ١٦٨/٢ ، ١٧٣ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ·

· ومن حديث عائشة ٩١/٦ ، ٢٥١ ·

· وابن خزيمة في التوحيد ص٨٠ ·

٢٥ ـ (٦٩) أخبرنا الحسن بن محمد بن النضر ، ثنا إسماعيل بن يزيد ، ثنا خلاد ابن يحيى ، ثنا سفيان ، عن الأعمشى ، عن أبى سفيان ، عن جابر قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فقيل يا رسول الله أتخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به ، فقال : إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن جل وعز يقلبها كيف يشاء ، هكذا ، ووصف سفيان الثوري بالسبابة والوسطى فحركهما ، هذا حديث ثابت باتفاق (١) . وكذلك حديث النواس بن سمعان حديث ثابت رواه الأئمة المشاهير ممن لا يمكن الطعن على واحد منهم .

٢٦ ـ (٧٠) أخبرنا خيثمة بن سليمان ، ثنا أحمد بن محمد بن أبى الحناجر ، ثنا ٩ / أ
الهيثم بن حميد ح / وأخبرنا الحسن بن النضر ، ثنا إسحاق بن إبراهيم البغدادى ، ثنا عمر ابن موسى ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل : (فلما تجلى ربه للجبل) قال : تجلى عز وجل منه مثل هذا ، ووضع الإبهام على الخنصر زاد الهيثم قال حماد لثابت : لا تحدث بهذا الحديث ، فلكم في صدره وقال له قولا شديدا ، فقال : يعنى ثابت : أنس يحدثنى به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : لا تحدث به (٢) .

٢٧ ـ (٧١) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر الوراق ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، ثنا هريم ، ثنا محمد بن سوا ، عن سعيد عن قتادة عن أنس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم (فلما تجلى ربه للجبل) قال : هكذا وأشار صلى الله عليه وسلم بطرف الخنصر (٣) . وهذا حديث مشهور ، وقد روي من طرق عن أنس بن مالك .

٢٨ ـ (٧٢) أخبرنا خيثمة ، ثنا محمد بن ابراهيم بن كثير ، ثنا مؤمل ، ثنا

---

(١) ت / قدر / باب ما جاء أن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن . تحفة الأحوذي ٣٤٩/٦ ح ٢٢٢٦ من طريق هناد ...... عن أبى سفيان عن أنس . وقال حديث حسن صحيح وقال روى بعضهم عن الأعمشى عن أبى سفيان عن جابر . وحديث أبى سفيان عن أنس أصح . قلت : ورواية أبى سفيان عن جابر هى رواية المصنف . وقد أخرجه الدارقطنى في الصفات . ورقة ١/٤ خ . وقال الهيثمى في مجمع الزوائد باب الأدعية المأثورة ١٠ /١٧٦ رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح . وقد أخرج م /له شاهداً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في القدر / باب تصريف الله تعالى القلوب / ٢٠٤٥/٤ ح ١٧ .

. وحم ١٦٨/٢ ـ ١٧٣ من حديث عبد الله بن عمرو .

. وحم / ٢٥١/٦ من حديث عائشة .

. وحم / ٣٠٢/٦ . ٢١٥ من حديث أم سلمة .

(٢) ابن جرير الطبري في التفسير ٥٣/٩ من طريق المثنى قال ثنا هدبة بن خالد . قال : ثنا حماد بن سلمة به .

(٣) ابن جرير الطبري في التفسير ٥٣/٩ من حديث أنس .

عبيدالله بن أبي المليح ، عن أبي مليح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل في منامي في أحسن صورة ، فقال لى : يامحمد · قلت : لبيك وسعديك · قال · هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، يارب · فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثدي ، وذكره (١) ·

٢٩ - (٧٣) أخبرنا عبد الله بن جعفر البغدادى بمصر ، ثنا هارون بن كامل ، ثنا أبو صالح ، ثنا معاوية بن صالح ، عن أبي يحيى وهو سليم (٢) ، عن أبي يزيد عن أبي سلام الحبشي ، أنه سمع ثوبان قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح فقال : إن ربي عز وجل أتاني الليلة في أحسن صورة فقال : يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا علم لي يارب : فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري ، فتجلى لي ما بين السماء والأرض ، وذكر الحديث ·

٣٠ - (٧٤) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرائفي بمصر ، ثنا ابراهيم بن مرزوق ، ثنا أبو عامر العقدي ، ثنا زهير بن محمد ، عن يزيد بن جابر ، عن خالد بن اللجلاج ، عن عبد الرحمن بن عايش ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وهو طيب النفس ، مشرق اللون ، فقلنا له ، فقال :
مالى وأتاني ربى عز وجل في أحسن صورة · الحديث (٣) · هكذا رواه عن يزيد بن يزيد (٤) ، وزاد في الاسناد رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم · ورواه الأوزاعي وعبد الرحمن بن جابر وغيرهما عن خالد بن اللجلاج ولم يذكروا الرجل في الإسناد ·

٣١ - (٧٥) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ، وخيثمة بن سليمان ، قالا : ثنا العباس بن الوليد بن مزيد ، أخبرني أبي ، ثنا ابن جابر ، والأوزاعى قالا : ثنا خالد بن اللجلاج ، سمعت عبد الرحمن بن عايش قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث مثله وقال فيه : فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثدي فعلمت ما في الأرض والسموات ، ثم قرأ (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) (الأنعام / ٧٥) (٥) قال عبد الله (٦) : رواه أبو سلام ، عن عبد الرحمن بن عايش ، عن مالك بن يخامر عن معاذ

---

(١) سيأتي تخريجه حديث رقم ٧٥ ·
(٢) سليم بن عامر الكلاعي ، أبو يحيى الحمصي ، ثقة ، من الثالثة · تقريب ٣٢٠/٨ · تهذيب ١٦٦/٤ ·
(٣) حم / ٦٦/٤ من طريق عبد الله حدثني أبي ، أبو عامر به أتمّ من هذا ·
(٤) ويزيد بن يزيد هو ابن جابر · وسيأتي الحديث كاملا ·
(٥) ابن جرير في التفسير ٢٤٧/٧ ·
(٦) لعله : أبو عبد الله ·

بن جبل (١) • وروى هذا الحديث ابن حنبل (٢) • وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقلها عنهم أئمة البلاد ، من أهل الشرق والغرب •

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقــــدم)

٣٢ ـ (٧٦) أخبرنا محمد بن الحسين القطان النيسابورى ، ثنا أحمد بن يوسف السلمي ح / وأنبأ عبد الرحمن بن يحيى ، وعبد الله بن ابراهيم ، قالا : ثنا أبو مسعود ٩ / ب
الرازي ، قال : أنبأ عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

خلق الله جل وعز الملائكة من نور ، وخلق الجان من نار ، وخلق بني آدم مما وصف (٣) • وهذا حديث ثابت باتفاق •

٣٣ ـ (٧٧) أخبرنا محمد بن الحسين القطان ، ثنا أبو الأزهر النيسابوري ، ثنا صدقة بن سابق ، قال : قرأت على محمد بن اسحاق حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعته يقول : خلق الله الملائكة ثم قال : ليكن منكم ألف ألفين ، فيكونون ، فإن في الملائكة لخلقا هم أصغر من الذباب ، وقال غيره وزاد فيه وخلقهم من نور الذراعين والصدر •

٣٤ ـ (٧٨) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا شريح ، بن يونس ، ثنا أبو خالد الأحمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو ، وقال : ليس شيء أكثر من الملائكة ، إن الله قد خلقهم من نور فذكره ، وأشار شريح بيده الى صدره • وقال : أشار أبو خالد إلى صدره ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثنيه

---

(١) وصله ت / في التفسير / ١٠٦/٩ ـ ١٠٧ ح ٣٢٨٨ تحفة الأحوذى . من طريق محمد بن بشار ، ثنا معاذ بن هانى ... عن أبي سلام . عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمي أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل به مطولا . ثم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح . سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث . فقال : هذا صحيح وقال : هذا أصح من حديث الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . قال : ثنا خالد بن اللجلاج حدثنى عبد الرحمن بن العايش الحضرمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث . وهذا غير محفوظ • هكذا ذكر الوليد في حديثه عن عبد الرحمن بن عايش قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم • وروى بشر بن بكر . عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر . هذا الحديث بهذا الإسناد عن عبد الرحمن بن عايش عن النبى صلى الله عليه وسلم . وهذا أصح • وعبد الرحمن بن عايش لم يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم اهـ •

• والدارمي في السنن / باب في رؤية الرب تعالى في النوم . ٥١/٢ ح ٢١٥٥ •

(٢) حم / ٢٤٣/٥ •

(٣) م / كتاب الزهد / باب في أحاديث متنوعة . ٢٢٩٤/٤ ح ٦٠ • وفيه : وخلق آدم •

• حم / ١٦٨/٦ •

أبي ، ثنا أبو أسامة عن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو قال : خلقت الملائكة من نور الذراعين والصدر (١) .

٣٥ ـ (٧٩) أخبرنا أبو عمر مولى بنى هاشم ، ثنا أبو أمية الطرسوسى ، ثنا عبيدالله بن موسى ، ثنا شيبان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا بذراع الجبار ، وضرسه مثل أحد (٢) .

٣٦ ـ (٨٠) (ثنا) أحمد بن محمد بن زياد ، ومحمد بن يعقوب بن يوسف ، قالا : ثنا الحسن بن على بن عفان ، ثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يعنى جل وعز : أنا عند ظن عبدي بي ، إن تقرب إلّي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة (٣) .

٣٧ ـ (٨١) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا أبي ، ثنا أبو اليمان ، ثنا ابن عياش ، عن أم عبد الله بنت خالد بن معدان عن أبيها ، أنه قال : إن ريح الجنة ليضرب على أربعين خريفا والخريف باع الله عز وجل (٤) .

بـــــاب

قول الله جل وعز (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون) (القصص /٨٨) .
وقال الله عز وجل (ويبقى وجه ربك ذو الجلال) (الرحمن /٢٧) .
وذكر ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على حقيقة ذلك .

---

(١) الحديث من قول عبد الله بن عمرو . وقد أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٣ . وأشار الى أنه من الإسرائيليات .
. والسنة / لعبد الله بن الامام أحمد بن حنبل ص١٥١ .
(٢) حم / ١٧١/٢٤ ح ٤١٩ ترتيب الساعاتى .
. الحاكم في المستدرك / كتاب الأهوال . ٥٩٥/٤ . على شرط البخارى ومسلم .
(٣) م / في كتاب التوبة / باب في الحض على التوبة . ٢١٠٢/٤ ح ١ . من طريق سويد بن سعيد .... عن أبى صالح وفيه زيادة .
. خ / في التوحيد . باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه . فتح البارى ٥١٢/١٣ ح ٧٥٣٧ من حديث أبي هريرة .
. حم / ٢٥١/٢ . ٤١٣ وفيه زيادة .
. جـه / في الأدب / باب فضل العمل . ١٢٥٥/٢ ـ ١٢٥٦ ح ٣٨٢٢ .
. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية / للبخارى ص١٨٨ .
. والبيهقي في الأسماء والصفات ص٣٤٢ .
(٤) تقدم الحديث رقم ٨٠ يغنى عن هذا وهو في معناه .

١ ـ (٨٢) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى بن مندة ، ثنا اسماعيل بن عبد الله بن مسعود ثنا أبو نعيم ، وعمرو بن عون ، ثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة ، عن أبى عمران الجونى ، عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس ، عن أبيه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جنات الفردوس أربع ، ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما ، وثنتان من فضة حليتهما وما فيهما ، ليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن ، وهذه الجنات تشخب من جنات عدن ، ثم تصدع بعد أنهار (١) .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من النظر إلى وجه الله عز وجـل)

٢ ـ (٨٣) أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، وعبد الله بن ابراهيم المقرىء قالا : ثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات ، أنبا أبو داود ، ثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، عن صهيب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (يونس /٢٦) ، قال : النظر إلى وجه ربهم جل وعز (٢) ، وقال ابن مسعود رحمه الله في المسند النظر إلى وجه ربهم جل وعز .

٣ ـ (٨٤) أخبرنا الحسن بن يوسف الطرائفى بمصر، ومحمد بن يعقوب الأصم بنيسابور، قالا : ثنا إبراهيم بن مرزوق، ثنا عثمان بن عمر، ثنا إسرائيل، عن أبي اسحاق عن عامر بن سعد، أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال في هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) (يونس /٢٦)، قال : النظر الى وجه الله جل وعز (٣) . قال **أبو عبدالله** : وكذلك فسرها حذيفة بن اليمان (٤) .

٤ ـ (٨٥) أخبرنا اسماعيل بن محمد الصفار ببغداد، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا مسلم ابن سالم، عن نوح بن أبي مريم، عن ثابت عن أنس، قال :

---

(١) خ / التوحيد . ٤٣٣/٨٣ ح ٧٤٤٤ . من طريق على بن عبد الله . ثنا عبد العزيز عن أبى عمران به .
. م / الايمان / باب اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ١٦٣/٨ ح ٢٩٦ .
. ت / في الجنة / باب ما جاء في صفة عزف الجنة / ٢٣٢/٧ ح ٣٦٤٨ .
. جـه / في المقدمة / باب فيما أنكرت الجهمية ٦٦/٨ / ح ١٨٦ .
(٢) م / الايمان / باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ١٦٣/٨ ح ٢٩٧ . ٢٩٨ .
(٣) الآجرى في الشريعة ص٢٥٧ .
(٤) الآجرى في الشريعة ص٢٦٥ .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال : للذين أحسنوا العمل في الدنيا الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم جل وعز .

(ذكر خبر آخر يدل على النظر إلى وجه الله عز وجـل)

٥ ـ (٨٦) أخبرنا خيثمة بن سليمان، ثنا محمد بن عون بن سفيان، ثنا عبد الله ابن موسى، أنبا حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عمار بن ياسر، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه : اللهم إني أسألك الرضا، بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهديين (١) . رواه حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب مثله، ورواه أيضا أبو الدرداء عن زيد بن ثابت (٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(ذكر خبر آخر يدل على إجازة السؤال بوجه الله عز وجل)

٦ ـ (٨٧) (ثنا) محمد بن إبراهيم بن مروان، ثنا أحمد بن إبراهيم البسري، ثنا مضر بن محمد بن سليمان بن أبي ضمرة، ثنا أبي، ثنا داود بن على بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول: اللهم إنى أسألك بوجهك الكريم (٣)، وذكر الحديث، وهذا الحديث له طرق كثيرة عن ابن عباس .

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقـدم)

٧ ـ (٨٨) أخبرنا خيثمة بن سليمان ، ثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة ، ثنا عبد الله ابن الزبير الحميدى ، ثنا سفيان ، ح / وأنبا عبد الله بن إبراهيم ، ثنا أحمد بن الفرات الرازى ، ح / وأخبرنا على بن العباس الغزي ، ثنا محمد بن حماد ، قالا : أنبا عبد الرزاق ، عن معمر قالا : جميعا عن عمرو بن دينار ، عن جابر قال : نزلت (قل هو القادر على أن

---

(١) اللالكائى في السنة / الرؤية عن عمار بن ياسر ص٦٤ ـ ٦٥ خ / مكتبة الشيخ حماد الأنصارى بالمدينة المنورة .
وفي مجمع الزوائد . باب الأدعية المأثورة عن رسول الله . ١٧٧/١٠ عن السائب الثقفى قال : كنت عند عمار وكان يدعو بدعاء في صلاته . وفيه وأسألك شوقا الى لقائك .

(٢) اللالكائى في السنة / الرؤية . عن زيد بن ثابت . خ ص٦٥ مكتبة الشيخ حماد الأنصارى وفي مجمع الزوائد ١٧٧/١٠ عن أم الدرداء قالت كان فضالة بن عبيد يقول . الحديث رواه الطبرانى في الأوسط والكبير ورجالهما ثقات . وكذا اللالكائى في السنة / الرؤية ص٦٦ .

(٣) مجمع الزوائد . باب أدعية الصحابة . ١٨٤/١٠ وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك . (أو من تحت أرجلكم) قال صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك . (أو يلبسكم شيعا) (الأنعام /٦٥) . قال : هذه أهون (١) .

٨ ـ (٨٩) أخبرنا أحمد بن الحسن . وعمر بن محمد البزار . قالا : ثنا أحمد بن عمر بن أبى عاصم . ثنا أحمد بن عبيدة العصفرى ؟ ثنا يعقوب بن اسحاق . ثنا سليمان بن معاذ . عن ابن المنكدر . عن جابر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يسأل بوجه (الله) الا الجنة (٢) .

وفي هذا الباب أحاديث منها : من سألكم بوجه (الله) فأعطوه .

ومنها حديث . ملعون من سأل بوجه الله . ولا يثبت من جهة الرواة (٣) . والله أعلم .

وذلك أنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل بوجه الله . واستعاذ بوجه (الله) (٤) وأمر من يسأل بوجه الله أن يعطى . من وجوه مشهورة . بأسانيد جياد . ورواها الأئمة عن عمار بن ياسر . وزيد بن ثابت . وأبي أسامة (٥) . وعبد الله بن جعفر . وغيرهم . ١٠ / ب

(ذكر خبر آخر يدل على أن نور الجنان من نور وجه الله عز وجل)

٩ ـ (٩٠) أخبرنا عبد الله بن إبراهيم . ومحمد بن محمد . قالا : ثنا أحمد بن عاصم ثنا مؤمل . ثنا حماد بن سلمة . عن الزبير بن عبد السلام . عن أيوب بن عبد الله . عن ابن مسعود قال :

---

(١) ابن جرير في التفسير . ٢٢٢/٩ ـ ٢٢٣ .

(٢) د / الزكاة / باب كراهية المسألة بوجه الله . ٣٠٩/٢ ـ ٣١٠ ح ١٦٧١ . فيه سليمان بن قرم بن معاذ البصري النحوي قال ابن حجر في تقريب التهذيب : سيء الحفظ يتشيع . وفي التهذيب وثقه أحمد وضعفه آخرون تهذيب ٢١٣/٤ . تقريب ٣٢٩/١ .

. وله شاهد في ن / الزكاة / من سأل بوجه الله ٦٢/٥ من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده وإسناده حسن .

(٣) في مجمع الزوائد ج / ١٠٣/٣ عن أبي عبيد مولى رفاعة بن رافع أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : رواه الطبراني في الكبير وفيه من لم أعرفه . قال : وعن أبي موسى الأشعري أنه سمع رسول الله ... رواه الطبراني في الكبير واسناده حسن على ضعف في بعضه مع توثيق . وفي ج ١٥٣/١٠ باب السؤال بوجه الله الكريم عن أبى موسى الأشعري وقال : رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح . وهو ثقة وفيه ضعف .

(٤) د / الأدب / باب ما يقول عند النوم . ٣٠١/٥ ح ٥٠٥٢ من حديث على رضي الله عنه .

(٥) مجمع الزوائد . ١٠٢/٣ ـ ١٠٣ قال : رواه الطبراني في الكبير . ورجاله موثقون إلا أن فيه بقية بن الوليد وهو مدلس ولكنه ثقة .

. قوله (ألفي سنة) في د / ألف سنة .

إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، ونور السموات من نور وجهه ، وذكر الحديث بطوله ·

وفي هذا المعنى خبر مسند عن النبى صلى الله عليه وسلم ، رواه وهب بن جرير ، عن ابن اسحاق عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن جعفر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، دعا (حين) خرج إلى الطائف ، اللهم إني أعوذ بنور وجهك الذى أضاءت له (نور) السموات ، أخبرناه كذا · وهذا الحديث يدل على معنى قول الله تعالى ، الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة · الآيـــة ·

(ذكر خبر آخر يدل على ما تقدم من النظر إلى وجه الله عز وجل)

١٠ ـ (٩١) أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ثنا أبو معاوية عن عبد الملك بن أبجر ، عن ثوير بن أبي فاختة (١) عن ابن عمر قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه (ألفي) سنة ، يُرى أقصاه كما يُرى أدناه ، وأن أفضلهم منزلة لَمَنْ ينظر إلى وجه الله جل وعز كل يوم مرتين (٢) ·

وروى هذا الحديث إسرائيل وغيره عن ثوير مثله (٣) · وروي عن ابن عمر من وجوه من قوله (٤) ·

« ذكر خبر آخر يدل على ما تقـــدم »

١١ ـ (٩٢) أخبرنا محمد بن حاتم بمرو ، ثنا عبد الله بن روح المداينى ، ثنا سلام ابن سليمان ، عن شعبة وغيره ، عن ليث ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس ، ح / وثنا أحمد

---

(١) ثوير ـ مصغرا ـ ابن أبي فاختة ، بمعجمة مكسورة ومثناة مفتوحة ، سعيد بن علاقة بكسر المهملة ، الكوفي ، أبو جهضم ، ضعيف ، رمي بالرفض ، من الرابعة ، / ت · تقريب ١٣١٨ ·

(٢) ت / صفة الجنة / باب رؤية الله في الجنة ، تحفة الأحوذى ، ٢٦٨/٧ ـ ٢٧٠ ح ٢٦٧٧ · من طريق عبد بن حميد ، أخبرنى شبابة ، عن إسرائيل ، عن ثوير ·

(٣) ابن جرير الطبرى في التفسير ١٩٣/٢٩ · من طريق أبى كريب ، قال ثنا الأشجعى عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر به ·

(٤) ابن جرير الطبري في التفسير ١٩٣/٢٩ · من طريق على بن الحسين بن أبجر ، ثنا مصعب بن المقدام ، ثنا اسرائيل بن يونس عن ثوير عن ابن عمر به ·

· واللالكائى في السنة ، الرؤية ص٦١ خ مكتبة الشيخ حماد الأنصارى ·

· ت / صفة الجنة / باب رؤية الرب ···· تحفة الأحوذى ، ٢٧٠/٧ ح ٢٦٧٨ ·

· واللالكائى في السنة ، الرؤية ص٧١ خ مكتبة الشيخ حماد الأنصاري ·

ابن محمد بن عمر ، ثنا عبد الله بن حنبل واللفظ له ، عن عبد الأعلى النرسي (١) ، ثنا عمرو بن يونس ، عن جهضم بن عبد الله ، حدثني أبو طيبة ، عن عثمان بن عمير ، عن أنس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني جبريل عليه السلام وفي كفه مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء ، فقلت : ما هذه ياجبريل ؟ قال : الجمعة ، وذكر الحديث وقال فيه : فيتجلى لهم ربهم عز وجل ينظرون الى وجهه (٢) هذا حديث مشهور عن عثمان بن عمير (٣) .

قال **أبو عبد الله** ، قال الله عز وجل (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أجمع أهل التأويل ، كابن عباس (٤) وغيره من الصحابة ، ومن التابعين محمد بن كعب ، وعبد الرحمن بن سابط ، والحسن بن أبي الحسن (٥) ، وعكرمة (٦) وأبو صالح ، وسعيد بن جبير وغيرهم : أن معناه الى وجه ربها ناظرة ، والآخرون نحو معناه ومن روى عنه (٧) أن معناه أنها تنتظر الثواب ، فقول شاذ لا يثبت ، ومعنى وجه الله عز وجل هاهنا على وجهين :

أحدهما وجه حقيقة ، والآخر : بمعنى الثواب .

فأما الذي هو بمعنى الوجه في الحقيقة ، ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى (٨) ، وصهيب (٩) ، وغيرهم ، مما ذكروا فيه الوجه ، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه جل وعز ، واستعاذته بوجه الله ، وسؤاله النظر الى وجهه جل وعز ، وقوله صلى الله عليه وسلم : لا يسأل بوجه الله ، وقوله ، أضاءت السموات بنور وجه الله ، وإذا رضى عز وجل عن قوم أقبل عليهم بوجهه جل وعز ، وكذلك قول الله جل وعز : (إلى

---

(١) النرسى ـ عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلى مولاهم البصري . أبو يحيى المعروف بالنرسى . بفتح النون وسكون الراء وبالمهملة . لا بأس به . من كبار العاشرة . مات سنة ست أو سبع وثلاثين . خ / دم س تقريب ٤٦٤/٨ .

(٢) الآجرى في الشريعة ص٢٦٥ .

ومجمع الزوائد / باب في رؤية أهل الجنة لله تبارك وتعالى ... . ٤٢١/٨٠ قال : رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه . وأبو يعلى باختصار . ورجال أبي يعلى رجال الصحيح وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح . غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم . وإسناد البزار فيه خلاف .

(٣) عثمان بن عمير . والآجرى في الشريعة ص٢٦٥ .

(٤) واللالكائى في السنة . الرؤية ص٦٣ ـ ٦٤ خ مكتبة حماد الأنصارى . وقد سرد عددا من الصحابة والتابعين فليراجع .

(٥) ابن جرير : التفسير . ١٩٢/٢٩ .

(٦) ابن جرير : التفسير . ١٩٢/٢٩ .

(٧) روي عن مجاهد . ابن جرير : التفسير ١٩٢/٢٩ .

(٨) حديث ابن موسى تقدم ح رقم ٨٩ .

(٩) حديث صهيب تقدم ح رقم ٨٣ .

ربها ناظرة) (القيامة /٢٣) ، وقول الأئمة بمعنى ، الى الوجه حقيقة الذى وعد الله جل وعز ورسوله الأولياء ، وبشر به المؤمنين ، بأن ينظروا إلى وجه ربهم عز وجل ·

وأما الذي هو بمعنى الثواب ، فكقول الله عز وجل : (إنما نطعمكم لوجه الله) (الإنسان /٩) · وقوله جل وعز : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه) (الأنعام /٥٢) ، وما أشبه ذلك في القرآن · وقول النبى صلى الله عليه وسلم : ما قائل يلتمس وجه الله ، وما أشبه ذلك مما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ··· فهو على معنى الثواب ·

وبالله التوفيق والحمد لله وحده · آخره ، ولله الحمد والمنـــة
وكان الفراغ من هذا الكتاب المبارك أول يوم شهر صفر المبارك
من شهور سنة أربع وثمانين بعد الألف
وختم بخيــــر

جمعية العودة الى الاسلام في اسبانيا

تقوم جمعية العودة الى الاسلام في اسبانيا بحركة طيبة لاحياء روح الاسلام من جديد في بلاد الأندلس التي أخرس أعداء الله صوت مآذنها بعد سقوط الأندلس كلية على يد الصليبيين ·

وجدير بالذكر أن هذه الجمعية قد بدأت نشاطها عام ١٩٧٦ على عاتق اثنين من مسلمي غرناطة ثم انتقلت الى اشبيليه ثم عادت الى غرناطة منذ ستة أشهر فقط ·

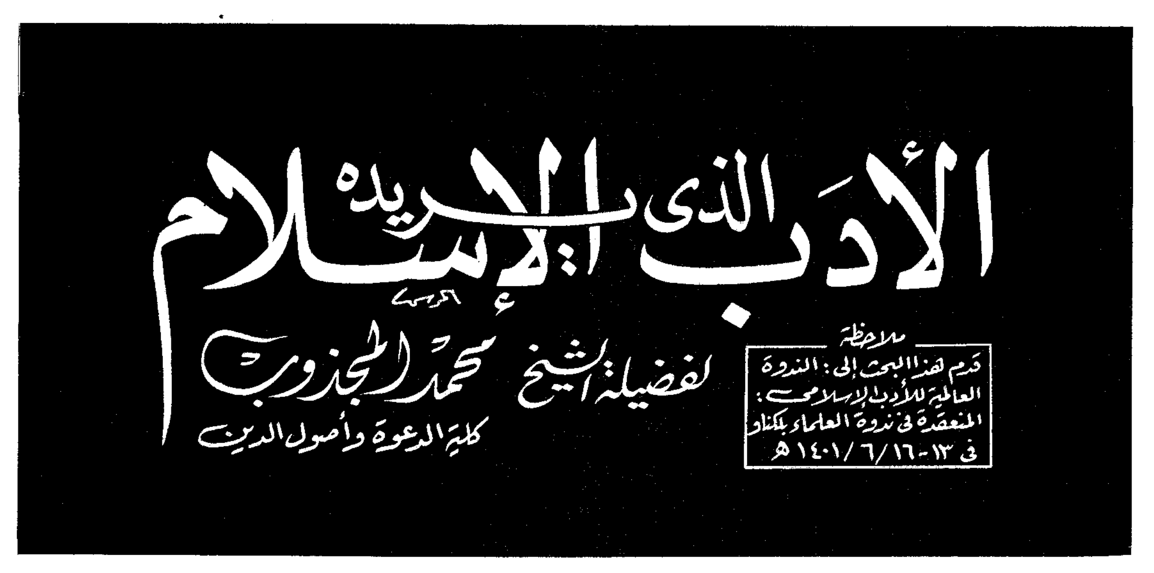
وقد وصل عدد أعضاء الجمعية لما يتجاوز المائة من كلا الجنسين ·

وقد أقامت الجمعية علاقات مع المسلمين في فرنسا والدنمارك وألمانيا وانجلترا والولايات المتحدة الاميريكية واندونيسيا والأرجنتين ·

« جريدة العلم المغربية »


لغة وأدب





الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده المصطفى محمد بن عبد الله الذي أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ٠

أما بعد فمن حق ندوة العلماء على حملة القلم الإسلامي فى كل مكان أن يسجلوا لها بمزيد من التقدير المحمدة التى سبقت إليها بالدعوة الى هذا الحفل ، الذي يتوقع أن يكون له أثره البعيد فى إضاءة الطريق أمام الكلمة المؤمنة ، لتنطلق على نور ، وتعالج قضايا الحياة على بينة ، ليس فقط فى نطاق العربية ، لغة الإسلام الأولى والعليا ، بل فى كل وسائل البيان الذى يترجم به الأديب المسلم أفكاره وتصوراته وتأملاته ووجداناته ٠

وليست هذه هى المأثرة الأولى ولا الأخيرة التى تقدمها هذه المؤسسة الإسلامية العريقة للفكر الإسلامي ، ففي تاريخها الحافل بالجلائل ما يجعلها محط الآمال لتحقيق الكبير الكريم من الأعمال فى خدمة الإسلام العظيم ، الشامل لكل ما يصلح الحياة من فكر وعلم وتشريع وفنون رفيعة نظيفة ٠

وإنه ليسعدنى بوجه خاص أن هذه الدعوة تحقق لى حلما جميلا طالما دغدغ خيالى ، فكتبت وخطبت وحاضرت فى توجيه العزائم والأذهان اليه ... وفى كتابى الموسوم بعنوان (أفكار إسلامية) بحث مفصل لما أتصوره من موجباته وعناصره وأهدافه .. ولولا بعض التطورات المتصلة بموضوع الأدب مما

أعقب ذلك البحث ، خلال العشر السنوات الماضية ، لاكتفيت بتقديمه الى هذه الندوة الموقرة دون أي تعديل .. ومن هنا كان شكرى لفضيلة الرائد الإسلامي الكبير الشيخ أبى الحسن أمتع الله بحياته مزدوجا ، فهو شكر على تحقيق حلمي الذى فاتحت به العديد من إخوانى فى هذه الديار أثناء رحلتي السابقة للهند ، وهو أيضا شكر ، بل تهنئة قلبية ، لندوة العلماء لنهوضها بهذا الواجب الذى ليس أحق به من حملة الفكر الإسلامي فى شبه القارة الهندية ، التى قدمت ولا تزال تقدم لعالم الإسلام قمماً من الرجال الذين أهدوا إليه روائع من إبداعهم فى مجال العلوم الإسلامية ، وبخاصة الحديث الشريف الذى يكاد وقفاً عليهم فى هذا العصر .. وحسبهم أن منهم العلمين العالميين اللذين أثبتا بصماتهما على ثقافة الجيل الإسلامي المعاصر ، إذ كان أحدهما الشيخ أبو الحسن الندوي صاحب الصوت الأعلى فى الدعوة العملية الى تعليم إسلامي صميم متحرر من سلطان الغرب والشرق ، ومجددٍ لبناء الشخصية الربانية على أسس الكتاب والسنة ومناهج السلف الصالح .. وكان ثانيهما الامام أبا الأعلى المودودي تغمده الله برضوانه ، ذلك السابق المجلّي فى مجال الفكر العلمي ، الذي رفع لواء المعرفة الإسلامية فوق سائر المذاهب الجاهلية ، وقدم لهذا الجيل المخطَّطَ المحكم لنهضة واعية قادرة على مواجهة كل مشكلاته العالمية بالحلول الإسلامية الحاسمة ..

ولقد كان بودي أن أسهم فى هذه الندوة ببحث ضاف عن الأدب الإسلامي ، يستوعب خبراتى الطويلة فى خدمة الأدب والفكر الإسلاميين ، ويعالج التطورات الطارئة على مسيرة هذا الأدب خلال تاريخه الحافل ، وبخاصة فى هذه الحقبة التى سجلت فيها هذه التغيرات ذروتها .. ولكن الأعباء الكثيرة ، إلى قصر الوقت ، حالت دون المراد ، وأكرهتني على الاجتزاء بالإشارات العجلى إلى أهم النقاط التى تراودني في هذه المناسبة .

الأدب : قيمتــه وأثــره :

بغض النظر عن كل التعريفات الإتباعية أقدم فكرتي عن الأدب على أنه (الفن المصور للشخصية الإنسانية من خلال الكلمة المؤثرة) ومن هنا كان الأدب بنظري هو ضابط الارتباط بين جوانب الحياة الإنسانية على اختلاف منطلقاتها وتصوراتها .. وفى ضوء هذا التعريف

البرقي تتضح قيمة هذا الفن وآثاره فى مسيرة الحضارة البشرية على امتداد ساحاتها وتعدد مذاهبها ·

ومع كل الضجيج الذى يحركه ذوو النوايا الطيبة فى تنكرهم للكلام ، وتحريضهم على الاكتفاء بالعمل ، سيظل للكلمة مفعولها العميق فى إثارة العقول والقلوب ، ثم التوجيه إلى الأعلى أو الأدنى من مسالك الحياة · وغير خافٍ على أولي العلم أمثلة ذلك فى رسالات النبيين ، الذين كانت الكلمة المبينة البليغة وسيلتهم الفضلى الى أعماق الإنسان ، وقد تجلى ذلك على أتمه فى المعجزة الكبرى التى أنزلها الله على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، قرآناً يَهدى للتي هى أقوم ، وسنةً تُخرجُ الناسَ من الظلمات الى النور ·

وبهذين الرافدين من أدب السماء بدأ التغيير الأكبر فى أدب العرب ، شعراً وخطابةً وحكمةً ومثلًا ، ثم ترسُّلًا وتصنيفاً وقصةً وملحمة ·· وما الى ذلك من أساليب وفنون أدت مهمتها فى تبليغ الرسالة ، وتوسيع المدارك ، ونشر الثقافة العليا فى كل مجال وصلت إليه الفتوح الإسلامية ، أو أظله الفكر الحيّ الجديد ·

● وقد استمر ذلك الأدب عربيَّ اللسان ربانيَّ المضمون ، حتى بدأ الخلل فى مسيرة الحياة السياسية ، فاختلف حَمَلَةُ الرسالة حتى الاقتتال ، وكان مستحيلا على الأدب أن يقف على الحياد فى ذلك المعترك الصاخب ، فإذا هو مأخوذ برَهَجِه ، يضطرب بين المختلفين فى تحيز ترك أثَره عميقاً فى الكثير من شعره ونثره على السواء ، ثم تتابعت الأحداث ، وتفاقمت المشكلات ، وإذا نحن خلال عصور الأدب التالية تلقاء ركامٍ من الكلام ، قليلٌ منه المتماسك فى نطاقِ المواريثِ العُليا ، وأكثره الزائغ الخطى هنا وهناك ·· حتى إن الأديب الواحد ليجمع فى نتاجه بين الضربين المتضادين من الألوان ، فهو فى بعضه إسلامي الرؤية لا يفارق خطَّ النور ، ولكنه فى بعضه الآخر مدخول الهوية لا يمت الى المنظور القرآني بأي صلة ، والمؤسف بل المبكي أن مسيرة الأدب العربى ـ بخاصة ـ واصلت حركتَها فى هذا الطريق المضطرب ، فلم تُقَيَّض لها القوة التى تردها إلى المسلك السليم ، حتى إذا فوجئت بطلائع الزحف الغربي الدافق ، لم تكن لديها المقومات القادرة على مواجهته بالوعي الذي يفرق بين الغث والسمين ، فكان من نتائج هذه المواجهة تراكم العقبات فى طريق الفكر الإسلامي ، وطغيانُ الضجيج الصادر عن المبهورين بتلك الطلائع ·· وهكذا وجدنا أنفسنا أمام جيلٍ لا يرى سبيلا للتقدم إلا بالإعراض الكلي عن المنهج الإسلامي الأصيل ، والذوبانِ التام فى تيارات الفكر الواغل الدخيل ·

● وقد بلغت هذه الدفعة الرهيبة أشدها فى أعقاب النكبة الكبرى التى نزلت بعالم الإسلام اثر سقوط الخلافة ، إذ انفرط عِقد المجموعةِ الإسلامية ، فتوزعتها النزعات الوافدة مع الزحف الغربي ، فاذا الأمة أمم ، والأسرة الواحدة فرق ، لا تقل عدداً ولا خطراً عن الفِرَق التى أفرزتها الثقافات الدخيلة خلال قرون الدولة العباسية ..

وقد انعكست آثار ذلك كله فى هذا السيل العارم من نتاج الأقلام ، التى اختلط فيها الحابل بالنابل ، وإذا هناك أخيرا مؤتمرات مشبوهة يحمل كل منها لافتة أدبية ذات لون خاص ، تحتضن فى ظلالها أقزاماً لا يكادون يُرَون من ضالتهم ، ولكنهم لا يزالون يُنفَخون ، وتُسَلط عليهم الأضواء الملونة حتى يوشكوا أن يحجبوا الرجال ذوي الأصالة فى عالم الفكر والأدب والانتاج الحق .. ولقد اتسع مدى جناياتهم حتى شمل لغة القرآن نفسها ، فراحوا ينبزونها بكل نقيصة ، فهي في زعم بعضهم فقاعات من التحاسين اللفظية لا محصول لها من من فكر ولا علم ، وهي في نظر بعضهم الآخر معرض للجمود الفاضح لا تمد الباحث بأي قدرة على إعطاء مدلول صحيح .. ومن هنا كان أدبها ميتا أو مختصرا لا يملك قدرة التعبير عن أي جانب من النفس الإنسانية ، فضلا عن أن يحاول اللحاق بموكب الآداب العالمية ، ... وطبيعي أن غرضهم الأقصى من هذه الحملات إنما هو تشكيك قرائهم فى صلاحية العربية للحياة ، ومن ثم صرفهم عن الاهتمام بكتابها الأسمى الذي يقول منزله : (ما فرَّطنا فى الكتاب من شيء) .

● على أن لكل أجل كتابه ، ولكل نبأ مستقره ، كما قرر الحكيم العليم ، وهكذا لم يكن بد لهذه الغمرة المضلّلة من حد تصير اليه ، ثم ينجلي ما وراءها من المخلفات ، كما تنجلي سحابة الدخان المصطنع بعد أن حجبت حقائق الأشياء إلى حين . وكذلك استفرغت هاتيك المزاعم طاقاتها ، فهى اليوم تترنح تحت صفعات اليقظة الاسلامية التى لم تنطفىء شعلتها قط ، ولم تستسلم لمناورات الباطل ، منذ الغارة الأولى التى شنتها الشعوبية القديمة ، وحتى آخر السلسلة من هجمات الشعوبية الحديثة على حصون الأدب القرآني في كل مكان أتيح فيه لِلقلم الإسلامي أن يتنفس .

ونظرة واعية الى ميدان الصراع الفكري الراهن ، سواء على نطاق الأرض العربية وحدها ، أو على مستوى العالم الإسلامي كله ، تكشف للمبصر هذه الحقيقة على أتمها ، إذ تُريه أعداء الإسلام على اختلاف هوياتهم وتبعياتهم للصليبية المحلية ، أو اليهودية العالمية ، أو الشيوعية المفترسة ، أو الوثنية الحاقدة ، قد شرعوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة ، أمام انتفاضة الفكر

الإسلامي ، الذي أخذ يكتسح بأشعته قطع الظلام التي دسها الغزو الشيطاني فى غيبة الوعي الإسلامي ، كما اكتسحت عصا موسى (عليه السلام) حبائل السحرة التى خُيّل للناظرين أنها تسعى ، وحسبنا شاهدا على ذلك معارض الكتاب الإسلامي التى تنهض هنا وهناك وهنالك ، فتلقى من إقبال القراء على اختلاف مستوياتهم ما لا يحظى ببعضه كل نتاج الفكر الهدام فى عالم الإسلام ٠

• أجل ‥ لقد أثبت الأدب الإسلامي وجوده حتى اليوم شامخاً متألقاً فى كل فنون الأدب ، ففي حلبة الشعر يعلو صوت إقبال كل ما عداه من أصوات الشعراء العالميين ، ليس فقط بالأسلوب الفني الذى تستأثر به لغة الشعر فى كل لسان ، بل بالروح الإيمانى الذى يخترق بأسراره جدران الباطل ليستقر فى القلوب ، نوراً يُضيء ، وطاقةً تُحَرّك ، وحبًّا تتلاشى فى طريقه الحواجز ، ليشعر كل مسلم فى الأرض أنه عضو فى جسد يشمل كل مسلم على وجه الأرض ، وعلى سَنَن اقبال تنطلق مواكب الشعر الإسلامي لتوقظ ما غفا من مشاعر الإيمان ، وتُثيرَ العزائمَ الفتية للاندماج فى كتائب الجهاد الزاحف لمكافحة الطغيان فى كل مكان وزمان ٠

وفى الطريق نفسه مضى النثر الإسلامي يصور مشكلات الحياة قاطبة : قصةً تدغدغ الضمائر ، وروايةً تجسم المنظور الإسلامي فى أعماق المشاعر ، وبحثاً يكشف الحقائق فى ضوء الوحيين ، ليأخذ بأيدي التائهين الى ساحة النور ، ومقالةً تعالج مشكلات الانسان فى مسيرته اليومية ، فتفتح الأعين على كل ما هو بحاجة اليه منْ ألوان المعرفة المضيئة ، ولا حاجة لاستقصاء الفنون التى يحقق بها الأدب الإسلامي رسالته فى عالم الكلمة ، لأن استقصاء ذلك فوق حدود الطاقة ، وقصارى القول : أن الأدب الإسلامي قد استعاد بفضل الله ، ثم بهمم الصفوة من موهوبي المؤمنين ، الكثير مما فقده من أسباب التفوق ، ولا تزيده التجارب اليومية إلا نشاطاً ودأباً فى هذه السبيل المَهدِيَّةِ بنور الله ، على الرغم من مئات العقبات التى تقيمها فى طريق الحق الأيدي الملوثة بجراثيم الشيوعية ، والقوى المسخَّرة لأهواء الظُّلام من طواغيت الحكام ، وبخاصة أن هذه الأيدي هى التي تقبض على مخانق الوسائل الإعلامية مقروءةً ومسموعةً ومرئيةً فى معظم بلاد المسلمين فتسخّر كُل شيء لخدمة أنصابها ، حتى لتجعل من المسخ الهزيل كبيرَ العمالقة ، ومن ألد أعداء الإسلام داعيةً يستحق ألوان التقديس ، ثم زاد اضطراب الرؤية لدى الجماهير المتأثرة بالإعلام المضلّل ، ذلك التكريمُ الذي توجهه السياسة المكيافيلية لقادة الفكر التخريبيّ ، إذ يدعون للمشاركة فى كل مؤتمر يحمل اسم الإسلام ، ثم ينفضُّون ليستأنفوا حربهم للإسلام شريعةً وتربيةً وتعليماً وإعلاماً ، وكأنهم أخذوا من وجودهم

في تلك المؤتمرات تفويضاً بمواصلة مساعيهم الشيطانية لتهديم كل ما هو إسلامي ، وتنشيط وتشجيع كل ما هو مضاد لحقائق الإسلام ..

• ولا أكشف سرا اذا ذكّرت بآخر ما يشهده عالم الإسلام ، من تلك المواقف المشبوهة ، حيث طُرحتْ قضية الغزو الشيوعي لأرض الإسلام فى الأفغان الشقيقة ، فوقف هؤلاء ينافحون عن فجائعه بكل وقاحة ، وفي مجتمع آخر قريب ٍ حيث طرحت قضية تطبيق الشريعة الإسلامية ، فكان أن وقف ممثل لإحدى الدول المشاركة فيه باسم الإسلام ، ليعلن على رؤوس الأشهاد أنه لا يوافق على هذا المطلب ، ولكن شاء الله أن يجعل من تلك المفارقات قوة جديدة للدفع الإسلامي ، إذ ساعدت على تمييز الراشد من الضائع ، فشدّتْ أواصر أهل الإيمان ، وأبرزت انعزالية المعادين للإسلام ، وكان أعظم ردّ فعلٍ لموقف ذلك الرافض لحكم الله ، هو الذي قدمه ممثل نيجيرية المسلمة فى التعقيب على ذلك الكفر الصراح ، يقترفه وزير لأوقاف إسلامية ، أول واجبه هو احترام عقيدة شعبه ، وتسخير كل مقومات منصبه لإعلاء كلمة ربه ، فكان الرد النيجيري تذكيراً حكيما بقوله تعالى فى أمثاله : (ألم تَرَ إلى الذين يَزعُمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلِك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوتِ ، وقد أُمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان ان يُضلَّهم ضلالا بعيدا) (٤ ـ ٥٩) .

ولن يقل عن هذا وذلك تلك الحملة الطائشة التى تنطلق اليوم فى وجه السنة النبوية ، حيث يُقحم رجلٌ نفسه فى مالا صلة له بعلمه ، فينكر ، ويُفتي ، ويسفّه ، ويريد بذلك أن يجد جيلًا من المنتفعين بما لديه من مال المسلمين يصلح لإفساد الإسلام ، وهو يظن ، اذا أحسنا الظن ، أنه يعمل كل ذلك فى خدمة الإسلام ..

أجل .. إن العقبات التي تريد تثبيط المد الإسلامي لأكبر وأكثر من أن تُحصى ، ولكنها على الرغم من هولها ، ومن النكال الذي ينزله طواغيتها بحملة الفكر الإسلامي ، مما يتجاوز بفظاعته حدود التصور ، لا تزيد ذلك المدَّ المقدَّسَ إلا اندفاعاً وانتشاراً وعمقاً ، وإنها للصورة التى تبدو أكثر ما تكون تكاملًا فى ألوان الأدب الإسلامي ، الذى يطالعنا صباح مساء فى أكداس المنشورات ، التى تدفع بها المطابع ، مصنفاتٍ ودواوينَ وصحفاً ومجلاتٍ ، تتعدَّدُ تخصصاتها ، وتلتقي فى إطاراتها المميزة على خدمة الفكر النقي فى الكلمة الجميلة البليغة ..

• وأخيرا .. إن عشرات الصفحات تسطر فى هذا الموضوع لن تستوعب الأفكار التى تثيرها في صدور الذين أوتوا العلم ، ولذلك لا نرى مندوحة عن ضغطها فى فقرات محدودة تنم

بالقليل عن الكثير ، وتعدل عن الهامّ الى الأهَم ، عملا بالحكمة القائلة (ما لا يُدرك كله لا يُترك جله) ٠

(١) إن منطلق الرؤية الإسلامية هى **العقيدة السليمة** كما أوحى بها الله وتلقيناها عن رسوله الأعظم (صلى الله عليه وسلم) دون تأويل ولا تعطيل ، وما لم تتركز هذه العقيدة فى قلب الأديب ، حتى تسيطر على كل تصوراته ، فسيظل أدبه بعيدا عن سبيل المؤمنين ، وأبعدَ من أن يكون أدبا إسلاميا ، ومن البدائه أن منبع العقيدة الصحيحة هو الوحي الماثل فى كتاب الله وسنة نبيه ، فالتزامهما إذن أساس لا منصَرفَ عنه لتثبيت الرؤية الإسلامية السليمة فى قلب الأديب وطالب الأدب على السواء ، ثم الاتصال بالمؤلفات الموثوقة فى نطاق الثقافة الإسلامية المبنية على هذا الأصل ٠ ومن هنا كان فرضا على من يريد العمل فى نطاق الأدب الإسلامي ان يتشبع بهذه المناهل ، كي يظل فى مسيرته على الطريق اللاحب فلا يزيغ بصره عنها ولا يطغى ٠٠

(٢) لقد كثر الذين يتكلمون فى الإسلام ، وكثر ما يكتبونه وما يذيعونه وما ينشرونه فى هذا المضمار ، ولكن قليل منهم الذين يلتزمون أصول هذه الحقائق الإسلامية ، فهم يقولون الكثير فى كتاب الله دون أن يعتمدوا في ذلك على أساس سليم ، متناسين أن أي عمل يُراد تحقيقه لا بد من العدة المتعلقة به ٠ وقد وجد هؤلاء بعض الإقبال على ما يذيعونه من قبل البسطاء ، فتمادوا فى جرأتهم على هذه القحمات ، يحسبون ، أو بعضهم ، أنهم يحسنون صنعا ، وقد أخِذَ قراؤهم ببعض الطرائف التي وفِّقوا إليها فتوهموا أن كل ما يقولونه حق لا مرية فيه ٠ وفي هذا ما فيه من تغرير بالجيل الذي لم يزود بالعواصم من القواصم ، وعلى هذا فلا بد من حوار مع هؤلاء يذكّرِهم ويعظهم ويوجههم إلى الحق ، وينوه فى الوقت نفسه بالمصيب السديد من أعمالهم ، ولقد جربت ذلك مع بعضهم فوجدت نية حسنة واستجابة طيبة وإقراراً بالأخطاء ووعدا بالعدول عنها ، فمثل هؤلاء لا يكتبون أدباً إسلاميا خالصا ، ولكن بالإمكان تسديد خطاهم حتى يكون ما يكتبونه من الأدب الإسلامي المنشود ٠

(٣) لا بد من تعاون الأدباء الإسلاميين على حماية الإسلام من تسرب **الأفكار الدخيلة** الى حقائقه ، وذلك بإيضاح استقلالية الإسلام الكاملة عن كل فكر أو مذهب آخر ، كالاشتراكية والماركسية والديموقراطية وما إلى ذلك من مُدَّعيات كثر القائلون بها فى هذه الأيام ، حتى يعلم القارىء أيّاً كان أن الإسلام هو دين الله المصفَّى ، فلا مساومة ولا ترقيع ،

بل شعاره الخالد أبدا هو (قل يا أيها الكافرون · لا أعبدُ ما تعبدون · ولا أنتم عابدون ما أعبد · ولا أنا عابدٌ ما عبدتم · ولا أنتم عابدون ما أعبد · لكم دينُكم ولى دين) ·

(٤) كذلك لا بد من قصر دلالة (**الأدب الإسلامي**) على معناه الحق ، فاذا وجدنا لكاتب أو شاعر نتاجاً متفقا مع روح الإسلام اعتبرناه من الأدب الأسلامي ، وكل إنتاج له شذ عن ذلك الخط أعطيناه حقه من التعريف منفصلًا عن الجانب الإسلامي ، وأضرب مثلًا على ذلك بالدكتور محمد إقبال فهو فى الذؤابة من شعراء الإسلام ، ولكنه فى فلسفته بعيد عن الخط الإسلامي ، لأنه أخذ بمفهومات الفلاسفة الوثنيين والصليبيين ، وأثَّر بطريقته هذه على غير واحد من مفكري المسلمين فى هذا الجانب ، ومثله فى ذلك كتّاب قدموا للإسلام خيرا كثيرا ، فهم من هذا الجانب ذوو أدب إسلامي أصيل ، ولكنهم فى جانب آخر من إنتاجهم خرجوا حتى على نصوص الوحي المتواتر فى القرآن والحديث ، فأنكروا ما هو معلوم بالضرورة ، وبذلك التقوا مع المؤوّلة من الباطنية الذين قامت نحلهم على صرف المعاني عن وجوهها التى أجمعت عليها الأمة على توالى القرون ، فأدبهم من هذه الناحية مجانب للمعنى الإسلامي ومرفوض بمقياس الإسلام ·

(٥) من مهام الأديب الإسلامي **مناقشة هذه الانحرافات بالحكمة** والموعظة الحسنة والجدال بالتي هى أحسن ، حتى يستقيم أمر أهلها على الجادة ، وإذا أصروا على شذوذهم كان فى ذلك النقاش خير للقراء إذ يصبحون هم الشهداءَ عليه · ومثلُ ذلك يقال فى كل محاولةٍ لتشويه الوجه الإسلامي ، سواء جاءت من الخارج أو الداخل ، حتى لا يصل إلى أعين القراء الا وبإزائها التفنيد الكفيل بتزييفها ، ·

(٦) من العقبات التي تواجه الأدب الإسلامي فى أوساط المسلمين ، قلة قرائِه ، إذا قيسوا بغيرهم من الشعوب المتحضرة ، والكثرة من هذه القلة تتجه في اختيارها إلى المجلات الملغومة والمسمومة مأخوذة بجاذبية الإخراج ، وهى علة لا مندوحة عن معالجتها بالدواء الناجع ، وهو محصور فى المضمون المشوّق والإخراج الجميل ، وبازاء الجمهور الأكبر من محسني القراءة طلاباً أو عمالاً نرى أفضل ما يقدم إليهم متمثلاً فى **القصة** التي يجب أن تمدهم بالمتعة والفائدة من خلال المنظور الإسلاميّ ، الذي لا يضيق بأي جانب من الزاد الفكري الخيّر ، وفى عناية دقيقة بالإخراج المنافس بل المتفوق على سواه ·

(٧)   لقد أدى تدهور الثقافة فى الأوساط الشعبية - فى البلاد العربية - إلى **شيوع اللحن** ومجانبة العربية السليمة ، ومن ثم انتشار الأدب العامي الذي زاد فى تشتيت المجموعة العربية ، حتى لا يكاد يفهم العربيُّ العربيَ إلا عن طريق اللسان الوسيط ، ومع أن التقدم الواسع فى نطاق التعليم والنشر ، قد ساعد على تفتيت الكثير من تلك الحواجز ، فلا يزال لذلك الأدب العامي سوقه الرائجة فى مختلف بلاد العرب ، وهو منافس خطير للأدب الإسلامي الذي نريده . والذى نراه أن أفضل مقاوم لهذا الواغل هو **العناية بتفصيح العامية** ، وأعني بها إقبال الأديب الإسلامي على تتبع المفردات الفصيحة فى لغات العامة ، واستعمالها فى عرض مناسب خلال تعابيره ، دون أن يُقيم وزناً لمقاييس البلاغيين الذين يرون ذلك من معايب البيان العربي ، وبذلك نكسب المزيد من القراء فى الوقت الذى نربح الرشيق الجميل الذي كان محجوبا من لغتنا الحبيبة ، وبذلك يقترب أولو المواهب الشعبية من لغتهم الأم ، حتى يأتي اليوم الذى يلجئون فيه الى الأسلوب الفصيح فى الإعراب عن مشاعرهم . بيد أن هذا التدبير سيظل مشلولا حتى يمسك المدرسون وأولو العلم عن هجرهم الفصحى خلال الدروس وفى المواقف الأخرى ، فيرفعوا بذلك أسلوبهم التعبيري ، ويرفعوا مستويات مَن حولهم ممن لا يجدون مفرا عن محاكاتهم والتأثر بهم من الأهلين والطلاب والإخوان .

(٨)   **الطفل المسلم** هو إنسان الغد الذى سيتعهد البناء الاجتماعي بالإعلاء أو التدمير ، وقد أهملناه طويلا فلم نسعفه بالتوجيه الإسلامي الحافظ ، ولم نقدم إليه من المنشورات ما يحبب إليه القراءة ، والقراءة الإسلامية بوجه خاص ، ومن المؤسف القول بأن ما يقوم به بعض المجلات الإسلامية من محاولات لسد هذه الثغرة قلما يراعي استعداده الفطري والبيئي ، وبذلك يظل عرضة للمؤثرات غير الإسلامية ، ولا سيما بعد تسلط التلفاز والفيديو والوسائل الإعلامية الأخرى على جو المنزل ، وهذا يقتضي من كتاب القصص الإسلامي بوجه خاص إعادة النظر فى هذا الجانب ، وبذل الوسع لايجاد البديل الإسلامي الجذاب ، الذي يجب أن يأخذ سبيله إلى الطفل والبيت عن طريق هذه الأجهزة الحديثة بأي ثمن ، ولئن كان بعض هذه الأجهزة مغلق النوافذ والأبواب بوجه الإسلاميين فإن بعضها الآخر مفتوح ولله الحمد ، وقد بدأ يبذل رعايته لهذا النوع المنشود من الأدب الرفيع فى مسلسلات تعتبر من التجارب الناجحة فى هذا الميدان . فما على القاصّ الإسلامي إذن إلا إبداع الروائع لتأخذ طريقها إلى تلك الميادين ، محفوفة برعاية المؤمنين من ذوى النفوذ الفعال فى تلك الأجهزة .

(٩) للقلم المسلم جولاته المشرقة فى كل جانب من عالم الإسلام ، فهناك القصة الجيدة ، والمقالة البارعة ، والبحث النافع ، والمؤلف الفخم العميق ، ومن الظلم لهذا الإنتاج الكريم ان يُحبس في نطاق اللغة التي أنشئ فيها . ومن فضل الله أن كثيرا من هذه الكرائم قد أخذت سبيلها **للترجمة إلى مختلف لغات المسلمين** ، وكان لها الفضل الكثير فى توثيق عرى الأخِوَّة بين أعضاء الجسم الإسلامي ، وهذا ما يؤكد الحاجة الى المزيد من هذا المجهود المحمود .

وطبيعي أن لذلك تكاليف تنوء بها كواهل الأفراد من الناشرين ، الذين لا مندوحة لهم عن إقامة أعمالهم على أساس الربح والخسار ، ومن هنا كان أثرهم فى إشاعة هذا الخير محدوداً في نطاق قدراتهم الشخصية ، ويمكن تدارك ذلك عن طريق الاستعانة بإعانات المحسنين من ميسوري المسلمين ، الذين لمسنا آثارهم فى كل مكان ولله الحمد ، وكثير منهم على أتم الاستعداد للإسهام فى نشر المؤلفات التى يتقرر نفعها للناس ، لو أتيح من يقنعهم بأهمية هذا النوع من الإحسان . واني لأعرف رجالا يبذلون الآلاف المؤلفة فى بناء المساجد تقرباً الى الله ، ولكنهم لم يقتنعوا بعد بفضيلة الإسهام فى نشر الثقافة الاسلامية ، ولن يترددوا فى تقويم نظرتهم إلى هذا الجانب إذا قرؤوا فى الموضوع فتوى الثقات من العلماء .

(١٠) إن العناية بنشر العربية على المستوى العالمي واجب يُسهم بحمله كل مسلم مستطيع ، وهو أكثر توكيداً بالنسبة للعالم الإسلامي ، الذى يفتح ذراعيه لاحتضان لغة القرآن بلهفة المحب إلى لقاء حبيبه الأثير ، وقد رأينا دول الغرب الصليبي تبذل أكداس الملايين لإشاعة لغاتها فى كل مكان ، تثبيتاً لمصالحها السياسية والاقتصادية ، ومما لا شك فيه أن مصلحة الدول العربية بإذاعة لغة القرآن فى الشعوب الإسلامية ، غير الناطقة بالعربية ، أكثر وأعظم وأعمق ، ومن فضل الله أن بعض هذه الحكومات قد تنبهت لهذه القضية الهامة ، فهى تبذل الكثير لنصرتها ، ولكن الذي نراه أن يرفع اقتراح الى مجموع الدول العربية وعن طريق جامعتهم بتخصيص نصف بالمئة على الأقل من ميزانية كل منها لتمويل هذا العمل الجليل ، بوساطة النادي الذي نرجو أن ينبثق عن هذه الندوة الموقرة ، وفى ذلك خير لا يقدَّر لأنه سيزيد عرى الأخوة الإسلامية قوة ، ويقرب بين الأفكار ، ويسهل سبيل التفاهم بين أبناء الإسلام ، ويعيد للعربية مكانتها التي سبق أن احتلتها فى عالم الإسلام أيام ازدهار الحضارة الإسلامية .

• وحتى الآن نكاد نقتصر فى فقراتنا الآنفة على مجرد العرض النظري ، ومن حق الناظر فيها أن يسأل : وأخيرا ما السبيل الى ترجمة هذه المقترحات الى أعمال ؟

وهنا ننتهي إلى الغاية التى نعتقد أنها أهم الوسائل إلى تحقيق ذلك وأكثرَ منه بفضل الله ·

فى نهاية البحث الذى ختمتُ به محاضرتى فى موضوع الأدب الإسلامي قبل عشر سنوات قلت : (إن أقرب السبيل لإخراج هذا الحلم إلى حيز الواقع تأليف لجنة تحضيرية تتولى الدعوة الى مؤتمر للأدباء الإسلاميين يخطط لمستقبل الأدب ، الذي لا بد منه فى هذه الفترة الحرجة من حياة العالم الإسلامي ، وعن هذا المؤتمر ينبثق النادى الدائم باسم (نادى القلم الإسلامي) وإلى عضويته ينتسب كل مؤمن بأهدافه ، التى يجب أن تحدَّد فى دستور مستوحى من التصور الإسلامي المحض ، بحيث يصبح كل عضو منتسب ملتزماً بإقامة أدبِه على أساس من ذلك الدستور ، حتى اذا انحرف عن سبيله نُزعت عنه عضويته ، ومفروض فى هذا النادي أن يضم شمل أدباء الإسلام فى سائر أقطارهم ، ويجمعهم فى مؤتمرات دورية لدراسة ما جدَّ وما ينبغي أن يجدَّ من العمل ، وبديهي أن هذا يقتضي وجود مكتب دائم للنادي يظل فى انعقاد دوري ، ليعمل على متابعة مقرراته واستطلاع آراء أعضائه فى كل طارىء ، ويتولى تنسيق مجهوداتهم ، ليتمكنوا من أداء واجبهم في توعية الشعوب الإسلامية توعيةً تُبَصِرها بما يراد لها ، وما يجب عليها ، ويُحَصِّنها من السقوط فى حبائل الختالين من أصحاب الشمال واليمين)

وها نحن أولاء فى هذه الندوة المباركة نحقق الجانب الأول من هذه الأماني ، ويبقى الجانب الآخر وهو تكوين (نادي القلم الإسلامي) ووضع دستوره المحكم ·

أما مقر هذا النادي فيقرره المؤتمرون ، وإن كنت من الموقنين أن مقره الطبيعي هو الجامعة الإسلامية فى مدينة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، حيث وضع القدر أول لبنة فى بناء الأدب الإسلامي العظيم ·

والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم وبارك على قائد الفكر الإسلامي فى الطريق القويم محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ·



شاعرية البحتري

لفضيلة الدكتور بابكر البدوي دشين
كلية الحديث الشريف بالجامعة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيّدنا محمد بن عبد الله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـــــد ، فقد غلب الوصف بالشاعرية على أبى عبادة البحتريّ حتى كاد يقصر عليه دون غيره من الشعراء ، ومما يدلّ على هذا ما روى عن أبى الطيب المتنبي أنه قال :

« أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحترى »

وعسى القارئ الكريم أن يذكر حديث النحويّين عن « أل » في كلمة الشاعر هنا وأمثالها ، فإنها تدل عندهم على استغراق خصائص الجنس ، وهذا أمر فوق الوصف بالشاعرية كما هو واضح .

هذا ونقترح أن أهمّ ما تتجلّى فيه شاعرية البحتري شيئان : أنغامه المُطْربة ، وانفعالاته الخافقة .

أمَّا ناحيه الإطراب في شعره فقد تنبَّه لها القدماء ، وفي مقدمتهم معاصروه الذين كانوا يسمعون إنشاده ، ومن هؤلاء الفتح بن خاقان وزير المتوكّل ، كما يفهم من هذا الخبر الذى رواه الصوليّ قال : (١) « وحدَّثنى أحمد بن يزيد المهلبي عن أبيه قال : إنى لعند الفتح إذ دخل البحتري فأنشده قصيدته :

شرح الشباب أخو الصِّبا وأليفُـــه　　　والشيب تَزْجيــةُ الهوى وخُفُوفُـــهُ

فلمَّا بلغ قولـــــه :

ملك بعاليـــة العراق قبابـــه　　　يقري البدور بها ونحن ضيوفُـــهُ

---

(١) « أخبار البحتري » للصولىّ تحقيق الدكتور صالح الأشتر . ط . الثانية م . دار الفكر بدمشق ص٧٩

فلما بلغ إلى قولـــــه :

فهلمّ وعدك في الإمام فإنـــــه فضل إلى جدوى يديك تضيفُــــــهُ

رأيت الفتح قد اهتزَّ وطرب لذلك ..... فأعاد البحتري الأبيات الخ » .

كيف لا يطرب الفتح ويهتز - وهو الأديب البليغ - من سماع هذه القصيدة الفائيَّة وفيها قول البحتري :

فإذا تـــحـــمَّـــل مـــن تـــهامة بارق لـجـب تـسـير مـع الـجـنوب زحوفُـهُ
صـخـب الـعـشيّ إذا تـصوَّب مزنـه ذعر الأجادل في الـسـماء حـفـيـفُـهُ
فسقى اللّوى لا بل سقى عهد اللوى أيام نرتـــبـــع الـــلوى ونـــصـــيـــفُـــهُ
حَـــنَّـــتْ ركابـــي بالـــعراق وشاقـــها في ناجر برد الـــشآم وريـــفُـــهُ
ومدافـع الـساجور حـيـث تـقابـلـت في صـنـفـتـيـه تلاعـه وكـهوفُـهُ

بعد إنشادنا هذه الأبيات ذات الكلمات المتخيَّرة الرنّانة ، والعبارات المنسَّقة البديعة ، والانفعالات القوية الخافقة من القصيدة الفائية التي اهتزّ الفتح لها وطرب ، نعود فنقول : وممن تَنَبَّه لناحية الإطراب في شعره ، ممدوحه الخليفة المعتز ، فقد روى البحتري قوله له (١) : « ياوليد ما أنشدتني قطُّ إلا أطربتنى » ومن القدماء الذين تنبهوا لناحية الأطراب في شعره أبو بكر الخوارزميّ ، كما يفهم من قول الثعالبيّ عنه (٢) : « ومن أطرف شعره وأرقّه وألطفه قوله : - وكان أبو بكر الخوارزميّ يقول لا تنشدونيهما فأرقص طربا ....

يذكرنـــيـــك والذكرى عـــناءُ مَـشَابِـهُ فـيـك بَـيِّـنةُ الـشُّـكولِ
نـسـيـم الروض في ريـــح شـــمال وبرد الماء في راح شـــــــمول

وهناك طريقة أرويها هنا ، لما فيها من الدلالة على ما أنا بصدد تأكيده من ناحية الأطراب في شعر البحتري قال (٣) :

.... أخبرنا ابن حبيب المذكر قال : دخلت دار المَرْضَى بنيسابور فرأيت شابّاً من أبناء النعم يقال له أبو صادق السكري ، مشدوداً وهو يجلب فلما بصر بي قال : أتروي من

---

(١) نفســــه ص ١٠٧ .
(٢) خاص الخاصّ لأبى منصور الثعالبي منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
(٣) مصارع العشاق لأبي محمد القارىء ط بيروت مجلد أول ص ٣٨ .

الشعر شيئاً ؟ قلت : نعم قال : من شعر مَنْ ؟ قلت من شعر من شئت قال : من شعر البحتريَ قلت : أيّ قصيدة تريد قال :

ألمع برق سرى أم ضــــوء مصبـــــــاح
أم ابتســــامتها بالمنظر الضـــاحي

فأنشدته القصيدة فقال : أفأنشدك قصيدة ؟ قلت : نعم ، فأخذ في إنشاد قصيدته :

أقــصرا إنَّ شأنــي الأقــصــــــارُ وأقِلّا لا يـــنــــفـــع الإكـــثارُ
إن جرى بـيـنـنـا وبـيـنـك عـتْـب أو تـــناءت مـــنَّا ومـــنــــكِ الدِّيارُ
فالـغـلـيـل الذى عَـهِدْتِ مـقـيـم والدموع الذى شـــــــــهِدْتِ غِزار

فقفز وجعل يرقص في قيده ويصيح ، إلى أن سقط مغشيا عليه .

هذه الحادثة الطريفة على الأقلّ مما يستأنس به في الدلالة على مدى ما في شعر البحتري من قوة الاطراب . والحقُّ انَّ البحتري نفسه كان شديد الاحساس بناحية الإطراب في شعره شديد الاحتفال لها . يدلك على صِحَّة ما نقول افتخاره بها في غير ما موضع من شعره مثل قوله :

وكم لى من محبوكـــة الوشى فيكم إذا أُنشدت قام امرؤ يستعيـــدها

أي يهز الطربُ سامعَها فيقوم طالبا من الشاعر إعادتها . لقد كان شعره يَهُزُّ كلَّ السامعين ، حتى الخلفاء والملوك الذين عرفوا بالهيبة والوقار . كان يطربهم شعره ويهيجهم فيتخرقون في العطاء ويصيحون بالثناء كما يفهم من قوله :

يهيّج اطراب الملوك استماعُها فيحمـــد راويها ويُحْبَى قئولهـــا

هذا ومما يدلك على شدة إحساس شاعرنا بناحية الاطراب في شعره ما عرف عنه من عادة الترنم بشعره وإنشاده إياه ، مع الإتيان بأشياء غريبة ساعة إنشاده تدلُّ على إعجابه بشعره وطربه به ، حيث كان يتلفت يمنة ويسرة حين إنشاده ويتفل ، ويصيح في الناس : ألا تسمعون ؟

وقد روى (١) المعرّي أنَّ أبا عبادة « كانت قدماه قدمي طاووس (٢) » .

---

(١) رسائل المعرى ص ٨٩ .

(٢) في الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية مجلد ٣ ص ٣٦٨ قدما ديك بدل طووس بينما النص الانجليزى " Peacocks Seet " ومعناه قدما طاووس ونحسب ما في الترجمة العربية وَهُمًا من الأساتذة الفضلاء المترجمين أوقعهم فيه ورود النص الانجليزى مقطعاً هكذا .Pea آخر السطر ثم Cocks Feet أول السطر التالى فحسبها المترجمون قدمى ديك وأنظر الطبعة الانجليزية V.I.P. 774

والواضح فيما نرى - أن يكون المقصود بهذا وصف حركاته ومشيه زهوا وطربا ساعة إنشاده شعره ·

أضف إلى ما مضى أن البحتري انفرد بعادة لم يشركه فيها أحد من الشعراء حسب اطلاعنا وهى أنه كان إذا فرغ من إنشاد القصيدة أعاد البيت الأول منها ، كما يدل عليه ما جاء في الأغانى (١) : « ···· أن البحتري أنشد المتوكل وأبو العنبس الصيمريّ حاضر قصيدته :

عن أيّ ثغر تبتسم   وبأيّ طرف تحتكم

إلى آخرها ، وكان إذا أنشد يختال ويعجب بما يأتى به فإذا فرغ من القصيدة ردَّ البيت الأول فلما رده بعد فراغه منها وقال :

عن أى ثغر تبتسم   وبأيِّ طرف تحتكم

قال أبو العنبس الخ »

يهمنا من هذه الرواية أنها تثبت العادة التى ذكرنا انفراد البحتري بها وهى ردُّ مطلع القصيدة بعد الفراغ منها ، وهذا كما ترى يدل على طرب واندفاع في الإنشاد يمضى به الشاعر من أول القصيدة حتى ينتهى به عند إعادة البيت الأول منها يعيده على السامعين من شدة طربه به ·

والحق أن هذه العادة التى امتاز بها البحترى وهى رد البيت الأول من القصيدة لها دلالة نقدية قيِّمة تنبه لها الدكتور عبد الله الطيب حيث وضح أن فيها دلالة قوية على الوحدة الفنية في القصيدة العربية ، كأنَّ الشاعر حين يقرن في إنشاده أول القصيدة بآخرها فلا يختل بهذا شيء من بناء القصيدة ينبهك على أن قصيدته بناء فنى كامل تنتظمه وحدة فنية وهذا كما ترى عكس مالهج به بعض الكتبة المحدثين من نفى الوحدة الفنية عن القصيدة العربية فشتان ما بين صنيعهم وصنيع الدكتور عبد الله إذ في صنيعه شجاعة الإحساس بقيمة اللغة العربية وآدابها ·

هذا ومما لا ريب فيه أن ناحية الإطراب والنغم التى كاد البحتري يكون فيها الشاعر المجلى من أهمّ مقومات الشعر العربي بل إنها الركيزة الثابتة له التي عرفها أعداء اللغة العربية فحاولوا هدمها فكانوا كما قال الأعشى :

كناطح صخرة يوماً ليُوْهِنَهـــا   فلم يضرهـا وأوهى قرنـه الوَعِلُ

---

(١) جـ١٨ ص١٧٤ مطبعة التقدم بمصر ·

عَدِّ عن هؤلاء وأنشد الناس قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه :

تَغَنَّ في كل شعر أنتَ قائلــــه   إنَّ الغنـــاء لهذا الشعر مِضْمَـــارُ

وفي هذه الدلالة الواضحة على مكان الوزن والعروض والقافية والنغم في الشعر العربيّ وهى الناحية التى فاز شاعرنا البحتري منها بأكثر نصيب ٠ هذا ما كان من أمر الحديث عن ناحية الإطراب في شعره ٠

أما ناحية الانفعال الخافق في شعره ، فإنها أوضح من أن يدل عليها وهو معروف بالإجادة فيها كما ذكر هذا الدكتور عبد الله الطيب فقال (١) :

« والبحتري رحمه الله كان يحسن تصوير الانفعالة الخافقة » ٠

هذا ونود هنا أن نوضح بعض مظاهرها وآثارها في شعره ، فمن هذا وصفه لتكشف الأشياء وانجلائها فقد كان معنيا بهذا مثل قوله :

إلى أن بـدا صحن العراق وكشِّفَتْ

سجوف الدجى عن مائـــه ونخيلـــه

حيث سجل فيه حركة تكشف الظلمات والتماعة الماء والنخيل من ورائها ووصفُ التماع الماء من المعاني التى تكررت في شعره كما سيمر بنا

ومن أمثلة انجلاء الأشياء قوله يتحدث عن شبابه الذى ولّى :

كـيـف بـه والزمان يـهرب بِـهْ   ماضـي شـبـاب أغذذت في طـلـبـه
مـقـترب الـعـهد إن أرُمْـهُ أجدْ   مـسافة الـنـجـم دون مـقـتربـه
يَرْفَضُّ عن ساطع المشيب كما أر   فـضَّ دخان الـضرام عـن لـهـبـه

في القاموس المحيط : ارفضاض الدموع ترششها ومن الشىء تفرقه وذهابه . وقد اختار الشاعر هذا الفعل وكرره ليستعين به على تسجيل حركة تكشف الدخان عن اللهب المتضرم . لقد غدا الشيب لهيبا ضراما وسواد الشباب دخانه المتبدد . وعسى أن نقارن هذا بقول الفرزدق (٢) :

والشيب ينهض في الشبـــاب كأنه   ليـل يصيح بجـانبيـه نهـــار

(١) انظر كتابه مع أبى الطيّب ٠

(٢) ديوانه ط دار صادر بيروت جـ ١ ص ٣٧٢ ٠

فنحن ـ عند الشاعرين ـ أمام معنى ظلام يقشعه ضياء في حديثهما عن الشيب لكننا نحسّ في بيت الفرزدق حيوية الحركة والجلبة والصياح . بينما نحس في بيت البحتري حيوية الحركة وخفقة الالتماع من وراء الدخان ومن آثار هذا في مدحه كثرة وصفه للحظات ظهور الممدوح كأنَّه البدر أو الصبح لحظة تجليه من وراء الحجب كما ورد هذا في مثل قوله :

حتى طلعت بضـــوء وجهك فانجلت
تلك الدجى وانجـــاب ذاك العِثْيَر

وفي مثل قولـــــه :

وما كـــان ذاك الهول إلا غَيـــابة بدا طالعـــاً من تحت ظلمتهـــا البـــدر

وقولـــــــــه :

وتعطف أثنـــــاء السرادق حوله على قمر تنجـــاب عنـــه سدولهـــا

وقولـــــــه :

يصـــون منـــه الحجـــاب منظرة تبـــدو بُدوّ الهـــلال من حجبـــه

وقولـــــــه :

يؤدُّون التحيـــــة من بعيـــــد إلى قمر من الإيوان بـــادى (١)

تشترك هذه المثل في اشتمال كل منها على تشبيه الممدوح بالبدر منجابة عنه الظلمات وقد سجَّل فيها الشاعر انفعال نفسه بالخفقة التي تكون أول ظهور الشيء وبدوّه وبخاصة الضوء اللامع ساعة انبثاقه لينبه بهذا على قوة تعلق أنظار الناس بالخليفة أو الممدوح ، بحيث لا يكاد يشغل إنسان عن أول لحظة يطل عليهم فيها بوجهه .

وقريب من هـــذا قولـــه :

ورأيت بِشْرك والتنـــائف دونـــه والليل يكشف غيهبـــاً عن غَيْهب

إذ فيه انفعال نفس البحتري بحركة انقشاع الظلام ؛ هذا وبشر الممدوح الذى رآه البحتري هنا من وراء التنائف هو الصبح الذي يتجلى له دائما من وراء الحجب والظلمات واستمع إليه يقول :

والـــلـــيـــل في لون الـــغراب كأنـــه هو في حلوكته وإن لم ينعب
والعيس تنصل من دجاه كما انجلى صبغ الشباب عن القذال الأشيب
حـــتى تـجـلَّى الـصـبـح في جـنـبـاتـه كالماء يـلـمـع مـن وراء الـطـحـلـب

(١) الياء في كلمة بادى وأمثالها في القافية ليست بلام الكلمة بل هى وَصْل .

فإن فيه انفعال نفسه بحركة تجلى الأشياء البيض المضيئة والتماعها من وراء حجبها تحس هذا في حركة نصول العيس البيض من الدجى وفي انجلاء صبغ الشباب عن بياض المشيب وفي تجلى الصبح في جنبات الليل وأخيراً تحسه في التماعة الماء من وراء الطحلب وهى اللمعة التى تعلق بها البحتري كما ذكرنا قبلاً ٠

هذا وكأنَّ البحتري هنا ينظر الى شاعرين الأول ذي الرمة في قوله يصف ورود الحمر الوحشية الماء :

فغلست وبياض الصبح منصدع عنها وسائره بالليل محتجب
عينا مطحلبة الأرجاء طامية فيها الضفادع والحيتان تصطحب

هذا منظر الحمر الوحشية وقد ظهر أول نور الفجر فأظهرها ولا يزال الظلام يحجب باقى نور الفجر ومنظر العين تلمع من وراء طحلبها . وقد قصدتها هذه الحمر للشرب في هذا الوقت لا تسمع إلا صخب ضفاضعها وحيتانها . والفرق بين الوصفين أنك تحس في وصف ذى الرمة بمشهد كامل وشخص كأنه واقف يتأمل هذا المشهد بينما لا تحس في وصف البحتري بهذا الانفصال لأن البحتري قدر على أن ينقل لك المشهد وانفعال نفسه به . لقد ولَّد معنى ذى الرمة . وجعل عيسه متحركة تنصل به من دجى الليل . وهذه الحركة كافية في أن تنقل لنا انفعاله ٠

هذا والشاعر الثاني الذى نظر إليه البحتري هنا ِهو الراعي النميري في قوله يصف العيس :

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس إذا أردن نصولا

حيث شبه حركة هامات الإ بل حين ترقل بحركة الفؤوس التى توشك أن تنصل فولَّد البحترى معنى الراعي وجعل النصول للعيس نفسها والله تعالى أعلم ٠

هذا ومن مظاهر انفعاله الخافق . كثرة وصفه لالتماع الأشياء حين تنعكس في شيء آخر كقوله يصف الطيف :

أهوى فأسعف بالتحية خلسة والشمس تلمع في جناح الطائر

فهو هنا يسجل انفعاله بانعكاس ضوء الشمس في جناح الطائر . وهذا كما ترى وقت الشروق قبل أن تظهر الشمس لعينيك فأنت لا ترى الشمس وتظنها لم تشرق بعد . ولكنك إذا نظرت وقد مرَّ طائر محلق في السماء فإنك سترى التماع الشمس في جناحه وهذا من معانى البحتري المبتكرة التى تدل على دقة ملاحظته ؛ ومن الأمثلة أيضا قوله :

هذا الربيع يُسدي من زخـارفـه   وشيـاً يكـاد على الألحاظ يلتهب

نلاحظ هنا أنه يعبر عن انعكاس الأشياء المضيئة في الألحاظ بالالتهاب ، وهو يفعل هذا في غير ما موضع ، كقوله يصف ياقوتة حمراء في يد الخليفة :

اذا التهبت في اللحظ ضاهى ضيـاؤها   جبينك عنـد الجود إذ يتألّق

ففى هذين المثالين يقرن بين شيئين يوحيان بالخفقة السريعة ، وهما اللحظ والالتهاب ٠

ومن آثار هذا في معانى مدحه أنك تجده يخلع على الممدوحين بعض صفات نفسه المنفعلة بالخفقات السريعة كقوله :

رآك إن وقفوا في الأمر تسبقهم   هديا وإن خمدوا في الرأى تلتهب

كأنه هنا يصف نفسه فهو الذى يكره الخمود ويولع بالالتهاب حتى يكاد يلتهب في الرأي ، وكقولـه :

فتى لم يضيّع وجه حزم ولم يبت   يلاحظ أعجـاز الأمور تعقبـا

وكقولـــه :

مأخوذة للأمور أهبته   تسبقهـا قبـل وقتهـا عـدده

يمدحه هنا بالتيقظ للأمور ومهاجمتها قبل وقتها ، وهو هنا كأنَّه يتحدث عن نفسه فهو الذى ينفعل بالأشياء قبل اكتمال ظهورها ، كلمعة الماء من وراء الطحلب ولمعة الضياء من وراء الحجب ، بل إن نفسه لتنفعل بجذوة الثورة وهي في نفوس أصحابها ويكاد يسمع جلبتها في خفوتها ، استمع اليه رحمة الله عليه إذ يقول :

تـشوَّف أهـل الـغرب فارم بـعزمة   إلى إرم إذ مانـعـت وعـمادِها
لـتسكـن ضوضاء العَريش وتنتهي   فـلسطون عـن عـصيانـها وعـنادها
فكم ثَمَّ من إجلابة تحت خفتة   ومـن جـمرة مـخـبوءة في رمادها

إنه هنا ينبه على الفتنة وهى لاتزال في نفوس أصحابها ، سبحان الله كأنَّ أبا عبادة في بعض كلامه يتكلم عن فلسطين اليوم ، إن في كلامه حيوية لا يحسنها ذوو الكلام الركيك ممن يزعمون أنفسهم مجددين في الشعر ٠ نعم يا أبا عبادة قل ، فلن تسكن ضوضاء العريش ، ولن تنتهى فلسطين عن عصيانها وعنادها حتى يعود القدس الشريف إلينا وحتى تنتصر الثورة الفلسطية ياقومنا الفلسطية أفصح من قولكم الفلسطينية فلا تتركوا الأفصح إلى غيره نصركم

نعود بعد هذا الاستطراد إلى وصف أبى عبادة لنورد مثالا آخر من بديع كلامه في هذا المضمار إذ يصف فيه انعكاس المعانى والمحسوسات وذلك حين يقول :

ووجـــه رق ماء الـــجود فـــيـــه   على الـعرنـيـن والـخدّ الأسـيـلِ
يريـــك تألُّـــقُ المـــعروف فـــيـــه   شعاع الشمس في السيف الصقيل

لقد أرانا أبو عبادة الجود وهو من المعانى التى لا تحس متألقا يشع من وجه الممدوح المضيىء . وأما قوله شعاع الشمس في السيف الصقيل فإنه عَوذْةُ كلامه كما كان يقول الثعالبىُّ وفيه كما ترى وصف التماع شعاع الشمس الخافق منعكساً في التماع السيف الصقيل وهذا تشبيه رائع أُعْجِب به الشاعر الشامى المشهور السرى الرفَّاء فأخذه من بيت البحترىّ وذلك في قوله :

أتتك يجول ماء الطبع فيها   مجال الماء في السيف الصقيل

لقد رام السرىّ مراماً صعباً فأخذ الماء والسيف الصقيل ولكنَّه لم يستطع أن يأخذ من بيت البحترى تألقه ولا التماع الشعاع فيه ؛ مسكين أنت أيها السرىُّ فقد أتعبك شعر البحترى وصدق عليك قوله :

سوائر شعر جـــامع بدد العلى   تعلقن من قبلى وأتعبن من بعدي

إن شعر أبى عبادة فرس أرِنٌ لا يتعب ولا يلْغب وبعض الشعر يتعب ويلغب ، كما قال هو عن قصائده :

بـلـغـن الأرض لـم يـلـغـبـن فـيـهـا   وبـعـض الـشـعر يدركـه الـلـغوب

هذا وقريب مما تقدم قول البحتريّ :

يـجـلّـي سدفة الـهـيـجا بوجـه   يـضـيىء على الـعـيون ويـسـتـنـير
إذا لـمـعـت بوادي الـبـشر فـيـه   رأيـت الماء يـلـبـسـه الـصـبـير

ولا نغالى إذا قلنا إن شعر البحترى كله بريق ولمح ولمع ومن هنا كان الشعر عنده لمحاً كما قال :

والشعر لمح تكفي إشـــارته   وليس بالهذر طُوّلت خطبـــه

هذا وكان البحتري يجيد وصف آثار الذعر . كقوله يصف السحاب :

صخب العشيِّ إذا تألق برقه   ذَعَرَ الأجادلَ في السماء حفيفه

سجل هنا رعشات الذعر التى تصيب قلوب الأجادل من حفيف هذا السحاب الذى جعله كأنَّه أجدل كبير أو رُخٌّ أخافها وكأنَّ هذا من قول علقمة الفحل :

كأنهم صابت عليهمْ سحابة   صواعقهـــا لطيرهن دبيب

كما كان البحتري يجيد وصف التلفت وفي التلفت حركات وخفقات . مثل قوله :

ولما خطونـــا دجلـــة انصرم الهوى   فلم يبق إلا لفتـــة المتذكر

إذ تحس فيه خفقة اللفتة التى يبعثها التذكر وحسبك في هذا قوله :

نظرت وضمَّت جانبىَّ التفاتة ... وما التفت المشتـاق إلا لينْظُرا

هذه خفقة انتظمت الجسم كله ومن هذا أيضا قوله :

اذا انصرفت يومـا بعطفيه لفتةٌ ... رأيت هوى نفس بطيىء نزوعهـا

ونُنَبِّهُ هنا على موضع التاء في لفتة وفي التفاتة . اذ أن البحتري مولع بهذا وبخاصة في المصادر . كما رأينا فيما سبق في قوله : إجلابة . وكما في قوله :

إمَّا تعذَّرَ نائل من منعم ... لم أنصرف عنه انصرافة عاتب

حيث ذكر الهاء في المصدر وهو انصراف فقال انصرافة وكقوله :

أمَدّ الرجال لبثه حين يرتىء ... وأسرعهم إمضاءة حين يعزم

وقولـــــه :

فما تزيد على إلمامة خُلْسُ ... بأحمد بن علّى ثم تنقلب

وقد لاحظ المعري هذا وجعله من خصائص شاعرنا حيث يقول (١) : « أبو عبادة يدخل الهاء على المصادر كثيراً وقلما يوجد ذلك في أشعار المحدثين . وإدخال الهاء على المصادر عريق فصيح » ا هـ .

ونحن نميل إلى تفسير هذه الظاهرة بما يدخلها في حاقّ عناية البحتري بوصف الانفعالات الخافقة السريعة . إذ في المصدر ذي الهاء ما يوحي بالسرعة كأنه أخذ جزء منه وهو دلالته على المرَّة وسيتضح لك هذا إذا رجعت إلى الأمثلة السابقة أو إلى غيرها من كلامه . وارجع على سبيل المثال إلى قوله :

نظرت وضَحت جانبىَّ التفاتة الخ .

لترى أثر التاء في سرعة الالتفاتة بخلاف ما لو جاء المصدر بغير تاء فقيل : التفات .

و بعـــد .

أيها القارئ الكريم . هذه هى شاعرية البحترى تجلت في أنغامه المطربة وانفعالاته الخافقة . فكان حقا كما قال ابن الأثير عنه (٢) :

« وأما أبو عبادة فإنَّه أحسن سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنَّى » .

هذا وآمل أن أوفق لإكمال هذا الموضوع في مقالة أخرى أتحدث فيها عن طيفه . وحسن سبكه ورصفـه . والله الموفق .

---

(١) عبث الـوليـد .

(٢) المثل الســائر .



أختي العزيزة هـل

لقد أرسلت إليك قبل هذه الرسالة رسائل ثلاثا حدثتك فيها عن أربع صيغ من الصيغ التى أدخل فيها على « لـم » النافية الجازمة للفعل المضارع . وها أنا ذي اليوم محدثتك عن الصيغة الخامسة « ألـم يروا أن ... »

فى هذه الصيغة ترينني أنا همزة الاستفهام قد دخلت على « لـم » النافية الجازمة لمضارع « رأى » مسندا إلى ما يدل على جمع هو واو الجماعة . يليه « أنَّ » المفتوحة الهمزة المشددة النون . وقد جاءت هذه الصيغة في إحدى عشرة آية :

١ ـ الآية الأولى قوله تعالى : **(واتخذ قوم موسى من بعده من حليّهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)** الآية (١٤٨) من سورة الأعراف

٢ ـ الآية الثانية قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب)** الآية (٤١) من سورة الرعد

٣ ـ الآية الثالثة قوله تعالى : **(أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا)** الآية (٩٩) من سورة الإسراء .

٤ ـ الآية الرابعة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)** . الآية (٨٦) من سورة النمل .

٥ ـ الآية الخامسة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون)** الآية (٦٧) من سورة العنكبوت .

٦ ـ الآية السادسة قوله تعالى : **(أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون)** . الآية (٣٧) من سورة الروم .

٧ ـ الآية السابعة قوله تعالى : **(ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)** . الآية (٢٠) من سورة لقمان .

٨ ـ الآية الثامنة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)** . الآية (٢٧) من سورة السجدة .

٩ ـ الآية التاسعة قوله تعالى : **(أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون)** . الآية (٧١) من سورة ياسين .

١٠ ـ الآية العاشرة قوله تعالى : **(فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون)** . الآية (١٥) من سورة فصلت .

١١ ـ الآية الحادية عشرة قوله تعالى : **(أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير)** . الآية (٣٣) من سورة الأحقاف .

وقد جاءت هذه الصيغة أيضا وقد أسند فيها مضارع « رأى » إلى ما يدل على جمع هو اسم الموصول (الذين) فى قوله تعالى : **(أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)** . الآية (٣٠) من سورة الأنبياء .

وقد جاءت هذه الصيغة أيضا وقد أسند فيها مضارع « رأى » إلى اسم جنس يفيد العموم بسبب اقترانه بـ (أل) الجنسية وهو (الانسان) (١) فى قوله تعالى : **(أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين)** . الآية (٧٧) من سورة ياسين .

وعلى هذا تكون هذه الصيغة قد جاءت فى ثلاث عشرة آية .

هذه الآيات الكريمة الثلاث عشرة المتقدمة منها ما يتضمن بعض آثار قدرته سبحانه

وتعالى الدالة على أنه واحد لا شريك له . ومنها ما يرد على منكري البعث ويقيم الدليل على قدرته تعالى على أن يحيى الناس مرة ثانية يوم القيامة . ومنها ما يذكر أنواعا من النعم تفضل الله بها على عباده . وفى الآية الأولى ذكر تعالى قوم موسى الذين اتخذوا عجلا صنعوه من الحلي بأيديهم إلهاً وكانوا ظالمين .

ومعنى همزة الاستفهام فى هذه الصيغة الواردة فى الآيات الثلاث عشرة المتقدمة ، معناها الإنكار والتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على الكافرين ويوبخهم ألاّ يروا رؤية تدبر وتبصر ما تضمنته هذه الآيات من آثار قدرته تعالى التي تؤدي إلى الإيمان بأنه واحد لا شريك له .

وينكر عليهم سبحانه وتعالى ويوبخهم ألاّ يروا ما تضمنته من أدلة تؤدي إلى الإيمان بقدرته تعالى على أن يبعث الموتى وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن وخلق هؤلاء المنكرين أنفسهم من نطفة .

وينكر عليهم سبحانه وتعالى ويوبخهم ألاّ يروا ما تضمنته من نعم توجب على هؤلاء المنعم عليهم **(لو كانوا يبصرون)** أن يشكروا الله عليها وأن يخلصوا العبادة له وحده .

وفى الآية الأولى ينكر الله سبحانه وتعالى على الذين اتخذوا العجل إلهاً أن لم يروا الرؤية التى ترشدهم إلى أنه لا يصلح أن يكون إلهاً . ويوبخهم على ذلك .

والإنكار هنا بمعنى لا ينبغي . ويجيء أحيانا فى غير هذا الموضع بمعنى النفي المحض .

والفعل المضارع فى صيغة الاستفهام هذه (ألم يروا أن ...) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون . وواو الجماعة ضمير مبني على السكون فى محل رفع فاعل . والفعل المضارع فى (أو لم ير الذين ...) مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الألف والذين اسم موصول مبني على الفتح فى محل رفع فاعل .

و (يـر) فى هذه الصيغة بمعنى يعلم فهي تتعدى إلى مفعولين . و (أنَّ) من نواسخ المبتدأ والخبر تنصب الأول وترفع الثاني وهى حرف مصدري تؤوّل هي وخبرها بمصدر فى محل نصب يسدّ مسدّ مفعولي (يـرَ) فى هذه الصيغة . و (أنَّ) فوق هذا وذاك حرف توكيد . تؤكد مضمون جملتها . ومضمون الجمل التى أكدتها في الآيات السابقة جدير بالتوكيد ، لأنها ما عدا الآية الأولى أخبار عن الله سبحانه وتعالى . فجاء توكيدها اهتماما بما تضمنته ومزيد عناية به .

أما في آية قوم موسى الذين اتخذوا العجل إلهاً فقد جاء التوكيد لتنزيلهم منزلة المنكرين • والواو الواقعة بين همزة الاستفهام و (لـم) عاطفة على ما قبل الهمزة . وهذا رأى سيبويه والجمهور . وزعم الزمخشرى أنها عاطفة على فعل مقدر بين الهمزة والواو . وأبو السعود فى تفسيره ممن يرون رأي الزمخشري فى هذه المسألة . وربما كان أكثر المفسرين عناية بتقدير المعطوف عليه لكل واو أو فاء تجيء بعد همزة الاستفهام . وقد قدّر المعطوف عليه فى الآية التاسعة من الآيات المتقدمة الذكر **(ألم يتفكروا أو لم يلاحظوا)** (٢) • وقدره فى الآية العاشرة من هذه الآيات : **(أغفلوا أو ألم ينظروا)** (٣) •

ولعلك تلاحظين أيتها الأخت أن هذه التقديرات للمعطوف عليه لا يتطلبها معنى ولا سياق ولا أسلوب . وإنما هي تكلف يدل على ما في هذا الرأي من ضعف . وقد ذكر ابن هشام في كتابه مغني اللبيب أوجه الضعف فى رأي الزمخشري هذا (٤) وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى الرسالة الثالثة من هذه الرسائل •

أختى الكريمة « هـل »

أنتقل بك الآن إلى الصيغة السادسة من الصيغ التى أدخل فيها أنا همزة الاستفهام على « لـم » النافية الجازمة لمضارع « رأى » وهى : « ألم يروا كيف ... » وقد جاءت هذه الصيغة فى آيتين :

الآية الأولى قوله تعالى : **(أو لم يروا كيف يُبْدِىءُ الله الخلق ثم يُعيده إن ذلك على الله يسير)** • الآية (١٩) من سورة العنكبوت •

الآية الثانية قوله تعالى : **(ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)** • الآيتان (١٥ ـ ١٦) من سورة نوح •

وتتضمن هاتان الآيتان الصورة البديعة التى خلق الله عليها الانسان أول مرة بعد أن لم يكن شيئا مذكورا . وخلق عليها السموات السبع وما فيهن . تلك الصورة التى رآها المشركون وكان ينبغي أن تدلهم على أن الذى خلق هذه الأشياء على هذه الصورة الرائعة البديعة قادر على أن يعيد خلقهم مرة ثانية بعد الموت وأن ذلك عليه يسير • فليس لهم من عذر بعد أن رأوا ما رأوا أن ينكروا البعث وأن يكذبوا الرسل •

وهمزة الاستفهام فى هذه الصيغة معناها الإنكار أي النفي . وقد دخلت على حرف النفي « لـم » فتكون قد نفت النفي . ونفي النفي إثبات . أي قد رأوا ذلك وعلموه •

وهذا معنى قولهم الاستفهام للتقرير أي تثبيت المنفي بـ « لـم » وتثبيت المنفي بـ (لـم) معناه : قد رأوا ذلك وعلموه . فقولنا الهمزة لإنكار النفي وقولنا الاستفهام للتقرير معناهما واحد وهو الإخبار بما ولي حرف النفي على جهة الإثبات .

وهمزة الاستفهام هنا فى هذه الصيغة تفيد التوبيخ أيضا . يوبخ الله سبحانه وتعالى هؤلاء المشركين على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله فيما يرونه من خلق أنفسهم والأشياء التى تحيط بهم .

ولقد مر إعراب (أو لم يروا) أكثر من مرة . و (يروا) بمعنى يعلموا فهو فعل متعد إلى مفعولين ولكنه معلق عن العمل فى مفعوليه . والذى علقه عن العمل اسم الاستفهام (كيف) . و (كيف) اسم استفهام مبني على الفتح فى محل نصب على الحال من مفعول الفعل الذى بعده . و (كيف) وجملتها في محل نصب سدّت مسد مفعولي فعل (يروا) .

أختى الكريمة « هـل » :

لم يبق فى هذه الرسالة شيء أكتبه إليك سوى الصيغة السابعة . وهى الصيغة الأخيرة من هذه الصيغ التى أدخل فيها على « لـم » النافية الجازمة لمضارع « رأى » . وهذه الصيغة هي : (ألم يروا كم ...) . وقد جاءت فى آيتين اثنتين :

الآية الأولى قوله تعالى : **(ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشانا من بعدهم قرنا آخرين) . الآية (٦) من سورة الأنعام .**

والآية الثانية قوله تعالى : **(ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون) .** الآية (٣١) من سورة ياسين .

تتضمن هاتان الآيتان أن أهل مكة قد علموا أنه تعالى قد أهلك قبلهم كثيرا من الأمم بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل . وكانوا أشد منهم قوة وأكثر جمعا للأموال وخصبا فى الأرض ورفاها فى العيش . أهلكهم ولم يُبق منهم أحدا . وأنشأ بعد المهلكين أمما أخرى تعمر أرضهم وديارهم .

فليحذر أهل مكة أن يصيبهم من العذاب ما أصاب المكذبين بالرسل من قبل .

وهمزة الاستفهام فى هذه الصيغة وفى هاتين الآيتين معناها الإنكار أي النفي ، وقد دخلت على نفي فأبطلته فأصبح الكلام مثبتا . والمعنى قد علم هؤلاء الكفار أننا أهلكنا قبلهم كثيرا من الأمم .

ومن العلماء من يقول بدلا من هذا : الاستفهام هنا معناه التقرير أي الإيجاب ، والمعنى : قد علم هؤلاء الكفار ... الخ .

والقولان معناهما واحد كما تقدم فى الصيغة السادسة .

وهمزة الاستفهام هنا فى هاتين الآيتين تفيد التوبيخ أيضا . يوبخ الله سبحانه وتعالى أهل مكة أن لم يروا رؤية تبصر واعتبار واتعاظ ما أصاب كثيرا من الأمم قبلهم من إهلاك وتعذيب وتدمير من جراء كفرهم وتكذيبهم الرسل . وقد كان مَن قبلهم أشد منهم قوة وأكثر مالا وأوسع نعمة .

وإعراب (ألم يروا) قد تقدم أكثر من مرة . والرؤية هنا علمية (فيما أرى وأرجح) و (يروا) بمعنى يعلموا . فالفعل متعد إلى مفعولين .

و (كم) فى هاتين الآيتين تكثيرية (فيما أرجح) مبنية على السكون فى محل نصب مفعول به مقدم للفعل الذى بعدها وهو أهلك .

و (كم) - وإن كانت تكثيرية - معلقة لفعل الرؤية عن العمل فى مفعوليه . وهذا التعليق باعتبار أصلها وهو الاستفهام (٥) .

وكم مع جملتها فى محل نصب سدّت مسدّ مفعولي (يروا) .

أختى الكريمة « هـل »

يكفيني ويكفيك هذا المقدار من هذه الرسالة . وأسأل الله تعالى أن يعين على رسالة خامسة أكتبها إليك عما قريب . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ...

اختـك

همـزة الاسـتفهام

* المـــراجــــع *

أولا : المراجع التى أشير إليها بالأرقام المسلسلة الواردة فى هذه الرسالة :

١ ـ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٨١ · طبعة الحلبى بمصر ·

٢ ـ تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ١٧٨ · الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ·

٣ ـ تفسير أبى السعود جـ ٨ ص ٨٠ · الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ·

٤ ـ مغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى : جـ ١ ص ٨ : تحقيق الدكتور مازن المبارك وزميله . الناشر : دار الفكر ·

٥ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٢١ · طبعة الحلبى بمصر ·

ثانيا : مراجع صيغ الاستفهام الواردة فى هذه الرسالة :

١ ـ مراجع صيغة : « ألم يروا أن ··· » وهي الصيغة الخامسة :

أ ـ تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى · الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض · جـ ٤ ص ٣٩٢ / جـ ٦ ص ٨٢ / جـ ٦ ص ٣٠٨ / جـ ٧ ص ٣٤٧ / جـ ٧ ص ٤٩٠ ·

ب ـ تفسير أبى السعود · الطبعة السالفة الذكر

جـ ٣ ص ٢٧٢ / جـ ٥ ص ٢٧ / جـ ٦ ص ٦٤ / جـ ٧ ص ٧٣ / جـ ٧ ص ١٧٨ / جـ ٧ ص ١٨٠ / جـ ٨ ص ٨٩ ·

جـ ـ الفتوحات الإلهية المشهورة بحاشية الجمل على الجلالين · طبعة الحلبى بمصر ·
جـ ٢ ص ١٩٢ / جـ ٢ ص ٥١١ / ج ٣ ص ٥٢٥ ·

د ـ تفسير ابن كثير · طبعة الحلبى بمصر · جـ ٢ ص ٢٤٧ ·

هـ ـ تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٥٢٤) الطبعة السالفة الذكر ·

و ـ تفسير الزمخشرى ٠ جـ ٣ ص ٢٢٣ ٠ الطبعة السالفة الذكر ٠

ز ـ تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٢٨١ ٠ الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

٢ ـ مراجع صيغة (ألم يروا كيف ...) وهى الصيغة السادسة ٠

أ ـ تفسير البحر المحيط ٠ جـ ٧ ص ١٤٦ (المؤلف والطبعة السالف ذكرهما) ٠

ب ـ تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ٣٤ الطبعة المتقدمة الذكر

جـ ـ الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٣٧١ الطبعة المتقدمة الذكر

د ـ تفسير القرطبى جـ ١٣ ص ٣٣٦ الطبعة المتقدمة الذكر

٣ ـ مراجع صيغة (ألم يروا كم ...) وهى الصيغة السابعة ٠

أ ـ تفسير البحر المحيط جـ ٤ ص ٧٥ (المؤلف والطبعة السالف ذكرهما) ٠

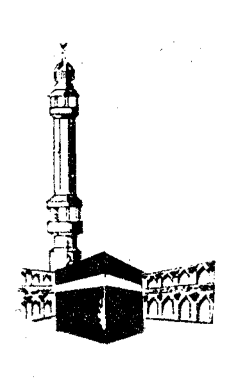
ب ـ تفسير أبى السعود جـ ٣ ص ١١٠ ٠ الطبعة السالفة الذكر

جـ ـ الفتوحات الإلهية جـ ٢ ص ٦ ٠ الطبعة السالفة الذكر

د ـ تفسير الجلالين (هامش الفتوحات الإلهية جـ ٣ ص ٥١١) الطبعة السالفة الذكر ٠

هـ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٢١ ٠

و ـ إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس تحقيق الدكتور زهير غازى زاهد الناشر : مطبعة العانى ـ بغداد ٠



بحث فى صيغة "أفعل"

(بين النحويين واللغويين واستعمالاتها فى العربية)

الحلقة الثانية

لفضيلة الدكتور مصطفى أحمد النماس
المدرس بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

آراء العلماء فى فعل وأفعل بمعنى واحد :

رأى ابن درستويه فى مجىء فعل وأفعل بمعنى واحد وقد أورده السيوطى فى المزهر (١) قال :

قال ابن درستويه فى شرح الفصيح (٢) : لا يكون فعل وأفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد الا أن تجىء ذلك فى لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين . وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة . وعلى ما جرت به عادتها وتعارفها ولم يعرف السامعون تلك العلة فيه والفروق فظنوا أنهما بمعنى واحد وأولوا على العرب هذا التأويل من ذات أنفسهم فان كانوا قد صدقوا فى رواية ذلك عن العرب فقد أخطؤوا عليهم فى تأويلهم ما لا يجوز فى الحكمة وليس يجىء شىء من هذا الباب الا على لغتين متباينتين كما بينا أو يكون على معنيين مختلفين أو تشبيه شىء بشىء على ما شرحناه فى كتابنا الذى ألفناه فى افتراق معنى فعل وأفعل .

---

(١) انظر المزهر جـ ١ ص ٣٨٤ ـ ٣٨٦ . وانظر تصحيح الفصيح جـ ١ ص ١٦٥ تحقيق عبد الله جبورى طبعة بغداد . وقد ذكر هذا الكلام تعقيبا على الامام ثعلب تصحيح الباب الثالث وهو باب فعلت بغير ألف .عند قوله . وأما قوله فى رعد وبرق فى باب فعلت انه يقال فيه أرعد وأبرق فان لكل واحد من هذين معنى يخصه ... الخ .

(٢) فى تصحيح الفصيح اتمام للكلام هو : الهمزة التى تدخل لنقل الفعل الذى على فعُل فيجعل على أفعل نحو كرم وأكرم وحسن وحسن .

ومن ههنا يجب أن يتعرف ذلك وأن قول ثعلب : وقفت الدابة ووقفت أنا ، ووقفت وقفا للمساكين لا يجوز أن يكون الفعل اللازم من هذا النحو ، والمجاوز على لفظ واحد فى النظر والقياس لما فى ذلك من الإلباس ، وليس إدخال الإلباس فى الكلام من الحكمة والصواب ، وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم ، وانما اللغة موضوعة للإبانة عن المعانى ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد للآخر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل ، كما يجيء فعل وأفعل فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين وان اتفق اللفظان ، والسماع فى ذلك صحيح من العرب فالتأويل عليهم خطأ وانما يجيء ذلك فى لغتين متباينتين ، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ وذلك ان الفعل الذى لا يتعدى فاعله إذا احتيج الى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذى هو عليه حتى يغير إلى لفظ آخر إما بأن يزاد فى أوله الهمزة (١) أو يوصل به حرف جر بعد تمامه ليستدل السامع على اختلاف المعنيين الا انه ربما كثر استعمال بعض هذا الباب فى كلام العرب حتى يحاولوا تخفيفه فيحذفوا حرف الجر منه كقولهم : كلته ـ وزنته أى كلت له وزنت له فيعرف بطول العادة وكثرة الاستعمال وينوب المفعول واعرابه فيه عن الجار والمجرور المحذوف ، أو يشبه الفعل بفعل آخر متعد على غير لفظه فيجرى مجراه لاتفاقهما فى المعنى كقولهم حبست الدابة وحبست مالا على المساكين .

وقد استقصينا شرح ذلك كله فى كتاب فعلت وأفعلت بحججه ورواية أقاويل العلماء فيه وذكر علله والقياس فيه ١ هـ . وقال فى موضع آخر : أهل اللغة أو عامتهم يزعمون أن فعل وأفعل بهمزة وبغير همزة قد يجيئان لمعنى واحد وان قولهم دير بى وأدير بى من ذلك وهو قول فاسد فى القياس والعقل مخالف للحكمة والصواب ، ولا يجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد الا أن يجيء أحدهما فى لغة قوم والآخر فى لغة غيرهم ، ، كما يجيء فى لغة العرب والعجم أو فى لغة رومية ولغة هندية .

وقد ذكر ثعلب أن أدير بى لغة فأصاب فى ذلك وخالف من يزعم ان فعلت وأفعلت بمعنى واحد . والأصل فى هذا قد درت وهو الفعل اللازم ثم ينقل اما بالباء واما بالألف فيقال : قد دير بى أو أدرت فهذا القياس .

ثم جيء بالباء مع الألف فقيل : قد أدير بى كما قيل قد أُسْرى بى على لغة من قال

---

(١) هناك واما بان يوصل الخ مثل ذهب بغيره . وقام وقام بآخره .

أسرى فى معنى سرى لأن ادخال الألف في أول الفعل والباء في آخره للنقل خطأ إلا أن يكون قد نقل مرتين إحداهما بالألف والآخرى بالباء (١) اهـ ٠

رأى ابن قتيبة :

وقال ابن قتيبة (٢) باب فعلت وأفعلت باتقان معنى ٠

جد فلان فى أمره وأجد . ويقال فلان جاد ومجد . لاق الدواة وألاقها « الفراء » أضاء القمر وضاء وانشد غيره للعباس بن عبد المطلب عم الرسول يمدح النبى صلى الله عليه وسلم ٠

أنت لما ظهرت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق

وقال الفراء أوحى ووحى وأومأ وومأ وقال غيره محصته السوء وأمحصته . وسلكته وأسلكته ٠ قال الله تعالى : « **ما سلككم فى صقر** » ٠

وقال الهذلى :

حتى اذا اسلكوهم فى قتائدة شَلًّا كما تطرد الجَّمالة الشُرُدا

عمر الله بك دارك وأعمرها . أمر الله ما له وآمره . نضر الله وجهك وأنضره . مددت الدواة وأمددتها وأمددته بالرجال لا غير . خلف الله عليك بخير وأخلف . نهج الثوب وأنهج اذا بلى . سكت القوم وأسكتوا . وصمتوا وأصمتوا . خلق الثوب وأخلق . سمح الرجل وأسمح . محّ الكتاب وأمحّ اذا درس . ينعت الثمرة وأينعت . نسل الوبر وأنسل اذا وقع . سندت فى الجبل واسندت . قطرت عليه الماء وأقطرت . خلد الى الأرض وأخلد . نزفت البئر وأنزفتها . جلب الجرح وأجلب اذا صارت عليه جلبة . قدعته وأقدعته . فتنته وأفتنته . ساس الطعام وأساس اذا سوس . وداد وأداد اذا دود . سريت وأسريت . كنبت يداه وأكنبت اذا اشتدت وغلظت . سوءت به ظنا وأسأت الظن . قتر الرجل وأقتر اذا قل ماله . خفقت الأمر وأخفقته وهرقت الماء وأهرقته . زها البسر وأزهى . شنقت القربه وأشنقتها اذا شددت رأسها . قصر عنه وأقصر عنه . زكا الزرع وأزكى الزرع . جمّت الدابة والركية وأجمت . قلته البيع وأقلته . سار الدابة وأسارها . مُطرنا وأمطرنا . وأبو عبيدة يفرق بينهما . غسا الليل يغسو وأغسى إذا ظلم . حشمته وأحشمته . اغضبته ٠ زننت به خيرا وأزننت . جهده السير وأجهده . جرمت

---

(١) قال فى اللسان : أسريت بالألف لغة أهل الحجاز وجاء القرآن العزيز بهما جميعا ٠

(٢) انظر أدب الكتاب لابن قتيبة ص ٣٦٠ دار صادر بيروت ٠

وأجرمت من الجرم . خلا المكان وأخلى . عسرت الرجل وأعسرته اذا طلبت الدين منه على عسرة خفق الطائر بجناحيه وأخفق . سفقت الباب وأسفقته . ثاب جسمه وأثاب . أجرت الغلام وآجرته . ذرت الريح وأذرت . لغطوا وألغطوا . وضجوا وأضجوا .

نبت البقل وأنبت . رجنت الشاه وأرجنت . ثرى الرجل وأثرى اذا أيسر . رجف وأرجف اذا أعيا . سحته الله وأسحته اذا استأصله . وقرىء فيسحتكم وفيسحتكم (بفتح الياء وضمها) . جاح الله ماله وأجاحه . هديت العروس وأهديتها . عرض لك الخير وأعرض حدت لمرأة وأحدت . فرزت الشىء وأفرزته .

عقم الله رحمها وأعقمها . حدق القوم به وأحدقوا . أوخفت الخطمى ووخفته دجنت السماء وأدجنت . جلبوا عليه وأجلبوا اذا صاحوا . لاذوا به وألاذوا وجرته الدواء وأوجرته . صلَّ اللحم وأصل . وخمَ وأخمَ سعرنى شرا وأسعرنى . مهرت المرأة وأمهرتها . شار العسل وأشار . عذر الغلام وأعذره . ضب الرجل وأضب اذا سكت . صددت الرجل وأصددته . صردت السهم وأصردته اذا انفذته . وعيت العلم وأوعيته . وأوعيت الطعام لاغير . وفيت بالعهد وأوفيت به . وأوفيت الكيل لا غير . غللت وأغللت من الغلول . لحدت القبر وألحدته ولحد الرجل فى الدين وألحد . وقرىء يَلحدون يُلحدون (بفتح الياء وضمها) بدأ الله الخلق وأبدأ وقال عز وجل يبدىء ويعيد . بشرت الرجل وأبشرته وبشرت الأديم وأبشرته اذا قشرت ما عليه .

قبل وأقبل ودبر وأدبر . وقح الحافر وأوقح . جهشت فى البكاء وأجهشت . أجمع القوم رأيهم وجمعوا رأيهم . سمل الثوب وأسمل . عصفت القارورة وأعصفتها . حل من إحرامه وأحل . بل من مرضه وأبل أى نجا . ثويت عنده وأثويت . منيت وأمنيت من المنى . مذيت وأمذيت من المذى . طافوا به وأطافوا . حال فى متن فرسه وأحال . صرّ الفرس أذنه وأصر . مر الطعام وأمر . وقعت بالقوم فى القتال وأوقعت . نويت النوى وأنويته . اذا أكلت التمر ورميت بالنوى . غمى عليه وأغمى . مطيت عنده وأمطيت تنحيت . وكذلك مطت غيرى وأمطته هذا قول أبى زيد وقال الأصمعى مطت أنا وأمطيت غيرى لا غير . قمعت الرجل وأقمعته . صعقتهم السماء وأصعقتهم . ألقت عليهم صاعقة . قمسته فى الماء وأقمسته اذا غططته . مضَّنى وأمضَّنى قال الأصمعى أمضنى بالألف ولم يعرف غيره . صليت الشىء فى النار وأصليته نجوت الجلد عن اللحم . وأنجيته اذا قشرته . جننته فى القبر وأجننته . ربعت عليه الحمى وأربعت . وغبت عليه وأغبت . رميت على الخمسين وأرميت زدت . كلأت الناقة وأكلأت إذا أكلت الكلأ . حكمت الفرس وأحكمته . ورسنته وأرسنته . رحبت الدار وأرحبت

اذا اتسعت . جهرت بالقول وأجهرت . خسرت الميزان واخسرته نقصته . حصُر الرجل من الغائط وأُحصر . صقعت الأرض وأصقعت من الصقيع . عَندَ العِرقْ وأعند اذا سال وأكثر . لخيت الغلام وألخيته اذا أوجرته الدواء . فرشته فراشا وأفرشته . صرَّت إلَّى رأسه وأصرته اذا املته ضنأت المرأة وأضنأت اذا كثر ولدها . هلكت الشيء وأهلكته . • قال العجاج : ومهمه هالكٍ مَنَ تَعرَّجا بمعنى مهلك هذا قول أبو عبيد وقال غيره أى هالك المتعرجين أى من عرج فيه واحتبس هلك •

جذا الشيء وأجذى اذا ثبت قائما . زلت الشيء وأزلته . رفل من مشيته وأرفل . وضعت فى مالى وأوضعت . ووكست وأوكست . زحفت فى المشى وأزحفت اعييت . أويته وآويته . وأويت إلى فلان مقصور لا غير . حلت فى ظهر دابتى وأحلت اذا وثبت عليه . حشت عليه الصيد وأوحشت . قصرنا . واقصرنا من قصر العشىّ •

وكف البيت وأوكف . خطل فى كلامه وأخطل . حاك فيه القول وأحاك أى نجح . غمدت سيفى وأغمدته . رشّت السماء وأرشَّت . وطشَّت وأطشَّت . هلت عليه التراب وأهلت . نار الشيء وأنار . خذ ما طف لك وأطف . شمس يوما وأشمس . حالت الدار وأحالت مِنَ الحول . وبان وأبان . حضرت حتى عنت وأعينت أى بلغت العيون . طلق يده بالخير وأطلق رملت الحصير وأرملته . وسففته وأسففته نسجته . بر الله حجك وأبره . وسعده الله وأسعده ونعشه الله وأنعشه . قطبت الشراب وأقطبته فرجته . شظظت الوعاء وأشظظته من الشظاظ . رجعت يدى وأرجعتها . لمحته وألمحته . تبله الحب وأتبله . جلا القوم عن الموضع وأجلوا تنحوا عنه . وأجليتهم أنا وجلوتهم •

قال أبو ذؤيب :

فلما جلاها بالأيام تحيرت ثبات عليها ذُلُّها واكتئابها

يعنى مشتار العسل جلاها عن موضعها بالدخان ليشتاره •

لاح الرجل وألاح أى اشفق . سقت اليها الصداق وأسقته . جفلت الريح وأجفلت . خوت النجوم وأخوت اذا سقطت ولم تمطر . غبش الليل وأغبش أظلم . ذرق الطير وأزرق . صم الرجل وأصم . غامت السماء وأغامت . خلف فوه وأخلف . زففت العروس وأزففتها . وعزت اليك فى الأمر وأوعزت . شنقت الناقة وأشنقتها . اذا كففتها بزمامها . وسنفتها وأسنفتها من السناف بقَّت المرأة وأبقَّت كثر ولدها . وقد بقفت يا رجل وأبقفت اذا كثر كلامه .

حرست الناقة وأحرستها اذا سرت عليها حتى تهزل . قحدت الناقة وأقحدت اذا صار مقحادا وهى العظيمة السنام .وهنه الله وأوهنه قال طرفه اننى لست بموهون فقر .

فقال الآخـر :

أقتلت سادتنا بغير دم الا لتوهن آمن العَظْم

صغوت الى الرجل وأصغيت ، ذروت الحب وأذريته الفراء، وجملت الشحم وأجملته أذبته ، نجزت الحاجة وأنجزتها قضيتها ، ركست الشيء وأركسته إذا رددته قال الله تعالى : « والله أركسهم بما كسبوا » يروى فى التفسير ردهم إلى كفرهم ا بن العربى ، مرأنى الطعام وأمرأنى ، وروى لطَّ دون الحق بالباطل وألطَّ ، وقول الناس الالطاط وهو ملط من هذا ، ويروى كفأت الاناءه وأكفيته ، ألفت المكان وآلفته ، ، نكرت القوم وأنكرتهم ، نعم الله بك عينا وأنعم ، جدب الوادى وأجدب ، وخصب وأخصب ، وبأت الأرض وأوبأت ، وحطبت وأحطبت ، وعشبت وأعشبت وبقلت وأبلقت ، وضبعت الناقة وأضبعت اشتهت الفحل ، لحقته والحقته ومنه إن عذابك بالكفار ملحق أى لاحق ، قويت الدار وأقوت ، زكنت الامر وأزكنته ، خطئت وأخطأت .

وقال الله تعالى : « لا يأكله إلا الخاطئون »

وقال الشاعر :

عبادك يخطئون وأنت رب بِكَفَّيك المنايا لا تموت

ردفته وأردفته ، ملح الماء وأملح ، ونتن الشىء وأنتن ، اعورت عينه وعرتها ، دير بالرجل وأدير من دوار الرأس ، مرع الوادى وأمرع ... انتهى كلام ا بن قتيبة .

* * *

قال فى لحن العامة (١) فعل وأفعل : يخلطون بين هذين الوزنين ففى العربية أفعال جاءت على وزن أفعل ينطقونها ثلاثية على فعل فيقولون : ضج القوم ، وحكّنى رأسى وأحس كذا وشرعت الرمح ، وعييت ، وحسن الشىء ومسكت كذا وصح الله بدنك ، وعازنى الشىء وباده الله وخزاه .

---

(١) انظر لحن العامة للدكتور عبد العزيز مطر طبع وزارة الثقافة المصرية ص ٩٤ .

وشبه فلان أباه . وصحت السماء فهى صاحية . وجبرت فلانا على كذا . وفلان يأوى اللصوص ... وكل هذه الأفعال رباعية فى اللغة العربية على أفعل .

وحدث عكس ما سبق أيضا قالوا : أرفدت فلانا وأرسنت الدابة . وأردمت الباب . واسعرهم شرا . وأشملت الريح . وأشغلت فلانا . وأشفاك الله وأصرفته عما أراد . وأعنانى الشىء . وأقلينا ماء . وأقست الشىء وأكريت النهر . وأكببت فلانا على وجهه . وأنعشه الله وأنجع الدواء . وانبذت . وأوقفت دابتى . وأهديت العروس وصواب ذلك كله على وزن فعل لا أفعل وهذا الباب أعنى الخلط بين فعل وأفعل قد شاع من القرن الثالث الهجرى فعالجه ابن السكيت فى اصلاح المنطق (١) وابن قتيبة فى أدب الكاتب (٢) . وثعلب فى الفصيح .

وقد صنفت فى باب (أفعل وفعل) كتب خاصة للأصمعى وأبى عبيد القاسم بن سلام وأبى اسحاق الزجاج (٣) .

***

أفعال ينطقها العامة بالهمز والفصيح بدونه

وقد عقد لها ابن السكيت بابا فى كتابه إصلاح المنطق (٤) .

تقول نعشه الله ينعشه . أى رفعه الله ومنه سمى النعش نعش لارتفاعه ولا يقال أنعشه . ونقول : قد نجع فيه الدواء . وقد نجع فى الدابة العلف ينجع ولا يقال قد أنجع فيه .

ويقال قد نبذت نبيذا وقد نبذت الشىء من يدى اذا ألقيته فقال : أبو محمد انشدنى غير واحد :

نظرت على عنوانه فنبذته كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

ومنه قوله تعالى : « **فنبذوه وراء ظهورهم** » ولا يقال أنبذت نبيذا . وقد شغلته ولا يقال أشغلته .

---

(١) من ص ٢٢٥ الى ص ٢٢٨ . من ٣٣٣ _ ٣٥٣ .

(٢) أبواب فعلت بغير ألف . فعلت وأفعلت . أفعل .

(٣) انظر تاريخ الأدب العربى لبروكمان جـ ٢ ص ١٤٩ .

(٤) انظر إصلاح المنطق ص ٢٥١ باب يتكلم فيه بفعلت مما تغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت .

ويقال سعرهم شرا ولا يقال أسعرهم ، وقد رعبته اذا أفزعته وكذلك رعبت الحوض اذا ملأته وهو مرعوب ·

قال الهذلى أبو خراش

نقاتل جوعهم بمكلّات من الفُرنىّ يرعبها الجميل

ويقال جملت الشحم اذا اذبته وكذلك اجتملت وقال مليح بن الحكم الهذلى :

بذى هيدب أيما الربا تحت ودقة فتروى وأيمـا كـل واد فـيرعب

أيمـا فى معنى أمـا

وقد هزلتُ دابتى وكذلك هزل فى منطقه يهزل هزلا ويقال قد أهزل الناس إذا وقع فى أموالهم الهزال ·

وقد كفأت الاناء فهو مكفوء اذا قلبته ·

ويقال قد قلبت الشىء وأقلبته قلبا ، وقد قلبت الصبيان وصرفتهم بغير ألف ·

وقالوا أقلبت الخبزة إذا نضجت وأنى لها أن تقلب · وقد وقفت دابتى وقد وقفت وقفا للمساكين ، ووقفته على ذنب كله بغير ألف ·

وحكى الكسائى : ما أوقفك ها هنا ؟ أى شىء أوقفك ها هنا ؟ صيرك الى الوقوف ·

قال الأصمعى : جنبت الريح وشملت وقبلت وصبت ودبرت كله بغير ألف ·

ويقال قد برقت السماء وأرعدت وقد برق ورعد اذا تهدد وأوعد ، قال ولم يكن يرى بيت الكميت حجة لانه عنده مولد وهو قوله :

أبرق وأرعد يا يزيد فما وعيدك لى بضائر ·

وحكى أبو عبيدة وأبو عمرو : برق ورعد ، وأبرق وأرعد اذا تهدد وأوعد ، الفراء يقال وعدته خيرا ووعدته شرا باسقاط الألف فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير وعدته وفى الشر أوعدته ، وفى الخير الوعد والعدة وفى الشر الإيعاد والوعيد واذا قالوا أوعدته بالشر أو بكذا اثبتوا الألف مع الياء وأنشد ·

أوعـدنى بالسـجن والأداهـم رجلى ورجلى شثنة المناسم

ويقال قد كببته لوجهه وكب الله الأبعد لوجهه ولا يقال أكب الله ، ويقال قد علفت الدابة وقد رسنتها بغير ألف ٠

وقد حششت بعيرى ، وقد حميت المريض وأحميه حمْيةً وقد حميت أنَفاً ان أفعل كذا وكذا حمية ومحمية إذا أنفت أن تفعله ٠

ويقال : عبته ولا يقال أعبته ، وحدرت السفينة ولا يقال أحدرتها ٠ وعن غير يعقوب حميت المكان وأحْميته أى جعلته حمى لا يقرب ، ومنعت الناس منه وكذلك المسمار وأحميته أنشدنا أبو الحسن ويعقوب وغيره ٠

حمى أحماته فَتُركن قفرا وأحمى ما يليه من الإجام

وقد رفدته ولا يقال أرفدته ٠

وقد عقد لها الزجاج فى كتاب فعلت وأفعلت باب ما تكلم فيه بفعلت دون أفعلت وما اختير فيه فعلت (١) على أفعلت ٠

يقال بهأت به وبهئت به اذا أنست به ... وبردت عينى أبردها ... وبرد الماء حرارة جوفى بردا ... وبحرت اذن الناقة شققتها وبترت الشىء قطعته من أصله ٠

* * *

تنح بالمكان وتنأ به أقام به وتمك السنام إذا ارتفع

* * *

ثنيت الشىء عطفته ، وثلمت الشىء فهو مثلوم ، وثبر الله العدو أهلكه فهو مثبور ، وثروت الرجل اذا كنت اكثر منه مالا وثلجت صدر الرجل اذا أتيته بما يسره وهو حق ٠ وثمأت رأسه بالحجر شدخته ٠

* * *

يقال دمعت العين تدمع ... ودرأته عن الشىء أدراه دفعته ، ودهنت الناقة ودهنت اذا قل لبنها ، ودنأ الرجل يدنأ دناءه ودنوء اذا كان دنيا لا خير فيه ٠

---

(١) انظر الأفعال لابن القطاع ، واصلاح المنطق لابن السكيت وتصحيح الفصيح جـ ١ ص ١٦٣ طبعة بغداد ٠

يقال رعف الرجل من الرُّعاف . ورعبت الرجل أرعبُه ورزأته أرزؤه وزءً أى أصبت منه خيرا ... وربأت القوم أربؤهم اذا كنت لهم طليعة ... ورفأت السفينة رفءً اذا قربتها من الشط ... ورقأت العين اذا جفت دمعها .. ورأيت الشىء إذا أصلحته ... ورأفت الرجل أرأف به اذا رحمته ورأس الرجل القوم صار رئيسهم .

* * *

يقال زريت على الرجل أزرى عليه اذا أعبته . وزرى الرجل وجهه عنى . وزوى الميراث عن الورثة ... وزعيت له من المال زعية أعطيته منه قطعة . وزيده زيدا أعطاه ... وزأدت الرجل دعوته ... وزنأ فى الجبل صعد وزبرت الكتاب كتبته .

* * *

سحوت القرطاس وسحيته قشرته ... وسبيت العدو سبيا وسبأت الخمر شربتها ... وسأبت الرجل خننته ... وسرأت المرأة كثر ولدها ... وسلأت السمن أسلَؤهُ اذا خلصته .

شريت الشىء أشتريته وشريته بعته . وشملت الريح ... وشأوت القوم سبقتهم ... وشفأ الناب طلع .

* * *

صرف الله عنك الأذى ... وصرفت القوم عن الشىء وصرف عن الأمر أعرض عنه ... وصمدت للشىء أصمد له وصبت الريح من الصبا ... وصبأت عن الشىء رجعت عنه وصبا الرجل فى دينه صار صابئاً ... وصبأ الناب طلع وصال الطيب وغيره يصيل بالشىء إذا لزق به .

* * *

ضفا الشىء اذا كثر يضفو ... وضمر الشىء فهو ضامر ... وضفرت الشعر ... وضربت اليه لجأت اليه ... وضامه يضميه اذا ظلمه ... وضبأ الرجل بالمكان اذا اختبأ ضبوءا ... وضلعت مع فلان ملت مَعَه .

* * *

طما الشيء يطمو اذا علا ... وطمأت الشيء واريته ... وطم الشعر جزه ... وطان الكتاب يطينه ختمه بالطين ... وطبأه الى الشيء يطبؤه دعاه اليه ... وطبن له فطن له .... وطببت له صرت طبيبا ... وطببت الطب صرت رفيقا بالشيء فهما به .

***

عبأت الطيب وغيره خلطته ... وعبأت بالشيء باليت به ... وما عبأت بفلان ما باليت ... وعابنى فلان وعبته بغير ألف وعرضت الجيش ... وعلفت الدابة ... وعنانى الأمر يعنينى بغير ألف ... وعززت فلانا بالشر ... وعدا فلان على فلان يعدو اذا ظلمه .

***

غارهم اذا أتاهم بالميره وغار على الشيء غيرة ... وغبنته فى البيع غبنا . وغلت القدر تغلى ... وغثت نفسه تغثي وغبطته أغبطه اذا أحببت أن يكون لك مثل ما له من غير أن يُسلبه .

***

فتأت الرجل عن رأيه أفتوه صرفته عنه ... وكل شيء رددته عنك فقد فتأته عنك .

قال الشاعر :

تغور علينا قدرهم فنديمها وتفتؤها عنا اذا حميتها غلى

وفأوت رأسه شققته وفأيته أيضا ... وفأدت الرجل أصبت فؤاده ... وفرق الرجل بين الشيئين وهو فارق بينهما فرقا ... وفقأت عينه .

***

قاس الرجل الشيء يقيسه ... وقلمت ظفرى ... وقنا للون إذا احمر ... وقلبت الشيء ... وقلبت القوم الى منازلهم وقريت الضيف أطعمته . وقنط الرجل قنوطا اذا استحكم يأسه .

***

كسبت مالا بغير ألف أكسبه ... وكتفت الرجل اكِفه توليت حياطته ... وكرف الحمار

اذا شم البول ورفع رأسه ... وكبا الزند يكبو اذا لم يخرج ناره ... وكفلت الرجل صرت كفيله ، وكعَّ الرجل عن قرنه كبن عنه ... وكلمت الرجل اذا جرحته وكَسأت وسطه قطعته بالسيف ٠

***

لبأت القوم أطعمتهم اللِّبا ... ولطأ الرجل بالأرض لزق بها ... ولمّ الشَّعث أصلحته ... ولبأت اللحم من العظم قشرته ... ولززت الشيء بالشيء ألزقته ... ولددت الصبى صببت الدواء عن جانب فيه ... ولبقت الطعام خلطته ومثله لكته ... ولهف الرجل ولهث ٠

***

مجن الرجل صار ماجنا ... ومأوت بين القوم أفسدت بينهم ... ومأست بينهم مثله ... ومأنت الرجل احتملت مؤنته .... ومريت الشيء مسحته ... ومقرت السمك مقرا جعلته فى الخل ٠

***

نفيت الرجل بغير ألف انفيه ... ونبذت النبيذ اتخذته ... ونبذت الشيء القيته ... ونقل الرجل بين القوم سعىّ بالفساد بينهم وناء الرجل بالحمل ينوء اذا نهض به ... وناء اللحم ينىء اذا لم ينضج فى الطبخ ونسأت الابل فى مشيها تأخرت ... ونبأت من بلد الى بلد خرجت ... ونكأت الجرح ... ونكيت فى العدو ... وما نبس فلان بكلمة أى ما نطق ... ونوى البعير سمن ٠

***

وقفت الدابة والضيعة بغير ألف ... ووصلت بين الشيئين جمعت بين طرفيهما ... وديت الرجل أعطيته ديته ... ووراه الداءُ يريه أفسد جوفه ... ووسمت الدابة وسما ووألت من الشيء نجوت منه ... ووسقت المرأة حملت ... ووسق الابل حملها ... ووشيت الثوب من الوشى وولب الرجل الكلام سلقه وأسرع فيه ... ووقمت العدو قمعته وقهرته ... ووأد الموؤدة دفنها وهى فى الحياة ووترت الرجل فن التِّرة وهى العداوة ... ووصل السيب كثر واتصل ... ووشيت الشيء اذا خرزته ٠

***

هنأته النعمة وهنأنى الأمر ... وهرف القوم بالرجل أفرطوا فى مدحه ... وهرقت الماء صببته ... وهتيت بالرجل اذا دعوته رافعا صوتك ... وهمدت النار طفئت . وهمد الثوب أخلق ... وهزأت بالرجل وهرئت به سواء ... وهال التراب صبه وهالنى الأمر بغير ألف ... وهجأنى الطعام أشبعنى .

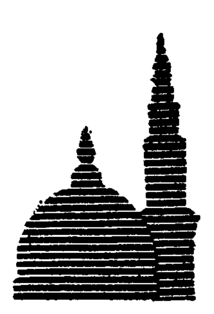
***

يمن الرجل القوم بيمنهُم إذا صار ميمونا عليهم مباركا ... ويعر الجدى يتعر يعارا اذا صاح ... ويسرت بالقداح إذا ضربت بها .

***

أجر العظم اذا جبر على فساد ... وأفل النجم اذا غار وغاب وأبر النخل يأبرها إذا لقحها ... وأدمت الخبز أكلته بإدام وأممت القوم صرت لهم إماما ... وأجن الماء يأجن ويأجن وأسن يأسن ويأسُن إذا تغيرت راحته ... وأطر الرجل الشىء على الشىء اذا ثناه عليه ... وأصر الشىء يأصره اذا عطفه ... وأشر الرجل الشىء بالحديد يأشره ويأشره بالمنشار .

(يتبـــع)





الدكتور: عبد الباسط بدر
الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية بالجامعة

تعد قضية الحداثة من قضايا الشعر العربي الخطرة ، إن لم تكن في عصرنا أخطرها على الاطلاق ، فهي قضية تطوره وتغير مفهومه وطبيعته وعناصره الشكلية والموضوعية .

وقد اكتسبت هذه القضية أهميتها الخطيرة في عصرنا من كونها تحولت إلى مسوغ أساسي لتغير أيٍ من مقومات الشعر ، ولا أستثني من ذلك كيان الشعر كله . وصارت عند بعض المتنطعين غاية وهدفاً .

لأجلها « يُسْتَشهد » بعضهم ، وفي سبيلها يعاني آخرون المتاعب ويعللون فقرهم في الجمهور ، وبسببها يتحمل فريق ثالث لعنات مجتمعه غير مبال بها . فهو ـ كما يزعم ـ يؤصل قواعد الحداثة ويرود التطوير .

وللحداثة قامت صراعات كثيرة بين أجيال متوالية في هذا القرن ، ومازالت تقوم ، تشتد تارة وتهدأ تارة .. وربما تظل كذلك إلى ما شاء الله .

فما الحداثة ؟ ولم صارت شغل النقاد والشعراء ؟ وهل تستند إلى جذور أصيلة في تراثنا الأدبي ؟

هذا ما سأجيب عنه في الصفحات التالية ..

من الحقائق الثابتة أن ظواهر الحياة البشرية ، المادية والفنية ، تخضع لتطور دائم عبر الزمن . ونظرة سريعة إلى أية ظاهرة منها في زمنين متباعدين تظهر الفروق الكبيرة بين شكل الظاهرة في الزمن الأول وشكلها في الزمن الثاني ، حتى ليصح أن يقال : إن الثابت الوحيد في هذه الظواهر هو التطور .

والشعر ظاهرة فنية عريقة ، صاحبت الحياة البشرية منذ فترة مبكرة من تاريخها ، وستصحبها إلى ما شاء الله ، هذا الشعر لا يخرج عن قانون التطوراً ياً كان زمانه ومكانه ، ولا يمكنه أن يتوقف عن التطور دون أن تتصلب شرايينه وتسكت نبضات الحياة فيه ، فالتطور ـ أو لنقل التغير خشية أن يفهم التطور على أنه الاتجاه نحو الأفضل ـ خيط دقيق يمتد فيه طوال تاريخه ، وقد يدق ويرق في عصر من العصور حتى لا يرى منه إلا أثر بسيط ، ولكنه لا يغيب نهائياً · **والشعر العربي ـ مهما قيل عن ثباته وتطوره ـ لا يخرج عن هذه الحقيقة ·**

وقد أدرك الشعراء العرب هذه الحقيقة منذ القديم ، وكان بعضهم واعياً يحس نبضها في شعره ، كما أدركها عدد من النقاد القدماء ورصدوها بمقاييس مختلفة ، وجعلوها احدى قضايا نقدهم التطبيقي حيناً والتنظيري حيناً آخر ، واتخذها بعضهم مقياساً في تقويم العمل الشعري ·

وفي العصر الحديث تطور قضية الحداثة وتطور مفهومها ، وغَدت صاحبة الدور الأساسي في قيام الاتجاهات الشعرية الجديدة وكسب الأنصار والمؤيدين · ولا بد ـ لتوضيح قضية الحداثة ـ من العودة إلى جذورها ، والمرور بها ـ خطفاً ـ في الشعر القديم ونقده ، تمهيداً لرصدها في العصر الحديث ، والوقوف على بصماتها في الحركات الشعرية المتتالية ، وتطورها بين هذه الحركات ·

الحداثة في الشعر القديم

بلغ الشعر العربي في الفترة التي نعرفها عن العصر الجاهلي ـ درجة عالية من النضج ، وتنبئنا الصورة التي وصلتنا عنه أنه حصيلة تطورات فنية لا نعرفها ، وأن قواعده بلغت درجة من الاستقرار جعلت الشعراء يخضعون لها حقبة طويلة من الدهر ، ولو كانت بداياته المبكرة (١) مدونة لاستطعنا أن نعرف شكل تطوره واتجاهاته ·

ولا يعني هذا أن الشعر لم يتطور منذ الفترة المعروفة من العصر الجاهلي ، فقد شهد بعض التطور في العصر الأموي ، إذ تغيرت بعض موضوعات الشعر ، وتطور بعضها الآخر ، وظهرت أصداء الحياة الإسلامية في شعر الفتوح وشعر الطوائف السياسية · ولوّن الشعراء الكبار ـ ولا سيما جرير والفرزدق والأخطل ـ قصيدة المديح بألوان جديدة مستمدة من نظرية

---

(١) ثمة اشارات كثيرة إلى بداية الشعر العربي : تربطه بالموسيقى أو بالعمل أو بالعبادة · أنظر عرضا موجزاً لبداية الشعر العربي في الدكتور أحمد كمال زكي : نقد ـ دراسة وتطبيق ٦٥ · دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٧ ·

الدولة الأموية في الخلافة ، ومن الظروف المعيشية آنئذ ، وثبّت جرير ألواناً حديثة من قيم المديح استقاها من الإسلام ، أما الجانب الفني في القصيدة فالتجديد فيها قليل الشأن إذ بقيت هندسة القصيدة على حالها ، وظلت وسائل التصوير بمستواها القديم وطريقتها القديمة ، ولم يتطور القاموس الشعري إلا عند الشعراء الغزليين كعمر بن أبى ربيعة وكثيّر ، وبقيت الأوزان الشائعة في قصائد العصر الجاهلي مستعملة بالنسبة نفسها تقريباً في العصر الأموي (١) اللهم إلا المقطوعات التي نظمها عمر بن أبى ربيعة في الغزل على أوزان خفيفة والأدوار التي تغنى بها المغنون ، وإلا المقطوعات التي أنشدها المجاهدون في معارك الفتح ..

وهكذا يمكننا القول : إن ملامح التجديد في العصر الأموي يسيرة وإن أثرها في شكل القصيدة وبنائها الفني محدود ، في حين أنها أكثر وضوحا في موضوعها ومضمونها (٢) ٠

وفي العصر العباسي لا نجد انعطافاً حاداً ، بل نجد تطويراً أوسع من تطوير العصر الأموي يشمل الشكل والمحتوى معاً ، ففي الشكل صفت لغة القصيدة وبلغت درجة عالية من الرشاقة والعذوبة عند عدد من الشعراء ، لتلائم الحياة العباسية الجديدة وتناسب الذوق الموسيقي الشائع ، وكثرت المقطوعات الصغيرة المنظومة على الاوزان الخفيفة والمجزوءة ، واتنعشت بحور كانت ضامرة من قبل كالمضارع والمجتث والمقتضب (٣) ، وظهر المتدارك الذي يقال إن الأخفش استدركه على الخليل ، ولحق القوافي بعض التجديد فظهر المزدوج والمسمط في فترة مبكرة ، ويذكر الجاحظ أن بشاراً كان صاحب مزدوج (٤) ٠ كما نجد في دواوين أبي العتاهية وبشر بن المعتمر وابن المعتز عدة مزدوجات ٠ ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن المزدوج هو الذي رشح لظهور الرباعيات في الشعرين العربي والفارسي (٥) ٠

ولعل أوسع تجديد شعري عرفه العصر العباسي هو التجديد البديعي وقد سماه معظم النقاد القدماء « **شعر المحدثين** » ٠ ويجمع الدارسون ـ قديماً وحديثاً ـ على أن بشار بن برد رائد هذا المذهب ، وأنه كان يحافظ على توازن دقيق بين العناصر الجديدة والعناصر التقليدية ٠ وأن مسلم بن الوليد طور المذهب من بعده وجعل الشعر صنعة مجهدة ، لا بد فيها

---

(١) أنظر : الدكتور ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ١٩٣ ـ ١٩٤ مكتبة الانجلو ١٩٧٢ ٠

(٢) استفدت في عرض ملامح التجديد في العصر الأموي من كتاب الدكتور شوقي ضيف : التطور والتجديد في العصر الأموي ص ٦٠ ـ ١٤٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٩ ٠

(٣) الدكتور ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر العربي ١٩٥ ـ ١٩٦ مكتبة الانجلو ١٩٦٥ ٠

(٤) البيان والتبين ١ : ٩٤ المكتبة التجارية الكبرى ١٩٢٦ م ٠

(٥) الدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ١٩٨ دار المعارف بلا تاريخ ٠

من التريث والتدقيق ، ولا بد فيها أيضا من الصقل والتجويد ، وأن أبا تمام أخذ الشوط من بعدهما فبلغ به الغاية ٠

ويُعَدُّ لمذهب البديع ـ إن صحت تسميته مذهباً ـ قدرته على استيعاب الفلسفة ومعظم جوانب الثقافة الأخرى في العصر العباسي وبراعته في المواءمة بين العناصر الفنية والعناصر الفكرية في القصيدة فالأدوات البديعية من جناس وطباق ومشاكلة ... الخ تمتزج بالفكرة الفلسفية وتخدمها ، والاستعارة تأخذ أطرافاً من المنطق ، والقواعد الفلسفية تؤثر على الصورة الفنية عامة ، وعلى لغة القصيدة ، وتجعل اللون العقلي أقوى من اللون العاطفي ٠ وهذا الضرب من الصناعة الفنية لم يألفه الشعر العربي من قبل ٠

أما محتوى القصيدة فكان متأثراً إلى حد كبير بالحياة الجديدة فى العصر العباسي ، وكان متصلا بالثقافات المنتشرة ٠ وقد لحق موضوعات القصيدة تطور واضح : تطور الغزل وذاعت فيه ضروب من الصراحة المكشوفة ، وظهرت في بعضه دعوة إلى التهتك والخلاعة وانتهاز اللذات ، ومن جهة أخرى ازداد الاهتمام بموضوع الزهد وشاع في عدد من القصائد والمقطوعات ٠ أما قصيدة المدح « الشعر الرسمي » فكان أقل نصيباً في التطور ، لأن الشاعر المداح يحرص على التجديد في مضمون القصيدة دون شكلها غالباً ، ويستخدم كل ما ترفده به الثقافة من معان جديدة لإضفائها على ممدوحه ، وقد جعل البديعيون ـ ولا سيما أبو تمام ـ ألفاظ الثقافة ومعانيها معرضاً للمذهب الجديد ٠

وبوجه عام لم يكن التغيير في الشعر العباسي كبيراً : لم تتغير موضوعاته بل بقيت كما كانت من قبل : المديح والهجاء والرثاء والوصف والغزل ، وقد تجددت هذه الموضوعات دون أن تتغير ، ولم يكن تجديدها جوهرياً ولا مضطرداً ٠ كما لم يتغير في شكله ، بل بقي يعتمد على وحدة الوزن والقافية ، ولم تشع المسمطات والمزدوجات ، ولم تلق تشجيع النقاد آنئذ (١) ٠ ٠

وفي الأندلس : كان الشعر يحتذي خطوات الشعر في المشرق الإسلامي إلى حد كبير ، حتى قال عنه بعض المشرقيين : هذه بضاعتنا ردت إلينا ٠ ولكن القرون الأخيرة من حياة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ولا سيما عصر ملوك الطوائف ، شهد تطويراً أوسع في لغة القصيدة وفي عدد من أدواتها التصويرية ، وشهد انتشار الموشح بأنغامه القوية وألوانه

(١) استفدت في عرض ملامح التطور في العصر العباسي من : الدكتور شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ص ١٥٩ ـ ٢٠٠ ط دار المعارف بمصر بلا تاريخ ـــ والعصر العباسي الثاني ص ٢٠٣ ـ ٢٥٤ ط دار المعارف بمصر ١٩٧٣ م ٠

الموسيقية الجديدة ، وسواء أكانت ولادة الموشح في الشرق على يد ابن المعتز أم كانت في الأندلس على يد شعراء أندلسيين لم يتأثروا بالمشرقيين في توليده · فإن الواضح تماماً أن الموشح نما وتطور في الأندلس وأنه بخصائصه الفنية ومقوماته الأخرى(١) ـ صناعة أندلسية كاملة ·

ولا شك أن الموشح هو أوسع تجديد شكلي عرفه الشعر العربي قبل العصر الحديث · وقد تداوله الشعراء في الأندلس وفي عدد من البلاد الإسلامية الأخرى · وعدوه تلويناً في موسيقى الشعر العربي لا يلغي ما قبله بل يرفده بإضافة جديدة ـ فكتبوا به كما كتبوا بالأوزان الخليلية الأخرى ، ولم يجدوا أي تعارض بينهما ، وسرعان ما طوعوه لأغراض القصيدة كلها ، فكان فيه المديح والوصف والهجاء إضافة إلى موضوعه الأساسي ·

وفيما عدا الموشح في الأندلس ، والتجديد الذي شهده العصر العباسي لا نجد طائلاً ، فقد ضعف الشعر بعد ذلك وأصبح الابتكار فيه ينحدر به درجة بعد أخرى · وشاع التقليد الضعيف ، وغدا الشعراء المتأخرون يستهلكون التراث القديم ويحتالون على ألوان البديع ويملؤون بها شعرهم ، ولكنها ألوان باهتة ليس لها قدرة كبيرة على التعبير وإبداع الجمال · وأسفّت موضوعات معظم القصائد وأصبحت أقرب إلى العبث واللهو ، لذا من العبث أن نبحث عن التجديد والحداثة في تلك الفترة فهو تجديد خير منه العدم (٢) ·

الحداثة في النقد القديم :

على الرغم من أن الحداثة في الشعر القديم لم تكن شيئاً كبيراً ، فإن صداها في النقد كان كبيراً ، أثار خصومة واسعة ، وأنشأ قضية نقدية شغلت النقاد ردحاً من الزمن هي قضية « الحداثة والقدم » ·

وقد ظهرت قضية الحداثة والقدم أول مرة عند النقاد اللغويين ، وكان هؤلاء النقاد يتصدرون ساحة النقد في القرن الثاني الهجري من خلال عملهم في اللغة ، وكانوا يجمعون الشعر القديم ويدونونه ويتخذونه مثالاً للغة الفصيحة الصحيحة · وقد دفعهم اهتمامهم الشديد به إلى منحه هالة من التعظيم واتخاذه نموذجاً أعلى للشعر ·

---

(١) أنظر رصداً لهذه الخصائص والمقومات في المؤلفات القديمة : ابن سناء شاء الملك : دار الطراز في مجمل الموشحات · بتحقيق د · جودة ركابي ١٩٤٩ · وفي المؤلفات الحديثة : د · مصطفى عوض الكريم · فن التوشيح · بيروت ١٩٥٩ ·

(٢) أنظر : الدكتور عمر موسى باشا : أدب الدول المتتابعة الصفحات ٢٢٦ ـ ٧١٠ · دمشق ١٩٦٥ م ·

يروي ابن رشيق أن اللغوي الكبير أبا عمرو بن العلاء كان يقول : « لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته ، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق » (١) . ويقول عنه أيضا : « وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين » (٢) .

وينقل ابن الأثير عنه هذه الرواية : « قال أبو عمرو بن العلاء عن الأخطل : لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية لما فضلت عليه واحداً » (٣) .

وتعرض كتب الأدب والنقد حكايات كثيرة عن ابن الأعرابي والأصمعي وغيرهما من أعلام اللغويين آنئذ . تتشابه كلها في أظهار حماستهم للشعر القديم لأنه قديم فحسب ، منها أن ابن الأعرابي سمع ارجوزة أبي تمام ـ وكان معاصراً له ـ التي مطلعها :

وعاذل عذلته في عذله فظن أنى جاهل من جهله

فاستحسنها وأمر بكتابتها ، ولما عرف أنها لأبي تمام قال : خرّقوه (٤) .

ومنها أن إسحق الموصلي أنشد الأصمعي بيتين يقول فيهما :

هل الى نظرة اليك سبيل فيروى الصدى ويشفى الغليل
ان ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن تحب القليل

فقال الأصمعي : لمن البيتان ؟ قال إسحق : لبعض الأعراب . فقال الأصمعي : هذا هو والله الديباج الخسرواني ، قال إسحق : فإنهما لليلتهما . فقال الأصمعي : لا جرم ، والله إن أثر الصنعة والتكلف باد عليهما (٥) .

هذه الحكايات ـ وأمثالها كثيرة في كتب الأدب والنقد ـ تظهر تعصب اللغويين الشديد للقديم .

وقد نلتمس لهؤلاء اللغويين بعض العذر في أنهم ارتبطوا بقواعد التقنين اللغوي ، فالشعر القديم مقياس القاعدة اللغوية وحجتها ، في حين ان الشعر المعاصر لهم متهم لاحتمال

---

(١) و (٢) ابن رشيق القيرواني : العمدة ١ : ٩١ المكتبة التجارية الكبرى . بتحقيق محي الدين عبد الحميد .
(٣) ابن الأثير : المثل السائر ٤٨٩ مطبعة حجازي بمصر ١٩٣٥ .
(٤) الآمدي : الموازنة ١ : ٢٢ دار المعارف بمصر ٩٦٠ بتحقيق أحمد السيد صقر .
(٥) السابق : ١ : ٢٣ .

وقوع اللحن فيه . الأمر الذي جعلهم يشكلون تياراً مضاداً للحديث والحداثة ، ولكن لا عذر لهم في مخادعة أذواقهم الفنية .

لذا لم يكن من الممكن أن يستمر النقد على مقاييس اللغويين « الاجتماجية » وبدا أن اتجاها مناقضاً سينمو ويأخذ بناصية النقد . ويخبرنا تاريخ النقد العربي أن هذا الاتجاه ظهر على أيدي النقاد المنهجيين الأوائل كابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والآمدي والجرجاني وابن رشيق وسواهم . وقد سعى هؤلاء النقاد لإنصاف الشعر المحدث وإسقاط مبدأ « الأفضلية المطلقة للقديم » فأعلن ابن قتيبة في مقدمة مصنفه الكبير « الشعر والشعراء » أنه يرفض مقياس اللغويين المجحف ، وأنه سيتخذ مقياساً جديداً يقوم على « الجودة الفنية » . قال :

« ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلًا حقه . فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثاله يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بروايته » (١) .

وكذلك فعل النقاد المنهجيون الآخرون ، فقد اتخذوا « الجودة الفنية » مقياساً يحكمون به على الشعر ، لا فرق بين قديمه وحديثه ، ولا ميزة لأحدهما على الآخر ، ولأول مرة يزاحم شعر المحدثين شعر الأقدمين في مصنفات الأدب والشعر وعند الرواة ، ويزيد من هذه المزاحمة ظهور شعراء ذوى مواهب فذة ترفد الرواة والمصنفين بقصائد رائعة كالبحتري وأبي تمام وابن الرومى وأبي العتاهية وأبي فراس والمتنبي وغيرهم .

ويبدو أن هؤلاء المبدعين عكفوا على الشعر القديم فتثقفوا به ثقافة عالية ، ثم أضافوا ثقافة عصرهم . واستخدموا كل ذلك في نسج روائعهم الشعرية ، فنجحوا في شد الأنظار إليهم وأثاروا ضجة واسعة وكتب عنهم النقاد والمصنفون ، فكان هذا سبباً في اشاعة الاهتمام بالشعراء من أبناء العصر نفسه .

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٦ و ٧ دار احياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٦٤ بتحقيق أحمد محمد شاكر .

وقد بلغ الاهتمام درجة جعلت ابن المعتز يصنف كتاباً عن طبقات الشعراء ويقصره على الشعراء المحدثين أبناء عصره ، ويصرح في ثناياه بأن شعر المحدثين أصبح في عصره أكبر مكانة من شعر القدماء ، فيقول :

ولكننا لا نخرج عن شرط الكتاب (الاختصار) لئلا يمله القارىء إذا طال عليه الفن الواحد ، وليحفظ هذه النكت والنوادر والملح ، وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم ، فإن هذا شيء قد كثرت رواية الناس له **فملـــوه** ، وقد قيل : لكل جديد لذة · **والذي يستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم** · فمن هاهنا أخذنا من كل خبر عينه ، ومن كل قلادة حبتها » (١) ·

وهكذا تكشف عبارة ابن المعتز أن الذوق الأدبي في عصره اتجه إلى شعر « المحدثين » وأنه مـلَّ « القديم » لأن العناصر الجديدة في الشعر المحدث أقرب إلى أذواق النقاد والمهتمين بالشعر · ولأن هؤلاء النقاد حكّموا حسهم الجمالي ، وأن التجديد الذي جاء به المحدثون استطاع أن يهزهم ويشد انظارهم ·

ولكن بعض الدارسين في عصرنا ينظر الى هذا النقد نظرة مخالفة ويرى أنه بجملته كان يرجح كفة القديم على المحدث ، وأن النقاد المنهجيين تحيزوا الى القديم على الرغم من اعلانهم الصريح عن تساوي القديم والحديث عندهم وعن خضوعهما لمقياس الجودة الفنية وحسب (٢) · وحجتهم في ذلك أن مقاييس الجودة الفنية التي اتخذوها معياراً للحكم مرتبطة إلى حد كبير بالشعر القديم · وأن شواهدهم على فصاحة اللفظ وروعة التشبيه وحسن الاستعارة ولطف الكناية ... الخ مأخوذة من أبيات متفرقة من الشعر القديم ، وأنهم في تحليلهم لنماذج من الشعر المحدث يرتبطون ـ بشكل ما بنماذج من الشعر القديم ويقيسونها بها ويشبهون جودة هذه بروعة تلك ·

وأجدني أميل إلى هذا الرأي · ويشجعني على ذلك موقف معظم النقاد المنهجيين من حركة البديع في الشعر ، فقد ترددوا في قبولها ، وحاكموها بمقاييس الشعر القديم ، وعدوها خروجاً على عمود الشعر (**٣**)·

وكذلك الحال في موقف النقاد من محاولات التجديد الشكلية ، فقد أهملها معظمهم ، وعدها بعضهم محاولات هزيلة تدل على ضعف الشاعرية ، وهذه صورة أخرى لارتباط المقاييس الفنية ارتباطاً شديداً بأنظمة الشعر القديم ·

---

(١) ابن المعتز : طبقات الشعراء المحدثين ٨٦ دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م ·

(٢) الدكتور محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ١٣٠ دار نهضة مصر بلا تاريخ ·

(٣) أنظر : الدكتور أحمد ابراهيم موسى : الصبغ البديعي في اللغة العربية ٨٢ ـ ١٠١ دار الكاتب العربي ـ القاهرة ١٩٦٦ ·

فا بن رشيق الذي أنصف المحدثين وشعرهم في مثل قوله : فالمولد المحدث على هذا إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب ، على أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة » (١) · نجده بعد ذلك يشكك في المخمسات والمسمطات ، وينسبها إلى ضعف الشاعرية فيقول : « وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون فيها ، ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها ، لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ، ما خلا امرؤ القيس في القصيدة التى نسبت إليه ـ وما أصحها له ـ وبشار بن برد ، قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة ، وبشر بن المعتمر ، فقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة ، ووضع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح ، وقصيدة في سيرة المعتضد ، ركب فيها هذا الطريق ، لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ، ولمراده التوسع في الكلام ، والتملح بأنواع السجع » (٢) ·

مما سبق نصل إلى النتائج التالية :

أولاً : ان مفهوم الحداثة كان عند بعض النقاد لا يتعدى معناه اللغوي البسيط ، أي الشيء الجديد ، وبناء على هذا المفهوم رفض هؤلاء النقاد كل جديد يظهر في عصرهم دون ان يميزوا بين الجديد الذي يحمل سمات فنية جديدة ، والجديد الذي هو نسخة عما قبله ·

ثانيا : ان مفهومها تطور عند نقاد آخرين وأصبح يعني : الجديد الذي يحمل سمات فنية جديدة ، وهذا المفهوم هو أساس مفهوم الحداثة في عصرنا الحاضر بعامة ·

ثالثا : ان النقاد القدماء لم يهتموا بمصادر السمات الفنية الجديدة ، ولم يربطوا بينها وبين الثقافة الوافدة في ذلك العصر ·

رابعاً : ان قضية الحداثة برمتها ـ كانت في النقد القديم ـ قضية مضخمة شغلت جزءاً أكبر من حجمها ، واستهلكت من الجدل والنقاش أضعاف التجديد الذي جاء به المجددون ·

(يتبـــع)

---

(١) العمدة : ١ : ٩ ·

(٢) السابق : ١ : ١٨٢ ·

مِنْ تُرَاثِنَا الشِعْرى

ليزيد بن الحكم

يا بَدْرُ والأمثالُ يَضْـ ... رِبُها لذى اللُّبِّ الحكيمُ
دُمْ للخليلِ بِوُدِّه ... ما خيرُ وُدٍّ لا يَدومُ
واعرِفْ لجارِك حَقَّهُ ... فالحقُّ يعرِفُه الكريمُ
واعلم بأنَّ الضيفَ يو ... ماً سَوفَ يَحْمَدُ أوْ يَلومُ
والناسُ مُبْتَنِيان مَحْمو ... دُ البِناية أوْ ذميمُ

⁂

واعلم بُنَيَّ فإنه ... بالعلمِ يَنْتَفِعُ العليمُ
إنَّ الأمورَ دقيقُها ... مما يَهيجُ له العظيمُ
والتَّبْلُ مِثْلُ الدَّيْنِ تُقْـ ... ـضاهُ وقد يَلوى الغريمُ
والبغْىُ يَصْرَعُ أهلَه ... والظلمُ مرتعهُ وخِيمُ
ولقد يكونُ لك الغريبُ ... أخاً ويَقْطعُكَ الحميمُ
والمرءُ يُكْرَمُ للغنى ... ويُهانُ للعَدَم العديمُ
قد يُقْتِرُ الحولُ التقىّ ... ويُكثِرُ الحَمِقُ الأثيمُ
يُمْلى لذاك وَيبْتلى ... هذا فأيُهما المَضِيمُ
والمرءُ يَبْخَلُ في الحقو ... ق وللكلالة ما يُسِيمُ

ما بخلُ من هو للمنو ... ن وريْبها غرَضٌ رجيمُ
ويرى القرون أمامه ... همدوا كما همد الهشيمُ
وتُخرَّبُ الدنيا فلا ... بؤسٌ يدوم ولا نعيمُ
كل امرىءٍ ستئيم منْـ ... ـهُ العِرْسُ أو منها يئيمُ
ما عِلْمُ ذي وَلِدٍ أيثْكَلُـ ... ـهُ أم الولدُ اليتيمُ
والحربُ صاحبُها الصليـ ... ـب على تلاتِلها العَزُومُ
من لا يَمَلُّ ضِراسها ... ولدى الحقيقةِ لا يَخِيمُ
واعلم بأنَّ الحربَ لا ... يسطيعُها المرِحُ السَّؤومُ
والخيلُ أجودُها المُنا ... هِب عند كبَّتِها الأزُومُ

خيرٌ وشرٌّ

للشيخ محمد المجذوب

يا أيها المغرور في ماله ... ان كنت لا تدري ألا تسأل!
المال خير في يَدَيْ شاكرٍ ... لله لا يطغى ولا يجهل
ويالـه شراً بكف امرىءٍ ... لا يتقي الله ولا يعقل
فليس بالمال يَعزّ الفتى ... ان لم يكن في فضله يؤمل
فكم خسيسٍ لم يزل كلما ... زاد غنى في قومه يسفل
والكلبُ قد يَسمنُ لكنه ... وإنْ علاه الدهن لا يؤكل

رسالة إلى شباب الإسلام

لفضيلة الشيخ محمود محمد سالم
المدرس بكلية اللغة العربية بالجامعة

هنيئاً بني الإسلام عزٌّ وسؤدد … توارثتم المجد الذى يتجدد
وكنتم - ومازلتم - أباةً أعزةً … لغير إله الكون لم تتعبَّدُوا
بكم تزدهى الدنيا ويبقى جمالها … على الدهر لا يبلى ولا يتبددُ
فدينكم التوحيد آمال عالمٍ … تنازع فيه اليوم طاغ وملحدُ
وشرعتكم في الحق والعدل مورد … به يأمن العاني الشقي ويسعد
وماضيكم الزاهي سجل بطولةٍ … ترددها الأيام والدهر يشهد
تقاصر عنها الطامحون إلى العلا … وقصَّر عنها في المفاخر أصيد
بكل مجال في الحياة نماذجُ … من المسلمين الغُرّ تسمو وتخلد
وتبقى على الأيام نوراً وقدوةً … لأهل المعالى نورها متجدد
جهادهم في الله كان - فأينما … تولَّوا فإن الله مولىً ومقصد
وهانت عليهم في الجهاد نفوسهم … فعزوا بأمر الله حين توحّدوا
إذا قيل هبوا للجهاد تواثبوا … أسودا يُخاف الشر منها ويُرْعَدُ
وإن قيل هيا للفلاح تواكبوا … صفوفا لوجه الله تعنو وتسجد
أولئك جند الله حول رسوله … بها ليل ربّاها النبى محمد
يحُفّون بالهادى البشير أحبةً … يطيعونه فيما يقول ويقصد
يفدون بالأرواح من جاء رحمة … من الله يهدي العالمين ويرشد
نبى الهدى والحق كان إمامهم … وكان لهم نعم الإمامُ المسدَّد
فكانوا - كما شاء الإله - أئمة … بهم يرتجى خير الحياة ويُنْشَد
وكانوا شموساً للمعالِي وقادةً … بهم تعمر الدنيا ويصلح مفسد
بهم ولهم دان الوجود فأسسوا … على العدل والتقوى فأعلوا وشيدوا

تساوَوْا فلا الأنسابُ تفرق بينهم ليسفل عبد أو يمجد سَيِّد
هم المثل الأعلى هم النور والهدى هم القدوة المثلى التي تتجسّد

* * *

فإن يُذكَروا يخفقْ فؤادي بحبهم وينطقْ لسانى بالمديح يُرَدَّد
ونحن على ما خلفوا من فضائل نعيش ومن أخلاقهم نتزود
وإن تكن الأيام لم تبق بيننا من العزة القعساء ما نتقلد
فإن الغد المأمول فيكم أحبتي سعيد فلا تأسوا ولا تتنكدوا
ولا تيأسوا أن تستردوا مكانكم إذا كان منكم للشريعة مقصد

* * *

شباب بنى الإسلام آن أوانكم لأن تجهروا بالحق لا تترددوا
فهذا أوان الجد والبذل فانهضوا لما يأمر الباري وللحق فاصمدوا
وضحوا بما ضحى الأوائل منكمُ وجودوا بما جادوا به وتوحدوا
ولله عودوا واستعينوا بعونه يعنكم فإن العود لله أحمد
ولا ترهبوا حزب الشياطين إنه ضعيف وحزب الله أقوى وأرشد
ولا تأمنوا كيد المضلين إنهم عيون على الإسلام في الشرق ترصد
تقُّر عيون الحاقدين بما ترى من الخلف بين المسلمين وتسعد
ويكبتهم أن يجمع الله شملنا على كِلْمة التوحيد فينا تَرَدَّدُ
ويسعدهم أن يبصروا في ديارنا صديقا يواليهم وفِدْماً يُمجِّدُ

* * *

فوا أسفاه !! هل نوالى عدونا وما لبعدو الله إلا المهند
وهل يصبح الإلحاد يوماً حليفنا وما هو إلا مجرم يترصد
وهل ترتجى الصلبان إلا حتوفنا وهل غاب عنا يوم حطين مشهد
وهل صار صهيون ابن عم ليعقنا يواليه دون المسلمين ويحمد
يكال لصهيون المديح وغيره يساء بلا ذنب إليه ويبعد
فكان كأشقاها قدار بن سالف شقيُّ ثمود حين ضلوا وأفسدوا
وقد كذَّبوا آي السماء مضيئة وعابوا نبي الله حين يهدّد
فما هى إلا صيحة بعد رجفة طَوَتْهم فسُوُّوا بالتراب وأخْمِدوا
وإن مصير المجرمين لواحدٌ بمهنم تشويهم وخزي مؤبد

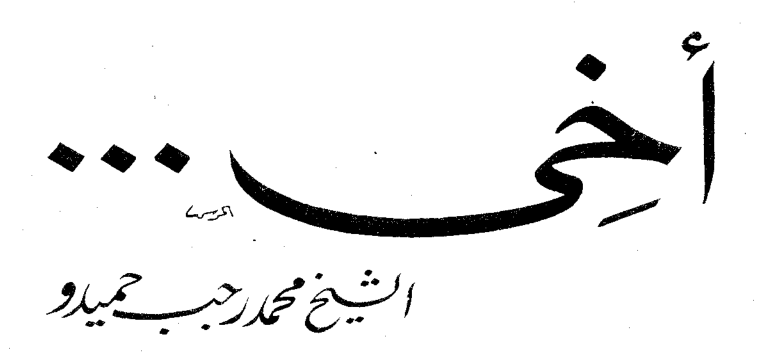
* * *

لقد ضلَّ فينا من أباحوا عدونا ... حمانا ومن مِنَّا إليه تودَّدوا
ومن عجب أن يُحْسَبوا من صفوفنا ... وهم لعدو الله جند مجند
فبين ضلوعى من تخاذلهم أسىً ... وبين نياطي جمرة تتوقد
وما تنتهى شكواي إلا إذا انتهى ... من الأرض طاغوت ومزّق ملحد
وحتى أرى الإسلام لا دين غيره ... يسود ولا صوت سواه يردد
وما ذاك إلا أن نعود لشرعه ... ونرضى بما يرضاه منا محمد
ونصبح جند الله لله أمة ... وللحق نسعى في الحياة وتحفد

* * *

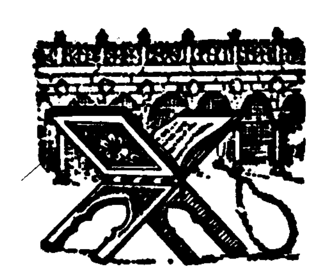
هيا إخوة الإسلام هذى رسالتي ... إليكم يُزَجّيها هوى يتجدد
فأنتم غدُ الإسلام أنتم حماته ... وفيكم ومنكم يشرق اليوم والغد

• • •



أخي في الله في الدين ... أخي في الهند والصين
شكوتُ إليّ من همٍ ... يعذبني ويضنيني
فما يشقيك يؤلمني ... وما يؤذيك يؤذيني
وحتفك يا أخي حتفي ... وما يحييك يحييني
كلانا اليوم مذبوح ... بسيف أو بسكين
فمت موت الرجال ولا ... تمت موت المساكين
ولا تك مطعماً سهلاً ... بأفواه الشياطين
وصبراً يا أخي صبرا ... فإن لعسرنا يسرا
وإن الله مولانا ... سيحدث بعد ذا أمرا
وإن هلالنا ينمو ... ليكمل في الدجى بدرا
وسنة ربنا جعلت ... لكل مقدّر قدرا
فمن ضيق إلى سعة ... ومن عسر إلى لينِ
أخا الإسلام لا تجزع ... فإنَّ الحق لن يُصرع
وإن البغي لن يقوى ... على تقويض ما نصنع
وإيمان الفتى أمضى ... من الصاروخ والمدفع
فلا تخشع لنازلة ... فما آذاك قد ينفع
وإن غامرت في شرف ... فخذ بالأرفع الأرفع
وإلا فاسترح واقعد ... أسير الذّل والهُون
أخي كم عاش طاغيةٌ ... وأعيا الناس داهيةٌ
وكم حكمت أكاسرةٌ ... وكم ملكت أباطرةٌ

وكم عُبدت فراعنةٌ ... وكم ظَلمتْ جبابرةٌ
فأين همُ ؟ لقد ذهبوا ... وما للقوم باقيةٌ
وكأس الموت ياهذا ... على الأحياء دائرةٌ
فمحمول على نعشٍ ... ومستبقىً إلى حينِ
حذار فإنهم شقُّوا ... لنا ياقوم أخدودا
وصار القيد في يدهم ... على الأبرار مشدودا
وصَرْحُ الدين قد أمسى ... بنار الحقد مهدودا
وأغروا كل ساقطة ... فبات العُهْرُ محمودا
فهل في العيش من خيرٍ ... بلا عرض ولا دينِ ؟ !




مع جولات علمية



فى مطار هنغ كنغ :

وكان وصولنا إلى مطار هنغ كنغ فى تمام الساعة الثانية بتوقيت طوكيو ، الواحدة بتوقيت هنغ كنغ ، فكانت مدة الطيران أربع ساعات وكان الاتجاه الى الجنوب الغربى باستمرار .

وعندما دخلنا الى قاعة مبنى المطار بدأنا نحس بأن المعاملة تختلف عن البلدان التى زرناها ، وأصبحت شبيهة بمعاملة الموظفين والعمال فى منطقتنا ؛ فكان العمّال يرمون العفش بعنف ، وبدأ موظفوا الجوازات يدققون ، كما بدأنا نشعر بالخوف من المجرمين الذين يختلسون الجيوب أو يسرقون الأثاث ، الا أن المفتش كان لطيفا معنا فلم يفتح حقائبنا الكبيرة .

شاب صالح فى انتظارنا :

وبعد انهاء الاجراءات خرجنا من الباب المعد لخروج مسافرى الرحلات الخارجية ، فوجدنا شابا ملتحيا بيده ورقة كتب فيها اسمى وعندما رآنا سأل أفيكم الأخ عبد الله قادرى فقلت نعم فأخذ يعانقنا ويرحب ترحيبا عاطفيا ، ومعه شاب من نفس الجزيرة اسمه يوسف كريم ، وهو مسئول عن الطلبة المسلمين فى هنغ كنغ .

وكان الأخ الشاب الباكستانى هو محمد أحمد الذى اتصل به بعض الأخوان من طوكيو عن طريق الهاتف وأخبره بقدومنا ، فأخذ هو وزميله حقائبنا وخرجنا الى الشارع لاستئجار سيارة توصلنا الى الفندق الذى كان الأخ محمد قد حجز لنا فيه حجرة ، وكان المطر منهمرا بغزارة ، كان سحبا كاملة تسقط على الأرض .

والمعمول به في سيارات الأجرة توزيعها تحت اشراف جندى مرور على المسافرين يجب ترتيبهم الأول فالأول ، وجاء دورنا فأخذنا سيارة أوصلتنا الى الفندق .

وصعد بنا الفرّاش الى الحجرة وبعد أن وضع العفش فى الحجرة وقف ينتظر . ولم ندر لماذا ؟ ولكن الأخ محمد أفهمنا أنه يريد شيئا من المال وهذه أول مرة فى رحلتنا يقف الخادم ينتظر منا شيئا من المال . نعم اذا أعطى الخادم فى الغرب مالا يأخذه ويشكرك . ولكنه لا ينتظرك ولا يشير بحركات تدل على أنه يطلب شيئا .

عـــوائـــق :

ومكث الأخ محمد معنا فى الفندق مدة طويلة يشرح لنا أوضاع المسلمين في هذه البلاد . وهو فى غاية السرور لقدومنا وأخلاقه فاضلة . وحماسه للإسلام واضح وتمسكه به كذلك . وأراد أن يرتب لنا لقاء عاما مع من يمكن ابلاغهم من المسلمين الموجودين . ولكن المطر كان غزيرا ومستمرا ليلا ونهارا . اذ كان ذلك موسم الأمطار .

ولذلك لا يدرى ما يفعل . وسألنا عن الوقت الذى يمكن أن نقضيه فسألناه نحن عن الرحلات الجوية هل هى متيسرة فى كل وقت ؟ فقال : هى متيسرة إلا أنها فى هذه الأيام بسبب وجود العواصف تتعطل الرحلات بين وقت وآخر وفى الأسبوع الماضى بقى الركاب لمدة يومين لم يتمكنوا من السفر بسبب ذلك . ولذلك فقد حصلت الآن زحمة فى الرحلات وذكر أنهم يتوقعون عاصفة شديدة يشتد بسببها هياج المحيط وتتعطل الرحلات .

وكنا عازمين على أن نكون فى المملكة من أول يوم من أيام رمضان وكان الزميل الدكتور بيلو يبدى رغبته فى مواصلة السير لارتباطه بنهر النيل من الدلتا الى الأزرق والأبيض وذلك يقتضى منه رحلات أخرى بالاضافة الى قرب وقت عودته الى المدينة .

طلـــب متكـــرر :

لذلك طلبنا من الأخ محمد أحمد أن يحجز لنا يوم الأحد فى أقرب رحلة وواصل معنا الحديث وتمنى أن يوجد فى هذه البلاد من يقوم بارشاد المسلمين وتعليم أولادهم . وذكر أن المسلمين يجتمعون يوم الأحد مع أولادهم على الطعام . ويلعب الأولاد . وبهذا الاجتماع والأكل واللعب يشعرون بارتباطهم بالإسلام . وهذا يقع فى قاعة تابعة لأحد المساجد .

وطلب منا ابلاغ الملك خالد هذه الرغبة . وذكر أنه قد طلب من الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ومن رابطة العالم الاسلامي بعث مرشدين الى هنغ كنغ عندما زار المملكة فى صيف السنة الماضية ١٣٩٧ هـ . عضوا فى ندوة الشباب العالمية .

وذكر أن إمام الحرم المكي . والأخ أحمد توتنجى زارا هذه البلاد واطلعا على حالة المسلمين وحاجتهم ووعدا أنهما سيقدمان تقريرا بذلك . وأنه قد جاءت كتب من المملكة على

أثر ذلك . ولكن الكتب لا تفيد الا قليلا من المسلمين والمهم هو بعث من يدعو الناس وتعليمهم مباشرة .

وقال الأخ محمد : ان عدد المسلمين فى البلاد يبلغ ما بين خمسة وعشرين الفا وخمسين ألفا . وأغلبهم من أهل الصين . وهم المتعلمون (العلم المدنى) والأقليات الأخرى يغلب عليهم الجهل .

وقال الأخ محمد : حبذا لو منحت المملكة المسلمين فى هذه البلاد مدرسة ومدرسين ، وتكون جامعة بين المنهج الإسلامي والمواد المطلوبة هنا .

وذكر أن المدرسة الثانوية التى يدرس فيها الدين عامة . ويدرس فيها شخص واحد مسلم صينى . وهو لا يمثل الإسلام فى سلوكه . وان كان قد تأثر بنصح إمام الحرم وأحمد توتنجى له .

فى مسجد قالــون :

ذهبنا بعد ذلك الى مسجد قالون . وقالون هذه بلدة متصلة بالصين الشعبية . وهى قطعة من أراضيها استأجرتها منها بريطانيا بعد استيلائها على جزيرة هنغ كنغ التى تقع فى جنوب شرقى الصين . وهذا المسجد انشأته بريطانيا للمسلمين من الباكستان عندما استولت على الجزيرة وكانوا فى الجيش .

والمسجد قريب من الفندق الذى نزلنا فيه . وعندما دخلنا المسجد كان قد حان وقت المغرب . فأذن المؤذن . والتقينا بذلك الشيخ الكبير الذى تضرب لحيته فى نصف صدره . طويل القامة . وقور . وفرح بنا أيما فرح حتى لقد اغرورقت عيناه بالدموع . وأراد منا أن نصلى بالناس ولكنا أصررنا على أن يصلى هو . لأنه إمام المسجد . وصلى بنا . وبعد الصلاة جلسنا نتذاكر معه أحوال المسلمين ونتعرف عليه هو . فظهر ان له فى هذا المسجد ستة عشر عاما يسكن فى منزل صغير تابع للمسجد وهو يتكلم باللغة العربية وكان المصلون قليلين بسبب انهمار المطر المستمر . وكان فى تلك اللحظات قد خف قليلا **وأبدى حزنه وأسفه الشديد على الحالة التى يعيشها المسلمون فى هذه البلاد ، وقال إن الدول الإسلامية مسئولة عنا وقد نسيتنا ههنا فلم تبعث لنا من يعلم أبناءنا .**

وهذا المسجد يخشى عليه من السقوط وهو لا يتسع للناس أيام الجمع ولا أيام الأعياد وبدأ الناس يفدون الى المسجد فكان من جاء صلى وجلس معنا وكلهم متفقون على ضرورة بعث من يقوم بدعوة المسلمين وتعليمهم وانشاء مدرسة . ووعدناهم بأننا سنعمل جهدنا فى ابلاغ الجهات المختصة بذلك ورجونا الله لهم التوفيق . كما حرضناهم على بذل - جهدهم فى

الحفاظ على أولادهم وطلبنا من الشيخ الإمام أن يكرس جهوده فى تعليم ابناء المسلمين مبادىء الدين الإسلامي واللغة العربية فى المسجد ٠

ولكنه قال : أبناء المسلمين لا تفيدهم الا مدرسة فيها المواد الإسلامية والمواد الأخرى ٠

بقينا معهم الى أن صلينا العشاء ، ورجعنا الى الفندق ، وذهب الأخ محمد أحمد الى منزله على أن يعود الينا فى الغد ٠

المكالمـة الهاتفيـــة :

وفى هذه الليلة ـ أى ليلة السبت ـ كان الزميل يحاول الاتصال هاتفيا ببعض طلبة الجامعة الإسلامية الباكستانيين فى كراتشى لنشعره بقدومنا حتى يحجز لنا غرفة فى الفندق ، وسيكون وصولنا فى آخر الليل نحتاج الى من يرشدنا ٠

ولكن الاتصال الهاتفى اختلف علينا عن الاتصال الهاتفي من أمريكا ، حيث كنا اذا أردنا أن ننام فى مدينة ديترويت أو انديانا أو لوس انجلس نرفع السماعة وفى خلال دقيقة يكون صاحبنا قد رفع سماعته فى المدينة المنورة ليقول نعم أما هنا فى هنغ كنغ فأمسى الزميل ينتظر ويعاود الاتصال وكانت موظفة الهاتف تسليه بين وقت وآخر تتصل به وتقول له : قريبا تأتى المكالمة ٠

أما أنا فقد سبحت فى بحر نوم عميق هادىء ، والمحيط الهادى حولى فى هياج عنيف فى جزره ومده ، أمواجه تتلاطم والأمطار تنهمر بغزارة طول الليل ٠

وبعد مضى وقت تم الاتصال الهاتفى بكراتشى فوقع الدكتور فى مشكلة ، ان الطالب الذى نريده متأثر وليس قريبا من الهاتف ، والأسرة الموجودة عند الهاتف فى حيرة ، الزميل يتكلم بالعربية أو الانجليزية وهم لا يجيدون الا لغتهم المحلية ويتكلمون فيما بينهم للتشاور فيما يفعلون وهو يظنهم يكلمونه فيكلمهم مرة بالعربية وأخرى بالانجليزية دون جدوى ٠

ولكن موظفة الهاتف فى هنغ كنغ فهمت مشكلته فأنقذته اذ جعلت الاتصال بينه وبين موظف الهاتف فى كراتشى وهو يجيد الانجليزية فسمع كلام الزميل ووعده بنقله الى الاسرة المحتارة وكان ذلك فعلا ٠

وفى يوم السبت الموافق ٢٤ ـ ٨ / ١٣٩٨ هـ تأخر عنا الأخ محمد أحمد بسبب غزارة الأمطار ، وعدم وجود مواصلات بسبب ذلك ٠

المظـــلات :

ثم جاءنا بعد ذلك فى شدة غزارة الأمطار حرصا على لقائنا وعدم التأخر عنا وهو

يحمل ثلاث مظلات ـ لنرفعها فوق رؤسنا للوقاية من المطر عندما نخرج . وخرجنا مع الأخ محمد رافعين مظلاتنا فوق رؤسنا ، والهواء يكاد يأخذها من أيدينا ، وذهبنا الى مضيق من البحر يفصل بين قالون التى نزلنا فيها ، وبين هنغ كنغ ، وهى التى استأجرتها بريطانيا من الصين ، وهى الجزيرة التى استعمرتها بريطانيا وتقع جنوب قالون وبها يسكن الأخ محمد ، وهناك ركبنا زورقا أوصلنا الى الشاطىء الذى تقع عليه الجزيرة .

على قمـــة الجبــل :

وأراد الأخ محمد أن يرينا أحد الأماكن السياحية فى الجزيرة ، فهناك جبل عال يصعد إليه السائحون (الزائرون) ووسيلة النقل سيارة نقل « حافلة » تسير بالكهرباء على الحديد ، مخصصة لذلك الجبل تهبط بقوم وتصعد بآخرين ، وقفنا قليلا واذا الحافلة قد جاءت فركبنا ، وكان صوتها مزعجا وكان طلوعها مخيفا اذ يشعر الإنسان أنها ستسقط على ظهرها ، والبيوت تكتنف الطريق من الجانبين والسكان الذين ركبوا معنا يوقفونها بين لحظة وأخرى فى المكان المناسب لهم . وما كنا نرى البيوت القريبة منا الا بمشقة لان الأمطار الكثيفة تحول بيننا وبين الرؤية ، وعندما وصلنا الى قمة الجبل وجدنا بعض المبانى السياحية وفيها بعض البقالات وبعض الدكاكين ، فأسرعنا بالدخول الى قاعة المبنى المحاط بسور من الزجاج الذى يدفع الرياح الشديدة التى تحمل الأمطار الى الداخل لولا وجوده .

ولم نجد فائدة فى البقاء هناك ، اذ كان المطر ينزل فى هيئة سحب كثيفة فلا يتمكن الانسان من رؤية شيء لذلك فضلنا أن نعود فورا . فأستأجرنا سيارة صغيرة لتوصلنا الى منزل الأخ محمد الذى كان قد أوصى أهله بتهيئة طعام الغداء .

فى منزل الأخ محمد :

وكان السائق يسير بنا فى الطريق الملتوى ، وكان فى بعض الأوقات يدور بنا حول بعض التلال الصغيرة فى الجبال حتى أوصلنا الى منزل الأخ محمد الذى يسكن فى احدى عمارات شركات الكهرباء التى يعمل موظفا فيها والأجرة التى يسلمها للشركة رمزية ، ولكن الأخ محمد كان قد ترك الشركة وعنده مشروع تجارى نأمل أن يحقق به للمسلمين فوائد طيبة .

رجـل عمل ولكنه مـربى :

واستقبلنا أبناء الأخ محمد فى منزله ، فرأينا أثر تربيته فى الأولاد ، فهم فى غاية الأدب ، وذكر أنه قد انتهى من قراءة القرآن بنتاه الكبيرتان وأحد أبنائه وأن الآخر من أبنائه فى طريقه الى اكماله ، كما علمهم بعض مبادىء الإسلام والصلاة وغير ذلك مما يدخل تحت طاقته الثقافية والزمنية .

وهناك لعبة محببة الى قلوب أولاده . وهى فى الواقع ليست لعبة . بل انها رمز تذكارى لما تهفو اليه نفوس المسلمين من كل أقطار الأرض . أنها صورة مجسمة لمبنى الحرم المكي على هيئته الجديدة التى تمت فى العهد السعودى الحاضر فى وسطه الكعبة وفيه بطاريات وشريط تلبية يضغط الولد على الزر فتضىء منارات الحرم وتنطلق التلبية . والأولاد حوله يكادون يطيرون الى بيت الله الحرام الذى كثيرا ما شوقهم اليه أبوهم الذى صارحنا أنه يتمنى أن يحج هو وأسرته وأبوه وأمه ·

وقدم لنا طعام الغداء الخامس من نوعه من حيث الاطمئنان الى حله والثالث من حيث الطهى الشرقى اللذيذ الذى ألفناه · وكان الأول فى بريطانيا فى منزل الأخ محمد أشرف والثانى فى منزل الأخ الدكتور محمود رشدان فى انديانا والثالث فى منزل الأخ الدكتور أحمد العسال فى انديانا والرابع فى منزل الأخ محمد نور السودانى فى شيكاغو وهذا هو الخامس ·

انضمام مظهر السيد الينا :

وبينما كنا نتذاكر فى أمور المسلمين . ويرينا الأخ محمد بعض الكتب الموجودة عنده . بعضها باللغة الانجليزية . وبعضها باللغة الأردية . وغالبها من مؤلفات الأستاذين المودودى والندوى . وبعضها للأستاذ محمد قطب وخليل الحامدى . جاءنا الأخ مظهر السيد مع أسرته التى جاءت لزيارة أسرة الأخ محمد وللبقاء عندها لأن الأخ مظهر أحب أن يرافقنا للاستفادة والمؤانسة . وهو مهندس اذاعي ومن الباكستان أيضا . ويتوقد حماسا للإسلام مثل أخيه محمد والجو بالنسبة للأسرة المسلمة يعتبر خانقا ولذلك ـ فوجود أسرة مسلمة مع مثيلتها يجلب الأنس ·

واصلنا المذاكرة وأكد الأخ مظهر السيد ما طلبه منا الأخ محمد من بعث الدعاة والمعلمين . وبعد ذلك صلينا الظهر والعصر جمع تأخير بالنسبة لنا وخرجنا فودعنا أولاد الأخ محمد وهم يبدون عاطفة جياشة لفراقنا ·

مقارنة بين بيوت الله الواحد وبيوت الشرك الثلاثى :

وذهبنا بعد ذلك الى أحد المساجد فى هنغ كنغ ليرينا الأخوان حالة المساجد فوجدنا بعض النساء يخرجن فرش المسجد المبللة لتجفيفها ويجرفن المياه التى تجمعت فيه . وعندما رأيننا اعتذرن لنا بأننا لا نستطيع الصلاة فى المسجد الآن لحالته التى نراها وكن ظنن أننا جئنا للصلاة فيه ·

ثم ذهبنا لنرى بعض الكنائس القريبة منه لنرى كيف يعتنى بها فى بنائها ونظافتها

ونقارن بينهما . وبعد رؤيتهما **سجلت عندى أنه يجب ابلاغ رابطة العالم الاسلامي خاصة المجلس التأسيسي الأعلى للمساجد الذى يجب أن يوفد الى العالم من يقدم له تقارير عن المساجد وحالتها للقيام ببناء المساجد وتجديد ما يحتاج الى تجديد وبعث الأئمة والمرشدين فى وقت واحد . فالامكانات المادية موجودة ، والدعاة موجودون ، ويمكن الاستفادة من الطلبة الذين يتخرجون فى الجامعة الإسلامية أو من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .**

ومهما قدمنا من مساعدات فى مجال الدعوة والإمامة وغيرها من الشئون الإسلامية فلا فضل لنا فى ذلك الا أداء واجب مفروض من الله الخالق الذى جعلنا خير أمة أخرجت للناس بشروطها .

وكم يبذل المسيحيون من مال ورجال فى مجالات متعددة لا تصل جهودنا الى عشر معشار ما يعملون ، ونحن أهل حق وهم أهل باطل ؟ .

سيل من المطر لا يبقى على وجه الأرض :

ثم ذهبنا بعد ذلك الى السوق لقضاء بعض الحاجات الخفيفة والمطر ينهمر والناس يمشون فى الشوارع وعلى رؤسهم المظلات ولو قعدوا فى بيوتهم انتظارا للصحو لما قضوا حاجاتهم لاستمرار نزول المطر . ومع شدة نزول المطر واستمراره لا تجد فى الشوارع ما يبلل ثوبك . بل كأن المطر لا ينزل الا لتنظيف الشوارع لأن الشوارع شبه مسنمة وبجانبها مجارى تصريف الماء الذى لا يقع فى الشارع الا ليهبط الى المجرى . تذكرت عندئذ كيف تنطفىء سياراتنا فى شوارعنا اذا نزل مطر كثير نسبيا والمطر عندنا نادر فقلت : أما درس مهندسونا فى بلاد الغرب فيكون تخطيطهم مثل هذا ـ التخطيط ؟ .

عدنا بعد ذلك الى الفندق . وتواعدنا على اللقاء غدا الأحد صباحا لنجتمع ببعض المسلمين فى أحد المساجد التى يجتمع فيها المسلمون يوم الأحد من أجل تقديم النصح لهم والأجابة على أسئلتهم .

وفى يوم الأحد ٢٥ / ٨ / ١٣٩٨ هـ . تأخر عنا الأخ محمد أحمد كثيرا . ثم اتصل بنا معتذرا من كثرة الأمطار وعدم وجود مواصلات ووعدنا أنه سيصل فى أقرب وقت ممكن . وجاءنا بعد ذلك . ومعه الأخ مظهر السيد . وقالا : الاجتماع فى المسجد متعذرا لعدم استطاعة الناس الاجتماع فيه من شدة المطر وتفرق أماكنهم .

لذلك نزلنا إلى السوق قليلا ثم ذهبا بنا الى مطعم باكستاني يقدم للمسلمين الطعام الحلال فتناولنا فيه الطعام وكان الأخ مظهر اتصل ببيته فأفاده أهله ان ابنه الصغير سقط من

على السرير وانه ينزف دما ، فهمس للأخ محمد وأخبره بذلك ، فقال له الأخ محمد : يجب أن تذهب لتنظر ما اذا كان يحتاج الى اسعاف فلم يرض فأخبرنا الأخ محمد فألححنا عليه أن يذهب ، وبعد ألحاح ذهب وهو مكره ، لأنه أحب أن يودعنا عند السفر ٠

وأتصل الأخ محمد بأهله وطلب منهم زيارة بيت الأخ سيد لمؤانسة أهله ومساعدتها ان احتاجت ، ثم اتصل بعد ذلك للاطمئنان على صحة الطفل فأفادوه أنه طيب فحمدنا الله على ذلك ٠

سفرنا فى الليل كان اضطرارا :

ثم رجعنا الى الفندق وحاسبنا المسئول فيه واستأجرنا سيارة الى المطار ، وكان ذلك فى الساعة الثامنة مساء ، وهذه أول رحلة لنا يكون سفرنا فيها ليلا اضطرارا خشية عدم تيسر الرحلات فى الأيام التالية كما كانوا يتوقعون ، اذ كانت رحلاتنا كلها فى النهار من أجل التأمل فى الكون الدال على خالقه سبحانه من بحار وأنهار وغابات وقفار وغيرها ٠

وبعد عمل الاجراءات اللازمة ودعنا الأخ محمد أحمد فدخلنا الى الطائرة التى أقلعت فى العاشرة والدقيقة الخامسة والعشرين من مطار هنغ كنغ ٠

فى مطار بانكــوك :

وكانت المحطة الأولى لهذه الرحلة ـ والطائرة سويسرية ـ فى بانكوك عاصمة تايلند وكان هبوط الطائرة فى مطار بانكوك فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين بتوقيت هنغ كنغ فكانت مدة الطيران ساعتين وعشر دقائق ٠

والفرق بين التوقيت المحلى لتايلند والتوقيت المحلى لهنغ كنغ ساعة واحدة ، فكان وقت هبوطنا فى مطار تايلند بتوقيت بانكوك الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين ٠

نزلنا فى مطار بانكوك وأخذنا بطاقة المرور (ترانزيت) وتجولنا قليلا فى قاعات المبنى ثم رجعنا وكانت مدّة الوقوف ساعة تقريبا اذ أقلعت بنا الطائرة فى الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والأربعين الى كراتشى ٠

وكنت متلهفا لرؤية المناظر التى تمر الطائرة فوقها ، وأغلبها جبال وغابات وأنهار حسب معرفتى الجغرافية ، ولكن الله أراد ما أراد ، لذلك سبحت فى بحر النوم فوق تلك الجبال والغابات والحمد لله على راحة أرادها لى هو سبحانه ٠

فى مطار كراتشى :

لم أفق من نومى إلا بالقرب من مطار كراتشى عندما بدأت الطائرة تنزل استعدادا للهبوط ، وكان الهبوط فى مطار كراتشى فى تمام الساعة الخامسة بتوقيت هنغ كنغ . والساعة الثالثة بتوقيت كراتشى ، والفرق بين توقيت هنغ كنغ وتوقيت كراتشى ساعتان ·

بذلك تكون مدة الطيران من هنغ كنغ الى كراتشى ست ساعات تقريبا ·

ودخلنا الى قاعة تسلم الأثاث فى المطار وأخذنا فى الانتظار فكان العمال يأتون بعفش اثنين أو ثلاثة فيشكو الباقون ، وتتصل الموظفة المسئولة بجهاز اللاسلكى الذى بيدها بالجهات المسئولة فيأتى العمال بمثل ذلك ، وهكذا استمر الحال وشبهت حالنا وحال عفشنا بالطفل الذى يجب أن يعطيه الدواء ولى أمره بمقدار معين فى أوقات معينة وكان انتظارنا لا يقل عن ساعتين حتى فرج الله علينا · بمجيء حقائبنا التى كنا نظنها قد ارتفعت بين السماء والأرض فى الطائرة السويسرية وتذكرنا أنا وزميلى ما كان يحصل فى مطارات الغرب حيث كانت حقائبنا فى كثير من الأحيان تسبقنا وتنتظرنا هى · وأخذنا نلتفت يمنة ويسرة لعلنا نرى الأخ خليق أحمد أحد طلبة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية الذى تم الاتصال بأسرته من هنغ كنغ ، وكان الأمل فى لقائه ضعيفا لأن أهله ذكروا أنه مريض ولكن الرجل كان ينتظرنا هو وزميل له من نفس الكلية ووالد زميله وعندما رأونا أسرعوا الينا ، وكان الوقت متأخرا جدا فرحبوا بنا وأخذوا حقائبنا الى الجمرك الذى احترمنا فلم يفتش الحقائب بل أشار عليها وخرجنا ·

فى فندق مهران :

فركبنا فى السيارة التى كانت معهم وأوصلونا الى فندق مهران وتركونا حيث لم يبق على الفجر الا نصف ساعة تقريبا ، ووعدنا الأخ خليق أحمد أن يأتينا غدا ، بل اليوم الاثنين فى الساعة الثانية عشرة لتناول طعام الغداء فى منزل والده · توضأنا وصلينا الفجر ، ثم اسلمنا أنفسنا للنوم الذى أخذ حقه فلم يطلقنا الا عندما قرع الباب الأخ خليق أحمد فى الوقت الذى وعدنا أن يأتينا فيه الساعة الثانية عشرة يوم الاثنين ٢٦ / ٨ / ١٣٩٨ هـ ·

فى منزل مفتى رشيد أحمد :

قمنا توضأنا ولبسنا وذهبنا معه ، وكان وصولنا وقت أذان الظهر دخلنا المسجد الذى يقع بجوار بيت والده ، بل فى داخل الحائط الدائر حول المنزل · وجاء والده واسمه مفتى رشيد أحمد الى المسجد فرحب بنا وأقيمت الصلاة فصلى بالناس إماما ·

ثم قام وطلب منا الدخول معه الى منزله ، فدخلنا فى غرفة الاستقبال التى يجتمع به

فيها تلاميذه وضيوفه . وفيها بعض الكتب من المراجع الاسلامية ومن مؤلفاته وفتاواه · والرجل يحب العزلة الا فى مذاكرة العلم . ويكثر من ذكر الله تعالى فبدأ فى مذاكرة بعض المسائل العلمية . ومنها كيفية تحديد القبلة بمناسبة رحلتنا الطويلة التى كانت حول الأرض فى مشارقها ومغاربها وكذلك تحديد أوقات الصلاة . وتحديد الأهلة . وله إلمام طيب بعلم الفلك وله فى ذلك مؤلفات . تأتيه الفتاوى من داخل باكستان ومن خارجها فيجيب عليها ·

ومن الأمور التى ينتقدها التبكير بصلاة الفجر فى الحرمين الشريفين كما قال : فقلت له : اننا نصلى فى المسجد النبوى . ونخرج والصبح مسفر جدا أما فى المسجد الحرام فلم أنتبه له . وهو ينتقد تقويم أم القرى ويرى أنه مأخوذ عن تقويم أجنبى غير سليم ولذلك لا بد من اعادة النظر فى ذلك ·

وكان من الحاضرين فى مجلس الشيخ الأستاذ محمود أمين عام دار العلوم الذى طلب منا زيارة الدار غدا الثلاثاء فلبينا الطلب ·

وبعد أن تناولنا طعام الغداء عدنا الى الفندق وفى هذا اليوم تم الحجز فى الخطوط الباكستانية ذهابا وايابا الى لاهور لزيارة الجماعة الاسلامية هناك . كما تم الحجز فى الخطوط السعودية من كراتشى الى جدة يوم الجمعة الموافق ٣٠ / ٨ / ١٣٩٨ هـ ·

وفى يوم الثلاثاء ٢٧ / ٨ زارنا بالفندق الأخ عبد الله كاكاخيل الذى يعمل الآن مدرسا فى نيجيريا . والأخ عبد الرزاق اسكندر . وكلاهما كانا من زملائى فى الجامعة الاسلامية اذ تخرجنا معا فى ٨٥ ـ ١٣٨٦ هـ ·

وفى الساعة الحادية عشرة جاء الينا الأخ خليق فأخبرنا أن والده فى انتظارنا ليصحبنا الى دار العلوم . فحاسبنا المسئولين فى الفندق وأخذنا حقائبنا ليوصلها الأخ خليق الى منزلهم . لأنا سنسافر مساء اليوم الى لاهور . على أن يقابلنا الأخ خليق بالحقائب مساء الخميس فى مطار كراتشى ·

متخمـــون وعـالـــة :

وعندما خرجنا الى والد الأخ خليق الذى كان ينتظرنا فى السيارة وجدنا بعض الفقراء موجودين يتوسمون فينا قضاء بعض حاجتهم . وكانوا يلحون فى الطلب . فسألت الدكتور اذا كان عنده شىء يمكن أن يساعدهم به وعندما رأوه يدخل يده فى جيبه أخذوا يتزاحمون ويتدافعون فأعطاهم وكانت عجوز مسنة تمد يدها ففاتها أن تنال شيئا فأخذت تصرخ وتضارب بعض الذين نالوا شيئا · وهكذا وجدنا حالة الناس فى باكستان بائسة جدا . إذ لم يجد بعضهم المأوى . فرأينا من ينام تحت قطعة قماش ربطت على أربعة أخشاب جوانبها لا يسترها شىء . ومنهم من ينام تحت الأشجار ومنهم من ينام تحت الجسور ·

وسبب ذكرى لهذا الأمر هو التنبيه على حالة بعض المسلمين فى الشعوب الاسلامية ، مع أن الناس فى شعوب أخرى يلتمسون ما يهضم لهم الأكل الذى أصيبوا من كثرته وتنوعه بالتخمة وبالأمراض الكثيرة التى تستدعى العلاج والاستشفاء ويرمى الطعام فى آنية القمامة فتأكل منه الحيوانات ويزيد ، مع أن الآخرين لا يجدون لقمة العيش بسهولة .

بعد هذا كله قلت : ترى لو أن للمسلمين خليفة واحدا ترتفع راية خلافته على كل بلاد من بلدانهم أترى كان يحصل هذا التفاوت العظيم .

وهنا رجوت لدعوة التضامن الاسلامي أن تحقق أمل المسلمين فى كل مكان .

فى دار العلـــوم :

ذهبنا بعد ذلك الى دار العلوم ، وهى فى ضاحية من ضواحى كراتشى حيث تم اللقاء بالأمين العام للدار ، ونائب المدير العام وبعض أساتذة الحديث الشريف فى الدار .

وحصل نقاش ومذاكرة لأحوال المسلمين الذين زرناهم فى جولتنا هذه وللعمل الاسلامي فى باكستان . وقد خصصت للدار أرض واسعة أقيمت عليها مبانى سكنية للطلبة ، وفصول دراسية ومسجد ومكاتب ادارية ، وتبنى الآن مكتبة كبيرة تتسع للكتب الموجودة وغيرها من الكتب التى تشترى مستقبلا وبها قاعات للمطالعة .

وذكرنا لهم حاجة الأخوة الباكستانيين فى هنغ كنغ الى التشجيع ببعث الكتب المترجمة الى اللغة الانجليزية ، أو المؤلفة بالأردية فوعدوا بمراسلتهم .

وقد تأسست دار العلوم فى كراتشى عام ١٣٧١ هـ . أسسها الشيخ محمد شفيع . وهى تشتمل على ثلاث مراحل :

المرحلة الا بتدائية ـ ومدتها خمس سنوات ..

المرحلة الثانوية ـ ومدتها خمس سنوات .

المرحلة العالية ـ ومدتها خمس سنوات .

وبها مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .

فى جامعة العلوم الإسلامية :

وبعد أن انتهينا من زيارة دار العلوم ذهبنا الى جامعة العلوم الاسلامية التى أسسها الشيخ محمد يوسف البنورى ، اذ كنا على موعد مع الأخ عبد الرزاق اسكندر الذى يعمل فى نفس الجامعة المذكورة ، وعند بابها ودعنا الشيخ مفتى رشيد أحمد الذى عاد الى منزله .

استقبلنا الأخ عبد الرزاق . وكانت الصلاة قد أقيمت فصلينا معهم الظهر فى المسجد الموجود بداخل المدرسة وهو جامع كبير .

وبعد الصلاة أطلعنا الأخ عبد الرزاق على أقسام الدراسة بالجامعة فقال : يوجد بها القسم الاعدادى ، ومدته ثلاث سنوات .

والقسم الثانوى ، ومدته ثلاث سنوات .

والقسم العالى ، ومدته أربع سنوات .

وقسم التخصص فى ثلاث شعب : هى الحديث ، والفقه الاسلامي ، والدعوة والارشاد ومدته سنتان فى كل شعبة وأن فى الجامعة طلبة وافدين من خارج باكستان من نحو خمس وعشرين دولة من دول أوربا وأمريكا وآسيا وافريقيا وكندا .

وتجولنا فى مبانى الجامعة ، المشتملة على فصول الدراسة والمسجد وسكن الطلبة المغتربين والمكتبة ، ودار الافتاء ودار التصنيف .

كما ذكر الأخ عبد الرزاق أن للجامعة مشاريع جديدة منها مساكن لأساتذة الجامعة وموظفيها .

ثم قدم لنا طعام الغداء فى نفس الجامعة ، وودعناهم بعد ذلك وذهبنا الى مطار كراتشى ، للسفر الى لاهور . وباطلاعنا على دار العلوم ، وجامعة العلوم الاسلامية رأينا تلك الجهود الجبارة التى يقوم بها المسلمون دون أى عون يأتى من الحكومات ، بل يقومون بجهود يحاربها بعض الحكام وهذا يدل على الرغبة الشديدة عند الأهالى لنشر العلوم الاسلامية وتعليم أبنائهم .

والواجب على المسلمين أن يكونوا مستعدين دائما للبذل والتضحية فى سبيل نشر العلم الاسلامي واقامة المساجد والمؤسسات الاسلامية سواء حصلت اعانات من حكام تلك الشعوب لتلك المؤسسات أم معارضات .

وعلى تبرعات الأهالى تقوم المؤسسات الاسلامية فى الهند والباكستان وغيرها من العالم ، من مساجد ومدارس وجامعات ومستشفيات وغيرها .

من كراتشى الى لاهـــور :

ذهبنا الى مطار كراتشى . ومعنا التذاكر التى تم الحجز عليها الى لاهور ثم من لاهور الى كراتشى . وعندما وصلنا الى المطار . نظرت الموظفة فى التذاكر وقالت لم يحجز الا لواحد منكم . قلنا كيف ؟ قالت هكذا . وواحد منكم ينتظر وبعد ربع ساعة راجعها الأخ خليق

فقالت : لا يوجد مقعد لأحد منهما ولم يتم الحجز . وتأثر الأخ خليق وذهب ليشكو الى صديق له فى المطار ولكن الموظفة بعد قليل أخذت التذاكر وأعطتنا بطاقتى الدخول ٠

وهكذا فى خلال ساعة تقريبا حصلت هذه التناقضات ٠ وكان اقلاع الطائرة من مطار كراتشى فى الساعة الخامسة والدقيقة العشرين كما كان هبوطها فى مطار لاهور فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء يوم الثلاثاء المذكور ٠

فى المنصـــورة :

وكان فى استقبالنا الأخ فيض الرحمن الذى انتدب لاستقبالنا من قبل الجماعة الاسلامية بسيارة خاصة ، واصطحبنا معه الى مدينة المنصورة الخاصة بالجماعة والتى تحتوى على دار للضيافة ضمن مبانيها تتكون من دورين ، وهى ـ دار الضيافة ـ شبيهة بفندق صغير ، وكان فى استقبالنا الأخ الأستاذ خليل الحامدى مدير دار العروبة ، وهى ادارة مختصة بما يتعلق باللغة العربية ترجمة وتأليفا وغير ذلك ٠ وقد هيئوا لنا حجرة خاصة نزلنا بها فشعرنا بالارتياح ونحن ننزل بين اخوة أحبة فى الله واسترحنا من أجواء الفنادق التى سئمنا النزول بها ٠

وبعد قليل من نزولنا جاء الينا الأستاذ طفيل محمد أمير الجماعة وبعض أعضاء الجماعة فرحبوا بنا وأظهروا سرورهم لزيارتنا فشكرناهم على حسن الضيافة والاستقبال ٠

وبعد أن قدم لنا طعام العشاء ، صلينا العشاء ثم نمنا الى الصباح ٠ وفى يوم الأربعاء ٢٨ / ٨ / ٩٨ بعد صلاة الفجر بقليل جاء الينا الأخ خليل الحامدى وقدم طعام الافطار والشاى ، ثم أخذنا الأخ خليل الحامدى لزيارة المدينة التى تشتمل على مبانى سكنية لعوائل العاملين المتفرغين من الجماعة ، وعلى رأسهم أمير الجماعة ، ومكاتب ادارية ، ومسجد كبير بجواره مسجد صغير للنساء ، فصل عن مسجد الرجال بجميع مرافقه ولكنه وضع ليكون صالحا لتصلى فيه النساء صلاة الجماعة مع الرجال ، وفى الدور الأعلى فى المسجد خصص ليكون معهدا يوضع له منهج يخرج المسلم الذى يجمع بين علم السلف والعلوم الجديدة ٠

وعندهم مشروعات للمستقبل جيدة ، ولكنهم يسيرون خطوة خطوة فى التنفيذ حسب استطاعتهم ٠

مع أمـير الجماعة الإسلامية :

ثم زرنا الأستاذ طفيل أمير الجماعة الذى كان فى انتظارنا فى مكتبه وشرح لنا منهاج الجماعة الاسلامية فى العمل والأوضاع الحالية فى الباكستان وطلب منا أن ندعو للباكستان بأن يبلغها الله غايتها التى انفصلت عن الهند من أجلها وهى تطبيق الإسلام . وأثنى آنذاك

على الجنرال ضياء الحق وذكر أنه يريد تطبيق الإسلام فى الباكستان . كما يظهر من حاله وأعماله ، والله سبحانه المسئول ان يذلل الصعاب التى تعترضه فى ذلك .

وكان قد ضرب لنا موعدا مع الأستاذ أبى الأعلى المودودى أمير الجماعة سابقا ، وحدد الموعد بعد صلاة العصر من هذا اليوم عدنا بعد ذلك الى مقر نزولنا .

زيارة الأستاذ المودودى :

وبعد أن صلينا الظهر وتناولنا طعام الغداء ، وكان معنا الأستاذ خليل الحامدى ، نمنا الى أن أذن لصلاة العصر . صلينا العصر فى مسجد الجماعة ثم ذهبنا لزيارة الأستاذ المودودى فى داخل المدينة وكان وصولنا الى منزله فى تمام الساعة السادسة مساء ، وكان عنده بعض الزوار . ولم ننتظر فى غرفة الانتظار الا دقيقتين تقريبا فخرج الذين كانوا عنده فدخلنا نحن الى الغرفة الصغيرة التى انطلقت منها صيحات انذار الأستاذ المودودى منذ أكثر من ثلاثين سنة ، وفيها ربى رجاله الذين رأى فيهم ثمار تربيته فى حياته . لم أكن قد رأيت الأستاذ المودودى شخصيا على رغم أنه زار الحجاز وزار المدينة المنورة وأنا موجود فيها عندما كنت طالبا بالجامعة الاسلامية فى كلية الشريعة بها التى هى أول كلية أنشئت بالجامعة الاسلامية ، لأنى فى تلك الفترة لم أكن قد قرأت كتب المودودى بامعان ، وان كنت مررت مرورا سريعا ببعضها ولكن بعد ذلك قرأت غالب كتبه فرأيت فيها عمق التفكير وتشريح الواقع الذى تعيشه الأمة الإسلامية ، وبيان الجذور التى أثمرت هذا الواقع داخلية كانت أم خارجية ، ثم الدعوة الى تغيير هذا الواقع الأليم بأسلوب الاسلام فى الدعوة والتربية والتكوين واقامة راية الاسلام باقامة نظامه الذى طبقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن سار بعدهم على هديهم .

كما سمعت عن المودودى أنه يطبق ما يدعو اليه فعلا فتعرض للمخاطر والمضايقات والسجون والمعتقلات وهو واقف كالجبل الاشم الذى لا تحركه عواصف الامتحان والابتلاء من قبل قوم أذاقوا المسلمين وبالا وشعوبهم فناء ، كل ذلك جعلنى أشتاق للقاء عملاق الفكر الاسلامي الذى أنجبَ أمة عاهدته على السير فى طريقه الذى هو طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ألا وهو الدعوة الى الله على بصيرة مع الصبر على الأذى مهما كان ذلك الأذى .

دخلنا غرفة الأستاذ المودودى ، وهو يقعد على كرسى عادى ، بجانبه بعض الكراسى المشابهة للزوار ، فسلمنا عليه ورحب بنا ، وجعلت أحييه وأنا أنظر الى هذه الغرفة التى ملئت بالمصادر الاسلامية باللغة العربية والانجليزية والأردية وعن يساره من الجهة الشرقية الشمالية من الغرفة يوجد الباب الذى يدخل منه ويخرج الى غرفة نومه ومنها الى هذه الحجرة وعندما

سألناه عن حاله أجاب بقوله : الحمد لله ، اشتدت على الآلام من مدة سبعة شهور حيث أشعر بأنى مشلول النصف الأسفل . **وعمر الرجل خمس وسبعون سنة ، كان أغلبها فى جهاد وكفاح مريرين ولا زال الرجل يجاهد ويكافح ·** اذ يقضى ثمانى عشرة ساعة يوميا فى العمل كما أفادنا الأستاذ خليل الحامدى ·

وكانت عندى بعض الأسئلة تتعلق بنقد بعض العلماء فى الباكستان للمودودى كنت أود أن أسأله عنها ولكنه فى تلك الحال لا يتحمل كثرة النقاش واطالة الكلام . وكان يتكلم معنا باللغة العربية وان كان فيها ثقل فهى مفهومة . وسئل الأستاذ المودودى أن يقدم نصيحة لنا وللمسلمين فلم يزد على وصية الله للأولين والآخرين : وهى تقوى الله وخشيته فى السر والعلانية ·

وتخفيفا عن الرجل استأذنا لندعه يستريح فاذن لنا ودعا لنا بخير وبعد أن خرجنا وأردنا أن نركب فى السيارة جاءنا مدير مكتبه الخاص الذى لم يكن موجودا من قبل يطلب منا الرجوع الى غرفة الاستقبال لنتناول الشاى أو البارد . وكان ذلك بطلب من الأستاذ المودودى . الذى قال لمدير مكتبه اعتذر لى منهم لخروجهم من عندى قبل أن يتناولوا شيئا ولا بد أن يقدم لهم شىء . فحققنا رغبة الأستاذ ثم خرجنا ·

وسألت الأستاذ خليل الحامدى عن الدار التى يسكن فيها الأستاذ المودودى بأسرته أهى ملك له أم مستأجرة ؟ فأجاب عندما انفصلت باكستان عن الهند أقام أعضاء الجماعة الاسلامية المخيمات فى مدينة لاهور . ثم أستأجرت الجماعة هذه الدار منذ ثلاثين سنة . وأخذ الأستاذ المودودى شقة منها لأسرته وكان يعطى الجماعة أجرتها سنويا . وعندما ارتفعت الاسعار كان هو يزيد باستمرار . ويقول : كما يزيد الناس فى الاجرة فأنا يجب أن أزيد ·

وفى عام ١٩٧٣ اشترى المنزل فأصبح ملكا له . بعد أن اشترى للجماعة الأرض التى أقيمت عليها مدينة المنصورة حاليا ·

وقد تنازل الأستاذ المودودى عن إمارة الجماعة بصفة رسمية ولكن الجماعة لازالت تتجمع حوله كما يتجمع خلايا النحل على يعسوبها يستشيرونه فى أمورهم المهمة ، وهو ينصح ويشير (١) ·

---

(١) ولقد نقل الينا نبأ وفاة مجدد القرن الرابع عشر الهجرى عملاق الفكر الاسلامى المجاهد فى سبيل الله العلامة الشيخ أبى الاعلى المودودى رحمه الله فى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ م · حيث وافته المنية فى احدى مستشفيات نيويورك · وقد نقل جثمانه بعد ذلك بثلاثة أيام حيث صلى عليه فى كراتشى واسلام أباد ما يقارب مليونا من المسلمين ·

وقد هز نبأ وفاته العالم الاسلامى كله · وقد وجهت خطاب تعزية لأمير الجماعة الإسلامية الأستاذ طفيل محمد . بعد سماع نبأ وفاته كما أنشأت قصيدة فى رثائه رحمه الله بعنوان : « غوثاه » وقد نشرت فى العدد الأول من السنة الثانية عشرة من هذه المجلة ·

وكانت وفاته فى وقت إعدادى هذه المذكرات للطبع · رحمه الله رحمة واسعة ·

وفى طريقنا الى المنصورة تعطلت بنا السيارة . فاستأجرت سيارة لايصالنا . وعندما ركبنا نزل السائق وهو شيخ كبير السن مثل سيارته فأخذ يغلق الأبواب بقوة ليطمئن أنها أغلقت . والظاهر أنها لا تغلق الا بمثل تلك القوة . لأنها مصلبة . كبقية هيكلها وأخذت ترتفع منها أصوات ضربات حديدها بعضه ببعض . وعندما أظلم الليل سألناه ان كان عنده نور فمال بسيارته الى جانب الطريق ونزل منها ففتح غطاء الماكينة وأشعل النور من هناك بسبب عدم اتصال النور بالزر الذى عنده فى داخل السيارة ٠

وهنا تواردت الذكريات السودانية على الزميل الدكتور محمد بيلو فقال : كأننا فى السودان . ثم شرح ذلك بحالة السيارات فى السودان بأنها لا تختلف عن هذه . ولقد وصلنا الى مدينة المنصورة فى تلك السيارة والحمد لله ٠

وفى صباح يوم الخميس الموافق ٢٩ / ٨ ـ ١٣٩٨ هـ ٠ بعد أن تناولنا طعام الافطار تم اللقاء مرة أخرى بالأستاذ خليل الحامدى الذى زودنا ببعض مؤلفات الأستاذ المودودى ٠

نبذة موجزة عن حياة المودودى

١ ـ ولادته : ولد بمدينة أورنك أباد فى ولاية حيدر أباد فى أسرة هندية فاضلة اشتهرت بالدين والفضل والعلم ٠

٢ ـ تعليمه : التحق بمدرسة دينية فى سن الحادية عشرة . وقد كان والده على ثقافة عالية ٠ رفض هذا الوالد أن يرسل أولاده الى المدارس الانجليزية ومنهم المودودى . ولم يتمكن المودودى من إكمال تعليمه وحصل على الشهادة الثانوية فقط ذلك لتدهور صحة والده بسبب إصابته بالشلل فانصرف إلى خدمة والده وتعلم منه فى المنزل اللغات الأردية والعربية والفارسية والانجليزية . ولم تطل حياة هذا الأب الفاضل فافتقده المودودى فى يفاعه وهو فى السادسة عشرة من عمره ٠

٣ ـ أهم أعماله : تولى منصب رياسة التحرير فى كبريات صحف الهند مثل « تاج » و « مسلم » وصحيفة الجمعية فى دلهى . ثم أصدر مجلته الشهيرة بترجمان القرآن عام ١٩٢٣ م . وقدم على صفحاتها تصوراً واضحاً للإسلام ولكنه خطا خطوات أعظم آثاراً فى ميدان العمل الاسلامى بايجاد تجمع حركى يتمثل هذا التصور الواضح للإسلام فى حياته الواقعية وأول خطوة خطاها فى هذا السبيل إنشاءه « دار السلام » عام ١٩٣٨ م بدأت هذه الدار بأربعة رجال شاركوه فى تبنى الفكرة وأخذ العدد يتزايد يوماً بعد يوم مما شكل خطرا على المودودى نفسه وبدأت حملات مكثفة للنيل منه شأن كل داعية يكون له أثر فى دنيا الناس

كما أرجف به المرجفون وجسموا له المخاطر التى ستحيق به إن هو واصل السير فى هذا الميدان الاسلامى فقال قولته الشهيرة الفياضة بروح اليقين والثقة بالله قال : « وهل خفى عنى كل ذلك عندما أقدمت . لقد أعددت للشدة يقينا وللمعوقات دينا . وللظلم صبرا ، وللسجون قرآنا وذكرا وللمشانق « وعجلت إليك ربى لترضى » هذا اليقين والإيمان هو الذى يقف فى وجه الطغيان المائج الهائج ولا يقدر على ذلك من لا يملك هذه الروح وهذا الإيمان والتجارب أمامنا أكبر برهان . تعرض المودودى للسجون واعتبرته السلطات الحاكمة خطراً عليها فشددت الرقابة عليه وزجوا به فى السجن فى أكتوبر عام ١٩٤٨ م وأطلق سراحه فى ٢٨ من مايو سنة ١٩٥٠ م ثم قبض عليه فى ٢٨ من شهر مارس عام ١٩٥٣ م عندما كتب كتابه « المسألة القاديانية » ثم أطلق سراحه فى ٧ من مايو فى نفس السنة ثم اعتقل مرة أخرى فى العام نفسه وقدم إلى محكمة عسكرية حكمت عليه بالإعدام شنقا . وحين سمع المودودى الحكم وقف فى ملابس الإعدام وخاطب ابنه قائلا « لا تضطرب يا بنى .. لو نادانى ربى إلى جواره وحانت لحظات اللقاء فعلى الإنسان أن يذهب للقاء ربه مسرورا وإذا لم يصدر حكمه عز وجل فى هذا الأمر فلن يشنقوا لى إصبعاً واحداً رغم كل من شنقوهم من قبل » . واهتز العالم الاسلامى لنبأ هذا الحكم وإنهالت برقيات الإحتجاج وتدخلت حكومة المملكة العربية السعودية فى ذلك الوقت فخفف الحكم إلى السجن المؤبد وحين طلب منه أن يلتمس العفو رفض فى عزة المؤمن بالله قائلاً : « إن تعليقى على حبل المشنقة أهون علىّ من أن أطلب العفو من أناس يعرفون جيداً ما هى التهمة الموجهة ضدى » وفى هذا السجن أكمل تفسيره الشهير « بتفهيم القرآن » فى سبعة مجلدات وفى سنة ١٩٥٥ م صدر حكم بالافراج عنه وعن زملائه ثم فى عام ١٩٦٧ م اعتقل مرة أخرى لمدة شهرين ثم أطلق سراحه . هكذا كانت حياة المودودى سلسلة متصلة الحلقات من الكفاح الطويل والنضال المرير وألف مجموعة من الكتب الفكرية هدف منها إلى تنقيح الأفكار وغربلة الدعوات ومعالجة المشكلات فى الاقتصاد والاجتماع والتربية والسياسة كما هدف إلى إفراغ التعاليم الإسلامية فى قالب عصرى يلائم مدارك أهل العصر وأذواقهم مع الاحتفاظ بالأصالة الإسلامية التى لا تميع فيها ولا جمود وقد كشف النقاب عن عورات زنادقة هذا العصر والمنحرفين والقاديانيين وفند مزاعم منكرى حجية السُنة وانتقد جمود بعض علماء المسلمين وزيف أباطيل المتصوفة المنحرفين عن منهج الكتاب والسنة ومعظم تراث هذا الداعية باللغة الأردية لم يترجم منه إلى العربية إلا النزر اليسير .

عاش المودودى حياته كلها وهو يسعى لتحقيق قيام الإسلام ليحكم حياة الناس واتخذ لذلك أساليب شتى جديرة بالدراسة الجادة للاستفادة منها فأفكار هؤلاء المفكرين ليست هى النهاية فى التصور الإسلامى الواعى ولكنها منافذ معرفة وفكر يدخل منها الجيل الإسلامى

المنشود ليشيد البناء وليتم العمل وليكمل النقص أما الوقوف عند هذه الأفكار واعتبارها النهاية القصوى فى المعرفة والفكر فذلك لا يعدو أن يكون تقليداً أعمى على غرار التقليد المذهبى المتعصب الجامد الذى أمات روح الأ بتكار ووقف بالمد الإسلامى عند اجترار أفكار من سبق فكانت كارثة عظيمة لا تخفى نتائجها فى كل الظواهر فعسى أن لا تتكرر المأساة مع العاملين فى الحقل الإسلامى وأن يأخذوا العبرة و يطوروا من أساليب العمل للإسلام .

نال المودودى الرضى فى جميع الأوساط الإسلامية . ونهل الشباب والعلماء من بحر أفكاره ولا تزال كتبه ورسائله ومحاضراته معيناً فكرياً غزيراً . وقد توجته المملكة العربية السعودية بجائزة الملك فيصل العالمية تكريماً منها له على جهوده العظيمة فى مجال الجهاد والفكر والعمل الإسلامى فى شتى المجالات وفى يوم السبت الثانى والعشرين من سبتمبر عام ١٩٧٩ م توفى المودودى بعد أن خلف تركة ضخمة فى خدمة ميراث النبوة جزاه الله عن كل ما قدم خير ما يجزى عباده الصادقين ورزق الله المسلمين خير خلف لخير سلف وإنا لله وإنا إليه راجعون .

جامعة إسلامية بكوريا الجنوبية

قرر اتحاد المسلمين الكوريين انشاء جامعة اسلامية في كوريا الجنوبية وذلك من أجل تجميع الأنشطة الدينية في البلاد لمواجهة الدعاية الخبيثة التى ينشرها أعداء الاسلام من صليبيين وشيوعيين وصهيونيين ومذاهب هدامة ، لما لمثل هذه الجامعة من دور فعال ونبيل في بناء الفرد وبلورة أفكار المجتمع في اطار اسلامى .

والجدير بالذكر أن في كوريا الجنوبية مع صغر حجمها مالايقل عن مائة جامعة تمتلكها الارساليات المسيحية والبوذية .

وستضم الجامعة الاسلامية ان شاء الله تعالى خمس عشرة كلية موزعة على أربعة أقسام تضم مجموعة من الكليات منها كلية الشريعة وكلية الدراسات المقارنة بين الأديان وكلية التاريخ الاسلامى وكلية اللغة العربية .

وتشكل لجان خاصة من المختصين الأساتذة لوضع المناهج لهذه الكليات .

هذا وقد تبرعت الحكومة الكورية بقطعة من الأرض مساحتها أربعمائة وثلاثون ألف متر مربع بالقرب من سيول العاصمة لاقامة الجامعة الاسلامية عليها مع العلم بأن شركة سن للتعمير والهندسة في سيول قد قامت بإعداد الخرائط والرسوم من أجل البدء في تنفيذ هذا المشروع الذى دخل في دور التنفيذ وقد حددت المرحلة الأولى منه زمنيا بسنتين .

والجدير بالذكر أن المسلمين في كوريا الجنوبية كانوا قد قاموا ببناء مركز اسلامى ومسجد جامع في العاصمة سيول .. ولاشك أن هذه الجامعة سوف تؤدى خدمة كبيرة للمسلمين وللثقافة الاسلامية في المنطقة .

« الرأى الهندية »

بَابُ الفتاوى

من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء

س (١) : هل يعتبر باب الاجتهاد في الاحكام الاسلامية مفتوحا لكل انسان ، أو هناك شروط لا بد أن تتوفر في المجتهد . وهل يجوز لأي إنسان أن يفتى برأيه دون معرفته بالدليل الواضح . وما درجة الحديث القائل (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) أو ما في معناه ؟

والجـــواب : باب الاجتهاد في معرفة الأحكام الشرعية لا يزال مفتوحا لمن كان أهلا لذلك بأن يكون عالما بما يحتاجه في مسألته التى يجتهد فيها من الآيات والأحاديث قادرا على فهمهما والاستدلال بهما على مطلوبه . عالما بدرجة ما يستدل به من الأحاديث وبمواضع الإجماع في المسائل التى يبحثها حتى لا يخرج على إجماع المسلمين في حكمه فيها ، عارفا من اللغة العربية القدر الذى يتمكن به من فهم النصوص ليتأتى له الاستدلال بها والاستنباط منها . وليس للانسان أن يقول في الدين برأيه ، أو يفتى الناس بغير علم . بل عليه أن يسترشد بالدليل الشرعى ثم بأقوال أهل العلم ونظرهم في الأدلة وطريقتهم في الإستدلال بها والاستنباط ، ثم يتكلم أو يفتى بما اقتنع به ورضيه لنفسه دينا .

أما حديث (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) فقد رواه عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في سننه عن عبد الله بن أبى جعفر المصري مرسلا . وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

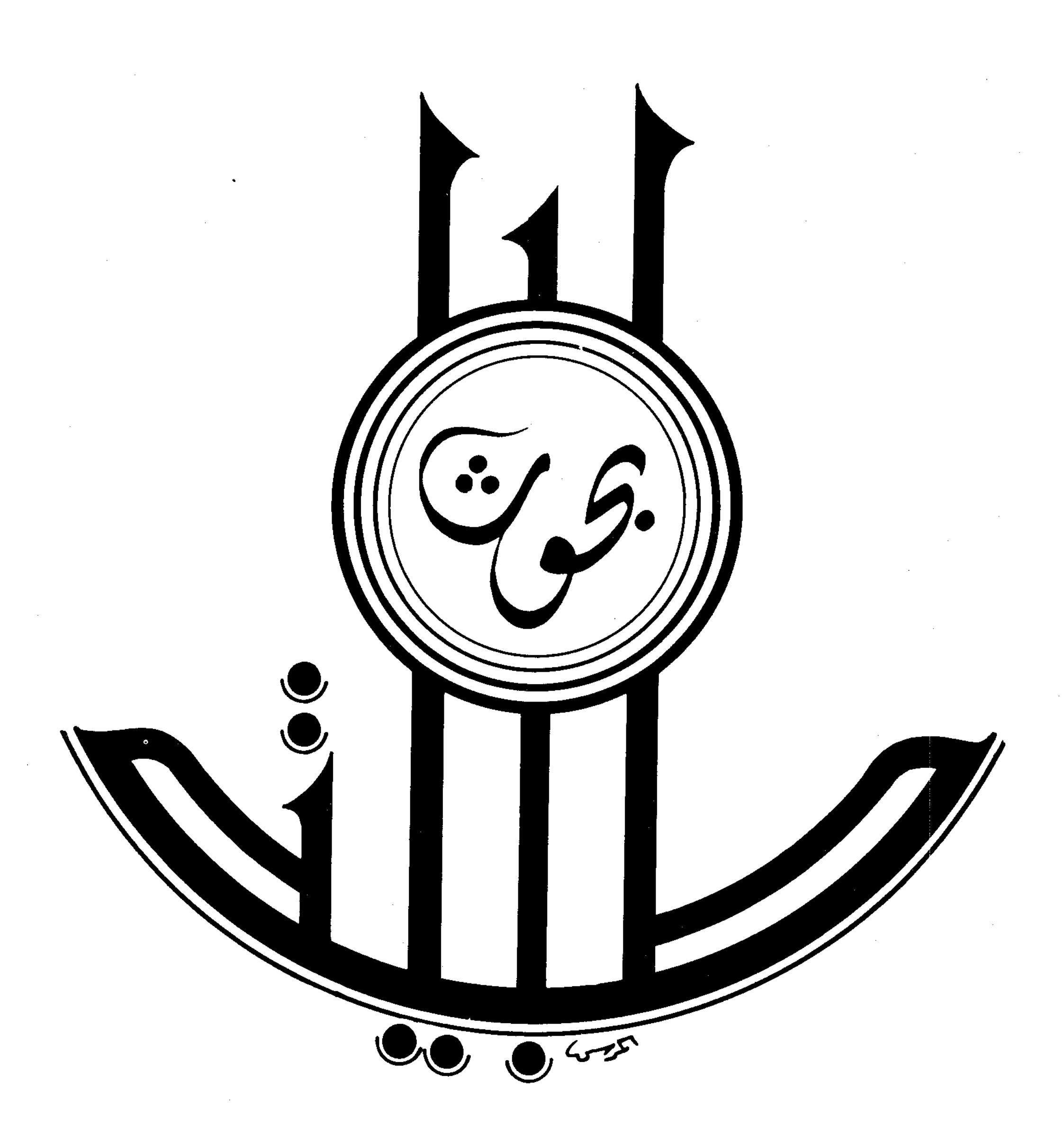
س (٢) : هل يجوز استعمال العطورات ومزيل رائحة الإبط ومعجون الأسنان والايسكريم والشامبو لاحتوائها على الكحول . والصابون الذى فيه دهن خنزير . وهل الخمر نجسة كنجاسة البول . واللحم اذا اختلط بدهن أو دم خنزير ولو بنسبة بسيطة جدا والجبن ؟

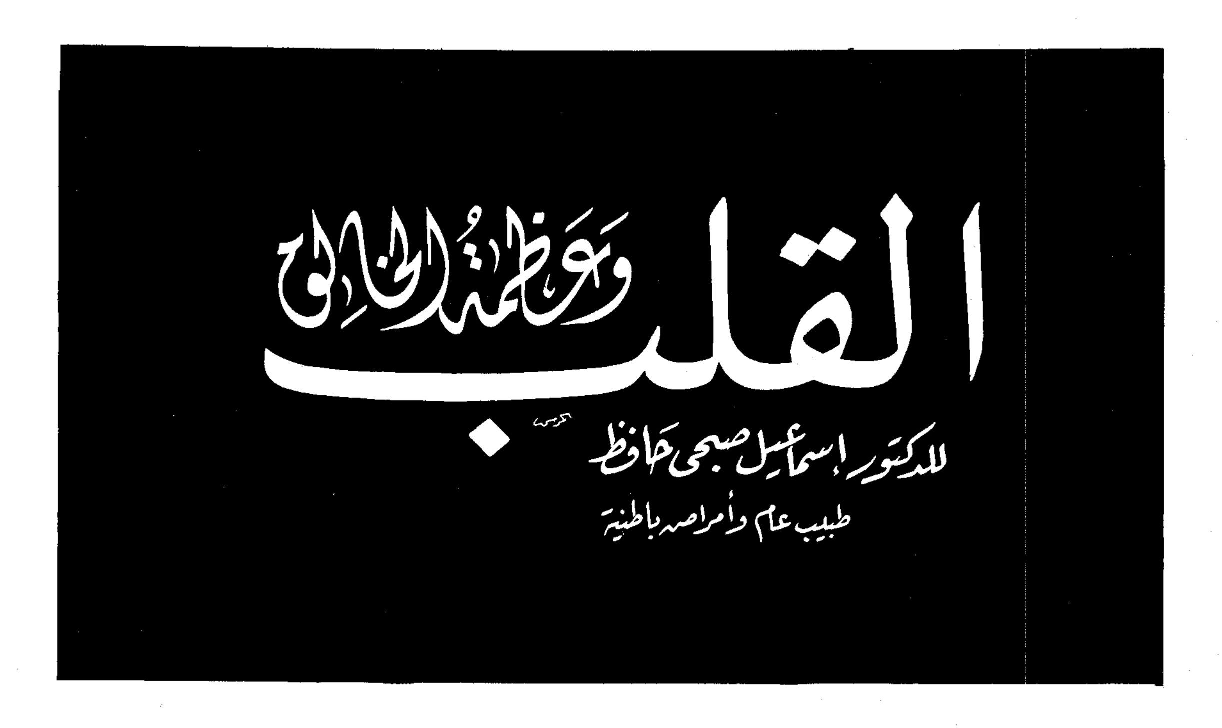
والجـــــواب : الأصل في الأشياء الحل والطهارة فلا يجوز أن يحكم الشخص على شيء بأنه محرم ونجس إلا بدليل شرعي . ومتى تيقنت وغلب على ظنك اختلاط اللحم المباح بدهن أو دم خنزير وكذلك الجبن اذا خلط بدهن أو دم خنزير فلا يجوز لك تناوله . وقد دل القرآن والسنة والإجماع على تحريم لحم الخنزير وأجمع العلماء على أن شحمه له حكم اللحم . أما اذا كنت لا تعلم فيجوز الأكل منه لما سبق من أن الأصل في الأشياء الحل حتى يقوم دليل على التحريم .

والعطورات ونحوها التى مزجت بها الكحول حتى بلغت مبلغ الاسكار القول بنجاستها وطهارتها مبنى على القول بنجاسة الخمر وطهارتها . والجمهور على القول بنجاستها . وعليه فينبغي تجنبها إذا بلغت مبلغ الاسكار بسبب ما خلط بها من الكحول . وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

س (٣) : هل يجوز استعمال العادة السريـــــة ؟

والجـــــواب : الصحيح من أقوال العلماء في الاستمناء باليد المعروف بالعادة السرية التحريم . لعموم قوله تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) فأثنى سبحانه وتعالى . على من حفظ فرجه . فلم يقض وطره إلا مع زوجته أو أمته . وحكم بأن من قضى وطره فيما وراء ذلك أيا كان فهو عاد متجاوز لما أحله الله له . ويدخل في عموم ذلك الاستمناء باليد « العادة السرية » . ولأن في استعمال ذلك مضاراً كثيرة . وله عواقب وخيمة . منها إنهاك القوى وضعف الأعصاب . وقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنع ما يضر بالإنسان في دينه وبدنه وماله وعرضه . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .


بحوث



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعـــــد :

فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) القمر ٤٩/ ، وقال : (هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) لقمان ١١/ ، وقال : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات ٢١/ ٠

ألا تبصر أيها الإنسان في نفسك التى بين جنبيك ، وتتأمل عظمة الخالق في جسدك ولحمك ودمك وأعضائك ، فترى العجب العجاب ، ترى خلق الله في توازن وتناسق وتكامل ، كل له دور يؤديه ، وعملٌ يقومُ به على أكمل وجه ، (تبارك الله أحسنُ الخالقين) المؤمنون ١٤/ ٠ وإذا تبَصَّرت وأبْصَرت ، وخاصة إذا كنت من فئة الأطباء ، ترى كيف صنع الخالق هذا الجسم البشرى من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ ثم خلق النطفة عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، وجعل أجهزة كلّ يؤدى وظيفته بإحكام وإتقان ٠

تبَصّر أيها الانسان في جوف صدرك ، تجد جرماً صغيراً ، آية في الخلق والابداع ، آية في التخطيط والتصميم ، ترى قلبا حوى ما يخطر لك ببال ، من غرف وقنوات ، ووصلات اتصال ، ومولد ذاتي ، ومحرك كهربائى ، وأسلاك كهربائية ، تعمل بأمر العلى القدير ، فستعجب وتقول في نفسك ، ياعجبا لأمر هؤلاء الكفرة والملاحدة من بنى الإنسان ، لماذا هم

عن الفهم مبعدون وفي أنفسهم لا يبصرون ؟ وتقول في نفسك واعجباً من أمر أولئك الأطباء الذين تعلموا الطب في بلاد الغرب والشرق . بعد هذا يكفرون وقد تبين لهم أنه الحق . وأنه من صنع عليم حكيم . وأحسن كل شيء خلقه ·

عجباً للطبيب يلحد في الخا لِق من بعد درسه التشريحا

تأملْ وتبَصرْ في نفسك أيها الإنسان . تجد قلبا عجيبا . تجد فيه مولداً . ومحركاً . ومنبهاً . وخزاناً . ومغذياً . إذا توقف توقفت الحياة ·

لذلك سأبحث هذا الموضوع على قدر جهدي البسيط . لعلى أوصل إلى قارئي بعض المعلومات المفيدة . لأن أعماقه تحتاج إلى مجلدات . تبحث وتمحص من قبل ذوى الاختصاص · وأصنف بحث الموضوع في ثلاث نقط . كما يلى :

أولا : القلب الطبيعي أو المادى ·
ثانيا : العوامل المؤثرة في القلب ·
ثالثا : القلب المعنوى أو الروحي ·

أولا : القلب الطبيعي :

(أ) لمحة تشريحية أو بنيويـــة :

يتألف القلب من أربع غرف هى الأذَيْنَة اليسرى والبُطَين الأيسر · والأذينة اليُمنى والبُطَين الأيمن . والغرف اليسرى . تحوى الدم الأحمر القاني . واليمنى تحوى الدم الأسود القاتم ·

والقلب يتركب كذلك من طبقات :

١ ــ غشاء خارجى يغلف القلب هو التأمور ·
٢ ــ وطبقة عضلية ·
٣ ــ وغشاء باطنى . هو الشفاف الذى يغطى القلب من الباطن ·
٤ ــ وحجاب يفصل القلب الأيسر ذو الدم الأحمر القاني عن القلب الأيمن ذو الدم الأسود القاتم ·
٥ ــ وأوعية تصب في الأذينة اليسرى . وهى الأوردة الرئوية تحمل الدم الأحمر القاني المملوء بالأكسجين والمواد الغذائية ·
٦ ــ وأوعية تصب في الأذينة اليمنى وهى الوريد الأجوف العلوي والسفْلى . ويحملان الدم الأسود الممتلىء بثانى أوكسيد الفحم ·

٧ ـ وأوعية تنشأ من البطين الأيسر . وهو شريان الأبهر الذي يحمل الدم الأحمر القاني إلى كل جزء من الجسم . حتى القلب نفسه يأخذ منه بالأوعية الأكليلية . والشريان الرئوي الذي ينشأ من البطين الأيمن . ليذهب بالدم الأسود إلى الرئة فيتصفى هناك بالمبادلات الغازية .

ويتألف القلب من مركز تنبيه ، ومولد ذاتي هي العقدة الجيبية . وتوضع في جدار الأذينة وتسمى بصانع الخطى . تصل بواسطة سلك إلى العقدة الأذينية البطينية . ومنها سلك هو حزمة هيس . تتفرع إلى الغصن الأيسر والغصن الأيمن يتفرعان إلى أغصان بوركنج التى تتوزع في عضلات البطينين .

(ب) لمحة فيزيولوجية آليـــة : كيف يعمل القلب ولماذا يعمل القلب ؟

القلب خزانٌ يأتيه الدم النقي الأحمر الذي يحمل الأكسجين والمواد الغذائية بالأوردة الرئوية ، بعد أن يكون قد أخذ الأكسجين بالمبادلات التنفسية ، ثم يبقي في الأذينة اليسرى حتى ينفتح الصمام بينها وبين البطين الأيسر . أثناء راحة القلب من الانقباض ، ثم ينقبض البطين الأيسر . فيخرج الدم الأحمر من الأبهر حيث يتوزع على جميع أنحاء الجسم . حاملاً الأكسجين والمواد الغذائية الضرورية لجميع خلايا الجسم بدون إستثناء . حتى خلايا القلب نفسه . فتأخذ خلايا الجسم ما تحتاجها من أوكسجين ومواد غذائية لتقوم بحياتها وتطوراتها التى قدرها الله تعالى . وتطرح الفضلات والمواد السامة في الدم العائد الأسود القاتم ضمن الأوردة ، لتعود إلى الأذينة اليمنى . حيث تبقى فيها بنفس وقت خزن الأذينة اليسرى أثناء انقباض القلب . ثم يفتح الصمام الأيمن بين الأذينة اليمنى والبطين الأيمن أثناء راحة القلب من الانقباض . فيمتلىء البطين الأيمن . ثم ينقبض طارحاً الدم القاتم ضمن الشريان الرئوى ليذهب إلى الرئتين ليتصفى من المواد السامة . ويعود أحمر نقياً .

هذا يحدث في كل نبضة من نبضات القلب . أى بمعدل (٨٠) مرة في الدقيقة .

كيف ينقبض القلب :

إن في القلب عقدة صغيرة في جدار الأذينة هى العقدة الجيبية . أودعها الله سراً ذاتيا

بأن تكون مبدأ التنبيه . أو نقطة الانطلاق التى تخرج منها التنبيهات بمعدل (٨٠) مرة في الدقيقة . ولكن قد يتغير عددها حسب حالات كثيرة . ثم ينتقل التنبيه ضمن الحزمة الأذنية البطينية . ثم إلى محطة أخرى هى العقدة الأذنية البطينية . ثم إلى حزمة هيس فالغصنين . ثم أغصان بوركنج . فينقبض القلب الممتلىء بالدم إلى أماكنه المخصصة لها . ليعود بالأوردة إلى القلب من جديد ٠ وهكذا في دوران مستمر . إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً ٠

والعبرة ليست في عملياته المتلاحقة . وإنما في هذه العقدة الصغيرة . التى أسكنها نظما ذاتيا بقدرته لتطلق هذه التنبيهات . فتحدث هذه المراحل . ولو أمرها الله بالتوقف لوقفت الحياة . فكيف تكفر بعد هذا يا أيها الإنسان الجحود ؟ أفلا تبصر قلبك لترى هذا العضو الصغير الذي خلقه الله تعالى بقدرته . وقال له منذ أن ظهرت الحياة على ظهر الأرض . أطلق تنبيهاتك بأمرنا . حتى قدرك المحتوم . وعندها نقول لك كُفَّ عن التنبيه فقد حان الأجل المحتوم تباركت يارب في عليائك وسمائك . كم أنت عظيم في خلقك ما أعظمك ٠

فكيف لا تبصر أيها الإنسان وتفكر . وتتدبر في هذا الجرم الصغير الموجود في القلب . وكيف لا تبصر هذا المولد الذاتي الذى يعمل من تلقاء نفسه بمشيئة الله . ويا أيها الملاحدة انظروا في أجسادكم . انظروا في أنفسكم . انظروا في قلوبكم . يامن لستم قادرين على أن تخلقوا ذبابة . انظروا إلى هذا الجرم الصغير وتفكروا . تجدوا أنكم لا تملكون إلا أن تطأطئوا رؤوسكم خاشعين أذلة . أمام عظمة الخالق الذى بيده مقاليد كل شيء . أتعلم أيها الإنسان أن دواءك فيك وما تبصر ٠

وتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

(إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولا) الإسراء /٣٦ ٠

فكل شيء يسبح بعظمة الخالق . وكل نبضة من نبضات القلب تقول : (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) النمل /١٩ والأحقاف /١٥ ٠

ثانيا : العوامل المؤثرة في القلب :

١ ـ **الجهد** : كل جهد أو عمل لا يثير ألماً في القلب ولا ضيق نفس في الصدر .

يجب أن يشجع عليه ، لأن طاقة القلب ضمن إمكانياته . فالقلب الطبيعى لا يتأثر ضمن الحدود المعينة وحتى لو كان مريضاً ، تشجيع الجهد ٠

٢ ـ **التدخين** : إن التدخين وخاصة المفرط يؤثر على تقبض الأوعية النبيلة في القلب ، ومنه نقص التروية ، ونقص تغذية عضلة القلب ، ونقص الأكسجين فيها ، وكذلك تسرع القلب عن الحد الطبيعى ٠

٣ ـ **الخمر (الكحول)** (١) : يحدث إعتلال العضلة القلبية ويتلفها ٠

٤ ـ **الانفعال والغضب** : يزيد سرعة القلب ، ويرفع الضغط ، ويشنج الأوعية المغذية للقلب ٠

٥ ـ **المرض** : **يجب** وقاية القلب خاصة من مرضى الروماتيزم الحاد ، وعلى الأخص في مراحل الطفولة إذ أن الروماتيزم يعضُّ القلب ، فيجب عدم التهاون في هذا المرض خاصة عند الأطفال ، والانتباه إلى التهاب اللوزات المتكرر الذي يعزى إليه هذا الروماتيزم ٠

٦ ـ **الإفراط في الطعام** : تمتلىء المعدة كثيرا ويحدث انتفاخ في البطن وتضغط على الصدر ، ويحدث تسرع في القلب ، وقد تحدث آلام انعكاسية ٠

ثالثا : القلب المعنوي أو الروحي :

لا أقصد به القلب المادي الذي يضخ الدم لأنحاء الجسم ، بل أقصد به القلب من حيث المعانى القرآنية أو الروحية ، التى وردت في ذكر القلب ، إذ أن هناك كثيرا من الناس لها قلوب من لحم ودم ، ولكن ليس لها قلوب روحية أو معنوية ، وقد أشار الله تعالى لهذا في قوله (إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) ق/٣٧ ، وإن بعض الناس قلوبهم عمياء (لهم قلوب لا يفقهون بها) الأعراف /١٧٩ فالقلب المعنوى أو الروحي قلب مطمئن بالإيمان لأنه ذاكر لله دائما (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) الرعد /٢٨ ، وهو كذلك قلب بعيد عن النفاق والرياء والشرك ، يبين الله تعالى فوز صاحبه يوم القيامة في قوله : (إلا من أتى الله بقلب سليم) الشعراء /٨٩ قلب لا يخشى إلا الله ، لاتجده وجلا إلا من خالقه ، بين الخوف والرجاء

(١) الكحول تحريف للأصل العربي الذى هو الغول ٠ وقد ورد ذكره في الكتاب الحكيم : في قوله تعالى : **(لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)** الصافات / ٤٧

يرجو رحمته ويخشى عذابه . فوصف صاحبه بالإيمان في قوله تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الأنفال /٣ قلب فيه الرأفة والرحمة : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) الحديد /٢٧ قلب منيب تائب هادىء : (لمن خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) ق /٣٣ . (فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم) الفتح /١٨ .

وقلوب المؤمنين مؤلفة مؤتلفة متجانسة (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) الأنفال /٦٣ . واطمئنان القلب . وإعتقاده بالله . والإيمان به . والثقة به . لا تتغير مهما كانت الظروف والأحوال . لو تغير اللسان . بالأقوال والجوارح بالإكراه : (إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) النحل /١٠٦ .

وهذه الصفات المعنوية للقلب المؤمن . نجد أنها أحياناً يعبر عنها بصفات جسدية . فتجد القلب هادئا في مكانه آمنا مطمئنا ينبض باتزان وتؤدة . يأخذ الوقت الكافي للانقباض . والوقت الكافي للاسترخاء والإمتلاء من الدم . ينبض ضمن الحدود الطبيعية . غير هياب ولا خائف من الناس . غير مسرع السرعة التى تفوق الحد الطبيعى عند تعرضه للشدة والانفعال والغضب والمصائب والأهوال وذلك للاطمئنان والسكينة بذكر الله .

(وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم) الأنفال /١٠ . بينما نجد قلب الكافر أو المنافق في التعبير القرآنى . قلباً مريضاً : (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) البقرة /١٠ . قلباً خائفاً إلى حد اضطراب التوازن النفسى . إلى حد اليأس والقنوط : (وقذف في قلوبهم الرعب) الأحزاب /٢٦ . (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله) آل عمران /١٥١ . قلباً أسود مليئاً بالفسوق والعصيان : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) المطففون /١٤ قلباً قاسياً : (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) البقرة /٧٤ (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) المائدة /١٣ . (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم) الأنعام /٤٣ . (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) الزمر /٢٢ . (فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) الحديد /١٦ .

وقلوب الكافرين أو المنافقين قلوب جاهلة : (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) الروم /٥٩ قلوب مشمئزة من ذكر الله : (إذا ذكر الله وحده أشمأزت قلوب الذين لا

يؤمنون بالآخرة) الزمر /٤٥ . قلوب مقفلة لا يخترقها التدبر ولا التفهم : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) محمد /٢٤ (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون) البقرة /٨٨ . (وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم) النساء /١٥٥ . (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) فصلت /٥ .

وهي قلوب زائغة منحرفة يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء الانحراف والأهواء . (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) آل عمران /٢٧ وهي قلوب نجسة ملوثة : (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) المائدة /٤١ . وهي قلوب مترددة ، شاكة . (وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) التوبة /٤٥ . وقلوبهم تبطن شيئا وتظهر ألسنتهم غير ذلك : (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) الفتح /١١ . وقلوبهم محل للارتكاس والثأر وحمية الجاهلية : (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) الفتح /٢٦ . وهي قلوب متفرقة : (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى) الحشر /١٤ . وهي قلوب ملئت بالكبر والخيلاء والجبروت : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) غافر /٣٥ . وهي قلوب غافلة عن ذكر الله منشغلة بأهواء الدنيا وشهواتها : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) الكهف /٢٨ .

وهي قلوب عمياء (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج /٤٦ .

فهذه الصفات القرآنية لقلوب الكافرين والمنافقين والفاسقين . قد يعبر عنها أحيانا بصفات جسدية . فتجد قلوبهم غير مطمئنة . إن أصابتهم مصيبةٌ تثور ثائرتهم وتنتفخ أوداجهم ويتسرع قلبهم إلى حد الرجفان . لأنها قلوب غير مكبوحة الجماح بالإيمان . أو الذكر أو العلم . فترتعش الأعضاء ويهتز الصدر كجناحي الطائر . وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .



ليس اغرب من (التحذير الرسمى) الملصق على كل علبة سجاير فى الأسواق . والذى يقول ان (التدخين يضر بصحتك ... ننصحك بالامتناع عنه) .. بينما السم داخل العلبة . وتحت هذا التحذير مباشرة ..

اقول ليس اغرب من ذلك .. الا الطبيب الذى يلح على مريضه بالاقلاع عن عادة التدخين . ثم يرسل فى وجه المريض سحابة من سيجارته . أو يمص غليونه امامه على مهل .. وباناقة .. ان هذين التصرفين . أو المظهرين بعيدان عن المسئولية التى يتطلبها منع السم عن المريض . أو اقناع المدخن بالاقلاع عن التدخين .. الذى اصبح محورا للعديد من البحوث العلمية فى الأونة الأخيرة وكلها تجمع على ان التدخين سبب العديد من الأمراض القاتلة . وفى مقدمتها السرطان .

امامى نتائج دراسات عديدة . وبحوث علمية استغرقت سنوات طويلة . فى أكثر من بلد . والى المدخنين أسوق بعض النتائج المذهلة كما وردت فى (المختار) :

● خلال ٦ ثوان يصل النيكوتين من دخان السيجارة الى الدماغ . ومن يدخن علبة سجاير واحدة فى اليوم يتعرض لكمية تتروح بين ٥٠ و ٧٠ ألف جرعة نيكوتين سنويا .

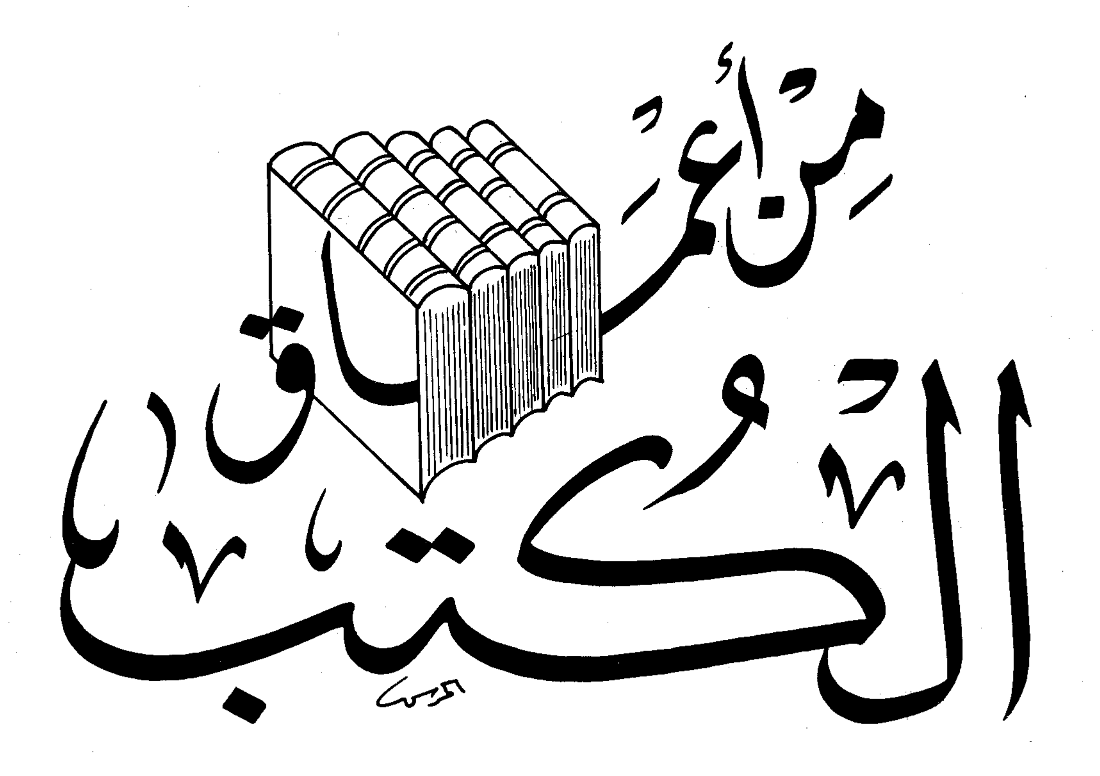
● تحتوى علبة السجاير اليوم على أقل من ستين مللغراما من النيكوتين . وهذه الكمية كافية لو تناولها الانسان جرعة واحدة ان تقتله .

● يسبب النيكوتين تسارعا عنيفا فى دقات القلب . وبسببه تضيق الأوعية الدموية ويرتفع الضغط . وتتدفق الاحماض الدهنية فى الدم .. ثم يشعر المدخن بالارتخاء والتعب . فتخف سرعة القلب وينخفض الضغط . ويفقد العقل فطنته الحادة ..

● عندما يبلغ النيكوتين الدماغ . يثير الوصلات العصبية ثم يهمدها . كما ينشط افراز (الادرينالين) ثم يهمده . وهو ينبه الاعصاب فى العضلات . ولكن سرعان ما ينتهى هذا التنبيه بنوع من الشلل . وهو اذا اعطى بكميات صغيرة يؤدى الى الرجفة وبكميات كبيرة يؤدى الى التشنجات .

● والنيكوتين يهيج التقيؤ اللا ارادى فى الدماغ وفى أعصاب المعدة وله تأثير مقاوم لادرار البول .. وعلى الرغم من انه ينشط الامعاء فى البداية الا ان الجرعات اللاحقة منه (خلال التدخين) تبطىء حركة الجهاز الهضمى بأسره .. وكذلك الحال بالنسبة للفم والمجارى الهوائية .

هذه بعض النتائج فقط وهى كافية لوصف التدخين بانه (انتحار بطىء) .. وعسى ان يتعظ المدخنون عندما يتصور الواحد منهم كل تلك التفاعلات داخل جسمه وعقله مع كل سيجارة .. أو حتى كل (جـــرعة) ..


من أعماق الكتب

« من أعماق الكتب »

لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً . فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلالنا الحاضر ؟

إن العمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه ، وإن ترك السنة هو انحلال الإسلام .

لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذى قام عليه صرح الإسلام ، وإنك إذا أزلت هيكل بناء ما ، أفَيُدْهِشُكَ أن يتقوَّض ذلك البناء كأنه بيت من ورق ؟

إننا نستعمل هنا كلمة السنة بأوسع معانيها ، على أنها المثال الذي أقامه لنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أعماله وأقواله ، إن حياته العجيبة كانت تمثيلا حيًّا ، وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم ، ولا يمكننا أن ننصف القرآن الكريم بأكثر من أن نتبع الذى قد بلَّغ الوحي صلى الله عليه وسلم .

لقد أتى الإسلام بالرسالة الجديدة التى لا تجعل احتقار الدنيا شرطاً للنجاة فى الآخرة ، تلك الخاصة الظاهرة فى الإسلام تجلو الحقيقة الدالة على أن نبينا ـ الذى كان فى رسالته الدليل الهادي للإنسانية ـ كان شديد الاهتمام بالحياة الإنسانية فى كلا اتجاهيها ، في المظهر الروحي ، والمظهر المادي ، وإن القول بأننا مجبرون على اتباع الأوامر المتعلقة بالنوع الأول ، ولكننا لسنا مجبرين على أن نتبع الأوامر المتعلقة بالنوع الثانى إنما هو نظر سطحي ، وهو فوق ذلك مناهض فى روحه للإسلام ، مثل الفكرة القائلة بأن بعض أوامر القرآن الكريم قد قُصِد بها العرب الذين عاصروا نزول الوحي ، لا النخبة من الأكياس (الجنتلمان) الذين يعيشون فى القرن العشرين .

- إن هذا القول بخسٌ شديدٌ لقدر النور النبوي الذى قام به المصطفى صلى الله عليه وسلم .

- وكما أن حياة المسلم يجب أن تقوم على التعاون التام المطلق بين ذاته الروحية وذاته

الجسدية . فإن هداية نبينا يجب أن تضم الحياة على أنها وحدة مركبة . أى على أنها مجموع أعمق المظاهر الخلقية . والعملية . والشخصية . والاجتماعية ـ وهذا هو أعمق معانى السنة .

من كتاب (الإسلام على مفترق الطرق)
للمستشرق النمسوى المسلم : محمد أسد

تعليــق التحـــريـر

إن محمد أسد ـ المستشرق النمسوى المسلم ـ بفضل الله تعالى خالطت بشاشته بشاشة الإسلام قلبه . وظهر ذلك فيما سطره فى كتابه (الإسلام على مفترق الطرق) .

فقد كتب فيه كلماتٍ رائعة عن السنة المطهرة . وأوردت منها ما ذكره من أن ترك السنة هو انحلال الإسلام . وأن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تمثيلًا حيًّا . وتفسيراً لما جاء في القرآن الكريم . فلابد اذن من اتباعها . فى القرن العشرين كما اتبعت فى الماضى . فى الحياة الروحية والجسدية على السواء .

وما أروع تصوير هذا المستشرق المسلم لعظمة السنة المشرفة وأهميتها للمسلم . وضرورة الأخذ بها مع القرآن الكريم . لأن الأخذ بها أخذ بالقرآن الكريم . وردها رد للقرآن الكريم . فقد جاء فيه قول الله جل وعلا : **(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)** (الحشر آية ٧) . وذلك لأن كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو وحى من الله تعالى كما قال جل شأنه : **(وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى)** (النجم آية ٣ . ٤) . وحذر تعالى من ترك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله **(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** (النور آية ٦٣) . إذ أنه بدون السنة لا يفهم ولا يُطبق كثير من أحكام الدين .

فإلى منكري السنة المشرفة . والمعرضين عنها . والمحادين لها . نوجه هذا التحذير الإلهى الشديد . وإلى الذابين عن السنة المطهرة . نوجه الدعاء لهم بالتوفيق . ونستحثهم للجد . وعدم ترك لواء الذب عن المصدر الثانى للتشريع الإسلامي . والله معهم . ولن يترهم أعمالهم .

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه وخاتم رسله محمد وعلى آله وصحبه ...

سـعد نـدا
عضـو التحـريـر


مختارات من
الصحف

اعتماد مخطط جامعة أم القرى

علمت « الندوة » أنه قد اعتمد فى ميزانية هذا العام المخطط العام لجامعة أم القرى وذلك باعتماد تصاميم المخطط العام للمدينة الجامعية الذى يشتمل على جميع منشآت الجامعة من كليات حالية وحديثة وهى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وكلية التربية ومعهد اللغة العربية والكليات الجديدة والمراكز العلمية بالجامعة وجميع ما يستلزم الجامعة من خدمات ·

« النـدوة »

احدث كتاب عن الإسلام فى الأسواق الفرنسية

صدر فى باريس مؤخرا كتاب بعنوان « سحر الإسلام » وهو للكاتب الفرنسى الأشهر « مكسيم رودينسون » الذى صدر له قبل ذلك كتاب عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم أما موضوع الكتاب الذى يعتبر أحدث ما صدر عن الإسلام من كتب فى الأسواق الفرنسية : فهو تأثير الإسلام على الغرب . لاسيما فى القرن التاسع عشر . ويتناول الكاتب بالعرض والتحليل آراء مجموعة من المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام . واعتبروه « القوة الدافعة » للتقدم الإنسانى المنشود ·

« المدينة »

سياسيون يابانيون يعتنقون الإسلام من بينهم وزير سابق

فى نبأ من طوكيو ان اثنى عشر سياسيا يابانيا قد اعتنقوا الإسلام بعد دراسة متأنية واطلاع واسع ومن بينهم « **محمد يوشير كوميانا** » عضو الحزب الديمقراطى والوزير السابق للبرق والبريد والهاتف **ورشيد كاكوندو** عضو الحزب الاشتراكى الديمقراطى . ومستشار العلاقات الخارجية بالمؤتمر الإسلامى اليابانى ·

وعبد الملك ايتيش عضو الحزب الديمقراطى الحر . ورئيس اللجنة البرلمانية للشئون الخارجية . بالاضافة الى تسعة اعضاء اخرين بالمجلس المحلى للعاصمة اليابانية ·

١٥ شخصا يشهرون إسلامهم أمس بجدة

شهدت محاكم جدة الشرعية ظهر يوم الاثنين ١٠ / ٥ اشهار اسلام ١٥ شخصا من كوريا والفلبين وتايلند وفرنسا من بينهم امرأة تعمل مربية وفرنسى يعمل خبيرا فى علوم البحار لدى سمو الأمير مشهور بن عبد العزيز ٠

وقد التقى بهم الشيخ عبد العزيز العيسى رئيس محاكم جدة الذى رحب بهم وتناقش معهم كثيرا عن الأمور الدينية عن طريق مترجم المحكمة وقد نطقوا جميعا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإيمان بالله ورسوله وأن الجنة حق والنار حق ٠

وتحدثوا أمام فضيلته عن رغبتهم وعزمهم الأكيد فى التمسك واتباع تعاليم الدين الإسلامى الحنيف عن حب ورغبة والالتزام باركانه الخمسة واتباع ما أمر الله به ورسوله واجتناب ما نهى عنه ٠

وقد عبر المسلمون الجدد « للمدينة » بعد تسجيل اعتناقهم للإسلام شرعا بأنهم سعداء ومسرورون للغاية فى هذه الساعة وان اعتناقهم للإسلام تم بعد تأثرهم كثيرا بالمسلمين فى المملكة وتمنوا ان يمن الله على أخوانهم الآخرين بالهداية الى اعتناق هذا الدين ليتذوقوا حلاوة الإيمان وينعموا بما يتوفر فى ظل الشريعة الإسلامية السمحة ٠

« المدينة ١١ / ٥ / ١٤٠١ هـ »

مخطط سوفيتى من أجل اضعاف الإسلام بالجمهوريات الإسلامية الآسيوية .. !!

تقرير خطير لمراسل وكالة الأنباء الفرنسية فى (طشقند) جاء فيه :

أن مخاوف الاتحاد السوفيتى تتضاعف بسبب الزيادة المذهلة لعدد المسلمين فى الجمهوريات الإسلامية بآسية الوسطى ، وهى أعلى نسبة فى جميع أنحاء الاتحاد السوفيتى ، كما ترجع الى تمسك هذه الجمهوريات بالدين الإسلامي حتى الآن وأن الاتحاد السوفيتى حاول منذ قيام الثورة الشيوعية العمل على ابادة الإسلام والمسلمين ، فقد تناقص عدد المساجد من خمسة وعشرين ألف مسجد الى أربعمائة وخمسين مسجدا فقط ، ابقى عليها لخداع المسلمين عن حقيقته المعادية للأديان ، أما المدارس الإسلامية فهى فى طريقها الى الانقراض ، وكذلك المطبوعات الإسلامية ، خاصة القرآن الكريم ، فهى نادرة الوجود ٠

الإسلام والتعريب جنبا الى جنب فى الجزائر

فى نبأ لصحيفة المجاهد الجزائرية ، أن السيد عبد الرحمن شيبان « وزير الشئون

الدينية » قد وجه نداء قويا من أجل تقوية برامج التعليم الإسلامى فى الجزائر ، وقال ان بلاده تواجه « أزمة هوية » منذ الاستقلال ، لم يستطع حلها : الشعور القومى ، ولا عملية التعريب ، وقال : أن فكرة التعريب والإسلام قد برزتا جنبا الى جنب .. كوجهين متلازمين لحقيقة واحدة ، ولكن ثمة أمثلة تظهر أن التعريب شكل غطاء للتخلى عن المضمون الإسلامى . ولا بد للتأكيد ، أكثر من أى وقت مضى ، أن لا مكان فى الجزائر للتعريب الخالى من الإسلام .

ترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البولندية

قام أحد الأساتذة بمعهد الدراسات التابع لاكاديمية العلوم البولندية لأول مرة بترجمة معانى القرآن الكريم الى اللغة البولندية ، وقد استغرقت هذه الترجمة خمسة وثلاثين عاماً . وجدير بالذكر أن المسلمين البولنديين يصل عددهم الى بضعة آلاف ينتمون الى أصول تركية وتتارية ، ومعظمهم يقيم فى **(وارســو)** العاصمة ، وقريتين أخريين فى منطقة (بلاى ستوك) وهم حريصون أشد الحرص على دينهم ، ويقوم الامام الشيخ **(محمود طــه زوق)** باصدار نشرة دورية بعنوان (الإسلام) ، وبينما كان عدد مساجدهم قبل الحرب العالمية « ستة عشر مسجدا » ـ أصبح عددها الآن مسجدين فقط (!!) .

« المدينة ١٩ / ٦ / ١٤٠١ هـ »

المسلمون فى ايطاليا يشترون مقر السفارة البريطانية

يتمتع المسلمون فى أوربا وفى ايطاليا بوجه خاص بكثير من الحرية لتأدية شعائر الإسلام ، خصوصا اذا قورنت هذه الحرية ببعض البلاد الآسيوية التى تحارب الإسلام والمسلمين علنا كالفلبين وبورما .. فالجاليات الإسلامية متضامنة ويعملون باخلاص فى ايطاليا ، وتضمهم الجمعية الثقافية الإسلامية التابعة للمركز الإسلامى ، تحت اشراف سفراء الدول الإسلامية ..

وقد نجحت جهود المركز الإسلامى فى شراء قصر عظيم كان مقرا للسفارة البريطانية لدى الفاتيكان ، والقصر مكون من ثلاثة طوابق ، يحيط به حديقة غناء ، تبلغ مساحته (خمسة آلاف متر مربع) بمجهود سفير المملكة العربية السعودية (سعادة الأستاذ خالد ناصر التركى) الذى يبذل جهدا ملموسا فى ارساء دعائم المركز الاسلامى بايطاليا مع زملائه من سفراء الدول الاسلامية المتعاونة جزاهم الله .

« المدينة ٢٨ / ٦ / ١٤٠١ هـ »

كمبيوتر باللغة العربية

نجح علماء ومهندسو معهد الأبحاث بجامعة البترول والمعادن بالظهران بالتعاون مع اخصائيين من جامعة مونتريال الكندية فى تطوير جهاز (نهائى الكمبيوتر) يمكن الاستفادة منه فى مجال التطبيقات الادارية والمكتبية والتعليمية والعلمية ٠

ويقضى هذا التطوير باستخدام اللغة العربية أو أى لغة لاتينية الأصل فى هذا الجهاز عن طريق ادخال المعلومات وتنسيقها والاستفادة منها فى البرامج والقدرات المتنوعة للكمبيوتر ٠

ويتكون الجهاز النهائى للكمبيوتر من شاشة تليفزيونية ولوحة أصابع يمكن بواسطتها ادخال المعلومات بالجهاز الذى يمثل المرحلة الأولى من مشروع الكمبيوتر العربى الذى بدأ منذ عدة شهور بهدف تطوير حاسب آلى متكامل باللغة العربية للاستفادة من قدراته المتنوعة ٠

ويعتبر جهاز نهائى الكمبيوتر الأول من نوعه من حيث بنائه على حسب النظام المقترح من قبل اللجنة المنبثقة عن الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس ٠

« البلاغ »

لتقوية الغربيين وإضعاف المسلمين

« ولعل مما يلفت النظر أن الغرب يعمل جاهداً على زيادة النسل لا على تحديده . مع أنه هو الذي ينذر بالخطر ويساعد الدول الإسلامية على تحديد النسل ٠ فحكومة اليونان قررت صرف مكافأة شهرية ثابتة لكل أبوين عن الطفل الثالث وما بعده . كما جاء في جريدة « كالاجار » بتاريخ ١٥ / ٦ / ١٩٧٥ ٠ وفي روسيا أصدر مجلس السوفيت الأعلى عام ١٩٧٢ قراراً بإهداء ميدالية فخر الأمومة إلى الأمهات المنجبات لأكبر عدد ممكن من الأطفال . كما جاء في جريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٦ / ٣ / ١٩٧٢ ٠ كما أنهم منعوا تداول الحبوب المانعة للحمل وأعطوا اجازات أطول للزوجة الحامل ٠ وفي أسبانيا أهدى الجنرال فرانكو قديما جائزة الأب المثالى إلى فلاح أسبانى أنجب ٢١ طفلًا كما جاء بصحيفة الجمهورية القاهرية بتاريخ ٢ / ٥ / ١٩٧٣ ٠ وألمانيا الغربية تدفع ١٠٨ دولارا للطفل الثالث و٥٤٠ للرابع ٠ وفرنسا ودول غرب أوربا تدفع مرتباً ثابتاً ٨٣٠ دولارا لكل طفل »

« الدعوة القاهرية »

تعليق المجلـــة

هكذا يشجع الغرب شعوبه على زيادة النسل بمختلف المغريات ، ولكنه لا ينفك - يبذل المستحيل لإقناع حكام المسلمين بتخفيض نسلهم ... فلم هذا التفريق بين الفريقين ؟ ولم يكون الانفجار السكاني بين المسلمين وحدهم ؟ ! ...

مخططـــات خطـــيرة

كتبت مجلة اليمامة تقول :

ان شنودة الثالث بابا النصارى في مصر اصدر كتابا يطمئن فيه الاقباط على أن مصر ستعود قبطية مثلما عادت الأندلس مسيحية بعد ثمانية قرون من الفتح الإسلامي » .

ويقتضي لذلك الاستيلاء على مصر وتحويلها الى دولة نصرانية كاملة ولتبدأ بدولة صغيرة في الوجه القبلي « جنوب مصر » ولتكن عاصمتها اسيوط مؤقتا ولا بأس أن تتحول مصر الى لبنان أخرى أو فلبين مادام النصارى سيجدون تأييدا من امريكا بالذات وخاصة وان شنودة الثالث استقبل هناك استقبال رؤساء الدول تماما » .

تعليـــق المجلـــة : لا ندري من أين استقت اليمامة هذا الخبر وإن كانت القرائن القائمة في مصر كافية للتوكيد على أن مثل هذا المخطط الشيطاني ليس بعيداً عن تفكير البابا شنودة ، الذي سبق أن نشرت مجلة الجامعة الإسلامية خلاصة وافية عنْ تقريره الذي ألقاه في اجتماع كنسي مغلق ، وفيه يحض أتباعه على الاكثار من النسل ، والعمل الجاد للاستيلاء على زمام السلطة في مصر كلها ، مبشراً اياهم بالعون الموعود من أميركة واسرائيل .

ولكن .. بقي أن تتنبه الحكومة المصرية إلى هذه المؤامرات بقوة وحزم لتفوت على أعداء مصر والإسلام أغراضهم الخبيثة .

محمد المجذوب

عضو التحرير

الاقتصاد الإسلامى

عقد المؤتمر العلمى الثامن للجمعية المصرية للإدارة المالية فى الفترة من ١٤ ـ ١٦ ابريل سنة ١٩٨١ بفندق السلام ، واستغرقت أعماله خمس جلسات متصلة ، حضرها نائب رئيس الوزراء للشئون المالية ووزير المالية والاقتصاد ووزير الأوقاف ونقيب التجار وحشد كبير من وكلاء الوزارات ورؤساء الهيئات والمؤسسات والشركات وأساتذة الجامعات · لمناقشة موضوع (العدالة الاجتماعية فى ضوء السياسات المالية والاقتصادية ·· فى مصر) ·

وكانت أولى توصيات المؤتمر بالنص التالى :

(أن النظام الإسلامى وهو يوائم بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع فى مجالات الحرية والعمل والتملك والتوزيع ·· نظام متكامل يضع أساس المجتمع بكل مقوماته الاجتماعية والاقتصادية ، ومن ثم فان تحقيق التوازن الاجتماعى بين الفرد والمجموع من ناحية ، وبين الأفراد من ناحية أخرى يحقق التكامل الاجتماعى ومن ثم العدالة الاجتماعية بتحقيق حد الكفاية للإنسان والذى لا يقتصر على كفالة الضروريات وانما يمتد ليشمل طيبات الحياة الأخرى ·

ان مرونة النظام الإسلامى وواقعيته وشموله تجعله نموذجا انمائيا شاملا قابلا للتطبيق فى كل زمان ومكان ·· وفى مصر يتطلب الأمر تهيئة المجتمع تشريعيا للأخذ بهذا النموذج ، وكفالة تطبيقه تطبيقا كاملا أمينا) ·

محنة الاسلام في أندونيسية

قرر وزير التربية الأندونيسى توزيع ٧٦ كتابا نصرانياً ضمن مشروع المكتبات الصغيرة للمدارس المتوسطة ·· وعندما سئل الوزير عن سبب عدم وضعه كتابا اسلامياً واحداً في هذه المكتبات · أجاب بأن هذه هى الطريقة الأمريكية ·

وفي خبر آخر قدمه يوسف هاشم أحد أعضاء البرلمان من حزب الاتحاد الاسلامى بأن ٤٢ شخصاً حكمت عليهم الحكومة الأندونيسية بالاعدام في جاوى الشرقية بتهمة تعاطى السحر ·· جميعهم من الذين يعلمون القرآن أطفال المسلمين في المساجد والمدارس ·

« النور المغربية »


أحداث العالم
الإسلامي
منصور ؟

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم

« ملخص لبحث قدم للمؤتمر السادس للجامعة الإسلامية لعموم الهند - حيدر أباد : ربيع الآخر ١٤٠١هـ »

للدكتور محي الدين الألوائي

بالجامعة الإسلامية

إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤسسة إسلامية تتميز بميزات لم تجتمع لمؤسسة أخرى على وجه الأرض حتى الآن ، فقد اجتمع لها إلى سمو الهدف وعالمية الغاية شرف المكان حيث تقوم فى مهبط الوحي ودار الهجرة وعاصمة الاسلام الأولى . ويفد إليها أبناء العالم الإسلامي من كل فج عميق للاغتراف من مناهلها الفياضة كما توفد الدعاة والعلماء المتخصصين من العلوم الإسلامية واللغة العربية إلى بلاد عديدة .

ومما زادها مهابة وساعدها على قفزات إلى الأمام فى سبيل تحقيق أهدافها النبيلة أن رئيسها الفخري هو جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ورئيسها الأعلى صاحب السمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد . وأما المجلس الأعلى للجامعة فيتألف من كبار العلماء وقادة الفكر الإسلامي من مختلف أنحاء العالم .

وفى هذه المناسبة التى تحتفل فيها الجماعة الإسلامية ـ التى هى إحدى المؤسسات الإسلامية الكبرى فى هذا العصر ، أرى من المناسب أن نقوم بتطواف سريع حول « الجامعة الإسلامية » بالمدينة المنورة التى لها علاقات عديدة ووطيدة بالجامعات والمعاهد والمؤسسات الإسلامية فى الهند وعلمائها ، وتستقبل كل عام طلابا جددا من أبنائها ، كما توفد إليها وفودها الخاصة حينا فآخر لتعرف أحوال المسلمين فيها واحتياجاتهم .

أنشئت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى عام ١٣٨١ هـ الموافق ١٩٦١ م لأبناء العالم الإسلامي كله ليتفقهوا فى دين الله ويتضلعوا في علوم الشريعة واللغة العربية ثم يعودوا إلى بلادهم حاملين مشاعل الهدى يدعون الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله . وينقلون إليهم نور العلم والعرفان . ومنذ إنشائها تلقى عناية خاصة من حكومة المملكة العربية السعودية نظرا لعالميتها وشمول نفعها وشرف مكانها · وتتدرج الجامعة منذ إنشائها فى مجال التقدم والازدهار كأكبر مصدر للإشعاع الروحي وأزهى مشعل للهداية ·

ويمكن تلخيص الأهداف التي حددها نظام الجامعة فيما يلى :

أولا ــ تعليم الطلاب الذين يفدون إليها من شتى أنحاء العالم اللغة العربية والعلوم الإسلامية متزودين من سائر العلوم والمعارف التي تؤهلهم للقيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام وتنوير المسلمين فى شئون دينهم ودنياهم على هدى الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح ·

وثانيا ــ نشر رسالة الإسلام بين الشعوب المختلفة وغرس روح الدين بين الأفراد والجماعات وتطبيق الشريعة الإسلامية الغراء فى حياة الفرد والجماعة وتعميق هذه الروح بكل الوسائل الممكنة ·

وثالثا ــ إعداد الدعاة المخلصين فى مجال تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم من طريق الدعوة والتعليم والإرشاد والقدوة الحسنة ·

وأنشئت فى الجامعة كلية خاصة باسم كلية الدعوة وأصول الدين لتحقيق هذا الهدف المنشود على وجه أتم وصورة أشمل ·

ورابعا ــ تجميع التراث الإسلامى والعناية بتحقيقه ونشره · ولهذا الغرض تهتم الجامعة بإقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات العلمية فى مختلف بلدان العالم ·

وخامسا ــ القيام بإعداد البحوث العلمية فى مجالات العلوم الإسلامية والعربية بصفة خاصة وسائر العلوم والمعارف التى يحتاج إليها المجتمع الإسلامي بصفة عامة ونشرها وترجمتها . حتى تعم الفائدة وينتشر الانتفاع بها · وبفضل هذه الأهداف التى تعمل الجامعة من أجلها منذ إنشائها قد صارت فعلاً مؤسسة إسلامية عالمية متكاملة من حيث الغاية والتطبيق العملي وإلى جانب الكليات والمعاهد ومجالسها الخاصة أنشئت فى الجامعة الإسلامية مجالس

متخصصة عديدة ومنها : مجلس شئون الدعوة الإسلامية ويتبعه مركز شئون الدعوة ، والمجلس العلمي وتتبعه إدارة البحث العلمي ، ومجلس شئون المكتبات ·

وتوفد الجامعة وفودا الى مختلف البلاد لزيارة المكتبات العلمية والتاريخية فيها وتتبع المخطوطات فيها وتصويرها وتجميع فهارسها والتزويد بها مكتبة الجامعة المركزية وفى العطلة الصيفية الماضية أوفدت الجامعة وفدا الى الهند لهذا الغرض ، وفى هذا العام أيضا يقوم وفد يتألف من عدد من أساتذة الجامعة وطلابها بزيارة للهند لمشاهدة معالمها وآثارها الإسلامية وتوطيد أواصر التعاون والتفاهم مع المراكز الثقافية ودور العلم فى أنحائها ·

وفيما يلى جولة سريعة حول كليات الجامعة الإسلامية ومعاهدها المختلفة :

١ ـ كلية الشريعة : وهى تعتني بدراسة الفقه وأصوله مع دراسات من التفسير والحديث والتوحيد وفقه اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والأديان والفرق والمذاهب ·

٢ ـ كلية الدعوة وأصول الدين : وتهتم بدراسة التوحيد والتفسير والحديث وبصفة خاصة طرق الدعوة الإسلامية الى جانب العلوم الاجتماعية والديانات والمذاهب والفرق والملل والنحل ·

٣ ـ كلية القرآن : وتوجه عناية خاصة نحو دراسة علوم القرآن الكريم والقراءات والتفسير وإعجاز القرآن ، إلى جانب دراسات التوحيد والفقه والحديث ومناهج البحث العلمي ·

٤ ـ كلية اللغة العربية : وهى تعنى بدراسة علوم اللغة العربية والتاريخ وطرق البحث العلمي إلى جانب سائر العلوم الإسلامية ·

٥ ـ كلية الحديث : وهى تقوم بتدريس علوم السنة النبوية والإسلام والمذاهب المعاصرة ، وطرق الدعوة والتدريس ، وحاضر العالم الإسلامي إلى جانب دراسات فى التوحيد والتفسير وأصول الفقه ، واللغة العربية ، ونظام الإسلام والأديان والفرق والمذاهب ·

ومدة الدراسة بكليات الجامعة الإسلامية أربع سنوات ويحصل المتخرج فيها على الشهادة العالية أى الليسانس ·

٦ ـ قسم الدراسات العليا : وهو قسم مستقل عن الكليات ـ ويمنح القسم درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه ، وفيه الآن أربع شعب هى : شعب التفسير ، وشعبة السنة النبوية ، وشعبة أصول الفقه ، وشعبة الفقه ·

٧ ـ شعبة اللغة العربية لغير العرب وتعنى بتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية للطلاب الوافدين إلى الجامعة الذين لا يتكلمون اللغة العربية أو لا يجيدونها حتى يتمكنوا من الدراسة والتخاطب بها . وبعد نجاح الطالب فيها يلحق بالمرحلة الدراسية المناسبة حسب مؤهلاته العلمية . وتعتبر هذه الشعبة من أهم شعب الجامعة من حيث الغاية ودورها في تعليم اللغة وعلومها لغير الناطقين بها . ومدة الدراسة فيها الآن سنتان .

٨ ـ المعهد الثانوى : ويعنى بالدراسات الإسلامية والعربية . ويلتحق به الحاصلون على شهادة المرحلة المتوسطة (الإعدادي) أو ما يعادلها . ويحصل الطالب منه الشهادة الثانوية . ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

٩ ـ معهد الدراسة المتوسطة : ويحصل الطالب منه على شهادة المرحلة المتوسطة (الإعدادي) ويعنى أيضا بالدراسات الإسلامية والعربية . ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات .

١٠ ـ دار الحديث : وكانت مدرسة أهلية مستقلة وضُمت الى الجامعة الإسلامية عام ١٣٨٤ هـ . وتوجد بمكة المكرمة أيضا دار مماثلة تابعة للجامعة تتفق مع دار الحديث المدنية . فى المناهج والخطط الدراسية .

ويبلغ مجموع طلبة الجامعة فى الوقت الحاضر حوالي ٦ آلاف (٦٠٠٠) طالب من مائة دولة من مختلف قارات العالم . (أما عدد الطلاب الهنود فيها الآن فيزيد عن مائة وخمسين طالباً) . وهم موزعون بين مختلف المعاهد والكليات وقسم الدراسات العليا . ويحصل الطالب على منحة دراسية شهرية طوال العام . وفضلا عن المكافأة الشهرية يتمتع طالب الجامعة بالامتيازات التالية :

١ ـ استقدام الطالب من بلده جوًّا على حساب الجامعة عند قبوله بها وترحيله عند تخرجه .

٢ ـ ترحيل الطلاب فى العطلة الصيفية الى بلادهم ذهابا وايابا على حساب الجامعة كل عام تيسيرا لالتقاء الطالب بأهله وقومه .

٣ ـ تأمين السكن المؤثث دون مقابل للطلاب من داخل الحرم الجامعى أو خارجه .

٤ ـ تقديم وجبات الطعام عن طريق « مطعم الجامعة » مقابل اشتراك رمزي ·
٥ ـ تأمين جميع الكتب الدراسية المقررة لكل طالب بالمجان ·
٦ ـ تأمين المواصلات بسيارات الجامعة (بين مقر الجامعة والمدينة المنورة) صباحا للحضور إلى الدراسة ، وعند انتهائها وفى المساء وفى أيام العطل للصلاة بالمسجد النبوى الشريف ·
٧ ـ صرف ١٠٠٠ (ألف ريال) لكل طالب ينجح بتقدير ممتاز ، من جميع سنوات الدراسة بكليات الجامعة ·

٨ ـ أنشئت فى الجامعة إدارة لشئون الإشراف والتوجيه الاجتماعي تعنى بتوفير الرعاية للطلاب فى حياتهم السكنية والدراسية ومعاونتهم على حل مشكلاتهم وتنمية علاقات الاخوة والمودة والتعاون فيما بينهم · وان الجامعة الإسلامية الآن مظهر من أهم مظاهر وحدة المسلمين فاذا زرت كليات الجامعة ومعاهدها ومهاجعها تجد ملامح هذه الوحدة كأروع ما يكون حيث ترى الطلاب من مختلف الاجناس واللغات والألوان والأوطان يعيشون تحت راية الإسلام وحظيرة العلم وشعارهم : لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ورايتهم : العلم رحم بين أهله ·
٩ ـ يتبع الجامعة صندوق خاص لمعاونة الطلاب على مواجهة ظروف الحاجة الطارئة بتقديم المساعدات المالية ·
١٠ ـ تؤمن الجامعة الخدمات الطبية لجميع طلابها وأساتذتها وموظفيها مع صرف الأدوية مجانا ·

وأما مستوصف الجامعة فيعمل صباحا ومساء تحت إشراف نخبة من الأطباء والإخصائيين ·

١١ ـ تتبع الجامعة دار للطلبة بجدة لاستقبال الطلاب الوافدين والمرتحلين يسكنون فيها حتى تنتهى معاملتهم ويغادرون جدة الى المدينة المنورة أو إلى بلادهم كما تقوم بمعاونتهم وتيسير إجراءات سفرهم ·

وتصدر الجامعة مجلة إسلامية علمية باسم « مجلة الجامعة الإسلامية » وترسل بدون مقابل إلى الهيئات والمؤسسات العلمية والإسلامية فى أنحاء العالم الإسلامي ·

وتنظم الجامعة أيضا موسما ثقافيا يلقى فيه أساتذة الجامعة محاضرات فى شتى الموضوعات العلمية الهامة ·

مجالس الجامعـــة :

١ ـ المجلس الأعلى للجامعة : وهو يتألف برئاسة الرئيس الأعلى للجامعة وعضوية رئيس الجامعة ونائبه والأمين العام للجامعة ورئيس ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد والأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ووكيل وزارة المعارف ورئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة وأحد العمداء وثلاثة عشر عضوا من كبار العلماء وقادة الفكر الإسلامي ومديري الجامعات وأساتذتها . على أن يكون من بينهم عشرة أعضاء من خارج المملكة يمثلون مختلف المناطق الإسلامية فى العالم ·

٢ ـ مجلس شئون الدعوة الإسلامية ويتبعهُ مركز شئون الدعوة الإسلامية ولجنة التأليف والترجمة ·

٣ ـ المجلس العلمي وتتبعه ادارة المجلس العلمي ·

٤ ـ مجلس شئون المكتبات وتتبعه المكتبة المركزية ومكتبات الكليات · وتضم هذه المكتبات مجموعة كبيرة من الكتب والمراجع العلمية فى مختلف فروع المعرفة · وتعمل المكتبة المركزية على جَمْع المخطوطات الإسلامية وتصويرها من شتى أنحاء العالم · ويوجد فيها قسم لتصوير المخطوطات والكتب النادرة وكذلك قسم آخر للكتب فى اللغات الأجنبية ·

نائب رئيس الجامعة الإسلامية في لقاء مع المسلمين في أقطار مختلفة من العالم بين الشرق والغرب

قام فضيلة الدكتور عبد الله الزائد نائب رئيس الجامعة الإسلامية بجولة إسلامية طويلة استغرقت أكثر من شهر ، وبرفقته فضيلة الشيخ / عمر محمد فلاتة الأمين العام للجامعة وشملت كثيرا من أقطار العالم في الشرق والغرب .

وقد صرح فضيلته بأن هذه الجولة كانت رحلة استطلاعية للتعرف على أحوال الأقليات الإسلامية في كثير من بلدان العالم من جهة ، ولزيارة بعض خريجي الجامعة الإسلامية في مواقع عملهم ، وكانت استجابة لرغبات كثير من الجامعات والجمعيات والجماعات الإسلامية في هذه الأقطار من جهة أخرى . وقد شملت هذه الجولة كلا من البرازيل والأرجنتين وألمانيا وبعض الولايات في أمريكا الشمالية ثم الهند وبنجلاديش وباكستان ونيبال .

وقد التقى فضيلته بكثير من جماعات المسلمين في كل هذه الأقطار حيث شارك في عقد الندوات الإسلامية في المركز الإسلامي وفي الجمعية الإسلامية بمدينة برازيليا عاصمة البرازيل . كما زار المركز الإسلامي في كل من الأرجنتين وواشنطن ومركز وارث الدين آية اليجا . إلى جانب لقاءات إسلامية لفضيلته في جامعة متيشجان الأمريكية وفي مركز اتحاد الطلبة المسلمين والوقف الإسلامي في مدينة إنديانا وفي جامعة بلومونكتون وفلادليفيا .

وفي تحقيقات صحفية أجرتها مع فضيلته بعض الصحف المحلية مثل جريدة عكاظ وجريدة البلاد وجريدة الجزيرة وجريدة المدينة ، أشاد فضيلته بنشاط الجماعات الإسلامية العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية وقوة فعاليتها وتأثيرها في مجال الدعوة الإسلامية ، وعلل فضيلته ذلك بما تتمتع به من حرية في مجال ممارسة الشعائر الدينية والقيام بالدعوة الإسلامية . وأيضا ما تتمتع به الجاليات الإسلامية في كل من أمريكا وبعض دول أوربا من مستوى ثقافي واجتماعي رفيع يجعلها في مركز حيوى وفعال وتصبح معه قادرة على النهوض

بأعباء الدعوة إلى الإسلام وتعريف العالم بسماحة هذا الدين العظيم القادر على تحقيق سعادة المجتمعات البشرية وتحقيق تقدمها وانتشار العدل والمساواة بين الناس ٠

ودعا فضيلته كل المسلمين الى القيام بواجبهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان والاهتمام بأحوالهم عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) وأوضح أن واجب الدول الإسلامية هو العناية بتعريف الأقليات الإسلامية بالعقيدة الصحيحة وبسماحة الشريعة الإسلامية السمحاء . ولاسيما وأن الدول الاستعمارية والإلحادية تساعد ـ في غير مواربة ولا خفاء ولا استحياء ـ أصحاب الديانات الباطلة والمذاهب الفاسدة بلا حدود ٠

وفي منطقة الشرق الإسلامي شارك فضيلته في احتفالات مؤتمر الجماعة الإسلامية في مدينة حيدر آباد . كما افتتح الموسم الثقافي الذى أقامته الجامعة السلفية ببنارس . كما أنه قام بزيارة لجمهورية بنجلاديش اطلع خلالها على المدارس والجمعيات الإسلامية القائمة هناك وعلى أحوال القائمين عليها كما التقى ببعض الدعاة من خريجى الجامعة الإسلامية . وأكد فضيلته أن الجامعة الإسلامية ستجعل من اهتماماتها في المستقبل تلبية الاحتياجات العلمية والتطبيقية للأقليات الإسلامية التى يضيق عليها في فرص العمل مما يوجب تكوين ذوي الخبرات العملية والمهنية ٠٠

وقائع الدورة الحادية عشر للمجلس الأعلى

عقد المجلس الأعلى اجتماعاته للدورة الحادية عشرة التي بدأت صباح يوم السبت الموافق ٢٢ / ٦ / ١٤٠١ هـ . ونيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة ترأس معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن آل الشيخ أعمال المجلس الأعلى في هذه الدورة ٠

وقد بدأت الجلسة الافتتاحية بتلاوة من آيات الذكر الحكيم . وقدم فضيلة الشيخ عمر محمد فلاتة الأمين العام للجامعة لأعمال هذه الدورة بكلمة ترحيب بمعالي الوزير وأصحاب السماحة والفضيلة الأعضاء . ثم ألقى معالي الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالي كلمة نيابة عن سمو ولي العهد ٠٠

كلمة معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن آل الشيخ في المجلس الأعلى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه صلاة دائمة إلى يوم الدين ، وبعـــد :

فيسعدنى ويشرفنى أن أشارك في افتتاح هذه الدورة للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية نيابة عن صاحب السمو الملكي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء الذى كان شديد الحرص على حضور هذه الدورة وترؤسها لولا ما تعلمون ونعلم من التزاماته ومسئولياته أعانه الله ووفقه ٠

والجامعة الإسلامية أيها الإخوة حينما أقدمت المملكة العربية السعودية على إنشائها بوحى من شعورها بمسئوليتها العظمى عن دعوة الإسلام وعن كل مسلم يؤمن بالله ، ويتجه إليه فى صلاته وتلاوته إنما كانت بما فعلت تمارس واجبها المتعين ، ورسالتها الكبرى ·· وجدت فيما وجدت حربا شرسة لا تعرف الهدوء ضد رسالة الإسلام فى الأرض ، وزيفا وضلالا يأخذ بالمسالك ويعرقل المساعى ، وظلما لا حد له ينزله أعداء الله والمسلمين فى كل مكان ـ لا لذنب إلا لأنهم قالوا آمنا بالله ·· وجموع تنتشر فى كل مكان تنتسب إلى الإسلام لكنها تجهل حقائقه وتدخل عليه ما ليس منه ·· وجهود مجرمة حاقدة تعمل على تفريق شمل المسلمين ، وحرمانهم من أدنى حقوقهم وإبعادهم عما هم بحاجة إليه ·· وهال ولاة الأمر فى هذه البلاد التى قدسها الله وشرفها ـ هالهم ما وجدوا وما سمعوا وما شاهدوا ·· فكانت الفكرة الرائعة الموفقة بإذن الله ، وبدأت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مسيرتها ·· وفتحت ذراعيها للمئات من شباب الإسلام ليتفقهوا فى دينهم ، ويستزيدوا من نوره وإشراقه ·· ثم دفعت بهم من حيث أتوا ليمارسوا دورهم الطليعى فى شرح دين الله والدعوة إليه ، والدفاع عنه ·· ولم تكتف المملكة بما فعلت لكنها أخذت على عاتقها عون بعض الدعاة ممن أكملوا دراستهم ليستطيعوا الاهتمام والتفرغ لنقل ما علموا إلى من لم يعلم ·· وأخذت على عاتقها مع ذلك دعم هذه الجامعة ، وتدعيم جهازيها الإدارى والعلمى ، وتمكينها من تحقيق المزيد من الانطلاقة المرجوة لها ومنها ·· وولاة الأمر فى ذلك إنما ينطلقون من دورهم الطبيعى كأنصار لدين الله ، ومن مركز القيادة الإسلامية التى منحها الله لهذه الديار يوم أن اختارها موضعا لبيته ، ومثوى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ·· ولن تتردد المملكة عن موالاة تأييدها ودعمها لهذه الجامعة الفريدة من نوعها لكنها تؤمل أن يعى الدارسون بها دورها ودورهم ·· وأن يستشعروا عمق مسئولياتهم ، وضراوة الحرب التى تواجههم ، والوسيلة التى تدنيهم من أهدافهم ، جاعلين من

الحكمة والبصيرة والموعظة الحسنة سبيلهم فى دعوتهم اقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام . وسعيا وراء إبلاغ ما يدعون إليه .. ومرحبا بالأخوة أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس الأعلى للجامعة وبكل العاملين بها . ودعاء إلى الله أن يجزل مثوبته لكل من عمل فى سبيله .

والسلام عليكم ورحمة الله ..

كلمة فضيلة الدكتور عبد الله الزايد
نائب رئيس الجامعة في المجلس الأعلى

الحمد لله . نحمده ونستعينه . ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن نزعات الشياطين . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له . ونصلى ونسلم على محمد عبد الله ورسوله نبينا وإمامنا خاتم الأنبياء والمرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه . ومن اهتدى بهديه واقتدى بسنته ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

صاحب المعالي وزير التعليم العالي

الرئيس المناب للدورة الحادية عشرة للمجلس الأعلى للجامعة .

أصحاب السماحة والمعالي

أصحاب الفضيلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ أما بعد :

فانى أرحب بكم فى بداية أعمال هذه الدورة الحادية عشرة للمجلس الأعلى . وادعو الله عز وجل أن يوفق خطانا على طريق الحق والهدى إلى ما يحبه ويرضاه . وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم .

وأنه لمن الموافقات الطيبة أن تنعقد هذه الدورة فى الوقت الذى تجددت فيه آمال المسلمين فى البعث الإسلامي الجديد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى . ومع صدور قرارات مؤتمر القمة الإسلامى الثالث الذى انعقد فى بيت الله الحرام بمكة المكرمة . تلك القرارات التى اعتبرها العالم خطوات إيجابية نحو تحقيق الوحدة الإسلامية الشاملة ولتمكين المسلمين من الوقوف بعزة وقوة أمام التحديات العالمية حتى يعودوا قوة فعالة ومؤثرة فى مصير العالم وقضاياه .

إن تجدد هذه الآمال فى تحقيق وحدة المسلمين لتزداد معها حاجتهم إلى العلم والعمل بالإسلام عقيدة وشريعة وآدابا ، وأخلاقا ، وإنه مع حاجة الناس إلى العلم بالإسلام تزداد الحاجة إلى تدعيم هذه الجامعة الإسلامية ومثيلاتها فى العالم ، وهذا يضاعف مسؤوليات المسئولين عن إدارة هذه الجامعة ويفرض عليهم أنَ يبذلوا كل جهودهم وطاقاتهم ليجعلوا من هذه الجامعة أداة فعالة لتقديم الإسلام إلى الناس فى كل مكان ، ويفرض عليهم السعي الدائب الحثيث - إلى تطوير أساليبها ، وطرقها فى الإدارة والنظم وفى التربية والتعليم والتوجيه حتى تتمكن من تخريج الدعاة والقضاة والمربين القادرين على تبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافة فى كل مكان ٠

وان الجامعة الإسلامية ـ وهى تستمد من الله عز وجل القوة والعون على أداء رسالتها السامية ـ لتحمده سبحانه وتعالى أن قيض لهذه البلاد قادتها الساهرين على رعاية الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن الجامعة لتجد من صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز حفظه الله ، ومن ولى عهده صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية ، ومن النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله بن عبد العزيز ومن حكومة صاحب الجلالة الملك كل دعم مادى ومعنوى يمكنها من السير قدما فى العمل على كل ما من شأنه الوفاء بآمال المسلمين وتطلعاتهم نحو هذه الجامعة التى هى بحق جامعة كل المسلمين ـ كما قال صاحب السمو الملكى الأمير فهد فى كلمته التى ألقاها سموه فى الدورة السابقة للمجلس ٠

ولقد لمست فى الجولة التى قمت بها فى كثير من أنحاء العالم فى الشهر الماضى ومن خلال اللقاءات التى تمت مع كل العاملين فى ميدان العمل الإسلامى للأقليات الإسلامية وللدول الإسلامية أن للمسلمين فى كل مكان آمالا جساما فى المملكة العربية السعودية ، وأن الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة هى أحد المعالم البارزة التى أقامتها حكومة جلالة الملك لتجسد هذه الآمال إلى واقع ملموس وحقيقة ماثلة للعيان ، وهذا ما يضاعف قوة إحساسنا بالمسئولية نحو هؤلاء المسلمين الذين تشتد حاجتهم إلى من يجلى لهم أصول الدين الإسلامى الحنيف ويضع أيديهم على مصادره ومنابعه ، ويوضح للناس كافة قدرة الإسلام على قيادة الحياة الإنسانية وريادتها إلى حاضر أحسن ومستقبل أسعد ٠

أصحاب المعالى والسماحة والفضيلة أعضاء المجلس الأعلى :

إن الجامعة لكبيرة الأمل فى أن تستفيد من خبراتكم المتنوعة فى مجال التربية والتعليم الجامعى والإدارة ، وفى مجال الدعوة الإسلامية وفى مجال تحويل المبادىء السامية إلى سلوك عملى ، وإنه ليطيب لنا القول بأن آراءكم السديدة ان شاء الله التى ستقدمونها فى هذه الدورة كما قدمتموها فى الدورات السابقة ستكون لنا بمثابة المصابيح الكاشفة المضيئة أمامنا لكل قرار من شأنه ان يقدم خدمة ونفعا لأبناء المسلمين ، وإننا لعلى يقين بأن مناقشاتكم فى هذه الدورة ستثرى أعمال المجلس الأعلى وستقدم أفكارا بناءة ورائدة ستوضع فى الاعتبار عند كل تطور منشود إن شاء الله تعالى ، وإن الجامعة لَتَتَقدَّم إليكم بمشروعاتها ومرئياتها للمستقبل وهى تتطلع بالأمل فى الله أن تتجسد طموحاتها إلى واقع حى ، وهى واثقة أنكم لن تضنوا عليها بجهد ، ولن تحول مشاغلكم الكبيرة ، ومسئولياتكم الجسيمة فى ميادين أعمالكم دون بذل أقصى الطاقة فى سبيل التعاون مع الجامعة نهوضا بها لأداء مهامها ، وارتقاء دائبا الى الأفضل والأحسن إن شاء الله ·

واننا لا نستطيع ان نوفى لكم واجب الشكر والعرفان على ما تقدمونه للجامعة من خدمات وما تبذلونه فى سبيلها من جهود وعلى ما تلاقونه فى السفر والارتحال من متاعب ومشاق ونضرع الى الله أن يجزل ثوابكم ويحسن جزاءكم ، فهو وحده القدير على أن يوفيكم جزاء أعمالكم وجهودكم فى سبيله ·

وفى ختام كلمتى أتوجه باسمكم بالتحية والتقدير لصاحب المعالى الشيخ حسن آل الشيخ وزير التعليم العالى والرئيس الأعلى للجامعات الذى شرفنا بحضوره ، وبرئاسة هذه الدورة نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الإسلامية حفظه الله ·

وأستأذنكم أن يرفع المجلس باسمكم التحية والتقدير إلى كل من جلالة الملك وولى عهده الأمير فهد والنائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء والى الحكومة الرشيدة لما يقدمونه للجامعة من تدعيم يمكنها من أداء رسالتها التى قامت من أجلها وهى تبليغ رسالة الإسلام ·

وإنى لأتوجه بالتحية والتقدير والشكر لسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد على ما يوليه للجامعة الإسلامية من اهتمام ورعاية ، وعلى ما يمدها به من إرشاد وتوجيه له عظيم الأثر فيما تقوم به من مهام وما تضطلع به من مسئوليات ·

وأخيرا وليس آخرا أدعو لكم بالتوفيق والسداد ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

ثم ألقى فضيلة الدكتور محمد أديب الصالح كلمة الأعضاء ·

وبعد إلقاء هذه الكلمات أغلقت الجلسات واستمرت صباحية ومسائية خلال يومي السبت والأحد ٢٢ ، ٢٣ / ٦ / ١٤٠١ هـ ، وفى الجلسة الختامية لأعمال هذه الدورة ألقى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كلمة جامعة نصحا لعلماء المسلمين وقادتهم وعامتهم وطلاب العلم والدعاة ·

كما ألقى فضيلة الدكتور الزايد كلمة بهذه المناسبة شكر فيها الأعضاء على ما أبدوه من آراء وأفكار وما قاموا به من جهود فى أعمال هذه الدورة ·

قرارات وتوصيات المجلس الأعلى فى الدورة الحادية عشرة

وفى الجلسة الختامية أعلنت أهم القرارات والتوصيات التي اتخذها المجلس فى هذه الدورة منها :

١) الموافقة على لائحة الابتعاث للدراسة خارج المملكة للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه فى التخصصات التى لا توجد فى جامعات المملكة ·

٢) كما قرر المجلس تعديل بعض مواد اللائحة التنفيذية للجامعة لإعطاء بعض الصلاحيات لعمادة شئون الطلاب ·

٣) كما نظر المجلس التقرير السنوى للجامعة للعام ٩٩ / ١٤٠٠ هـ ، ومشروع ميزانية الجامعة للعام المالى القادم ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ وأقر ما جاء فيهما ·

٤) كما وافق على مساعدة بعض الطلاب المتفوقين الذين يدرسون في جامعات المملكة ، ولا تسمح ظروفهم بالبعد عن ذويهم ·

٥) كما وافق المجلس على تعيين الدكتور أحمد الحاج على الأزرق الأستاذ المشارك بكلية الشريعة عضوا بمجلس الجامعة لمدة سنتين قابلة للتجديد لمرة واحدة ·

أخبار الدراسات العليا

تعتبر الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية ـ وفى كل جامعة ـ إحدى الغايات الرئيسية التى يهدف إليها التعليم العالي ، ذلك أنها تضع خريج الجامعة على عتبة البحث العلمي الصحيح ثم إذا اجتاز هذه المرحلة من مراحل الدراسة والبحث استطاع أن يرقى صعدا وإلى الأمام دائما · وحينئذ يكون قادرا على التوجيه والإرشاد ، ويكون قادرا على حمل

الأمانة ، والمسئولية في توجيه الآخرين توجيها صحيحا وبمقدار ما تقدم الجامعات من خريجي الدراسات العليا يكون عطاؤها لحركة البحث العلمي ، ويكون نفعها لعملية تطوير المجتمعات وتقدم الأمم .

والدراسات العليا في الجامعة الإسلامية كثيرة العطاء ، متجددة البذل ، فقد حفلت الأشهر الخمسة الأولى من العام الهجرى الجديد بمجموعة من رسائل الماجستير وقد بلغ عددها اثنتي عشرة رسالة .

من النشاط الثقافي

الندوات والمحاضرات

حفل الموسم الثقافي للعام الجامعي ١٤٠٠ ـ ١٤٠١ هـ بالعديد من ألوان المعرفة والثقافة على مختلف المستويات سواء فيما يتصل بنشاط الكليات والمعاهد والدور أو فيما نظمته وأشرفت عليه عمادة شئون الطلاب بالتعاون مع بقية أقسام الجامعة .

أ ـ الندوات

وبمناسبة انعقاد مؤتمر القمة الإسلامى الثالث الذى انعقد بمكة فى شهر ربيع الأول ١٤٠١ هـ نظمت الجامعة الإسلامية ندوتين حول موضوع المؤتمر ومضمونه :

أولاهما : ندوة عن حاضر المسلمين ومستقبلهم : شارك فيها صاحب السمو الملكى الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة ومعالى الدكتور / عبد الله ابن عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية . وصاحب الفضيلة الشيخ / عبد الله الزاحم مساعد رئيس المحاكم الشرعية بمنطقة المدينة المنورة .

وأدار الندوة والحوار صاحب الفضيلة الدكتور / عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة الإسلامية وقد عقدت هذه الندوة يوم ١٩ ، ٢٠ / ٣ / ١٤٠١ هـ .

ثانيتهما : ندوة موضوعها التضامن الإسلامي : شارك فيها كل من فضيلة الشيخ عطية محمد سالم القاضى بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة المنورة وسعادة الشيخ عبد العزيز الربيع مدير التعليم بمنطقة المدينة المنورة والشيخ محمد المجذوب المدرس بكلية الدعوة وأصول الدين وقد أدار الندوة والحوار فضيلة الشيخ عبد الله أحمد قادرى عميد كلية اللغة العربية وكان ذلك يوم الثلاثاء ٢١ / ٣ / ١٤٠١ هـ .

ب ـ المحاضــــرات

وقد زخر الموسم الثقافي بكثير من المحاضرات الدينية والثقافية والعلمية القيمة ومنها :

١ ـ **تجديد الدين** : محاضرة يوم ٢٥ / ١ / ١٤٠١ هـ . ألقاها الدكتور / جعفر شيخ إدريس الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية « مركز البحوث » .

٢ ـ **الاتجاهات الفكرية بين قرنين** : محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ / مناع خليل قطان مدير قسم الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٣ ـ **تطلعات الى المستقبل فى مستهل القرن الهجرى الجديد** : محاضرة ألقاها الأستاذ / محمد قطب الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة وذلك يوم الأربعاء ٢٤ / ٢ / ١٤٠١ هـ .

٤ ـ **الزواج وأثره فى الإسلام** : محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ / صالح العلي الناصر رئيس قسم الفقه بجامعة الإمام وذلك يوم الأربعاء ٢٦ / ٤ / ١٤٠١ هـ .

٥ ـ **اللحم الحــرام** : بحث علمى يتجلى فيه بعض مظاهر حكمة الله فى تحريم اللحم الحرام . محاضرة علمية قيمة ألقاها سعادة الدكتور / عبد الحافظ حلمى أستاذ علم الحيوان في جامعة الكويت وذلك مساء يوم الأربعاء ١٤٠١/٣/٢٢ هـ .

٦ ـ **واجب الشباب المسلم** : المحاضرة الدينية الرائعة التى ألقاها سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث والافتاء والدعوة والإرشاد ، وذلك مساء الثلاثاء ٢٥ / ٥ / ١٤٠١ هـ .

٧ ـ **الإسلام بين الجاهليتين** : موضوع المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ / أبو زيد محمد حمزة أحد الدعاة البارزين فى السودان وذلك يوم الإثنين ٣٠ / ٥ / ١٤٠١ هـ .

٨ ـ **أمتنا وآفــاق المسئولية** : محاضرة لفضيلة الشيخ / عمر عودة الخطيب رئيس قسم الثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك يوم الأربعاء ٢٨ / ٤ / ١٤٠١ هـ .

٩ ـ **القرآن بين الدراسة والتطبيق** : موضوع المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ / محمد الــراوى رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك مساء يوم الأربعاء ٢٦ / ٥ / ١٤٠١ هـ ٠

١٠ ـ **التكامل الاجتماعي الإسلامي** : محاضرة الدكتور / أحمد الأزرق الأستاذ بكلية الشريعة يوم الإثنين ٢ / ٦ / ١٤٠١ هـ ٠ ضمن نشاط جماعة الفقه وأصوله بكلية الشريعة بالجامعة ٠

١١ ـ **البدع وأثرها فى انحراف التصور الإسلامى** : عنوان المحاضرة التى ألقاها فضيلة الشيخ / صالح السحيمى فى قاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية بعد المغرب من يوم الاثنين ٩ / ٤ / ١٤٠١ هـ ٠

١٢ ـ **منهاج القرآن فى الدعوة الى الله** : موضوع المحاضرة التى ألقاها الدكتور / محمد السيد طنطاوى رئيس شعبة التفسير بالدراسات العليا وذلك يوم الأربعاء ١٩ / ٥ / ١٤٠١ هـ ٠

صــور من النشاط الثقافي بالجامعة

١ ـ كلية الدعــوة

أقامت كلية الدعوة وأصول الدين أمسية ثقافية مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٨ / ٥ / ١٤٠١ هـ ٠ بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية حضرها فضيلة الدكتور / عبد الله الزايد نائب رئيس الجامعة والدكتور / أحمد عطية الغامدي عميد كلية الدعوة ، وأساتذة الكلية وطلابها وعدد كبير من أساتذة الجامعة وطلابها من مختلف الكليات والمعاهد ، وقد احتوت هذه الأمسية على ألوان من النشاط الثقافي الذى قدمه الطلاب من الكلمات والقصائد الشعرية والمختارات الأدبية والقصص التمثيلية ٠

وفي نهاية الأمسية ألقى فضيلة الدكتور / عبد الله الزايد كلمة توجّيهية أشاد فيها بجهود كلية الدعوة وغيرها من كليات الجامعة ومعاهدها ودورها فى مجال التربية والتعليم والتوجيه وفي مجال النشاط التى تعد هذه الحفلة لونا من ألوانه وتعد تدريبا عمليا للطلاب على أساليب الدعوة والاتصال بالناس . كما وجه فضيلته النصح للطلاب والمشرفين على التمثيل المسرحي بألا تتعرض التمثيليات لشخصيات الأئمة والصحابة والتابعين لعدم وجود النص الجيد الذى يحقق عرض الصورة الحقيقية والوجه الأكمل لهذه الشخصيات القائدة الرائدة فى

تاريخ الإسلام والإنسانية ولأن الطلاب الذين يمثلون أدوار هؤلاء الأئمة لا يتمكنون من السيطرة على حركات أنفسهم ، كما لا يستطيعون إبراز العظمة الإنسانية فى هؤلاء السلف الصالح ·

٢ ـ كلية اللغة العربية

يدور نشاط كلية اللغة العربية فى إطار جماعات بلغت إحدى عشرة جماعة منها جماعة القرآن وجماعة الحديث ، وجماعات كل من الدعوة والخطابة والبحوث والندوات والإعلام وجماعة الإسعاف والتعارف والحفلات والجوالة ، ويشرف على هذه الجماعات أربعة وعشرون أستاذا فى الكلية ·

وقد أسهمت كلية اللغة مع مكتب التربية العربي لدول الخليج فى إقامة ندوة لمعلمى اللغة العربية لغير الناطقين بها واستمرت هذه الندوة لمدة أسبوع من ١ / ٥ / ١٤٠١ هـ الى يوم الخميس ٦ / ٥ / ١٤٠١ هـ ·

وقد أقامت الكلية عددا من الندوات لأساتذتها فى قاعة خصصت لإقامة الندوات العلمية ·

وقد قامت الكلية برحلة لزيارة معالم المدينة ورحلة مخيم بشاطىء ينبع على فوجين انتظمت كل طلبة الكلية وأساتذتها ، ورحلة إلى مكة لأداء العمرة ورحلة إلى الرياض لزيارة جامعات المملكة فى الرياض ·

٣ ـ كلية الحديث

أقامت كلية الحديث والدراسات الإسلامية حفلها الختامي للنشاط الطلابي للعام الجامعي ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ وذلك فى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء ١١ / ٦ / ١٤٠١ هـ ·

وقبل بداية هذا الحفل تفضل فضيلة الدكتور / عبد الله الزايد بافتتاح المكتبة الناطقة للمكفوفين وهذه المكتبة فرع تابع للمكتب الاقليمى للشرق الأوسط للمكفوفين ·

إن هذه المكتبة الناطقة قد زودت بأحدث الأجهزة السمعية ، وسجلت أمهات الكتب على أشرطة كاست ، فى علم اللغة والأدب والتفسير والحديث ومختلف فروع المعرفة فى العلوم الإنسانية ، وقد روعى فى الكتب المسجلة أن تكون متنوعة المجالات والمستويات لتخدم القطاع العريض من المشتركين باشتراك رمزى فى مختلف مراحل التعليم من المكفوفين ·

٤ ـ كلية الشريعة

قامت كلية الشريعة خلال هذا العام الدراسى بأنشطة متعددة فى عدة مجالات وتكونت فيها عدة جماعات مثل جماعة الرحلات وجماعة الصحافة وجماعة البحوث والمكتبات وجماعة الفقه وأصوله ٠

وقد قامت الكلية بعدة رحلات طلابية ، واحدة فى الفصل الدراسي الأول إلى منطقة القصيم ، ورحلتان فى الفصل الدراسي الثاني إحداهما إلى المنطقة الشرقية والأخرى إلى مكة المكرمة ٠

وتكونت بالكلية جماعة الصحافة التى أصدرت صحيفة بالكلية تحت اسم « أضواء الشريعة » ، وجماعة البحوث والمكتبات ٠ وصدر عن الجماعات المختلفة صحف ونشرات تبين رأى هذهالجماعات فى شتى الموضوعات ٠

شخصيات ووفود إسلامية في زيارة الجامعة

استقبلت الجامعة الاسلامية في فترة الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٠٠ ـ ١٤٠١ هـ الوفود التالية :

* وفد من طلاب جامعة الرياض يضم مائة طالب من مختلف الكليات ٠
* وفد من كلية التربية بجامعة الرياض يضم ٤٥ طالباً من اللجنة الاجتماعية ٠
* وفد من طلاب المعهد العلمي برأس الخيمة التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإشراف الشيخ تميم بن عبد الله ٠
* وفد جمعية التضامن الإسلامي ، ووفد وزارة الشبيبة والرياضة بمملكة المغرب ٠
* وفد جامعة اليرموك يضم ٥٠ طالبا ٠
* وفد من جمهورية مالديف برئاسة نائب وزير التربية والتعليم ومدير مكتبه ٠
* وفد طلابي من فيجي ٠
* وفد كلية العلوم بالرياض من ٤٥ طالبا برئاسة الدكتور عبد الكريم خفاجي ٠
* وفود من طلاب جامعة البترول والمعادن بالظهران على فوجين مع طلاب من كلية الزراعة بجامعة الرياض ٠

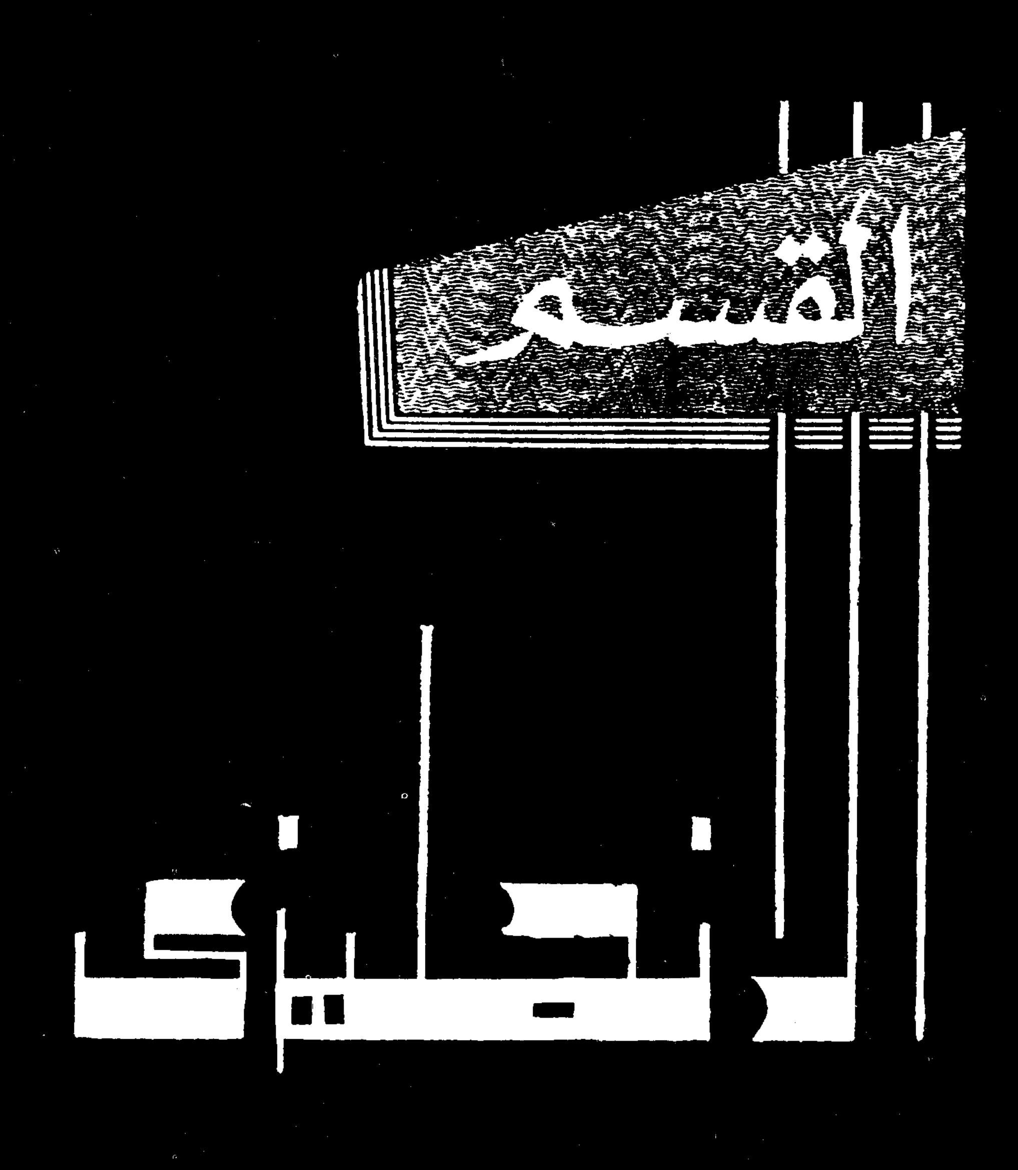
* وفد ماليزى برئاسة فخامة الحاج واتوسيرى رئيس وزراء مقاطعة فيراق بماليزيا ·
* وفد من جامعة عليكرة الإسلامية بالهند ضم الأستاذ محمد شافعي نائب رئيس الجامعة والأستاذ م · د أنصارى رئيس كلية الهندسة والأستاذ جلال الدين عميد كلية الهندسة والتكنولوجيا والأستاذ س · هـ رسول رئيس قسم الجولوجيا ·
* وفد من عمداء جامعات المغرب ضم الدكتور ادريس العلوى عميد كلية الحقوق بجامعة القاضى عياض بمراكش والدكتور محمد حجي عميد كلية الآداب بالرباط والدكتور آمال عميد كلية الحقوق بجامعة محمد بن عبد الله بمدينة فاس ·
* الدكتور عين الدين عبد الواحد مدير جامعة التكنولوجيا بماليزيا ·
* سفير باكستان بالبرازيل سعادة أحمد حسن إحساني ·
* سعادة الأستاذ محمد الحافظ النحوي ، مدير التعليم الفني والمهني ومبعوث وزير التعليم العالي بموريتانيا ، وتفقد أحوال الطلاب الموريتانيين بكليات الجامعة ومعاهدها ·
* الدكتور إبراهيم عمر مدير جامعة كنو بنيجيريا ويرافقه الدكتور محمد زهر الدين رئيس قسم الدراسات الإسلامية وذلك لعقد اتفاق ثقافي مع الجامعة ·
* وفود من جامعة أم درمان الإسلامية
* وفود من الجامعة السلفية بالهند ·

وفي كثير من هذه اللقاءات مع فضيلة الدكتور عبد الله الزايد تعرفت هذه الوفود والشخصيات على أوجه التطور الأكاديمي والتعليمي الذي تسير فيه الجامعة الإسلامية ، وعلى ما تقدمه الجامعة لمنسوبيها من خدمات مختلفة وما وفرته من رعاية صحية واجتماعية ، والتعرف على أحوال الأقليات الإسلامية لتقوم الجامعة بتلبية حاجات الجامعات والجمعيات والجماعات الإسلامية من الكتب والمدرسين · وتقديم إمكانياتها في خدمة المسلمين تحقيقا لرسالتها في نشر الدعوة الإسلامية ·

اعداد فضيلة الشيخ محمود محمد سالم
المستشار الصحفى بادارة العلاقات العامة

محتويـــات العـــدد

الموضـــــــــوع		الصفحـة


القسم

New Era :

With the advent the Prophet a new era dawned upon the city of Yathrib. The two tribes of Aus and Khazraj rallied round the standard of Islam and they bore the noble title of Ansar (helpers). The faithful people who had forsaken their birthplace in the way of Allah received the title of Muhajireen (emigrants). In order to unite the Ansar and Muhajireen in closer bonds under the banner of fraternity and equality, the Prophet established a common brotherhood which linked them together in sorrow and in happiness. Yathrib changed its ancient name and became as Madina tunNabi (the city of the Prophet) or Al–Madinah Al Munawwarah (The illuminated city). It is now shortly called Madinah. Immediately after the commencement of fraternization between Ansar and Muhajireen on the other hand, the nucleus of the Muslim community had emerged.

A New Community :

Till the Hijra the Prophet had been a Preacher only. From then he was the ruler of a state, a very small one at first, which grew in ten years to a developed state. The kind of guidance which he and his people needed after the Hijra was not the same as that which they had before needed. Because till then the Prophet was giving guidance to the individuals as a warner, thenceforth he started to give guidance to growing community, in all walks of life, as a law giver, reformer, and an exemplary ruler.

The Prophet had begun the reorganisation of the community by developing the spiritual as well as the material aspects of life, for the welfare of the individual and the society is largely dependent on these two aspects.

The Prophet's first concern as a ruler and preacher was to establish public worship and lay down the constitution of the state. Soon he built a mosque, in a simple form, its walls were of brick and earth, and its roof was of palm leaves. Everything in this humble place of worship was conducted with the greatest simplicity. A portion of the mosque was set apart as a shelter for those who had no home of their own. The Prophet preached and prayed in this simple structure, suited to the simple and natural religion he preached. The devoted hearts around him beat in harmony and affection with his soul–stirring words of his speeches.

His life and works are a clearly written record, no mystery and no tales around his life story. The life of the Prophet Muhammad puts before mankind the key to the treasures of a simple, but meaningful life.

but when his horse got up, the 100 camels made him forget his promise. He started again to follow them, but again, when he approached, the horse's hooves began to sink in the sand. Surakah called again the Prophet, promising not to follow him, but again he did so, and the same thing happened the third time. Surakah fell from the back of his horse . He swore before the Prophet that this time he really would not follow the Prophet.

The Prophet continued on his way to Madinah. On their way they felt hungry and thirsty. They passed a tent in the desert, with a bedouin woman there. They asked her if she had something to drink. she apologized to them as she had nothing at all, apart from a very weak and old goat and this didn't give milk. When the Prophet touched the udder, however, it gave plenty of milk and they drank as much as they wished, leaving a lot for the woman and her husband. After they had left the woman was astonished to find that the goat continued to give plentiful supply of milk ! . The woman and her husband always remembered this blessed day when this Blessed man came to her tent and whom she didn't know.

The Prophet in Madinah :

News of the Prophet reached the people of Yathrib, and spread through the town, and he was expected there before his arrival. They all wanted to be the first to see him This was a feast day among the people of Yathrib, when they saw the Prophet was with them.

The Prophet entered the city of Yathrib (Madinah) on Friday 16th Rabi awwal (2nd July 622 A.D.). From that day the Prophet settled in Madinah, and because of the importance of that day it is regarded as the beginning of Hijra Year.

The departure of the Prophet from Makkah to Madinah was a clear division in the history of his mission . It marked the end of 13 years of persecution and humiliation, and beginning of the 10 years of success and accomplishments. The Prophet entered the city of Yathrib (Madinah) in the company of his faithful friend, Abu Bakr, after several adventures, marking the greatest development in the human history. From the moment of his advent into Madinah he stood foremost amongst the grandest of figures upon whom the light of history has ever shone.

According to the history of the city of Yathrib, it was founded by an Amalakite chief, whose name it bore until the advent of the Prophet. The city is said to have been inhabited by the Amalakites. Flying before Greek, Roman and Babylonian persecutors or avengers, the Jews entered Arabia and established themselves in Yathrib and its environs in the northern part of Hijaz. The successive colonies of Jews overwhelmed and destroyed the indigenous people. They had domineered over the neighbouring Arab tribes and they established fortifiol colonies. The most important of these colonies were the Banu Kainuka near Madinah, Banu Nadir at Khaiber, and Banu Kuriza at Fidak. The two Arab tribes of Aus and Khazraj at Yathrib were living in habitual feuds and quarreling among themselves.

(being abbreviated letters) By the wise Quran. You are truly among the Messengers, on a straight path; the sending down of the AlMighty, the All Wise, that you might warn a people whose fathers were never warned, so they are heedless. The word has been realised against most of them, yet they do not believe. Surely, We have put on their necks fetters up to the chin, so their heads are raised and We have covered them so they do not see ". (36 : 19).

And after he had left they noticed the time had passed and thought he had not yet come out of his house, as he usually did. They were worried and looked through the key hole. They saw some one sleeping on the bed. They decided to wait until daybreak as they didn't know what had happened. When the sun rose they saw that the person asleep on the bed was not Muhammad and they were filled with rage and went around looking for him everywhere, realising that their plot had failed. Then they started to search outside Makkah, offering a reward of one hundred camels to anyone who could find the Prophet, alive or not.

The Prophet went to his friend Abu Bakr, who was waiting for him. When he reached his house, Abu Bakr made arrangements with his family and his workmen. Then he and Muhammad left together. They went to the cave out side Makkah on the way to Madinah. This cave was called the Cave of ' Thaur '. When they reached there the Prophet told his friend they would spend sometime in this cave. They went in and stayed there for three days. Abu Bakr asked a shepherd there to graze his sheep around the cave during the day and to come and stay there during the night to inform him of the news from the people of Makkah. This shepherd let his sheep move around the cave until they had removed the footprints of the Prophet and his companion and, during the night, he gave them milk and food and informed them of what the people of Makkah were saying about them.

During their stay in the cave the people of Makkah came to the mouth of the cave, looking for them. Abu bakr told the Prophet : " O Prophet if one of them looked at his feet, they would see us !; But the Prophet answered : " Don't worry, Abu Bakr, no harm will come to those whom God is with ". There was a spider's web at the mouth of the cave and a bird had come and put two of her eggs there. When the people saw the web and the eggs they did not look inside the cave, as someone remarked : " This was there even before Muhammad was born " !

When the people of Makkah left, Muhammad and his companion stayed for three more days and then went on their way. On their way to Madinah something extraordinary happened. One whose name was Surakah ibn Malik, heard about the reward of one hundred camels and someone told him that three men had been seen in the desert, he knew it must be the Prophet and his friends. Then he got upon his horse and followed them. When he approached them his horse's fore legs sank into the sand and when he tried to lift the horse up he couldn't until the Prophet had gone far ahead. Then Surakah cried : " O Muhammad, ask God to free my horse and I shall not follow you ".

rejected this idea also, saying that his words influenced people so greatly that he would soon find other tribes to accept his call and would establish a strong army with thousands of soldiers and everyone would join him.

Then the third suggestion was made. They would choose one young man from each tribe in Makkah and each of them would have a sharp sword. They would be ordered to go to Muhammad and all of them would share in his killing. His family would be given the ransom for his life and would not be able to fight every tribe represented by the assassination. This suggestion was accepted. They quickly started to put this plan into action and chose the young men who would take part in the plot and the arrangements were made for a certain time and date. Before this, Muhammad had advised most of his companions to emigrate to Madinah. His friend Abu Bakr did not go, as Muhammad asked him to wait behind. Perhaps they could find another companion and leave together.

Miracles of Hijra :

When the decision to kill the Prophet was made by the people of Makkah he was warned of it through a Revelation from God. God ordered him to leave Makkah and go to Madinah on the night they planned to kill him. The Prophet started to prepare for this journey and he went to Abu Bakr one day at noon and informed him what they were to do. He instructed him to make arrangements for the journey and to find some one who had experience of the desert.

The day before the night of departure the Prophet called his cousin, Ali ibn Abutalib and asked him to get ready to sleep in his house that night, in place of the Prophet. He also instructed him to return all the deposits he had kept to his followers who had put all their trust in Muhammad, and for this reason any one who had something very precious and wanted to keep it in a safe place would ask Muhammad to take care of it. The Prophet wanted to stand by his duty and return all these things and so had to choose a member of his own family to do this .

That night the Prophet went to bed as usual and during the night these young men came and took their places, standing outside his frontdoor, their hands placed on their swords. They were ready to kill the Prophet as soon as he came out; they knew of his regular habit of leaving his house late at night to go to the Ka'ba to pray until dawn.

Hijra to Madinah :

It is related that when the Prophet wanted to leave the house, God caused these men to feel so tired that they went to sleep while standing in their positions and Muhammad (peace be upon him) came out without their knowledge, reciting these verses of the Quran: " Ya Sin

It was clear there was no help at all for the Prophet from anyone on earth When he came near to Makkah the news of the failure of his journey had got there before him, and he couldn't enter Makkah without first sending a message to a man called Al-Mutt'im ibn Adwie, asking him to be his protector, as was the custum of the Arab tribes at that time.

Abu Bakr Al-Siddiq :

It was in this situation that the Journey from Makkah to Jerusalem and from Jerusalem to heaven took place, to give spiritual aid to the Prophet, and to assure him that Allah was with him always, even if there was no one to help him from the creation; and at the same time, through this journey he saw many signs that showed him the power of God, to give him more aid; as the Holy Quran says : " To show him from among Our signs ".

This journey took place during part of one night and was over before the dawn broke. On the next day, when the Prophet informed the people of Makkah about this journey they became enraged and they accused the Prophet Muhammad, calling him a liar, and they tried to use the strangeness of this event as proof to persuade people to give up the religion. They even tried to influence Abu Bakr (may Allah bless him) with this.

They asked, ' Do you know what your friend has said ' ' What did he say ? ' said Abu Bakr. He claims that he went to Jerusalem during the night and returned before dawn ', they said; " A journey of one month each way ! How can this be done in few hours of the night ? " " If he said so, then he is telling the truth ". Abu Bakr replied.

The people of Makkah were astonished. ' Do you believe him, then ? ' they asked. " Why not ? " Abu Bakr answered. " I would believe more than that about him. I believe that the revelation came from heaven ".

13 Years in Makkah :

The Prophet had spent 13 years in Makkah calling its people to Islam, using every means he had to help them accept his call. But for their part, they used every means to stop him from continuing his call, they hurt him and they persecuted his followers, they even killed some of them. They wanted to kill him too but that they did not try as they were afraid of his family. But when they could find no other way to stop him they had a meeting in a house in Makkah to discuss a way to stop Muhammad from calling people to his religion.

During that discussion one of them suggested putting him in prison and leaving him to die, without food or water. The others did not agree with this, arguing that some of his followers would help him to escape, he might persuade the guards to let him free, for his influence on people was so profound. Another proposal was that they should drive him out of their country and let him do what he liked elsewhere. But the members of the meeting

Taif he began by meeting the heads of the tribes, discussing with them the matter of belief, and inviting them to the religion of Islam. But unfortunately their response was not good, and he had to bear the hardship of receiving their refusal. He asked them to keep his discussion with them a secret in order to keep the people of Makkah from knowing about this failure in Taif.

But they would not agree to this, and their words to him were very impolite. One man swore by Allah that if the Prophet spoke the truth, then he was their superior and should not speak to them, because discussion between them would be unsuitable. But if, on the other hand the Prophet was a liar, then he was the inferior of the tribesmen and they should not keep the company of such an inferior.

His experience in Taif :

When the Prophet (Peace be upon him) began to leave the town, the people ordered their slaves and naughty children to line the street on either side of his way and to stone him as he walked. until the blood flowed and covered his heels. His servant Zaid tried to protect him, but was unable. After the Prophet left the town he was in a most unhappy state, and sat down under the shade of some trees.

These trees were on the boundary of a vineyard which belonged to two men from Quraish, whose names were Otbah and Shaibah, sons of Rabia. These two saw what had happened to the Prophet, and felt pity for him, and sent a slave of theirs to him with a bunch of grapes. When the Prophet started to eat he said, " Bismillah AlRahman AlRahim (In the name of God, the Merciful, the Compassionate)". The slave was astonished to hear those words, and said, ' Sir, this was a custom not used by the people of this region '. The Prophet asked him which country do you come from? The man answered,' I come from Ninawa '. The Prophet said, ' It is the town of the righteous man, Younos ibn Matta '. How do you know Younos ? the man said. ' He is my brother ', said the Prophet, He was a Prophet, and I am a Prophet, also. The man knelt down and kissed the hands of the Prophet. His masters were most surprised to see him behaving in this way. When they questioned him about his conversation with the Prophet, and heard his answer, they warned him not to be affected by the ways of Muhammad (Peace be on him).

Then the Prophet raised his hands praying to God : " O my Lord ! You are my God, and the God of those who are weak, to whom do you leave me, ? to an enemy, giving him full control of my affairs, ? I ask You, by the light of Your Face, by which the darkness becomes shining and by which the whole earth and the heavens stand in order to give me Your help, so long as I know You are not angry with me, I don't care what people do against me ".

Public call :

It was the first time that the Prophet had made a public announcement of his call, but the people were astonished at the information he gave them, because he had never told a lie, and yet what he asked them was extraordinary. One of his uncles, Abu Lahab, got annoyed and spoke to him harshly.

From that time onward, the Prophet started to call people to accept Islam, openly, and at the same time the people of Quraish to inflict more and more harm upon him; he continued his call and did not give any attention to the harm he suffered from the people.

The Ascension of the Prophet :

There is a chapter in the Holy Quran called Al-Isra. In the Beginning of the chapter, Allah says : " Glory be to Allah who took His servant by night from the inviolable place of worship to the far distant place of worship, the nighbourhood whereof We have blessed, that We might show him our tokens ! Lo ! He, only He is the Hearer, the Seer ".

This is about the journey from Makkah to Jerusalem, and other Journey, from Jerusalem to Heaven. It is mentioned in detail in the Hadith of the Prophet and some verses of the Holy Quran in'Surat an-Najm', refer to this event.

But we have to know why this event took place at this particular time in the life of the Prophet, and what was the significance of it, and exactly what happened during that night. It is related that within the space of one year the Prophet lost his uncle, Abu Talib, who used to protect him from the aggression of the people of Makkah, and also his wife, Khadija, who was a good wife to him, and who used to smooth for him the various difficulties he had to face from people outside the house. The loss of these two persons in one year caused a lot of sorrow for the Prophet (Ptace be upon him) and he called this year the year of sorrow. After the death of Abu Talib the people of Quraish harrassed the Prophet more and more, and when he went home he did not find anyone to make it easy for him as Khadija used to do.

Journey To Taif :

It was a hard time for the Prophet, and it seemed there was no helper or protector in Makkah. Therefore he decided to go to the town of Taif, in which the tribe of Thaqif lived, to call them to Islam, hoping that he would find a helper from among them. He started the journey from Makkah to Taif with his servant, Zaid and the Prophet kept his journey secret, because he didn't know if the people of Taif would accept his call or not. When he arrived in

Khadija's Faith This was a shock for Muhammad (peace be upon him), and he was amazed. He turned his face away but wherever he turned the voice came to him and he saw the Angel. He could not understand how such a thing could have happened to him, and he left the cave and returned quickly to his home. But on the way the Angel appeared to him and the voice of the Angel filled his ears. He was afraid and when he reached his house his wife knew he was worrid and he asked her to bring plenty of blankets as he was so cold. Sweat flowed from his face. When he had become calm and his wife was beside him, he wondered what had happened to him. His wife asked him to explain what had happened as she wanted to remove this worry from his mind.

When he told her, she told him not to worry, and she reminded him that Allah will never disgrace those who help the weak and give money for the poor and spend their lives helping others, as Muhammad had always done. Then he slept. The Prophet's wife had an uncle called Waraqa Ibn Nawfal. He was an old man and he was one of those who rejected idolatory and was looking for an ideal religion. He had read the Old and New Testament and he followed Christianity. He there fore had a knowledge of prophethood and revelation. From his knowledge he had come to know the religious men of the ' People of the Book ' and knew from them that they were expecting the Prophet to come.

Khadija took the Prophet to him. And when the Prophet told him what happened, Waraqa said, ' By Allah, you are the Prophet for whom we have been waiting. I hope I shall live until your people drive you out ". The Prophet asked him : " Will they drive me out ". And Waraqa explained that no one had ever told his people such things without being driven out. Waraqa promised that if he lived he would do every thing he could to help Muhammad.

The First Believers :

Muhammad (peace be upon him) started to speak to his close friends and his own family. Khadija, his wife, was the first woman to accept Islam, and Abu-Bakr the first man. Ali Ibn Abitalib, his cousin was the first boy to accept Islam, and Zaid was the first servant to accept Islam. The number started to increase slowly through the personal contact of the Prophet and his close friend, Abu Bakr, but when he received the verse " warn your close relatives ", it was a sign to inform the whole people of Makkah of his cause.

The Prophet climbed a hill called AlSafa and started to call out : " O people of Makkah ! " with a loud voice. They were sitting around Ka'ba. When they heard his voice they came and gathered round him. He said : " What would you say if I informed you that there is an army coming to attack you from the other side of the mountain ? " They answered : " We never knew you to tell lies. " Then he said : " I am the manifest warner, and I am the Prophet of God to you, and therefore I call you to worship God alone and not worship idols ".

Nobility :

One of the leaders suggested that they should accept the judgement of the first man to enter the place. This suggestion was readily accepted, because nobody wanted this threat to continue; they were afraid of the consequences as they might well be killed. They all stood with their eyes facing towards the way which led to the Ka'ba. Then they saw the Prophet Muhammad coming towards them. At that time Muhammad had not claimed to be a prophet but he was the most highly respected man in Makkah renowned for his honesty and trustworthiness. For this reason they used to call him Al-Sadiq, Al-Amin – the trustworthy, the truthful and when they saw him coming all of them cried with one voice : ' Al-Sadiq Al-Amin ' ! in a tone of appreciation. And they all felt happy and at peace in their minds and they felt sure no harm would now befall any of them, and that whatever Muhammad's decision, it would be accepted by all.

When they explained the problem he requested them to bring a piece of cloth and he chose four men, one from each tribe. He then placed the stone on the cloth and asked each of the four men to take one corner. The four men then shared the carrying of the stone until they came near to the wall, and the Prophet then took the stone in his hands and put it in its place in the wall. By making this decision he was able to prevent the ' blood bath ' and peace prevailed in Makkah. This too, was the first day that the people realised the outstanding wisdom of Muhammad (peace be upon him) and he came to be regarded as the most revered person in Makkah.

First Revelation :

It was his practice to retire with his family for a month every year to a cave in the desert for meditation. His place was the cave on Mount of Hira, and his chosen month was Ramadan. It was one night towards the end of this month that the first Revelation came to him, when he was 40 years old.

The Angel Gabriel came to him and said : " O Muhammad ! ' You are the messenger of God and I am the Angel Gabriel. Then he embraced him strongly and said : " Read ". The Prophet answered : " I cannot read ". Then the Angel embraced him again and said : " Read ". The Prophet answered : " But I am unable to read ". The Angel embraced him for the third time strongly, and said : " Read in the name of thy Lord who created. Created man from a clot. Read and your Lord is the Most Generous. He taught man by the pen. Taught man what he knew not ". [96 : 1 – 5)

It is recalled that with all his affection for his People, he seemed far removed from them, in his ways of life and mode of thoughts. The lawlessness prevailed among the people of Arabia, the sudden outbursts of causeless and meaningless quarrels among the tribes, and the immorality of the people, naturally caused feelings of intense horror and disgust in his mind.

Marriage :

In the 25th year of his age, he travelled once more into Syria as an agent of the noble lady of Quraish, Khadija. The nobility and ability with which he discharged his duties impressed the lady Khadija. In spite of the disparity of age between Muhammad and Khadija, a marriage was arranged between them.

The marriage proved a very happy one though she was 15 years older than he was.

This marriage gave him rank among the nobles of Makkah. Throughout the 26 years of their life together he remained devoted to her. There always existed the tenderest devotion on both sides. This marriage provided him with the rest and freedom from the daily duties, which he needed in order to prepare his mind for his great task, and beyond that it gave him a loving heart, that was the first to believe in his mission, and that was ever ready to console him in his despair.

Children :

Khadija bore him seven children : sons and 4 daughters but the sons all died in infancy. The daughters long survived. The next 15 years after his marriage was a silent record of spiritual communion, preparation and looking inward. Muhammad rich with his alliance with Khadija, and Abbas, the brother of Abutalib, were the most opulent citizens of Makkah.

Wisdom :

When the Prophet was 35 years of age the people of Makkah wanted to rebuild the Ka'ba, because it had been damaged by the floods which covered the valley of Makkah at that time. The tribes of Makkah cooperated with each other to rebuild the Ka'ba, because it was an honour for them, and all the Arab tribes.

All the Arab people respected those of Makkah and regarded them as the people who looked after the House of God. When they started building they came to the place where they had to replace AlHajar AlAswad, the Black Stone. From this moment the arguments started; who could have the honour of putting the stone in its place ? Each tribe wanted to have this honour. They started arguing, and this almost led to a fight. Some of them called for a fight, and blood bath threatened Makkah. The wise leaders of the tribes recognised this as an extremely dangerous situation and they wondered what they could do to prevent this tragedy.

SPOTLIGHTS ON THE LIFE OF THE PROPHET (Peace and Blessings be upon Him)

BY

Dr. Mohiaddin Alwaye

Islamic University

Madinah

His Birth

Muhammad the prophet was born on the 12th of RabiAwwal, (the 29th of August, 570 A.D.). In accordance with the customs of the Arabs, the child was confided during early infancy to a Bedouin woman of the tribe of BaniSaad, and upon being returned by her to his mother Amina he was brought up with tenderest care.

His father, Abdullah, had died before he was born, in the course of a journey to Yathrib (Madinah), in the 25th year of his age. He was bereft of his mother when only 6 years of age. The doubly orphaned child was thus brought up by his grandfather Abdul Muttalib. Towards the year 579 A.D. he lost his grandfather also. On his deathbed Abdul Muttalib had confided him to the care of his uncle Abu Talib. In the house of Abu Talib Muhammad passed his early life.

Early Life :

His early life was not free from the burden of labour, for he often had to go into the desert to watch the flocks of his uncle. Abu Talib, like his father and grandfather, carried on considerable trade with Syria and Yemen. He transported to Damascuss, to Baara, and other places in Syria the dates of Hijaz, and perfumes of Yemen, and in return brought back with him products of the Byzantine Empire.

Muhammad accompanied his uncle and guardian on one of his mercantile journeys to Syria. During this period it was opened before him the scene of religious degradation, and social misery prevalent in the world.

Silently and humbly, with many thoughts in his mind, the solitary orphan boy grew from childhood to youth.

يقول الله سبحانه وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقونَ ● أيَّامًا معدوداتٍ فَمَنْ كان منكم مريضًا أو على سَفرٍ فعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أُخَرَ وعلى الذين يُطيقُونَهُ فِدْيةٌ طعامُ مسكينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خيرًا فهو خيرٌ له وأنْ تصوموا خيرٌ لكم إنْ كنتم تعلمونَ ● شهرُ رمضان الذى أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدًى للناسِ وبيناتٍ مِنَ الهُدَى والفُرْقان فَمَنْ شَهِدَ منكم الشهرَ فلْيَصُمْهُ وَمَنْ كان مريضاً أو على سَفرٍ فعِدَّةٌ من أيَّامٍ أُخَرَ يريدُ الله بكم اليُسْرَ ولا يريدُ بكم العُسْرَ ولِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله على ما هداكم ولعلكم تَشْكُرُونَ ● وإذا سألكَ عِبَادى عنِّى فإنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لى وَلْيُؤْمِنُوا بى لعلهم يَرْشُدُونَ ● »

(من سورة البقرة آية ١٨٣ ـ ١٨٦)

Allah (سبحانه وتعالى) says :

" O you who believe, Fasting is prescribed for you, even as it was prescribed for those before you, that you may ward off evil.

Fast a certain number of days, and for him who is sick among you, or on a journey, the same number of other days, and for those who can afford it there is a ransom : the feeding of a man in need, but who does good of his own accord, it is better for him : and that you fast is better for you if you did but know.

Ramadan is (the month) in which was revealed the Quran, a guidance for mankind, and clear signs for guidance, and the Criterion (of right and wrong). And whosoever of you is present, let him fast the month, and whosever of you is sick or on a journey, let him fast the same number of other days. Allah desires for you ease. He desires not hardship for you, and He desires that you should complete the period, and that you should magnify Allah for having guided you, and that peradventure you may be thankful.

And when My servants question you concerning Me, then surely I am nigh. I answer the prayer of the subliant when he cries onto ME.

So let them hear My call and let them believe in Me, in order that they may be led aright ".

[From Suratul–Baqarah v. 183–186]



أعضاء هيئة تحرير مجلة الجامعة الإسلامية :

يوجهون خالص الشكر :

- أولاً : إلى أصحاب الفضيلة الأساتذة الذين أسهموا في تزويد المجلة بمقالاتهم وبحوثهم القيمة .
- ثانياً : إلى المجلس الأعلى للجامعة لموافقته على تقرير مكافآتٍ مناسبة للكتّاب الكرام تقديراً لجهودهم .

والأملُ وطيدٌ في أن يُواصل أصحابُ الفضيلة الكتاب إتحافَ المجلة بما تجودُ به قرائحهم خدمة للإسلام والمسلمين . وعلى الله قصد السبيل .



قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمٰتِ رَبِّي

لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)

مجلة الجامعة الإسلامية

لا تلتزم برد البحوث والمقالات التي لم تنشر إلى كتابها ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.

Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

AL-MUHARRAM-SAFAR-RABI'-UL-AWWAL

1401 A. H.

[QUARTERLY]

49

13 th YEAR